الياس مرقص

عفوية النظرية في العمل الفدائي

نقد الفكر المقاوم



المكتبة الاشتراكية

دار الحقيقة - بيروت

الياس مرقص

نقد الفكر المقاوم - ١

عفوية النظرية في العمل الفدائي

دار الحقيقة للطباعة والنشر في بيروت

من كتب المؤلف

● الستالينية والمسألة القومية	(في الفكر السياسي)	١٩٦٣	دار دمشق
● موضوعات إلى مؤتمر اشتراكي عربي		١٩٦٣	« «
● تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي		١٩٦٤	دار الطليعة
● الماركسية في عصرنا	(طبعة أولى)	١٩٦٥	« «
● « « «	(طبعة ثانية)	١٩٦٩	« «
● نقد الفكر القومي	(ساطع الحصري)	١٩٦٦	« «
● الماركسية والشرق		١٩٦٨	« «
● الماركسية والمسألة القومية		١٩٧٠	« «
● مفهوم الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن		١٩٧٠	دار الحقيقة
● الماركسية اللينينية والتطور العالمي والعربي في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني وفي نقدنا لهذا البرنامج		١٩٧٠	« «

تمهيد

منذ سنوات ، ينتظر عدد من القراء الطبعة الجديدة الموسّعة من كتابي « تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي »، والجزء الثاني من كتابي « نقد الفكر القومي » (وموضوعه فكر ميشيل عفلق) . ولقد بدأت في مجلة « دراسات عربية » ، سلسلة « اللينينية » ، ثم انتقلت إلى أعمال أخرى . على هذا التأخير والتغيير ، أقدّم اعتذاراً وتعليلاً .

إن الظرف الذي نعيشه يرغمني على تعديل برنامج عملي ، فيما يتصل بالمستقبل القريب .

لقد كان عليّ أن أكتب « الماركسية والشرق » ، وملاحق الطبعة الثانية من « الماركسية في عصرنا » . ثم كان عليّ أن أدخل في حوار مع الزميل بسام طيبي حول « الماركسية والمسألة القومية » . وكان علي أن أكتب « نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن » ، و « الماركسية — اللينينية في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني وفي نقدنا لهذا البرنامج » .

والأرجح انني سأؤجل إلى مستقبل بعيد نسبياً مواصلة « نقد الفكر القومي » . ولا ريب أن قارىء « نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن » يقدّر سبب التأجيل : في اللحظة التاريخية الراهنة ، القضية التي تستحوذ على عملي هي الصراع داخل صف المنادين بالماركسية .

في الأعوام الخمسة الأخيرة ، مالت الماركسية إلى أن تصبح العقيدة السائدة في صفوف التقدميين العرب من الخليج إلى المحيط ، بأشكال شتى ،

وبالأصح في مضامين واتجاهات وحلول شتى ، متنافرة . إذن ، ليست المسألة اليوم تغليب اللافتة الماركسية على لافتة أخرى (« قومية ثورية » ، أو « اشتراكية عربية » ، الخ)، بل هي تغليب المضمون الماركسي الصحيح تحت اللافتة الماركسية « المشتركة » ، تأمين انتصار الخط الفكري والسياسي الماركسية – اللينينية العربية داخل صف المنادين بالماركسية ، وأمام جماهير العمال والفلاحين والجنود والمثقفين التقدميين العرب .

في الوقت الحاضر ، غالباً ما نجد في بلد عربي واحد عدداً من الجماعات والأحزاب والأجنحة والكتل والكسور تنادي كلها بالماركسية ،بل بالماركسية – اللينينية [1] . ومع ذلك – أو لذلك – فإن الوضع الماركسي العربي ليس على ما يرام . والجماهير الشعبية – في غالبيتها الساحقة – مُحجِمة . وهي على حق .

المدرسة الماركسية التقليدية (الأحزاب الشيوعية) لا تزال تحمل وزر مفاهيم ماركسية مغلوطة . في الحزب الشيوعي السوري ، التصحيح صغير (مؤتمر الحزب ، ١٩٦٩) ، وهو أشبه بتراجع اضطراري . في الحزب الشيوعي اللبناني (مؤتمر الحزب ، ١٩٦٨)، الأمور أفضل بالتأكيد، والخيار قائم أمامه . قد يخرج الحزب من وعيه الحاضر – الانتقالي – نحو وعي ماركسي – لينيني صحيح ، وقد يبقى على وعيه الحاضر ، وقد ينتكس . الانقسام (أو شبه الانقسام) في الحزب الشيوعي العراقي حمل معه تحسّنات واضحة ومحدّدة في وعي الجناحين (قضية الوحدة العربية ، ادانة خط فصل الثورتين الديمقراطية والاشتراكية البروليتارية ، قضية فلسطين) . ولكن الجناحين لا يزالان بعيدين عن تكوين صورة صحيحة شاملة .

---

(١) منذ ثلاثة أو أربعة أعوام كان « الشعار » (!) : « الماركسية » أو « الماركسية الثورية » . الآن : « الماركسية اللينينية » ! الوصفة في شكلها الأول لم تصنع المعجزة . إذن يُعتقد انها في الشكل الثاني واجبة وناجعة.ويختلط الغباء وسوء النية . حتى أولئك الذين ينظرون الى لينين ، في قرارة أنفسهم وفي شواهدهم ، على انه قريب فقير لتروتسكي أو للعالم الثالث ، باتوا يقولون ويصرخون : « الماركسية – اللينينية » !

في **المدرسة الماركسية المستحدثة** ، الحالة أسوأ . هنا ، نواجه أناساً رفضوا « مشاق دروب العلم الوعرة » ، وتصوّروا انهم يقفون على « ذراه الوضّاءة » متمتعين بالإطلال على الواقع والتاريخ . بالحقيقة إنهم يجهلون ألفباء الماركسية ، ومواقفهم أشبه بردود الفعل . بالنسبة لبعضهم ، أنْ يكونَ المرءُ ماركسياً هو أن يتبنّى المرءُ **عكسَ** الخط «اليميني» للأحزاب الشيوعية أو **عكس** خطهم «القومي» السابق (أو ربما « الفاشي » ثم «الناصري» !) ، أو العكسين معاً . بالنسبة لجمهور هذا التيار ، الماركسيةُ = « الطبقية » ، « البروليتاروية » ، « اليسارية » ، وكفى الله المؤمنين شرّ « الباقي » . وعلى هذا الأساس ، يتركّب بناء من جُمل مأخوذة من غيفارا ، فانون ، ماو ، لينين ، تروتسكي ، ماركس ، جياب ، صيغ « العالم الثالث » و « الاممية الرابعة » و « الفلاحين » و « الفقراء » و « الكدحاء » ، في تشكيلات ، في خلائط ، متنوعة . و « الايديولوجيون » يركبون « الموجة » ، **يوجّهونها** ويُنَظّرون لها . بين هذه الايديولوجيا كلها وبين ماركس – انجلز – لينين والواقع العربي ، الصلةُ واهية . والمستقبل حامل خيبات أكبر من خيبات الماضي .

وفي هذه الظروف ، إن السكوت يكرّس التشوّش ويؤخّر الاندماج المطلوب بين الماركسية – اللينينية وبين الواقع العربي والثورة العربية والبروليتاريا العربية . إن تحقيق هذه المهمة مرهون اليوم – على صعيد الفكر أولاً – بانتصار خط الماركسية – اللينينية العربية على الخطوط والتيارات الأخرى **داخل** « الماركسية »، داخل صف دعاة الماركسية في الوطن العربي. ذلك صراع طويل ، متشعّب ، يتضمن **تفنيد** مواقف وأفكار الآخرين ، بالتفصيل ...

إن المستقبل سيشهد تحوّل **بعض** الأحزاب والمنظمات الماركسية والتقدمية نحو الأفكار والمواقف المعروفة للماركسيين – اللينينيين العرب . لقد سجّلنا بداية هذا التحول عند قطاعات من المدرسة الماركسية القديمة. ونستبشر أيضاً

ببعض التحوّلات في الهيئات والأحزاب التقدمية العربية التي لا ترفع اللافتة الماركسية. (ونستبشر بالخيبات الواضحة لدى **بعض** قادة وأعضاء الماركسية الشابة) . لا يمكن أن نقرر من الآن مدى هذا التحول التاريخي الذي سيتواصل في المستقبل ، الاعتقاد بأن الماركسية – اللينينية العربية وحزبها التاريخي سينبثقان « من التاريخ »، بدون هذه الروافد الآخذة في نمو صراعي إيجابي اعتقادٌ مثالي . ويقابله ويعادله في المثالية الاعتقاد بأن الطريق إلى الهدف يمرّ عبر تحالف بين **التيارات** الفكرية والسياسية « الماركسية » ، بين « الاجتهادات » الماركسية المختلفة. في تجربة الماركسيين الروس ، الطريق لم يكن تعايشَ التيارات، بل تصارعَها، انتصار تيار على تيار، وبشكل دائم، انتصارَ التيار الماركسي الحقيقي(اللينينية) على التيارات الأخرى(اقتصادية، منشفية، بليخانوفية، اقتصادية امبريالية،تيارات متنوعة،« يمينية »و«يسارية») داخل صف الماركسيين . على طول الخط ، كان شغلُ لينين ورفاقه ، شغلُهم الأول على صعيد الايديولوجيا ، تبيانَ ، بلورة ، تطويرَ ، تكوينَ الماركسية الروسية بتفنيد التيارات الأخرى تحت اللافتة المشتركة . لقد شرحنا آلية **هذا** التقدم ، حتمية **هذا** الطريق [1] في الظرف العربي الراهن ، هذه **الحتمية** أشدّ إلحاحاً . الفرق بين التيارات الماركسية الحاضرة ، المسافة بين تيار الماركسية – اللينينية العربية وبين التيارات « الماركسية » الأخرى ، أكبر بكثير . هذا الفرق يشمل وبشكل مباشر جميع القضايا بلا استثناء: منظور التطور العربي ، استراتيجية الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، بما في ذلك المسألة القومية أو المسائل القومية ، المسائل السياسية الملحّة ، الماركسية – اللينينية كمنهج للفكر والعمل ، كنظرية واستراتيجية وتاكتيك .

في الصراع القائم داخل صف المنادين بالماركسية ، **على** المخطئين أن يتراجعوا . ليس هناك من طريق آخر للتقدم ، ليس هناك من طريق آخر

---

(١) في كتابنا : نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن،دار الحقيقة ١٩٧٠ .

لبلورة الخط الصحيح نهائياً ، لتكوين التيار الماركسي – الشعبي ، لدمج الماركسية – اللينينية العربية **والجماهير** العربية . **يجب** إذن كشفُ الأخطاء، تحديدُها ، أخطاءِ الماركسيين ، عرضُها بالنصوص وتفنيدُها .

حين نجـــد أن أكثر الماركسيين يتهرّبون من هذا العمل ، إذ يكتفون بعرض « الماركسية » (!) ، أو الدعوة اليها ، أي عملياً بعرض أفكارهم ، ويستغنون عن مهمة نقد الماركسيين الآخرين متخذين بديلاً عن هذا النقد نقد أو شتم الجهـات الاخرى غير الماركسية ، غير المنادية بالماركسية – « نظم الحكم البرجوازية – الصغيرة » ، « الفكر القومي اليميني » الخ – فإننا فوراً نشتبه في ماركسية هؤلاء الدعاة . هؤلاء أُناسٌ لا يعرفون التاريخ، لا يعرفون تجربة لينين ... وهم لا يعرفون تجربة أسلافهم في الماركسية المحلية الخاطئة : إن بكداش ، شاوي ، الخ ، قد تجنبوا **دائماً** مهمة الرد (مهمة عرض ونقد وتفنيد) على مزاحميهم في الماركسية . أطلقوا انتقاداتهم (أو شتائمهم) في وجهات أخرى و « عامة » . **في هذه** الجهـة المحددة ، اكتفوا بشتيمة قوية وعابرة. تصرّفوا وكأنه ليس هناك من يعارضهم باسم الماركسية – اللينينية ، تصرّفوا وكأنهم هم الماركسية – اللينينية . والحال ، إن المراجعة التاريخية الواردة في **التقرير السياسي** للحزب الشيوعي اللبناني(مؤتمر ١٩٦٨) لا تدع مجالاً للشك : هم والماركسية اللينينية أغراب (على طول ربع قرن) . نحن والماركسية – اللينينية « أقارب » ، على الأقل . **عملياً** ، هـــذا الفريق من الماركسيين – القدامى (بكداش ، شاوي، نصّار الخ) كان (وبوجه عام ، لا يزال) يتجاهل وجود ماركسيين يعارضون أفكارهم وتحليلاتهم على طول الخط .

نحن لا نجهل ولا نتجاهل . نقول و « نعترف » : نحن **فريق من** دعاة الماركسية ، فريق صغير . هناك تيارات كبيرة (أكبر منّا) – منظمات ، أجنحة ، أحزاب ، صحف ، مجلات ، مؤلفات – تزاحمنـــا على « طبق » الماركسية . وغايتنـا أن **نثبت** ان هذه التيارات ليست ماركسية ، بل في

غالب الأحيان ، **معادية** للماركسية . وان نثبت ذلك بالتفصيل ، بشكل دائم ، وأمام **الجمهور** . أمام جمهور قادة وقواعد هذه المنظمات الخ وقراء هذه الصحف ... وأمام البروليتاريا العربية .

وندعو خصومنا إلى مواجهة دائمة ، قائلين لهم : إذا كنتم فعلاً تريدون **تقدّم** وانتصار الماركسية ، عليكم بالمواجهة الدائمة التفصيلية مع الجميع، ولا سيما **معنا** . لنفترض ان الهدف « الماركسي – العام » (؟) تحقق . لنفترض ان تسعة أعشار « العمال والكادحين » العرب سجدوا خاشعين واعتنقوا « الماركسية » . **أية** ماركسية ؟ ماركسية التيارات والمنظمات المئة ؟ أي تقدم هذا ؟ أي انتصار هذا ؟

ولكن حتى هذا **الافتراض** خطأ . تستطيعون أن تلمّوا عشرة آلاف شاب حول « الماركسية » وعدة آلاف حول منظمتكم أو داخلها ، ولكن لا تستطيعون **أن** تعبئوا **الطبقة** العاملة و **الطبقات** الكادحة في « ماركسية » عامة غير محدّدة . وما يحدث في الظرف الراهن هو العكس . فالجماهير أوعى . الجماهير لا تطلب لافتة بل مضموناً ، لا تطلب عقيدة ماركسية إجمالية ، بل العقيدة الماركسية عربية **راهنة** ، عيانية محددة . والتحديد يتطلب التفنيد .

وقضية فلسطين محكّ واختبار . الأحزاب والمنظمات الماركسية أعطت عرضاً عن « قضية فلسطين » . بوجه الإجمال ، هذا العرض يختلط فيه مع الصواب كثيرٌ من الخطأ . عدد من «الماركسيين» يتجنّب الرد على الماركسيين الآخرين.عدد آخر يرد على **البعض** الآخر.في بيروت ، الطرفان «الماركسيان» الأشهران – « يسار » و « يمين » ، جديد وقديم – يتصرّفان وكأنهما **هما** الطرفان الماركسيان ! ندعوهم إلى مواجهتنا كطرف ثالث .

في كتابنا « الماركسية – اللينينية والتطور العالمي والعربي في برنامج

الحزب الشيوعي اللبناني وفي نقدنا لهذا البرنامج » ، تابعنا آراء وتحليلات البرنامج المذكور ، فيما يتعلق بقضية فلسطين أيضاً ، بعرض النصوص ونقدها ، تفصيلياً . لم نقدّم دراسة « عامة » عن قضية فلسطين .

وفي هذا الكتاب أيضاً ، لا نقدم عرضاً عامـاً عن قضية فلسطين ، بل نعرض وننقـد ونفنّد مواقف ونصوص فريق من « الماركسيين » ، فريق آخر من طراز « معاكس » . وعلى أساس هذا التفنيد ، نقدم موقفنا المضاد.

الفريق الذي نحن بصدده هو « **الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين** » وامتداداتها وقراباتها في الوطن العربي .

إن طائفة من دعـاة الماركسية في العالم العربي يمثلون اليوم ، في قضية فلسطين (وسواها) ، مـا يمكن أن نسميه **التيار اليميني** داخل صف الماركسيين. الجبهة الشعبية الديمقراطية تمثل ما يمكن أن نسمّيه (وهي تسمّيه) **التيار « اليساري »** داخل صف « الماركسيين » . بالطبع ، إن هذا التيار « اليساري » أوسع بكثير من الجبهة المذكورة . إنـه يشمل منظمات أخرى لها صلة محدّدة بالجبهة ، بل انه — كتيار أفكار — يشمل **عدداً من** مواقف خصوم هذه الجبهة المتنوعين ، الخصوم الذين تنعتهم الجبهـة بالنعت اليميني الرجيم . في هذه الحال وبهذا المعنى ، تستطيع الجبهة أن تعتبرنا أقصى « اليمين » .

إذن ، ليست الجبهة الشعبية الديمقراطية سوى جزء من « الماركسية اليسارية » « البروليتارية » « الطبقوية » الخ ، الضاربة في الساح . ولكنهـا بالتأكيد الجزء الأبرز ، الجزء الذي دفع التنظير « الماركسي اليساري » — في نظرنا الكاريكاتوري — الى أبعـاده الطبيعية . جزء أبْدى ويبدي نشاطاً كبيراً في ميدان النشر (كتب ، مجلات ، بيانات جدارية) . جزء له ارتباطات أو امتدادات كثيرة في الساحة العربية وخارجها. هذه الارتباطات والامتدادات موضّحة في « الحرية » ، العدد ٤٩٨ ، ١٩٧٠/١/١٩ (ص ١٣ ، العمود الأخير) حيث نقرأ :

١ . في **فلسطين** : الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين .

٢ . في **العراق** : الحركة الاشتراكية العربية .

٣ . في **لبنـان** : منظمـة الاشتراكيين اللبنانيين (جريدة « الحرية » : محسن ابراهيم ، محمد كشلي ، الخ) « الخارجة من[١] حركة القوميين العرب في لبنان » ، التي أدانت حركة القوميين العرب كـ « فاشستية » ثم « ناصرية » .

٤ . في **المملكة العربية السعودية** : « الجبهة الديمقراطية الشعبيـة لتحرير شبه الجزيرة العربية » والتي « يناضل أغلب أعضائها في صفوف الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » .

٥ . في **الجمهورية العربية اليمنية** : الحزب الديمقراطي الثوري اليمني .

٦ . في **اليمن الجنوبي** : الجنـاح اليساري للجبهة القومية وهو حالياً في السلطة .

٧ . في **البحرين وإمارات الخليج** : الحركة الثورية الشعبية لعمان والخليج العربي .

٨ . وفي هـذا العدد نفسه نقرأ مقالاً عن **ظفار**[٢] : « علاقة الثورة في ظفار بالجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » . « فالاتجاه السياسي لجبهة تحرير ظفار هو نفس الاتجـــاه السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية التي نجد منشوراتها ومنشوراتهـا وحدها من كل تنظيمات المقاومة الاخرى موزّعة بين الثوار » .

---

(١) في هذا الوصف من الذات الذات ، تواضع كبير . الجماعة كانت هي قيادة و تنظيم الحركة في لبنـان ، وصاحبة جريدة الحركة على نطاق الوطن العربي .

(٢) ظفار تحتل مركزاً ممتازاً في هذا العدد : مقال بقلم جـان بيير فينو ، في جريدة « الموند ديبلوماتيك » [الشهرية الصادرة عن « لوموند » ، وليست بعيدة عن أن تكون أهم جريدة في العالم] . ونفهم ان جبهة تحرير ظفار ، في مؤتمر ايلول ١٩٦٩ ، غيّرت اسمها من جبهة تحرير ظفار الى « الجبهة الشعبية لتحرير الخليج » وهي تؤمن بالحرب الشعبية الطويلة الأمد ، وتريد دولة واحدة للخليج .

٩ . صحيح أن « الحرية » عادت ونشرت في العدد ٥٠١ (١٩٧٠/٢/٩) تصحيحاً ورد اليها من الجبهة الشعبية الديمقراطية السعودية (ص ١٤) يلغي البند ٤ : « ... معلومات خاطئة ... نظراً لتشابه الأسماء » [– بالفعل ! هذه هي حالنا العربية . والقارىء يضيع في متاهات الأسماء والألفاظ]. الجبهة السعودية « لم يكن لها أي ارتباط بأي تنظيم عربي في الخارج » ... و «لا يوجد الآن أي من أعضائها في صفوف الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » .

ومقابل هذا الإلغاء للبند ٤ ، يجب القول إن القائمة الآنفة لا تستنفد موضوع الامتدادات والارتباطات .

١ . هناك مجموعة الجناح «اليساري» في حركة القوميين العرب في سوريا . اسمها الحاضر ؟ لا ندري . ولكن لها جريدة (سرّية) : الشرارة (أي الايسكرا) .

٢ . من المرجّح ان جماعة « **لبنان الاشتراكي** » هي على طريق الاندماج مع « منظمة الاشتراكيين اللبنانيين » .

٣ . تنبغي الاشارة إلى أن جريدة « الحرية » ألقت وتلقي بثقلها مع « **يسار » الحزب الشيوعي العراقي** ، ومع البؤرة الثورية العراقية وعزيز الحاج (سابقاً) . صحيح ان هناك فوارق بين اتجاه « الحرية » والجبهة الديمقراطية من جهة وبين « اليسار » الشيوعي العراقي من جهة اخرى . بَلْ هناك فوارق بين الرفاق اللبنانيين ـ الفلسطينيين ـ الاردنيين وأنسبائهم المباشرين في العراق (سنسجّل ذلك في حينه) . ولكنْ هناك « جو » مشترك .

٤ . لا بد من ذكر **العفيف الأخضر** ، الكاتب الجزائري المعروف، عضو منظمة « المقاومة الشعبية » ، وصاحب مقالات كثيرة في « الحرية » .

٥ . وفي العدد ٥٠٢ (١٦ / ٢ / ١٩٧٠) من « الحرية » ، نجد مقالاً عن **موريتانيا** مع حديث عن منظمة تبدو في نفس الخط [١] .

---

(١) في العدد نفسه، نقرأ ان انصار الجبهة في بريطانيا عقدوا «اجتماعاً تمهيدياً» انبثقت =

٦ . تنبغي الاشارة الى أن عدداً من الشخصيات العالمية يرعون الجبهة الشعبية الديمقراطية: **ميشيل بابلو** pablo (قائد أحد أجنحة الأممية الرابعة)، **جيرار شاليان** (الكاتب الماركسي الفرنسي المعروف، وقد كرّس كتاباً لمدح الجبهة، صدر عن دار الطليعة)، جان - بيير فينو[1] ...، **مجلة « آفريك - آسيا »** [2].

٧ . في العدد ٧ (١٩ يناير - أول فبراير ١٩٧٠) من هذه المجلة، يعلمنا نايف حواتمه (قائد الجبهة) ان في قواعد الجبهة **عدداً من « الثوار العرب والأجانب »**، « **يتلقون تكوينهم** السياسي والعسكري ». « وبعد ذلك سيختارون بين أن يقاتلوا في صفوفنا أو أن يعودوا إلى بلدانهم ليساعدوا في إعداد شروط الثورة عندهم، وهذا أفضل ». وقد يشكل هؤلاء الثوار الأجانب في المستقبل « كتيبة أممية » (ص ١٦).

ليست هذه القائمة مستنفدة، ولكنها تبيّن اتّساع وأهمية **التيار**، الذي تؤلف الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين محوره وطليعته. وليس غريباً أن يتمحور التيار « اليساري » على الجبهة « اليسارية » الفلسطينية. وأن يتمحور الفكر « اليساري » على « فلسطين ». مردّ ذلك إلى أهمية القضية الفلسطينية بالنسبة للمصير العربي والعالمي، وفي الظرف العربي الراهن والذي سيبقى راهناً لعشرات السنين. والاتجاه « اليساري » يمضي من هذه

= عنه «لجنة تحضيرية». والأرجح ان هذه الحالة واسعة الانتشار في الاوروبتين الرأسمالية والاشتراكية.

(١) يستطيع قارىء « الحرية » أن يواصل التعداد.

(٢) مجلة تروتسكية (على الأرجح تمثّل جناحاً آخر غير الجناح الذي يتزعمه ميشيل بابلو). عنوانها: « آفريك - آسيا. مجلة العالم الثالث - آسيا، العالم العربي، افريقيا، الأميركات ». مقرها: ٣٢، شارع واشنطن، باريس ٨. وقد احتلت الجبهة الشعبية الديمقراطية مكاناً مرموقاً في عددها الأول الذي صدر عن ٢٦ اوكتوبر - ٩ نوفمبر ١٩٦٩. (المجلة نصف - شهرية).

الأهمية الموضوعية إلى اتجاه فكري وسياسي قوامه "فلسطنة الثورة العربية والنضال العربي . إن فكر الجبهة الشعبية الديمقراطية فكر « فلسطيني » ، « فلسطيني » – النزعة والاتجاه ، حتى إذا كان رواده شرق – اردنيين أو لبنانيين أو سوريين أو عراقيين. محوره « المقاومة » . انه « فكر مقاوم».

وهدفنا « نقد الفكر المقاوم » ، نقد هذا التيار « اليساري » المتمثل في الجبهة الشعبية الديمقراطية ، تفنيده . لأنه في نظرنا على ضلال جوهري .

أجل هناك منظمات فلسطينية أخرى ، « تتبنّى » الماركسية ، دون أن تكون على صواب . ولكن المثال الأخطر عن تبني الماركسية قولاً و«شعاراً» وصراخاً والقطيعة معها فكراً وعملاً ، هو في رأينا مثال الجبهة الشعبية الديمقراطية . على يد هؤلاء بالدرجة الأولى ، وعلى يد غيرهم بدرجة ثانية ، دخلت « الماركسية » إلى حركة المقاومة الفلسطينية ، فلم تلق عليها نوراً بل ضباباً ، لم تكن أداة تمزّق الأقنعة عن الواقع ، بل قناعاً جديداً **يحجب** الواقع، حاجزاً يقف بين أصحابه وبين الواقع. **وبالتالي**، لم تكن «الماركسية» عامل توحيد ، بل عامل تقسيم إضافي . هذا يصحّ بالنسبة للوضع العربي الماركسي بشكل عام. ولكن في هذا المضمار أيضاً، المسألة الفلسطينية وحركة المقاومة تكثيف متقدم للوضع العربي التقدمي والماركسي .

هذا الواقع العربي –« الماركسي » الماثل أمامنا يدفعنا أكثر من أي وقت مضى إلى التمسك بأسلوبنا في العمل الفكري .

لا نعرض مبادىء عامة ، لا نعرض « مواقفنا »، بل أولاً ننقد ونفنّد نصوص ومواقف الآخرين ، وعلى أساس هذا النقد التفصيلي نضع مبادئنا ومواقفنا المضادة .

ولقد كان مشروعنا **الأول** هو نقد نماذج متنوعة لجهات « ماركسية » متنوعة في المسألة الفلسطينية . غير أننا ، إذ تعرضنا سابقاً لجهات أخرى بشكل أوّلي ، وما دام تيار الماركسية « اليسارية » هو الطاغي (بعض شعاراته طاغية خارج إطاره أيضاً)، فقد رأينا الاقتصار – الآن ومبدئياً–

على هذا التيار ، أو بالأصح على نموذجه الأقوى ، الأكثر تبلوراً .

عملنا هو إذن جرد مؤلفات **« الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين »** .

وقد كان للجرد – في عملنا السابق – طريقتان :

الأولى : تقديم صورة عامة مختصرة عن المؤلفات بأقسامها المسلسلة ، ثم إعادة تجميع الأقسام ، تبعاً لاختلاف المواضيع ، في فصول يشمل كل منها عرض ونقد النصوص العائدة لموضع الفصل . هذا ما فعلناه مع مؤلفات ساطع الحصري .

الثانية : متابعة النصوص حسب تسلسلها ذاته ، عرضاً ونقداً ، بدون عملية الفك والتركيب السابقة . هذا ما فعلناه مع برنامج الحزب الشيوعي اللبناني . وكان هذا العمل طبيعياً وسهلاً . فالبرنامج المذكور مسلسل بوضوح ، مقسّم إلى أقسام طبيعية تتناسب مع عناوينها .

الأمر يختلف بالنسبة لمؤلفات الجبهة الشعبية الديمقراطية . هذه المؤلفات تعاود بحث نفس المواضيع ، والمواضيع متداخلة بين فصل وآخر ، والعلاقة بين الفصل وعنوانه واهية في أحيان كثيرة . إن موضوع [١] حرب التحرير الشعبية مثلاً موجود في كل الفصول أو تقريباً . وكذلك موضوع قرار مجلس الأمن – الحل التصفوي – تصفية قضية فلسطين . وكذلك فكرة « التحليل الملموس لوضع ملموس » . ومقولة « البرجوازية – الصغيرة » ونظمها العاجزة الفاسدة .

لذلك اخترنا الطريقة الثانية : متابعة النصوص حسب تسلسلها (أو عدم تسلسلها) ذاته .

كتابنا الأول – عفوية النظرية في العمل الفدائي – عرض ونقد لكتاب « حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي » .

---

(١) الموضوع أو اللفظ على الأقل .

كتابنا الثاني – المقاومة « واقعاً » و « أزمة » – عرض ونقد لكتابَيْ « حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (دراسة نقدية) »، و « حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (تحليل وتوقعات) » ، الصادرين عن دار الطليعة .

وسنخصّص **كتاباً ثالثاً** للبواقي : أولاً صادق جلال العظم ، وثانياً محمود سويد ، عماد نويهض ، العفيف الأخضر ، جيرار شاليان ، « الحرية » الخ . .

إن « نقد الفكر المسالم » سيكون موضوع كتاب آخر : آراء ونصوص بعض الأحزاب الشيوعية ، بعض مقالات « الطليعة » المصرية ، وسواها.

الأسلوب الذي نعتمده هو أولاً **قراءة** المؤلفات ، ثم إبداء ملاحظاتنا النقدية ، قبل الوصول إلى أية « شمولية » .

رب قائل : هذا ليس « تأليفاً » . نحن نجيب : كما تشاء ! وتستطيع ، إذا شئت ، أن « تصفّ » هذا الكتاب في مكتبتك إلى جوار الكتب التي اشتريتها ولم تقرأها . أما نحن، فغرضنا **الأول** أن تقرأ معنا نصوص الخصم ، أن تقرأها ببطء وتأنّ . وغرضنا ، قبل – الأول وفوق – الأول أن يقرأ معنا الخصم ذاته نصوصه ذاتها ، ببطء وتأن . اننا نرغم الخصم على أن يقطع انسيابه اللفظي ، نوقفه حيث هو لا يقف بمحض إرادته .

أي اننا نوجّه هذه الكتب الثلاثة – ولا سيما الكتابين الأول والثاني – إلى **الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين** ، لنردّد لها أقوالها قبل أن نُتبع هذه الأقوال بملاحظاتنا وانتقاداتنا . نوجّه هذين الكتابين إلى ستة آلاف قارىء قرأوا كتابي الجبهة الشعبية الديمقراطية الصادرين عن دار الطليعة (أواخر ١٩٦٩، أوائل ١٩٧٠) في طبعتين متتاليتين على مسافة زمنية قصيرة. طبعتان لكتابين خلال ثلاثة شهور! هذا رقم قياسي [١] . حقاً ، يجدر بك

---

(١) فضلاً عن جريدة « الحرية » الاسبوعية .

أيها القارىء ، أن تقرأ معنا ، ببطء وتأن ، هذين الكتابين وسواهما، ويجدر بكم أيها الرفاق واضعو المؤلفات المعنية !

لقد رضينا لأنفسنا عملكم ، موضوعاً ولغة وتسلسلاً . رضينا أن نتابع خطوات منطقكم . فتابعوا معنا خطوات منطقكم ومنطقنا « الآخر » . دخلنا في لعبتكم . الدور لكم !

عفويّة النظريّة في العمل الفدائي

١
"الـثّورة" و"التصفيـة"
أو بداية العفويّـة

المؤلف الأول : « **حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي الفلسطيني** » صادر عن الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين – دراسات فلسطينية ، (دار النشر غير مذكورة ، وكذلك تاريخ النشر) ، رافق وضعه – كما يبدو من الكتاب – مرحلة اختمار وتأسيس الجبهة .

ولقد بلغنـا ان واضع هذه الدراسة هو محمد كشلي . وبالطبع (سوف يرى القارىء لماذا) لا يمكن أن يكون واضع هذه الدراسة وواضع الدراستين اللاحقتين (دار الطليعة ، مع مقدمتين بقلم نايف حواتمة) شخصاً واحداً[١].

هذا الكتاب كراس يمتد على ١١٥ صفحة من القطع الصغير : في الصفحة المتوسطة حوالي ٢٢ سطراً × ٨ كلمات = ١٧٠ كلمة . في مجموع الكتاب بعد إسقاط صفحات الفراغ للعناوين وعددها اثنتا عشرة صفحة : ١٧٠ × ١٠٣ صفحات = حوالي ١٧,٠٠٠ كلمة .

تقع **المقدمة** في صفحة ونصف (ص ٣ – ٤) وتقول :

---

(١) لنقل من الآن ان كلمات « الهوس » ، « على امتداد » ، « جدلي » ، «بالمطلق» ، وعدد من الكلمات الأخرى، ترد في الكتابين اللاحقين عشرات او مئات المرات. تلك ليست الحال في هذا الكتاب الأول .

« مع تفاقم الصدام بـين الفدائيين الفلسطينيين والسلطات الرجعية في الاردن (هامش « اشارة إلى صدام ٤ / ١١ / ٦٨ ») ، فقد أصبح تعزيز الجدال الدائر بين الثوريين الفلسطينيين أكثر إلحاحاً لتسليح نضالنا بمزيد من الوضوح في مفاهيمنا ، ومزيد من الحسم في مواقفنا ، ومزيد من الفعالية في حركتنا ، ومزيد من التحكم في تكتيكنا لضمان تحقيق استراتيجية الثورة وإفشال استراتيجية الثورة المضادة مهما طال الزمن، ومهما غلت التضحيات»(ص ٣) . « وبهذا الصدد ، لا بد من دراسة واعية وهادئة وعلمية لقضايا الثورة الفلسطينية... مثل هذا البحث لا بد أن يحرص على ابقاء المجال مفتوحاً لاستكماله [..] ولا بد أن يجري الحوار ضمن إطار ديمقراطي ، ولا بد أن يتميز بايجابية مطلقة [....] كذلك فان المنهج العلمي في البحث يقضي إدراكاً منا انه من بين العوامل العديدة الفاعلة في حركة المجتمع ، فان المصالح الاقتصادية لها الدور الأساسي في تحديد المواقف والسياسات أوفي تحديد جبهات الصراع وقواه وفي تحديد التحالفات والمجابهات .. » (ص ٣ – ٤) (١) .

نستطيع أن نوافق على هذه الآراء بأصابعنا العشرة . انها أفكار **عامة** صحيحة ، غير أن الأمر يتوقف أيضاً على **مضمون** هذه الأفكار العامة .

« ضمان تحقيق **استراتيجية** الثورة » ؟ – هل هذه الستراتيجية جاهزة ، لديكم أو لدى سواكم ؟ الفقرة التالية يمكن أن توحي بـ « نعم » . ويمكن أن توحي بـ « لا » : « دراسة ... **قضايا** الثورة الفلسطينية » ، « استكمال » البحث . سنقرأ إذن هذا البحث :

« **الثورة** الفلسطينية » ؟ حتى الآن (حتى الستينات)، كان تعبير الثورة يطلق على ظاهرة من نوع ثورة ١٧٨٩ في فرنسا ، أو ثورة ١٩١٧ في روسيا (ثورة شعب ضد حاكم ، ثورة طبقات ضد طبقات، في اطار مجتمع واحد)، أو من نوع ثورات أوائـل القرن التاسع عشر في اميركا اللاتينية ضد الحكم الأجنـبي الاسباني ، أو ثورة ١٩٥٤ – ١٩٦٢ في الجزائر ضد الحكم الأجنبي الفرنسي ، أو على ظاهرة يتشابك فيها النموذجان : الوطني – القومي – ضد

---

(١) نقلنا المقدمة كاملة . علامة [ ] تشير إلى أماكن (هنا كلمات) حذفناها لتخفيف النص وحجم الكتاب . وهي لا تزيد أو تنقص شيئاً . باقي المقدمة يعدّد أقسام الكراس أي عناوين فصوله .

الأجنبي، والاجتماعي ـ الطبقي ـ الداخلي. وبالحقيقة أكثر ثورات هذا العصر فيها هذا « الاختلاط » . من أي نوع هي « الثورة الفلسطينية » ؟

قد تقولون : بالضبط ، انها من النوع المختلط !

ونحن نقول : النوع الأول ، والنوع الثاني ، والنوع المختلط ، لهـا كلها قاسم مشترك ، كل ثورات التاريخ (اجتماعية ، قومية ، فلاحية ، بروليتارية ، برجوازية ، قديمة ، حديثة ، كبيرة ، صغيرة ، ناجحة ، فاشلة ، مختلطة ، طاهرة) لها قاسم مشترك . وهذا القاسم المشترك **تتميز** عنه الثورة الفلسطينية . **تنفرد** « الثورة الفلسطينية » بكونها **تتميز** عن جميع الثورات بشيء ما علينا أن نحدّده : ثورة مصر ضد الفراعنة في أواخر عهد الامبراطورية القديمة ، ثورة عبيد سبارتاكوس ، ثورة جان هوس ، الثورات الفلاحية في تاريخ الصين ، ثورات القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثورة الاسبان ضد نابوليون ، ثورة اميركا اللاتينية ضد الاسبان ، ثورات ١٨٣٠ و١٨٤٨ و١٨٧١ في أوروبا ، ثورات ١٩٠٥ و١٩١٧ في روسيا ، الثورات الدستورية في إيران وتركيا ، ثورات العراق وسوريا والمغرب ومصر ضد الانكليز والفرنسيين في ١٩١٩ — ١٩٢٧ ، ثورة فيتنـام ، ثورات اندونيسيا ، ثورة كوبا ، ثورة الملايو أو لاوس أو موزانبيق ... في كل هذه الثورات ، نجد إما صراعاً داخل مجتمع واحد أو كفاحاً ضد محتل أجنبي ، أو الأمرين معاً ، ولكن **دائماً** في الحالات الثلاث : الثائرون ، أو المرشحون للثورة هم **أكثرية السكان في الأرض** ، أكثرية المجتمع ، أكثرية الدولة الخ .. بينما في فلسطين الأمر مختلف **جوهرياً** ، وفي « فلسطين المحتلة » سابقاً ، في اسرائيل قبل حزيران ١٩٦٧ ، المرشحون للثورة هم أقلية صغيرة من السكان [1] . وأعداء « الثورة » ليسوا عساكر محتلّين ، أو طبقات محددة هي **جزء** من مجتمع وحسب ، بل دولة — مجتمع ، أو مجتمع — دولة ، كيان اجتماعي — سياسي بالكامل .

---

(١) في « فلسطين » الحالية ، العرب يشكلون حوالي ٣٥٪ من السكان .

هل من الواجب إذن أن نسقط تعبير « الثورة الفلسطينية » من عداد المصطلحات؟ كلا . ولكن من الواجب، عندما نكون قيد التفكير السياسي، قيد التنظير لحركة المقاومة، « للثورة الفلسطينية »، – وليس في قرض الشعر أو إطلاق « الشعارات » (؟) – عندما نكون قيد « النظرية » وفي معارضة العفوية ، من الواجب أن لا نستخدم هذا المصطلح ، دون أن نتبعه فوراً بتسجيل **فردية** الثورة sa singularité ، طابعها الفرد، الذي يميزها عن جميع الثورات الأخرى المعروفة ، القديمة والحديثة،الوطنية والاجتماعية، والمختلطة، الفلاحية والبرجوازية والبروليتارية والمختلطة ، التي نجحت والتي لم تنجح، التي حدثت والتي لم تحدث(التي بقيت في حيز الإمكان ولم تنتقل إلى حيز الفعل) . حين نسجّل فوراً هـذه الفردية ، هذه الوحدانية ، نعصم أنفسنا من عملية السحب الاستنتاجي [١] ، من عمليـة استنباط تاكتيك ومستقبل الحركة من قوانين ما عامة لنموذج ثوري عام ، أياً كان (سواء كان وطنياً – عاماً، أو اجتماعياً – عاماً، أو مختلطاً عاماً ، أو عاماً – عاماً) وإلّا فسحنا المجال لهذا السحب الاستنتاجي القادر على أن يحوّل كل حقيقة – كل حقيقة تتثبت وتظهر في تجارب الثورات – إلى غلطة واكذوبة .

سنرى في أي درب يسير منطق الكتاب . ولكن علينا من الآن أن نلاحظ ملاحظة ثانية تفرضها الفقرة الثانية .

خيراً فعل المؤلف حين دعـا إلى « دراسة واعية وهادئة وعلمية » ، إلى حوار « مفتوح » و « ضمن إطـار ديمقراطي » . غير انه لم يلبث أن وضع للانفتاح حدوداً اتخذت طابع توجيه مُسْبَق للحوار : « المصالح الاقتصادية للقوى الاجتماعية وتناقضاتها الاقتصادية لها الدور الأساسي في تحديد المواقف والسياسات أو في تحديد جبهات الصراع وقواه .. » .

هـــذا كلام صحيح ، ولكنه يمكن أيضاً أن يتخذ مضموناً خاطئاً وبالغ

---

(١) نقصد dé duction : استنتاج الخاص من العام. المصريون يقولون: « استنباط ».

الخطأ . هذه الحقيقة الماركسية (هل من شيء أكثر ماركسية من الاقتصادية والاجتماعية والاقتصادية مرة اخرى ، والتناقضـــات والصراع والقوى ؟!) يمكن أن تكون خطأ « اقتصادياً » économiste وحسب . الاقتصاديون القدامى – مارتينوف ، أكيموف وألوف الشباب – ، والاقتصاديون الجدد اليساريون – بياتاكوف، بوخارين وألوف الشباب – يوافقون على هذا الرأي. نحن – مع لينين – نُعلّق رأينا بانتظار المضمون .

وتنتهي المقدمة بما يلي :

« ضمن هذه الخطوط سنتناول الموضوعات التالية ، وذلك مساهمة في عملية الجدل القائم وليس شمولاً لكافة قضايا الثورة الفلسطينية :

١ – الامبريالية العالمية وتصفية قضية فلسطين . ٢ – الصهيونية وتصفية قضية فلسطين . ٣ – الاردن وتصفية قضية فلسطين . ٤ – شعب فلسطين ورفض تصفية قضية فلسطين . ٥ – طريقان للحركة الثورية الفلسطينية » . (ص ٤) .

خلاصة القول نخشى أن نكون أمام كتيب مادّته الجوهرية رفض « تصفية قضية فلسطين » . في هذه الحـال ، لن تكون مادة جوهرية إلى هذا الحد ، أو لعله يجب القول : ستكون مادة جوهرية أُسْ ٢ ، ربّما لفظية . في كل الحالات : ليست مادة غنية . ليس هـــذا كثيراً بالنسبة لموضوع « العفوية والنظرية في العمل الفدائي » . إلا إذا كان المؤلف قد استخدم كلمة « حول » في العنوان ، عمداً . من حيث التحديد ، قد يكون الأمر محض انسياق وراء العفوية . على كل حال ، انتهى التمهيد دون أن نرى شيئاً يوحي بارتباط مـا مع الثورة العربية . ملاحظة جديرة بأن لا تفوتكم . لا سيا وان هذا الكل ـ الثورة العربية ـ يختلف عن جزئه ـ الثورة الفلسطينية ـ في كونه يشارك جميع الثورات السابقة واللاحقة في المفهوم العادي للثورة ، وهو بالتالي ، وهو وحده يقم صلةما بين جزئه الفلسطيني وبين المفهوم العام المعروف : الثورة !



٢
«الامبرياليّة العالميّة وتصفية قضيّة فلسطين»

- نهب أميركا للبترول
- واغلاق العرب لقناة السويس
- والسلام الأميركي من أجل الملاحة والتجارة
- واستغلال كدح الفقراء

لم نرَ الثورة العربية في المقدمة . ولكن لا غنى عن « المنطقة العربية » في « الصراع العالمي » الذي تشكل فلسطين وثورتها جزءاً منه ، في زمن « الأممية » (« الاقتصادية ») المنفلتة من عقالها !

يبدأ الكاتب هذا **الفصل الأول** وعنوانه : « **الامبريالية العالمية وتصفية القضية الفلسطينية** » (ص ٧ — ١٩) بما يلي :

« كيف نفهم الصراعات القائمة في المنطقة العربية ؟

يمكن أن نفهم الصراعات القائمة إذا عالجناها من خلال المحتوى الواسع للصراع العالمي القائم بين القوى الامبريالية المتسلطة وبين حركة التحرر الوطني في الدول المتخلفة.

فمن جهة : الامبريالية العالمية بقيادة أميركا التي تقاتل من أجل استمرار تسلطها على هذه المنطقة الغنية بالنفط ، وهو الثروة الأساسية في المنطقة . ومن جهة اخرى : الجماهير العربية التي تقاتل من أجل تحررها الاقتصادي والسياسي ومن أجل الانعتاق من الأوضاع التعيسة التي أرغمت على العيش في ظلها .

والبترول هو الثروة العربية الأساسية بالنسبة لمطامع الامبريالية في المنطقة . فما هو حجم هذه الثروة حتى تكون محور علاقة الامبريالية العالمية بنا ، وأساس مشاريعها لاستمرار تسلطها على جماهيرنا ؟ ؟

فيما يلي احصائيات عن انتاج واحتياطي البلاد العربية من النفط ، مقارناً بانتاج واحتياطي الولايات المتحدة الأميركية ، والمقصود من المقارنة إبراز أهمية النفط بالنسبة للامبريالية العالمية في الحاضر والمستقبل . » (ص ٧) .

لنلاحظ أولاً ان الصراع **العالمي** أوسع من ذلك ، أوسع من صراع قائم بين « القوى الامبريالية » وبين « حركة التحرر الوطني في الدول المتخلفة » . الصراع العالمي قائم بين الامبريالية الأميركية ـ العالمية وبين الثورة الاشتراكية العالمية . هذه الحقيقة العامة تغطّي فعلاً وهي وحدها التي تغطّي الصراع العالمي الفعلي . وهي أيضاً التي تغطي الصراع بالنسبة للدول المتخلفة بالذات . أما صيغة «حركة التحرر الوطني» فهي تدلّ عند أصحابها (سنجدها عشرات المرات) على ان « الماركسي » يمكن أن يكون بالغ « اليسارية » في المواقف التاكتيكية ، دون أن تعصمه هذه اليسارية الصبيانية التاكتيكية عن قصور ستراتيجي ونظري بالغ اليمينية .

ولنلاحظ ثانياً اننا لا نرى في ماركسية لينين شيئاً اسمه « حركة التحرر الوطني » بل نرى دائماً « حركة التحرر **القومي** » . لقد سجلنا هذا الخطأ ومدلولاته المفقِرة والمشوّهة في نقدنا لبرنامج الحزب الشيوعي اللبناني. ونضيف: ليس فقط في الفرنسية والانكليزية والالمانية ، بل كذلك في الروسية ، الكلمة national هي = القومي. وأن تكون « دار التقدم » (موسكو) هي أيضاً اعتمدت الترجمة الخاطئة ، لا يحوّل الخطأ إلى صواب بأي شكل . بل نقول : إن مترجم دار التقدم « يصحّح » (!) لينين في ترجمته لمجموعة « حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية » في أكثر من مقطع ، في عدد من المواقع الهامة .

لنقرأ الآن مجدداً الفقرة الثانية من الصفحة :

« فمن جهة ! الامبريالية العالمية ... المنطقة الغنية بالنفط ... الجماهير العربية التي تقاتل ... الأوضاع التعيسة ... »

هذا كله لا ينسينا أن هذه الجماهير العربية التعيسة والواعية (أكثر من المؤلف) تقاتل أيضاً وبالتحديد من أجل وحدتها القومية ، وهذا القتال هو قتال ضد الامبريالية وليس فقط ضد أوضاع تعيسة . صحيح ان الاقتصاد

والنفط والجماهير ، هذا كله يمكن أن يبدو بالغ الماركسية . لسوء الحظ بين أن يبدو وأن يكون شتّان ! وفي تعاسة أوضاعنا ، تعاسة التجزئة العربية ، وتعاسة « النظرية » « الماركسية » التي لا ترى هذه التعاسة .

الصفحات التالية مكرَّسة من ألف إلى ياء لموضوع **النفط** . ينقل المؤلف عدداً من الجداول الاحصائية [1]: الانتاج، الاحتياطي ، تكلفة انتاج البرميل ، دخْل دول النفط من البترول ...

« إن انتاج البلاد العربية من النفط أخذ يفوق انتاج الولايات المتحدة الاميركية ، وان احتياطي النفط في البلاد العربية يفوق احتياطي نفط الولايات المتحدة الاميركية بعشرات المرات » (ص ٨) ٥٧،٦٠٪ من مجموع الامتيازات تملكه شركات اميركية. ٢٨،٩٪ تملكه شركات بريطانية. ١٣،٥٪ تملكه شركات هولندية وفرنسية وايطالية... (ص ٩) . تكافة انتاج البترول العربي أدنى بكثير من تكلفة انتاج البترول الاميركي (ص ١٠ — ١١). « إن وفرة إنتاج واحتياطي النفط العربي وانخفاض تكاليف انتاجه وارتفاع نسبة الربح لرؤوس الأموال الاميركية لا يمكن أن تدفع الولايات المتحدة الاميركية إلا لمزيد من التسلط على خيرات أرضنا ومزيد من الاستغلال لكدح جماهيرنا العربية » (ص ١١) .

إن صيغة « كدح جماهيرنا العربية » تلعب هنا دور تعزيز « ماركسي » ، تضفي اللون الأحمر على « جسم » ينزف دماً من كل مساماته ، بدون هذه الصَبْغة الاضافية . لسوء الحظ ، لا يبدو أن المؤلف قرأ لينين ، أو اطلع على « عالمية » لينين ، أو استوعب أسلوبه الصارم ، الجافّ ، في معالجة الأمور. ولذا ، فهو بحاجة دائمة إلى « الجماهير » و « استغلال الجماهير » و « كدح الجماهير » و « فقر الفقراء » ، و « العنف والعنف المضاد ».. غير أننا بالطبع لا نستطيع دائماً الوقوف عند هذه الألفاظ . إننا ندعو محمد كشلي إلى قراءة

---

(١) عن كتاب عبد الله الطريقي — البترول العربي سلاح في المعركة — من منشورات مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . هذه الجداول موجودة في جميع المراجع العربية المعروفة (وفي سوريا : في الكتب المدرسية) .

كتابه من جديد ، بعد قراءة لينين . سيفهمنا . وسيتساءل : ما سبب هذا الانسياب اللفظي ؟

بعد « استغلال كدح جماهيرنا العربية »، يتابع المؤلف دون انقطاع :

« وإن تجارب الامبريالية العالمية مع الشعوب :علمتنا أن الامبريالية ستلجأ دائماً لوسائل مختلفة لفرض استمرار سيطرتها على خيرات الشعوب واستغلالها لقوة عمل الشعوب الفقيرة . ومهما اختلفت هذه الوسائل ، ومهما تسترت وراء حكومات عميلة أو محاولات الاستعمار الاسكاني، فهي دائماً وسائل متصاعدة في عنفها ومهمتها القمعية. كذلك تعلمنا التجارب في العالم أن الشعوب الفقيرة قد تُغلب على أمرها مرة إثر مرة ، لكنها دائماً تواجه العنف بعنف مضاد ، وتواجه القمع بالثورة ، وتقدم الضحايا علىطريق الحرية حتىتصل الى تحررها الكامل من كل استغلال».(ص١١-١٢)

أفلا يرى الأخ محمد كشلي أن حقيقة لها « بعض » القيمة قد مرّت في هذا الانسياب الثائر مرور الكرام ، هي « محاولات الاستعمار الإسكاني » . نعم : **محاولات** الاستعمار الإسكاني . « آه ! كم بألفاظ عذْبة تقال تلك الأشياء »[1]. عَسَى أن تتوقف « قليلاً »، أيها الأخ عند الاستعمار **الاسكاني**، الذي ليس محض « محاولات » ! عسى أن يَحُول ذلك دون أن تندفع نحو هزيمة الشعوب الفقيرة « مرّة إثر مرة » . لأنّه أنْ « تُغلَب الشعوب » « مرة إثر مرة » « حتى تصل إلى تحررها الكامل من كل استغلال » (« النصر دائماً وأبداً للشعوب » بشهادة العرب والشعوب الفقيرة في السنوات الخمس الأخيرة ؟!!) هذا في أحسن حال رغبةُ ـ ثورةٍ وإرادةُ ـ كفاحٍ ، ولكنه لا من قريب ولا من بعيد ستراتيجيةُ وتاكتيكُ ونظريةُ ثورة. **هذا** ما تُعلّمنا إياه « التجارب في العالم ». وبالأحرى ، تجارب وأفكار لينين وماوتسي تونغ وهوشي منه . الماركسيون الحقيقيون يكتفون عادة بهزيمة أو هزيمتين ، ولا يسيرون أبداً نحو هزيمة واحدة **محتومة**، لأنهم يسيرون مع وعلى رأس ثورات **شعبية**، لأنهم لا يأخذون الشعارات بديلاً عن النظرية والستراتيجية والتاكتيك،

---

(١) على حد قول فرنسي مشهور .

بل يصيغون ويطلقون الشعارات استناداً على النظرية والستراتيجية والتاكتيك، يستمدّون الشعارات من الوعي، من وعي الواقع .

ويواصل المؤلف عرضه لموضوع البترول، معززاً بالأرقام (وهذا جيد) ، وبالعبارات الثوروية (وهذا سيّء ، لأنه وَهْمٌ ـ تعزيز) . لنكتفِ بالمادة الحقيقية :

« تؤمّن الولايات المتحدة الاميركية استهلاكها المحلي من النفط من انتاجها المحلي ومن بترول فنزويلا » (ص ١٢) . « فماذا تفعل الرأسمالية الاميركية بالنفط العربي إذن ؟؟ إنها تطرح جزءاً منه كسلعة للتجارة في السوق الرأسمالية العالمية لجني مزيد من الأرباح ، وتستهلك الجزء الآخر من البترول العربي لتسيير آلة الحرب الأميركية وتحريك أجهزتها القمعية لفرض تسلطها على الشعوب في طول العالم وعرضه. وهذا ما سنبيّنه بالأرقام :

معظم البترول الذي تنتجه الشركات العاملة في الوطن العربي يصدّر إلى أوروبا الغربية واليابان وبعض بلاد آسيا وافريقيا واستراليا .

مثلاً – ٦٥،٥ بالمائة من مجموع الواردات البترولية لأوروبا الغربية يأتيها من البلاد العربية » (ص ١٣) .

٧٣ ٪ من بترول المانيا الغربية و ٦٩ ٪ من بترول بريطانيا مستورد من البلاد العربية (ص ١٤) .

ويذكر المؤلف « قصة صراع الرأسمالية الفرنسية مع الرأسمالية الاميركية » .

...«بالنسبة لنا، نذكر انقلاب النايف والداود ثم انقلاب البكر وجماعته في العراق ونذكر الصراع بين الشركات الفرنسية وشركة نفط العراق ، ذلك الصراع الذي كان المحرّك الحقيقي للانقلابات العسكرية المذكورة » (ص ١٤) .

– بالطبع ، بما أننا لا نملك سلاح « الوعي العلمي الهادىء » الذي يملكه المؤلف، ليس بإمكاننا أن نقطع بصحة وكمال هذا التفسير لانقلابات بغداد. –

ويتحدث المؤلف عن « أثر مقاطعة البلاد العربية للولايات المتحدة على المجهود الحربي الاميركي » ، معتمداً على معلومات نشرتها وزارة الدفاع الاميركية .

٦٥٪ من حاجيات النشاط الحربي الاميركي يأتي من منطقة الخليج العربي (ص ١٥) ثم ينتهي إلى ما يلي :

« يتبين لنا إذن أن الامبريالية العالمية يهمهـا بالدرجة الاولى سيطرتها على خيرات هذه المنطقة ، والبترول أهمها ، وتسويق البترول في السوق الرأسمالية العالميـة ، واستخدام البترول لتحريك أجهزتها القمعية لقمع الشعوب المناضلة من أجـل الحرية والتقدم. لكن نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ كان يمكن لها أن تضرب مصالح الامبريالية العالمية في المنطقة ، سواء بانقطاع تصدير النفط العربي الى الدول الغربية « وهو مـا تراجعت عنه الدول العربيـة المصدّرة للنفط »(١) أو بإغلاق قناة السويس . لذا، نشطت الحكومة الاميركية بعد حرب حزيران لتحقيق تسويـة في الشرق الأوسط الهدف منها ، بشهادة مجلة النيوزويك الاميركية تحقيق ما يلي : « ... على الولايات المتحدة ، كمنتفع غـير مباشر من الهجوم الاسرائيلي الخاطف – أي حرب الأيام الستة – أن تكون على الأقل ، قادرة على تحييد منطقة الشرق الأوسط حتى يمكن تسويق بترولهـا بكيفية مريحة ، واستعمال ممراتها المائية لفائدة التجارة العالمية .. » (ص ١٦ - ١٧) .

نرجو المؤلف والقارىء أن يعود إلى قراءة هذا المقطع الطويل ببطء وتأن، وأن يقف قليلاً عند **«أو باغلاق قناة السويس»** ثم عند حديث مجلة نيوزويك واستعمال الممرات المائية ..

على حدّ علمنا : قناة السويس مغلقة . لا تزال مغلقة بعد تحليلات الجبهة الديمقراطية ، المعززة بحقائق « نيوزويك » ، بعام أو عامين وثلاثة أعوام . (حديث نيوزويك، كما يعلمنا شرح في أسفل الصفحة يعود إلى ١٩ حزيران ١٩٦٧) . وبالطبع إن القسم الاول من هذا المقطع الطويل ـ بمـا فيه « سواء بانقطاع تصدير النفط العربي إلى الدول الغربية (وهو ما تراجعت عنه الدول العربية المصدرة للنفط)أو بإغلاق قناة السويس» ـ هو كلام ومنطق الجبهة الديمقراطية.

فلتَطمئِن الجبهة: الدول العربية النفطية تراجعت عن منع تصدير النفط، ولكن « مصر » « لم تتراجع عن إغلاق قناة السويس »!!! ومن المشكوك فيه

---

(١) المقصود على الأرجح إشارة ( ) أي قوسين وليس مزدوجين « » . هـذه جملة معترضة . ونواصل قراءة النص .

أنها هي التي تغلق ! فلتطمَئِن الجبهة على هذا أيضاً : مصر ليست « ثورية »! ليست هي التي ُتغلق . ولعل أصحاب « نيوزويك » (اميركا ـ اسرائيل) هم الذين ُيغلقون، وهم إذن « الثوريون ».. أو لنقل أنها « ظروف الحرب »! على أي حال ، لا تستطيع الجبهة أن تطمئن على شيء واحد: سلامة منطقها. وعلى ما يبدو ، ان المنطق السليم والمنطق الأعوج كلاهما بإمكانه أن يأخذ تعزيزاً من أقوال الصحف ومن أقوال صحف العدو بالذات . ولكن المنطق **الأعوج** أي المنافي للحقيقة ـ لا يثبت سلامته لمجرّد حصوله على هذا التعزيز من أقوال العدو ، بل بالضبط يثبت **مدى** اعوجاجه .

حين تكون قنـــاة السويس مغلقة ، في الواقع ، يكون منطقكم أعوج (منافياً للواقع) . وحين تؤيّده « نيوزويك »، لا يصبح« الفكر » واقعاً ، ولا يصبح الأعوج قوياً ، بل يصبح أعوج مضاعفاً .

ويواصل المؤلف دون انقطاع .

« ولكن الخطر الذي كان يتهدد المصالح الاميركية من جراء وقف تصدير النفط العربي، كان أيضاً يتهدد مصالح الحكومات العربية المصدرة للنفط والتي يهمها استمرار تدفق جزء من عائدات النفط إلى خزاناتهـا » (ص ١٧) . ثم يتابع : هذه الحكومات « سرعان ما تراجعت عن هذا القرار » (قرار منع تصدير النفط) ، مـع ملاحظة **قويّة** بين قوسين « (مع العلم بأن المملكة السعودية مثلاً لم توقف تصدير النفط لحظة واحدة) » . وفي معمعان هذه القوة كلها ، **ضاع** نهائياً البند الثاني: « إغلاق قناة السويس » ! الصفحة التالية (ص ١٨) ، تقدّم جدولاً إحصائياً عن دخل الحكومـات المصدرة للنفط (كويت ، سعودية ، ليبيا ، عراق ، قطر ـ بحرين ـ أبو ظبي) ، (بدون الجزائر) . النتيجة : « عائدات الحكومات العربية هذه ... تفوق بكثير المساعدات التي التزمت بتقديمهـا للاردن والجمهورية العربية المتحدة » . وهذا كله صحيح ، بالبداهة .

ولكن في معمعان هذه الحمـلة على الحكومات المصدرة للنفط ومصالحها

وولائها للامبريالية الاميركية ، ضاع نهائياً موضوع « إغلاق قناة السويس » بل إننــا نقرأ في الصفحة ١٧ عِلـَّة تقديم ٩٠ مليون جنيه سنوياً للمتحدة « (بدل العجز الناتج عن إغلاق قناة السويس) ». (ص ١٧ ، السطر ١٨). يبدو إذن أن مصر هي بين الدول المتضررة من إغلاق قناة السويس . وقد لا تكون الولايات المتحدة متضررة . وقد تكون القضية العربية متضررة [1] ، (الدول الرجعية النفطية تتصـّدق على مصروعلى الاردن، وتهرب من واجباتها. مصر لا تملك ــ والجبهة الشعبية الديمقراطية لا تملك ــ إن تقلب الأوضاع في تلك الدول . وفي ليبيا : حدث َقلـْب) . وقد لا تكون الولايات المتحدة متضررة . رغم « اعتراف » مجلة نيوزويك وربما عشرين مجلة أخرى . ترى لو كانت القضية هكذا ! نفط وتجارة النفط « وتسويقه بكيفية مريحة » و « استعمال الممرات المائية لفائدة التجارة العالمية » ، أمــا كان بإمكان « الولايات المتحدة الاميركية » أن تقول لاسرائيل : « تراجعي ٣٠ كلم إلى الشرق»، حتى تلغي اميركا هذه الضربة الثانية القوية التي تصيب أعزّ مصالحها (إغلاق قناة السويس)، بعد أن ألغت الأولى بسهولة (امتناع الدول العربية البترولية عن تصدير النفط لبضعة أيام) ؟

مرة أخرى : موضوع « إغلاق قنــاة السويس » قد غرق في الانسياب اللفظي الثوروي. ولكن عند مؤلفي هذه الكتب، لهذا الموضوع الذي ُيلقى في ساحة « التحليلات » ثم ُيخفى ، وظيفة ٌ. وظيفتـُه أن يترك أثراً معيناً في ذهن القارىء : مصلحة مصر في فتح قناة السويس وفي الحل التصفوي . غير أن مؤلف الكتاب لم يثبت أن مصلحة الولايات المتحدة هي في فتح قنــــاة السويس. بالعكس، إن تجربة ثلاثة أعوام تثبت عكس مايقوله هو ونيوزويك. لو كانت مسألة البترول وتسويقه وممراته المائية هي الطاغيــة لكان باستطاعة اميركا واسرائيل التراجع ثلاثين كلم شرقاً. وفي هذه الحال، نعتقد وتعتقدون

---

(١) عدن مثلاً ؟ الدولة التي تحبونها والتي نحبها ونخشى عليها من حبكم .

أكثر منا أن الحكم المصري « البرجوازي ــ الصغير » «المساوِم » أو«المصفّي» يترك البترول يمر في قناة السويس . خلافنا معكم اننـا نؤيد هذا الترك ، بل ونؤيد أن تنفق مصر ملايين من جيبها الفقير لأغراض التعزيل .

هذه القضية ــ النفط ومروره في قنـاة السويس ــ بالغة التشوّش في هذا الكتاب . يجب على الجبهة الديمقراطية أن تعيد النظر في كل هـــذا الكلام « بدراسة واعية وهادئة وعلمية » فعلاً . يستطيع المرء أن يقدّم ثلاثين بياناً إحصائياً وأن « يعتمد » على مؤلفـات الأساتذة الطريقي وسركيس وعشرة خبراء وطنيين وعشرة مجلات صديقة وعدوة ، وأن يبقى بعيداً عن العلم والوعي .

لن نقدّم بيانات إحصائية . إنها موجودة في مؤلفات الطريقي وسركيس والآخرين . نكتفي بالملاحظات الآتية :

اولاً : « حول » البترول وقناة السويس : آ) إن بترول الجزائر وليبيا الذاهب إلى اوروبا لا يمرّ في قنـــاة السويس . ب) إن بترول دول الخليج (إيران ، كويت ، سعودية ، عراق) الذاهب إلى اليابان وآسيا وافريقيـا الشرقية ، لا يمر في قناة السويس . ج) إن **قسماً** من بترول العراق والسعودية الذاهب الى اوروبا لا يمر في قناةالسويس بل في الأنابيب عبر سوريا — لبنان. د) إن **قسماً** من بترول **المشرق** العربي يمر في قناة السويس ، هو القسم الذي يذهب نحو **اوروبا** والذي لا يمر في الأنابيب .

القسم الأكبر ؟ — لا شك (ولن نثقل عليكم بالاحصاءات) ولكن القسم الأكبر **من** ماذا ؟ القسم الأكبر من بترول **المشرق** العربي (**فقط** ، أي بدون ليبيا ، الجزائر) ، الذاهب إلى اوروبا (**فقط** ، وليس إلى اليابان وآسيا — افريقيا) .

ليس هناك ما يقنع بان الولايات المتحدة مخنوقة أو حتى متضرّرة لاغلاق السويس وهناك ما يشير إلى العكس (... وأميركا رفعت الأسعار في السوق الأوروبية ، انمت الانتاج الفينيزويلي الخ) .

المتضرّرون : ١) بعض دول اوروبا [١] ٢) مصر ٣) عدن ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

مصر متضررة وجداً : آبار سيناء في يد اسرائيل ، ولا يبدو ان مصر شديدة التفاؤل حول « السلم » و « التصفية » و « فتح القناة للتجارة العالمية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة » ، رغم نيوزويك ونقلكم لنيوزويك ومنطقكم في هذه النقطة ، ومنطقكم كله : **مصر** تسعى إلى انشاء أنابيب بين غربي السويس وشاطىء البحر المتوسط . وكذلك اسرائيل : من ايلات إلى شاطىء البحر المتوسط (ليست متضررة !) .

تلك هي الحقائق العادية ، وبدون أرقام . الحقائق المرئية التي ليست أفكاراً - أوهاماً .

ثانياً : إن حديثكم كله في هذا الفصل - موضوع النفط من ألفه إلى يائه ، حتى **لو** طرحتموه بشكل صحيح وبدون الأخطاء النابية - لا يستوعب ولا يستنفد أبداً ، مشكلة فلسطين وأهداف ومخططات الولايات المتحدة الأميركية الرامية إلى الهيمنة العالمية . سنرى ذلك قريباً . أما الآن فاننا نسجّل ان خطأكم في موضوع اغلاق قناة السويس ليس إلا جزءاً - واختباراً ورائزا test - يكشف خطأكم الجوهري الأساسي في فهم الامبريالية الأميركية وأهداف وأوضاع الثورة العربية والثورة العالمية . إن تركيزكم المسألة على هذه النقطة الكبيرة والمحدّدة - المحدودة (البترول) هو الذي يسوقكم الى الأخطاء التفصيلية المحددة (اغلاق قناة السويس) كما يسوقكم الى التبلبل الذهني في كل مرّة تصادفون فيها وقائع تخالف وعيكم الصحيح والخاطىء ، البترولي « الاقتصادي » .

لنقرأ الآن تتمة هذا الفصل البترولي :

« وهكذا فان تقديم الدول العربية المصدّرة للنفط المساعدة للدول العربية المتضررة

---

(١) انكلترة ، الامبريالية الانكليزية ، الجنيه السترليني .

من العدوان يعني بالنسبة لها اعطاء القليل من أجل الكثير ، اعطاء مساعدة محدودة للاردن ومصر بينما تتمّ تصفية قضية فلسطين ، مقابل استمرار تدفق الأموال على الحكومات العربية بواسطة استثمار الشركات الأميركية والغربية لخيرات الأرض العربية وجهود الجماهير العربية ..

حقاً ان لقاء البرجوازية العربية مع الامبريالية العالمية وتبعية البرجوازية العربية لرأس المال الأميركي تزداد وضوحاً ، وما سعيها لتصفية قضية فلسطين إلا سلوكاً سياسياً يعكس علاقاتها الاقتصادية ومصالحها المشتركة وتبعية مصالح البرجوازية العربية للامبريالية العالمية ..

و « ان البرجوازية العربية إذ تلهث وراء الحل السلمي « السياسي » انما تلهث وراء استمرار انتفاعها من لعب دور الوسيط في السوق الرأسمالية » (ص ١٩) .

هذه « البرجوازية العربية » لم نجد لها أثراً في الصفحات السابقة . فمن هي ؟ هل هي « البرجوازية » الحاكمة في العراق ؟ في سوريا ؟ في السعودية ؟ في مصر ؟ في الجزائر ؟ في ليبيا السنوسي أو القذافي ؟ في السودان ؟ في المغرب ؟ في اليمن ؟ لا ندري !

يبدو أن الرفاق « الماركسيين » ، بعد أن اكتشفوا الطبقات ـ الأقانيم ، يميلون أكثر فأكثر إلى أقنوم الأقانيم ، إلى جوهر الجواهر . بعد أن اكتشفوا عدداً من « الطبقات » ـ الأقانيم ، استكثروا العدد . وبعد التحليل جاء التركيب . « البرجوازية العربية » ـ هي « فعلاً » (!) تركيب Synthèse يجمع الاقطاعية والرأسمالية الكومبرادورية والوطنية (الاردن ، السعودية ، المغرب ، سلطان ظفار) و « البرجوازية ـ الصغيرة» (مصر ، أما الآخرون فقد رفضوا الحلّ الرجيم) . ومعادلة « اللهث وراء الحل السلمي » « اللهث وراء استمرار الانتفاع من لعب دور الوسيط في السوق الرأسمالية » تُغني الرفاق عن المزيد في صدد العلاج الذي يداوي « فقدان النظرية الثورية = أزمة العمل الفدائي » . وبذلك نعود إلى « الأصل » الماركسوي : « الطبقة العاملة » ضد « البرجوازية » ، عبر « الشعوب الفقيرة » ضد « الامبريالية »، وصولاً إلى: « الثوريون الفلسطينيون » وأشقاؤهم العرب = رفض الحل السلمي ضد البرجوازية = الحل السلمي . الاقنوم الثالث ينبثق من الأول عبر الثاني . الاقنوم الثالث هو « الملموس » .

وينتهي الفصل بما يلي :

« تناولنا في هذا البحث جانباً من الدوافع الأساسية لسعي الامبريالية العالمية وتواطؤ البرجوازية العربية لتصفية قضية فلسطين . وسنتناول في البحث التالي الدوافع لإصرار اسرائيل على تسوية نهائية ، وبالمقابل دور الفلسطينيين في خضم المحاولات الجارية لتصفية قضيتهم .. »

لحسن الحظ ، أفهمنا الباحث أنه تناول « **جانباً** من الدوافع الأساسية ». والحال ، إنه يرتكب خطأ فادحاً حين يقتصر على « جانب » . **اذا** كانت هناك جوانب أخرى ، و « دوافع أساسية » أخرى ، يجب أن لا **تتجاهلوها.** إذا كان هذا الجانب هو **الجانب الأساسي** ، وكان هذا **الدافع** هو **الدافع الأساسي** ، يجب أن تقولوا ذلك وأن **تعلنوا** الباقي **ثانوياً.** في كل الحالات ، أن يُختم هذا البحث وعنوانه ليس « البترول » ، بل عنوانه « الامبريالية العالمية وتصفية قضية فلسطين » وبدون « حول » ، بعبارة من نوع : « تناولنا ... **جانباً** من الدوافع الأساسية لسعي الامبريالية العالمية ... » يكشف خطأ **منهج** البحث ، أصلاً . وأن تكون التتمةُ ، تتمةَ الجملة ، « لتصفية قضية فلسطين » يكشف خطأ **الأفكار** . إن الامبريالية العالمية تسعى من أجل أكثر من ذلك ، وبقدر لا بأس به . أما « تواطؤ البرجوازية العربية » ، فلا نستطيع أن نوافقكم أو أن نعارضكم بصدده ، منتظرين تحديدكم لمقولة « البرجوازية العربية » أصلاً ، تحديدها بـ « الملموس » ، اقتصادياً و سياسياً : أحزاب ، حكومات ، دول ، أقطار .

لسوء حظنا ، البحث الثاني كما تعلمونا في هذه الخاتمة ، ليس مخصصاً لهذا التحديد . فلننتقل إليه .

لنبدأ : « الصهيونية العالمية وتصفية القضية الفلسطينية » .

٣
«الصهيونية العالمية وتصفية القضية الفلسطينية»

- الاقتصاد والديمغرافيا
- عدوان حزيران سببه الأزمة الاقتصادية الاسرائيلية
- وهدفه السلام والتوسع الصناعي الاسرائيلي في السوق العربية المتخلفة .

نقرأ العنوان : « الصهيونية العالمية وتصفية القضية الفلسطينية »
ثم نقرأ :

« يقول ماركس : « لا تبلغ اليهودية ذروتها إلا مع اكتمال المجتمع البرجوازي...
لا نجد جوهر اليهودي المعاصر فيالتوراة والتلمود وحسب، بل نجده في المجتمع الحالي»
[مع إحالة الى هامش أسفل : « كارل ماركس : المسألة اليهودية ، ترجمة محمد عيتاني (ص ٦١ و ٦٣) »] .
وهذا ما نراه في واقع القضية الفلسطينية ... » (ص ٢٢) .

هنا نقول : قف ! نحن لا نرى !

بماركس ومؤلفه عن المسألة اليهودية ، فتح لنا الرفاق بجثهم الثاني . ونحن نقول لهم : مهلاً ! مهلاً ! نحن ، هذا الربط لا نراه . أنتم تسْبَحون بسهولة في بحر الماركسية . أمـــا نحن ، فهذه القفزة ليست في طاقتنا . من مقالة ماركس في « المسألة اليهودية » الصادرة في عـام ١٨٤٤ إلى « واقع القضية الفلسطينية »، هذا كثير علينا . من مقالة (فلسفية بالدرجة الاولى) لماركس **الشاب** موجهة ضد مقالة برونو باور عن المسألة اليهودية (١٨٤٤) إلى القرار

التصفوي البريطاني (١٩٦٨) ، المسافةُ (الارتفاع) كبيرة. ونحن مُجبَرون أن نقفز معكم . ولكن ، قبل ذلك ، نفضّل دفعاً لاحتمال الكسر ، أن نذكر لصالحنا وصالحكم وصالح القارىء، فحوى دراسة ماركس الشاب:

برونو باور في دراسته (الثمينة) عن المسألة اليهودية ، حمل على اليهود واليهودية (عزلتهم ، نمط حياتهم ، ذهنيتهم) . وماركس يؤيد هذه الحملة ويدفعها إلى أمام : اليهودية دين المال ، وفي المجتمع الحالي (البرجوازي) ، « المسيحيون » أصبحوا يهوداً . إن هذا الزمن الجديد (سلطة المال ، المجتمع البرجوازي) ، لا يعبأ بقيود الاقطاعية ونظام حرفها واعتباراتها وأوهامها الطائفية، ونفوذُ اليهود آخذ في ازدياد... إن الانعتاق السياسي الذي يتحدث عنه باور (والذي يبين باور أنه يفترض بالنسبة لليهودي **قابلية** الانعتاق ، قابلية أن يصبح إنساناً كالبشر الآخرين) ، ليس هو الانعتاق الانساني. ليس بَعْدُ pas encore . بالعكس ، إن مسألة الانعتاق الانساني (الانعتاق الانساني لجميع البشر) مطروحة بقوة معززة بعدما ـ وحيثما ـ تحقق الانعتاق السياسي (في فرنسا ١٧٨٩ ، مجتمع أميركا الشمالية الحرّ ، البرجوازي . ـوحاضرُ الالمان هو ماضٍ: المانيا لم تصل بعد إلى المجتمع البرجوازي). المهمة الحقيقية هي تحرر البشرية من اليهودية، من حياة ودين المال، والملكية الخاصة...

هذا « الملخّص » ـ وأقوم به دون العودة إلى المصادر ـ ليس كاملاً . ولكنه كافٍ لتبديد عدد من الالتباسات والأخطاء[١]. بالنسبة لهدفنا الحاضر ـ درء خطر الكسر ـ انه أكثر من كاف . والآن ، فلنقفز !

« وهذا ما نراه في واقع القضية الفلسطينية ، ذلك ان الصهيونية بمشروعها لانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين وهو المشروع الذي باشرته مع بريطانيا

---

(١) عند محمد كشلي ، وعند صادق جلال العظم الذي ذكر دراسة ماركس في مقال طويل في مجلة « دراسات عربية » . سنعود الى ذلك . سننقل صورة كاملة بالنصوص عن مقالة ماركس الشاب ، عندما سنصل الى فهم العظم لهذا « الكراس المبكر » ، الى تلخيصه إياه ، أي في الجزء الثالث من « نقد الفكر المقاوم » .

منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ ، كانت « أي الحركة الصهيونية » صاحبة الدور الأول في التطور الرأسمالي في فلسطين . وان دراسة التطور الرأسمالي في فلسطين هي الأساس في محاولة فهم مواقف السلطات الصهيونية القاضية بتصفية قضية فلسطين ، واعتراف الدول العربية بها وايجاد سلام دائم على هذا الأساس . سنحاول أن نعالج هذا الرأي بالأرقام » : (ص ٢٢) (علامات التشديد من وضعنا) .

أولاً . المشروع الصهيوني (الوطن القومي اليهودي) باشرته الصهيونية قبل وعد بلفور بمدة لا بأس بها. المؤتمر الصهيوني الأول يعود إلى ١٨٩٧ وقد حدد الهدف بوضوح . والهجرة بدأت قبل ذلك أيضاً .

ثانياً . أن تكون « دراسة **التطور الرأسمالي في فلسطين** هي **الأساس** في محاولة فهم ... » ، هذا أمر مشكوك فيه . واضافة « ... **فهم مواقف** السلطات الصهيونية القاضية بتصفية قضية فلسطين واعتراف الدول العربية بها ... » معناه انكم قررتم ، سلفاً وبصورة قبْلية ، **ما هي مواقف وخطط** وستراتيجية وأهداف الصهيونية . وقد تقولون لم نقصد ستراتيجية وأهداف الصهيونية ، بل مواقفها وخططها العيانية والآنية . ونحن نقول : ١) هذا لا يكفي . لا يجوز أن تصرفوا مسألة ستراتيجية وأهداف العدو بالسكوت. ٢) من غير الصحيح أن تصرفوا مسألة مواقف وخطط العدو الاسرائيلي (والأميركي) العيانية والآنية بقرار ليس أكثر من شطر في جملة تحدّد **المنطلق** للباقي. و٣) من المستحيل فصل الشيئين – ستراتيجية وتاكتيك العدو، أهدافه الأساسية والثابتة والبعيدة ، ومواقفه وأهدافه وخططه الآنية . وقد رأينا في الفصل السابق كيف تربطون الأمرين (بترول ، و ، قناة السويس) .

علينا الآن أن نتابع معكم .

الصفحات التالية (٢٢ – ٤١) أي **كل الفصل** مكرّس لهذا الأساس : **التطور الرأسمالي في فلسطين** (حتى ١٩٤٨) ، « **التطور الاقتصادي في اسرائيل بعد ١٩٤٨** » (حتى ١٩٦٥) ، ثم « **منذ عام ١٩٦٥** » . لننظر إلى الامور عن كثب .

فيما يلي جرد بمحتويات **القسم الأول** : ويمتد على فترة ١٩٣٠ — ١٩٤٨ .

« في أوائل الثلاثينات » ، دخول فلسطين « في مرحلة نهوض اقتصادي سريع » : افتتاح مرفأ حيفا كمرفأ تجاري عميق ثم وصول بترول كركوك إلى حيفا، «شركة فلسطين المحدودة للبوطاس (رأسمالها كان يهودياً بالكامل)» ، إنشاء شركة كهرباء فلسطين (رأسمال يهودي) . (ص ٢٢ — ٢٣) . نمو الهجرة اليهودية ، خصوصاً من المانيا « بعد تأسيس النظام النازي » ، وبلغ اليهود ٣٠ ٪ من سكان فلسطين في ١٩٣٦ . (ص ٢٣) . دخول رؤوس أموال ضخمة ، ازدياد النشاط اليهودي في الزراعة والصناعة ، نمو سكان تل أبيب ، جدول عن فرق الأجور بين العمال العرب والعمال اليهود (النسبة ١ إلى ٢ أو ٣) (ص ٢٤) .

خلال الحرب العالمية الثانية : حدوث تضخم مالي ، انخفاض صادرات الحمضيات (وهي عربية بالدرجة الاولى) ، نمو صناعة قطع وصقل الماس وصادراته إلى العالم (وهي صناعة يهودية) . (ص ٢٥) .

وتحت عنوان « **سيطرة الرأسمال اليهودي** » ، يتتابع العرض :

ارتفاع عدد المستعمرات اليهودية ، حجم الرساميل الموظفة في الصناعة اليهودية ، بقاء الاقتصاد العربي اقتصاداً زراعياً بالدرجة الأولى (مع انخفاض نسبة الحبوب والعلف ، وارتفاع نسبة الفواكه والخضار والزيتون في الانتاج الزراعي) ، تخلف العرب عن اليهود ، ازدياد صادرات فلسطين إلى بلدان الشرق الأوسط (خصوصاً في زمن الحرب) ، قرار المقاطعة العربية للبضائع اليهودية عام ١٩٤٥ (ص ٢٦ — ٢٨) .

هذا العرض المعزز بالأرقام اعتمد على المرجع الرسمي المعروف : التاريخ السياسي لفلسطين تحت الادارة البريطانية ، مذكرة من الحكومة البريطانية للجنة هيئة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين انسكوب تموز ١٩٤٧ . بالطبع ليس لنا أي اعتراض عليه .

وبالطبع ، المؤلف « الماركسي » لم يعفِنا من « ماركسيته » .

« وهكذا ... نرى ان النمو الاقتصادي الفلسطيني كان ينتج عنه مزيد من التسويق للبضائع الفلسطينية في البلدان العربية ، وهي السوق الطبيعي [...] فماذا كانت ردة فعل البرجوازية العربية حينذاك ؟ ؟

في كانون الأول ١٩٤٥ أعلن مجلس الجامعة العربية مقاطعته للبضائع اليهودية .. وانخفضت صادرات فلسطين لدول العربية المستقلة عام ١٩٤٦ ... » (ص ٢٨).

نلاحظ **أولاً** ان الكاتب لا يجهل ولا ينسى وجود تناقض وصراع بين البرجوازية العربية والبرجوازية اليهودية . سيتحدث عن ذلك مرة اخرى في الصفحة التالية (ص ٢٩) .

ونلاحظ **ثانياً** ان ردّة الفعل المذكورة هي على ما « نتصوّر » ردّة فعل قومية من الامة وليس فقط ردة فعل من البرجوازية . الأحزاب الشيوعية – مثلاً – أيدت هذه المقاطعة . بل إن برنامج الحزب الشيوعي العراقي الفهدي (١٩٤٤ – ١٩٤٥) لم ينس هذه القضية ، سجّل مهمة الدفاع عن فلسطين ، والكفاح ضد الصهيونية بوجه عام ، ومسألة البضائع بوجه خاص، بل دعا إلى اتفاق الدول العربية (الإقطاعية – الرأسمالية) ضد هذا الخطر الخاص والعام ، وأيّد في نهاية بنده الأخير مبدأ رفع الحواجز الجمركية بين هذه البلاد العربية (التي هي شبه – اقطاعية ورأسمالية ناشئة) ، والمطلوب (في البرنامج) استقلالها وتحررها من الاستعمار ، لا من الرأسمالية أبداً ، ومن الاقطاعية فقط جزئياً . وخيراً فعلَ : لقد مثّل البروليتاريا العراقية والامة العربية .

ونلاحظ **ثالثاً** ان الجملتين الأخيرتين من المقطع الذي نقلناه توحيان بأن المقاطعة هي التي أدّت إلى انخفاض صادرات فلسطين للدول العربية في عام ١٩٤٦. والحال، إن هذا الانخفاض (« ٣٣٪ مما كانت عليه في العام السابق») مردّه بالدرجة الأولى انتهاء الحرب العالمية ، والتوجّه إلى أوروبا . ليس لدينا أرقام ، ولكن هذه الظاهرة ــ التوجه إلى أوروبا ــ تبدو لنا ظاهرة عامة

شملت كل البلاد العربية في ١٩٤٦ و ١٩٤٧ وبعدهـــا وأكدت سير التجزؤ العربي ، سير التباعد الاقتصادي العربي لزمن الامبريالية كله . من المؤسف أن الباحث العربي لم يقدّم لنا عوناً في هذا الموضوع . لا ريب أن الصادرات الفلسطينية ـ العربية إلى الدول العربية المجاورة كانت في أغلبهـا صادرات زراعية . قد نتصور أنه من الصعب أن نذهب إلى بعيد، إلى أوروبا.ولكننا نقول : ليس الحمضيات ! ليس الفاكهة ! (التي ذكر المؤلف نموّ نسبتها على حساب الحبوب والعلف . وهي الزراعات **التصديرية** الرئيسية) وليس بعض السلع الزراعية الأخرى[1] . مرة أخرى ما يحسم هذه الأشياء (إذا أردنا فعلاً حسْم شيء ما) هو مقارنة نسبة انخفاض صادرات فلسطين إلى الوطن العربي ، ونسبة انخفـاض صادرات كل بلد عربي إلى الوطن العربي ، في سنة ١٩٤٦ . ومهما يكن الأمر ، فان المقاطعة العربية في ١٩٤٦ ، في ظل الملوك والاقطاعية والراسمالية والانكليز ، كانت قليلة الفعالية . توفـّرت « النيّة » عند البرجوازية وعند قطاع كبير من الطبقات المهيمنة ، فضلاً عن الشعب ، ولكن لم تتوفر القدرة ولم تتوفر الارادة الحقيقية .

يؤسفنا اذن انّ هذا القسم (الصحيح في أغلبه) لم يأتنا بجديد . صحيح ان الباحث يريد أن يصل من هذا العرض الاقتصادي لفترة ١٩٣٠ — ١٩٤٨ إلى خلاصة . فلنتابـع :

« خلاصة مـــا تقدم ان فلسطين شهدت بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٤٨ تطوراً رأسمالياً ، قادته الرأسمالية اليهودية ونتج هذا التطور في صراع بين الرأسمالية اليهودية في فلسطين والبرجوازية في الدول العربية ، خاصة بعد أن أخذت المنتجات اليهودية تغزو السوق العربية .. » .

هذا بالطبـع صحيح . ونضيف : صحيح أيضاً ان الصراع بين الرأسمالية

---

(١) أما الماس الفلسطيني اليهودي فسوقه الطبيعية أوروبا وليس الشعوب الفقيرة ، كما سنرى في عرض المؤلف .

اليهودية والاستعمار الاسكاني اليهودي لفلسطين والمشروع الصهيوني العتيد وبين جماهير الشعب العربي في فلسطين والبلدان العربية خاصة المشرقية (وأيضاً المغربية) كان أكبر وأعمق !

ويضيف الكاتب :

« وكانت حرب ١٩٤٨ التي دفع عرب فلسطين من كافة الطبقات ، والفلاحون منهم بشكل خاص ، ثمناً باهظاً فيها » . (ص ٢٩) .

هذا أمر لا يرقى اليه الشك : الفلاحون بشكل خاص ! و **كافة** الطبقات دفعت ثمناً باهظاً . كافة **الطبقات** . ليس هنـــاك **طبقة** من عرب فلسطين استفادت من حرب ١٩٤٨ ، ولنقل من المشروع الصهيوني العتيد ومن هـذه الحلقة **الحاسمة** في انتصاره : حرب وهزيمة ١٩٤٨ ، قيـام دولة اسرائيل ، قدوم ٧٠٠ ألف وافد يهودي جديد في أربع سنوات (١٩٤٨ – ١٩٥١).

هـــذا ما نوافق عليه : **كافة** ، **الطبقات** . (الطبقات≠الأفراد) . ويتملكنا شعورٌ من السعادة لدى قراءتنا هـــذا الكلام . وشعور من الاستغراب ! هل أنتم – الجبهة الشعبية الديمقراطية ، (والجنـاح الماركسي « اليساري » الفلسطيني والأحزاب « الماركسية » العربية بيسارها ويمينهـــا أيضاً !) – هل أنتم موافقون ؟ إذا كنتم موافقين كيف « تُدخلون » هذا الأمر الصغير في « ماركسيتكم » ؟ كافة الطبقات ! ألا تظنـّون انه داخلٌ في ماركسيتنا ، في لينينيتنا ، ودونمـــا جهد كبير ؟ « عالميةُ » الرأسمالية ، الامبرياليةُ ، مفهومُهـــا الأساسي (ولا سيما : مبدأ تناقض بين أمم وأمم) وتشخيصها العياني (مع نازية ، صهيونية ، وسلسلة من الأشيـــاء) ، أولوية الممارسة ، الواقع – الممارسة ، على المعرفة النظرية ، و ... خصوصية ، فردية ، وحدانية المسألة الفلسطينية ، مع تأكيد ارتبـاط (ارتباطات) الخصوصية والفردية والوحدانية بالعام ، بالمشترك ، بالقانون ، بالجوهر ...

نصيحتنا ، أيها الرفاق ، أن تعودوا إلى النضال **القومي** وحركة التحرر

القومي وإلى لينين . كونكم عرباً (وبالأحرى كونكم فلسطينيين !) يجعلكم أقرب النـــاس ، على سطح الكرة الارضية ، إلى فهم وتمثّل نضالات لينين ضد شبان اليسار — الأقصى أصحاب مذهب « الاقتصادية الامبريالية » داخل ماركسية زمن الحرب العالمية الامبريالية وأزمتهـا وثورتها البروليتارية العالمية الوشيكة .

بدون هذا الفهم والتمثل ، ستعملون بإخلاص وتفان واستبسال مئة سنة دون أن تصلوا إلى قيادة شعبكم . بهذا الفهم والتمثل تحققون هذا الذي تريدون .

نصيحتنا اذن : ان تنطلقوا من هذه النقطة الصغيرة ، من هذا الشطر — في — جُمْلة — « كافة الطبقات » — لكي تعيدوا النظر في هذا الكتاب ، في ماركسيتكم **كلهـا** . حينئذ ستعطون كل شيء حقه : « التطور الرأسمالي في فلسطين » ، « تصفية قضية فلسطين » ، خيانة طبقة أو طبقتين أو ثلاث طبقات أو أكثر ، **والباقي** .

لنتابع الآن باقي الفصل .

الصفحات ٣٠ - ٣٣ مخصصة لـ « **التطور الاقتصـادي في اسرائيل بعد ١٩٤٨**» (حتى ١٩٦٥) : النمو الاقتصادي ، التوسع السكاني ، تزايد سريع في الانتاج الزراعي والصناعي والخدمات ، تزايد الانتاج للشخص الواحد ، والأسبـــاب : التطور التكنولوجي السريع والنسبة الكبيرة في اليد العاملة المتخصصة تخصصاً عاليــــاً ، تدفق واستقطاب رؤوس الأموال الخارجية ، الأمر الذي عوّض عجز ميزان التجارة ، بل خلق رصيداً إيجابياً بالعملات الصعبة ، العون الاقتصادي الأجنبي (حوالي ٦ مليار دولار بين ١٩٤٩ و ١٩٦٤) .

والخلاصة :

« وهكذا نرى أن حالة مستمرة من النمو والازدهار الاقتصادي ظلت قائمة في اسرائيل بين عام ١٩٤٨ — ١٩٦٤ ، وذلك بفعل التدفق الكبير لرؤوس الأموال الأجنبية والهجرة المكثفة كماً ونوعاً . في الفترة المذكورة ، وبفعل حالة الازدهـــار

الاقتصادية هذه في اسرائيل ، لم تطرح على الادارة الصهيونيـــة بجدّة مسألة التقدم الاقتصادي لاسرائيل من حيث علاقته بالدول العربية » (ص ٣٣) .

في هذا القسم، اعتمد الكاتب على مقالة **شاوول زارحي : « أهمية السلام بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي »**، الصادرة في مجلة « الأزمنة الحديثة »، العدد الخاص بالنزاع العربي اليهودي ، والمترجمة ضمن كتاب « من الفكر الصهيوني المعاصر » ، الصادر عن مركز الأبحاث التابع لمنظمـة التحرير الفلسطينية ، (ومرة واحدة على كتاب يوسف صايغ : « الاقتصاد الاسرائيلي ») .

ثم يطرح الكاتب السؤال : **ولكن ماذا حدث منذ عام ١٩٦٥ ؟؟**. وتحت هذا العنوان ، يدرس أعوام ١٩٦٥ – ١٩٦٧ ، في الصفحات ٣٣ – ٤١ (ثم ينتهي بخلاصة عامة للفصل : ص ٤١ – ٤٢) .

« منذ عام ١٩٦٥ توقّف نموّ التوظيفـــات الأجنبية في اسرائيل . فقد توقفت التعويضات الالمانية ، وانخفضت التعويضات التي كانت تمنحها المانيا الاتحـــادية بصفة فردية ، وانخفضت المساعدات الاميركية ، وارتفعت مبالغ تسديد القروض الأجنبية » (ص ٣٣) .

ثم يقدم عدداً من الأرقـــام ، ناقلاً مقطعاً من مقالة شاوول زراحي ، (ص ٣٣ – ٣٤) .

وينتقل إلى الهجرة والسكان ؛ فينقل مقطعـاً آخر من دراسة شاوول زارحي (ص ٣٤ – ٣٥) : لقد انخفض معدل تزايد السكان من ٣ – ٤ ٪ في ١٩٥٥ – ١٩٦٤ إلى ٢,٥ ٪ في ١٩٦٥ – ١٩٦٦ ... وقد تضافر السببان (انخفاض تدفق الرساميل الأجنبيـة وانخفاض تزايد السكان) على انخفاض معدل نموّ الانتاج ، وارتفاع البطالة (٦,٦ ٪ [1] من مجموع العمال في ١٩٦٦ مقابل ٣,٣ ٪ في ١٩٦٤) .

---

(١) ورد في نص الكتاب ٦٦ ٪ ولكن من الواضح أننا أمام خطأ مطبعي والصح ٦,٦ ٪ .

هذه المعلومات وإن كانت معروفة إلا أنها مفيدة وضرورية . بفضل محمد كشلي نقرأ شاوول زارحي ، وأرقامه . نأسف لكون المقطع **الشخصي** (سطرين اثنين !) الذي ينقلنـا ، بعد مقطع زارحي عن انخفاض تدفق الرساميل ، إلى مقطع زارحي عن انخفاض معدّل تزايـد السكان ، ملتبس . يقول الرفيق العربي: « بالاضافة إلى انخفاض تدفق رؤوس الأموال إلىاسرائيل منذ عام ١٩٦٥ ، فإن الهجرة إليها انخفضت أيضاً » . إن الهجرة ، على حد علمنا قد انخفضت انخفاضها **الكبير** ليس منذ عام ١٩٦٥ ولا حتى في ١٩٥٥ - ١٩٦٤ ، بل قبل ١٩٥٥ ، بعد قيـــام الدولة بثلاث سنوات وبشكل قوي ومفاجىء (١٩٥٢) . نرى بـ « الملموس » هنا أحد عيوب منهج « التطور **الاقتصادي** في اسرائيل » . « ماركسياً » ، يا رفيق ، التطور الاقتصادي أهم من التطور الديموغرافي(السكاني)،وعلم الاقتصاد أهم من علم الديموغرافيا. ولكن يا رفيق ، ماركسياً ، في قضية فلسطين ، في « المسألة الاسرائيلية »[1] (في معرفة اسرائيل)، يمكن أن يكون التطور الديموغرافي أهم ، يمكن أن يكون علم السكان أهم من علم الاقتصاد . وفي طريق النسيان الطويل ، نسيتَ أن تدرس التطور الديموغرافي لاسرائيل بين ١٩٤٨ و ١٩٦٤ ، بين ١٩٥٢ و ١٩٦٤ ، في ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، في ١٩٥٨، في ١٩٦١ - ١٩٦٢، في ١٩٦٣، في آذار ونيسان ١٩٦٣ . الهجرة في ارتباطها مع أحداث العـالم وأحداث الجوار العربي وسياسة الحكومة الاسرائيلية !

لقد أعطانا الرفيق « الماركسي » - بشكل عابر - أرقام الهجرة اليهودية في الثلاثينات (مع تسجيل دور النـــازية) في معرض « تحليله » للتطور **الاقتصادي** في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل . غير أن الموضوع - على ما يبدو - يفقد قيمته **بعد** قيام دولة اسرائيل . أرقام الهجرة بعد ١٩٤٨ غائبة

---

(١) هذا التعبير للجبهة الشعبية الديمقراطية . بالطبع ، إن استخدام هذا المصطلح لايعني أنهم يرون اسرائيل ، يرون هـــذا الموضوع ، هذا العدو ، نرى ، وسنرى على طول الخط أنهم لا يرون .

تمامــاً ، والرفيق « الماركسي » العربي ، في معرض نقله لمقطع طويل عن الصهيوني اليهودي ، يكتفي بوصلة شخصية قصيرة « بالاضافــة إلى ... منذ عام ١٩٦٥ ، فإن الهجرة إليها انخفضت » (ص ٣٤) ، وتأتي الوصلة خاطئة. هــذا الفراغ كان يمكن ملؤه بفضل كتاب « الاقتصاد الاسرائيلي » ليوسف صايغ (الذي استشهد به محمد كشلي مرةً) : ففي الجدول المنشور في الصفحة ١٥٨ (يوسف صايغ ، صاحب كتاب « الاقتصاد الاسرائيلي » ، ليس على ما يبدو « اقتصادياً » كما يحب ؛ محمد كشلي ، في كتابــة « العفوية والنظرية في العمــــل الفدائي ، بالغ « الاقتصادية ») . نقرأ الأرقام التالية عن الهجرة الصافية لاسرائيل (أي مجموع الوافدين إلى اسرائيل – الخارجين منهــا) :
الهجرة الصافية هي (بالآلاف) في :

١٩٤٨ ،	١٩٤٩ ،	١٩٥٠ ،	١٩٥١ ،	١٩٥٢ ،	١٩٥٣ ،	١٩٥٤ ،	١٩٥٥ ،
١٠٠	٢٣٢	١٥٩	١٦٣	–٩	–٢	٩	٢٩

١٩٥٦ ،	١٩٥٧ ،	١٩٥٨ ،	١٩٥٩ ،	١٩٦٠ ،	١٩٦١ ،	١٩٦٢
٤٣	٥٩	١٤	١٣	١٤	؟	٥٠

وملاحظتنا بهذا الخصوص :

١ . أكبر موجة للهجرة إلى فلسطين(المحتلة) وصلت في السنوات الأولى ١٩٤٨ – ١٩٥١ : من أوروبا ، يهود المان ، وبولونيين ورومانيين وشرق – أوروبيين (كانوا – بعضهم على الأقل – قد نزحوا بأعداد كبيرة إلى وسط وغربي أوروبا في ظروف مــا بعد الحرب العالمية) وغرب أوروبيين ، ومن **البلدان العربية** (بغداد ، اليمن ، حلب ، ليبيا وبلدان المغرب العربي ...) وتركيا وايران الخ ...

٢ . ثم استمرت هجرة متنوعة المصدر ، ومحدودة جــــداً . في ١٩٥٢ و ١٩٥٣ ، كان رصيد الوافدين والخارجين سلبياً . (مُنعت الهجرة منعــاً باتاً من دُوَل الديمقراطية الشعبية ، وواجهت حكومة اسرائيل مسألة الاستيعاب) .

٣ . في ١٩٥٦– ١٩٥٧ : موجة من يهود بولونيا ورومانيا. المؤتمر العشرون

حمل معه تحوّلاً إيجابياً إلى بلدان الديمقراطية الشعبية. ولكن أتانا إلى فلسطين من بعض هذه البلدان (بولونيا، رومانيا) عدد لا بأس به من اليهود. صحف وارصو أعلمتنا في عام ١٩٦٨ أن بين اليهود البولونيين المهاجرين عدداً كبيراً من المهندسين والأطبـــاء الخ.. وبعض ضباط كانوا في قيادة الجيش وقيادة المخابرات ، وبعض أساتذة معهد الماركسية ـ اللينينية التابع للجنة المركزية للحزب، وأن هؤلاء ما أن وصلوا إلى اسرائيل حتى تولوا مهمة نقل المعلومات من جمهور المهاجرين اليهود إلى المخابرات الاميركية مباشرة [1] . (لا بأس أن نذكر لكم ذلك ، في زمن « الأممية » ـ الاقتصادية ـ المنفلتة من عقالكم) .

٤ . موجات جديدة من يهود بلدان المغرب العربي ، خرجت مـع انتهاء الحكم الفرنسي وبداية الاستقلال . (حقـاً ، الأمور الفلسطينية أكثر تعقيداً من مقولة « حركة التحرر الوطني » المنسجمة مع « الماركسية الاقتصادية ») .

٥ . في جميع الفترات ، خرج يهود من جميع البلاد العربيـــة أو تقريباً (عراق ، مصر ، سوريا ، الجزائر ، اليمن ...) .

٦ . الوحدة والتجزئة والانفصال وخطر الوحدة هي أحد العوامل ، عامل من العوامل المؤثرة في سير صعود وهبوط الهجرة .

٧ . فشلت اسرائيل المنتصرة والموسّعة في حزيران ١٩٦٧ في إيجـــاد موجة هجرة جديدة كبيرة [2] (ولكنها لم تفشل في جباية المال) . وهذا يعود إلى استقرار اليهود في دول الغرب .

٨ . بالنسبة للمستقبل، لا تكتفوا بالإطلال على التطور الاقتصادي المحتمل، بل أطلّوا أيضـاً على التطور الديموغرافي ، على احتمالات الهجرة ، بالارتباط مع أحداث العالم .

---

(١) انظر كتابنا « الماركسية والشرق » دار الطليعة ، ص ٦١٣ .

(٢)«وصل ٣٥،٠٠٠ مهاجر الى اسرائيل عام ١٩٦٧، وحوالي ٣٠،٠٠٠ عام١٩٦٨ (و ٣٧،٠٠٠ بين ايلول ١٩٦٨ و ايلول ١٩٦٩) » (نقلاً عن جيرار شاليان: المقاومة الفلسطينية ، دار الطليعة ، ص ١٥٢). الفشل نسبي ، يظهر بالمقارنة مع الآمال والنشاط الدعائي، وبالمقارنة مع التوسع، ومع أرقام ١٩٤٨-١٩٥١ بل ومع أرقام١٩٥٦-١٩٥٧ .

لنرجع الآن إلى « التطور الاقتصادي » في سنوات ١٩٦٥ – ١٩٦٧ .

«هذه الأزمة الاقتصادية كانت آخذة بالتفاقم قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ »: عجز ميزانية الدولة وتصريح ليفي أشكول (ص ٣٥)[١]. ازدياد عدد العاطلين عن العمل « ٣و٠١ ٪ في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٦٦ » ، بحسب إعلان لمكتب الاحصاء العام الاسرائيلي صدر في يوم ٣ – ٥ – ١٩٦٧ .

« هذه معالم الأزمة الاقتصادية في اسرائيل عندما شنت حرب حزيران ١٩٦٧ » هناك مسافة خمسة شهور بين حرب حزيران والإحصاء العائد للأشهر الأخيرة من عام ١٩٦٦ ، ولكن صحيح أن إعلان مكتب الاحصاء صادر في شهر أيار ، قبل الحرب بشهر . لقد اكتفى محمد كشلي بهذه الحقيقة العامة ، ونحن مرغمون على مسايرته بدون مزيد من التدقيق . لا نملك إحصاءات لا عن الأشهر الأخيرة من ١٩٦٦ ولا عن الأشهر الخمسة الأولى من ١٩٦٧ ، ولسنا مطلعين على سير موسمية البطالة . ولا يخالنا شك في أن البطالة في اسرائيل في سنة مـا قبل الحرب (١٩٦٦ – ١٩٦٧) **أكبر** مما كانت من قبل . اعتراضنا في **هذا** المضمار ليس على **هذه** النقطة . بـل على **هذه** : نخشى أن تسيروا تحت السلطة الاقتصادية للأزمة والبطالة إلى أن السبب الرئيسي للعدوان كان هذه الأزمة والبطالة وحسب . فلنتابع :

« هذه معالم الأزمة الاقتصادية في اسرائيل عندما شنت حرب حزيران ١٩٦٧ . وهي الأزمة التي كان على الاقتصاد الاسرائيلي معها (وهنا ينقل الكاتب مرة أخرى شاوول زارحي عن «أهمية السلام بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي») أن يدخل مرحلة جديدة من مراحل تطوره ، مرحلة يجري التشديد فيها ليس على الموارد الخارجية ولكن على العناصر الداخلية للازدهار : تقوية أسس الاقتصاد ، جذب موارد رؤوس الأموال المحلية ، الخ ... وهذا مرتبط بموضوع السلام بين اسرائيل وجيرانها ممـا يجعل يوماً جديداً يشرق على اسرائيل » .

ويتابع الكاتب العربي لاهثاً :

« وقد شنت اسرائيل حرب حزيران ١٩٦٧ على الدول العربية ، واحتلت سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان ، ثم اشترطت مقابل أي تنازلات منها شروطاً تقضي

---

(١) نقلاً عن كتاب رفيق مطلق : « اسرائيل قبيل العدوان » . مركز الأبحاث .

بالاعتراف بسلطتها الاقليمية وتصفية الصراع السياسي بينهـــا وبين الدول العربية »
(ص ٣٦) .

Euréka . « وجدتُها » ! أرخميدس العربي كشف لنا قانونه « بالملموس »، « لقد أعطانا التحليل الملموس لواقـــع ملموس وصولاً إلى نتيجة هي أيضاً ملموسة »[١] .

السلام . السلام ! هكذا يقول الكاتب الاسرائيلي الصهيوني . السلام . السلام! هكذا يردّد الكاتب العربي الماركسي، فاضحاً « البرجوازية » العربية نصيرة « السلام » .

غير أن الكاتب العربي ليس بسيطاً إلى هذا الحد: اسرائيل شنت الحرب.. واحتلت « سيناء ، وغزة ، والضفة الغربية ، والجولان » . ثم « اشترطت مقابل أي تنازلات منها شروطاً تقضي بالاعتراف بسلطتها الاقليمية وتصفية الصراع السياسي بينها وبين الدول العربية » .

بالضبط ! أي تنازلات ؟؟ لقد احتلت « سينـــاء وغزة والضفة الغربية والجولان » ، كل فلسطين + سيناء والجولان . وهذا كثير ، كما يؤكد الكاتب في سريرته. ربما العدوان ليس سببه الأزمة والبطالة فقط ، بل مخطط امبريالي وصهيوني قديم وبعيد[٢] ، وليس هدفه « الاعتراف بسلطتها الاقليمية (؟ إقليمها ؟ إقليمهـــا فقط ؟) وتصفية الصراع ... » فقط ، بل أيضاً التوسّع، ليس التوسع « الاقتصادي » في شكل فتح الأسواق العربية للصناعة الاسرائيلية ، بل التوسع الاقليمي الجغرافي الديموغرافي العسكري الخ.. ليس عملاً من طراز ما تتصوّرون ، أنـــه « الاستعمار الجديد » ـ الاقنوم ، بل استعمارٌ بجميع المعاني التاريخية المتنوعة (فينيقي ـ يوناني ، مغولي ، برتغالي ،

---

(١) ننقل جملة تكررت مراراً في الكتابين اللاحقين .

(٢) ينتظر ويعمل للحظة المناسبة ، ولا سيا لحظـــة ذروة السخف العربي ، ولا سيا السخف « اليساري » العربي ، لحظة الانقسام المسمَّى لقـــاء ووحدة الذي يضلل المتّحدين واليساريين دون أن يضلل المعتدين !

هولندي ، انكليزي ، الماني ، اميركي ، إسكاني ، عسكري ، اقتصادي وما فوق ـ الاقتصادي) .

وإذا كانت الأمور على هذا النحو ، فإنكم تجانبون الصواب البسيط حين تركزون بحثكم على « التطور الاقتصادي » و « الأزمة » الداخلية الخانقة ، وكتابكم كله على صيغة « تصفية القضية الفلسطينية » ، وحين تعتبرون كتابكم « **النظرية** » في مقابل « **العفوية** » .

لم يتوقف الكاتب عند« أي تنازلات » . هذه الصيغة ليست عنده سؤالاً يمكن أن ينطوي على وجوب إعـادة النظر بمفهوم « الاستعمار الجديد » « الاقتصادي » المتقدّم والمكيّف فلسطينياً ، بل هي صيغة في جملة الصيغ. المسائلُ محلولة سلفاً داخل الفهم « الماركسي » « الاقتصادي ـ الامبريالي » للعصر الراهن ، بل ولقضية فلسطين بالذات . الصفحات التالية(٣٦ ـ ٤١) ، تواصل، تكرّر ، تستأنف ، تلخّص هذا المنهج ، وهذه الأفكار التي قرأناها في الصفحات السابقة . هذا لا يعفينا من مهمة قراءتها .

« لقد قاد الرأسمال اليهودي التطور الرأسمالي في فلسطين بين عامي ١٩٣٠-١٩٤٨. واستطاعت الرأسمالية في فلسطين ، متمثلة بالأجهزة الاقتصادية للحكومة الاسرائيلية « والهستدروت واحتكاراته في طليعتها » أن تنعم بازدهار اقتصادي بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٦٤ ، بفعل تدفـّق رؤوس الأموال الأجنبية والمهاجرين الى اسرائيل. لكن الرأسمالية في اسرائيل ، بعد تلك الفترة ، أخذت تجـابه سنوات التدهور الاقتصادي . ومن أبرز التعبيرات عن هذا التدهور مقدار العجز في الميزان التجاري الاسرائيلي . إذ بلغ العجز ٥٦٩ مليون دولار عام ١٩٦٤ ، و ٤٦٥ مليون دولار عام ١٩٦٦ . وبالنسبة لاسرائيل ، الخ.. » (ص ٣٦ - ٣٧) .

الكاتب يكرر نفسه. التفاصيل« الصغيرة »التي يلمسها على طريق« التطور الرأسمالي » تموت . في نظره ، المهمّ هو النظرية ، النظرية العامة .

« الهستادروت واحتكاراتهفي طليعتها » بين قوسين [1] . إن قارئاً قليل

---

(١) في الكتاب ، بدل القوسين ، مزدوجان من نوع « » . هـذا على الأرجح مردّه الى الطباعة .

الاطلاع أو قليل التأني يتصور أن الهستادروت جهاز اقتصادي للحكومة وشركة رأسمالية كبيرة ، وكفى الله الماركسيين شرّ **طبقة عاملة** صهيونية . إن الهستادروت هي الاتحاد العام لنقابات الكدح الاسرائيلية ، تجمع الطبقة العاملة الاسرائيلية : هذا تعريفها ومضمونها البشري . وثانياً إنها طليعة الأجهزة الاقتصادية للحكومة ولها احتكارات (وما تشاؤون) : هذا ما يكشفه التحليل الماركسي المتقدم، بل والنظرة البسيطة وغير الماركسية إلى الواقع . الكاتب اكتفى بالشطر الثاني . لو تمسّك أيضاً بالحقيقة البسيطة ، لو ذكرها وتوقف عندها وأعطاها بعض القيمة ، لوضع حـــداً لخطه الفكري المحارب ضد امبريالية وصهيونية تجريديتين، وعاد إلى واقع القضية الفلسطينية، إلى واقع الامبريالية كلها ، إلى مفهوم الامبريالية **اللينيني** .

كذلك ، إن تحسّن الميزان التجاري الاسرائيلي بين ١٩٦٤ و ١٩٦٦ . (هذا ما قرأناه في الجملة الأخيرة من المقطع الآنف) ذهب في الهواء ، دون أن يؤدّي إلى **شيء** من التحفظ تجاه اندفاع « التدهور » و « الأزمة » ...

ويتسلسل كلام الكاتب العربي :

« وبالنسبة لاسرائيل (وهنـــا مرة أخرى ، لا أخيرة ، ينقل زارحي) لم تكن هذه المسألة لتبعث على القلق عندما كان تدفّق رؤوس الأموال الأجنبية ما يزال يتزايد ويغطي عجز التجارة الخارجية .. منذ ركود حركة دخول رؤوس الأموال الأجنبية في السنوات الأخيرة ، وهذه الموارد تميل الى الانخفاض النسبي بالنسبة للموارد العامة ، فقد أصبح عجز التجارة الخارجية التي تبعث على القلق الشديد » (ص٣٧).

ثم وصلة شارحة أو ملخصة من الكاتب العربي ، نعود بعدها مرة أخرى، طويلة إلى الكاتب الاسرائيلي :

١) اسرائيل بحاجة إلى زيادة صادراتها . ٢) إمكانات زيادة الصادرات الزراعية محدودة (قلة كميات الميـاه ومساحات الارض الصالحة للزراعة) . ٣) كذلك إمكانات تصدير المواد الأولية المستخرجة من المناجم (اسرائيل فقيرة بالمعادن) . ٤) الماس المصنوع : اسرائيل تؤمن ٢٠ ـ ٣٠٪ من الماس

للعالم ومن الصعب زيادة هذه النسبة زيادة محسوسة [1] . ٥) إذن : يجب توسيع الصادرات الصناعيـــة الأخرى (غير الماس) . ٦) الى أين ؟ الى أوروبا واميركا : مستحيل ! اسرائيل كغيرهـا من الدول السائرة في طريق النمو لا تستطيع أن تنافس صناعات أوروبا واميركا . ٧) إذن إلى البـلاد العربية . ٨) إذن ضرورة السلام العربي – اليهودي . إنه مفيد للطرفين : « قطن ، سكر ، حبوب ، زيت ، لحم ومواد أوليـــة أخرى » مقابل « عدد من المنتجـــات الصناعية التي تنقصها » (تنقص الدول العربية) (ص ٣٧ – ٤٠) .

ذلك هو سير عرض زارحي الذي ينقله كشلي . ويضيف الكاتب العربي (ولعـله يلخّص مقال الكاتب الاسرائيلي) : اسرائيل تفتقر الى « المناجم المعدنية ومصادر الطاقة سواء النفطية أو الكهربائية ، وفي نفس الوقت فإن البلاد العربية تشكل سوقـــاً واسعة وتحتوي مصادر طاقة يمكن للصناعة الاسرائيلية أن تنهض على أساسها » (ص ٤٠) .

هذا صحيح ، كلـه . ولكنه يفتقر إلى الدقة ويفتقر إلى الإحكام ، إلى الإحكام في المقابلة التجارية بين صادرات البلاد العربية وصادرات اسرائيل . هكذا مثـلاً قرأنا ان « اسرائيل تفتقر الى **المناجم المعدنية ومصادر الطاقة** سواء النفطية أو الكهربائية » . وقرأنا بالمقـابل بعد سطر واحد ان « البلاد العربية ... تحتوي **مصادر طاقة** » : المناجم المعدنية غائبة بالطبع . الكاتب العربي (وعلى الأرجح اليهودي) لم يقل لنا ان البلاد العربية ستقدّم الفلز المعدنية اللازمة للنهوض الاسرائيلي القادم (بعد « التصفية » الوشيكة !) . وهو على حق . خطأه في أنه لا يأخذ قياس ذلك . لو أخذ قياسه ، لحدّ من غلواء منهجه « الاقتصادي » .

في نهاية الصفحة ٣٨، أورد الكاتب قائمة «بالصادرات الصناعية الاسرائيلية

---

(١) صناعة الماس (نحْته ، صقله) صناعة يهودية (هولندة ، بلجيكا الخ الخ) .

– من غير صادرات الألماس –» موضوعة بين قوسين . فما هي هذه الصادرات الصناعية الاسرائيلية ؟ « – (أي المنسوجات ، المواد البلاستيكية ، تجهيزات التبريد ، الآلات والتجهيزات الالكترونية ، الأنابيب الحديدية والفولاذية ، أدوات المطاط ، الكتان المصنع ، المنتجات الحديدية ، المنتجات الكيميائية ، الفوسفات ، القطن ، الصوف ، النايلون .. الخ) ، » (ص ٣٨ نهاية الصفحة) .

والحال في هذه القائمة ، عدد من المواد تستوردها البلاد العربية . وعدد من المواد تُصدّرها بعض البلدان العربية . وأكثرُ هذه المواد ، تقريباً كلّها ، من المصنوعات الاستهلاكية الخفيفة . والدولُ العربية الكبيرة بعض الشيء ، المتقدمة نسبياً ، التي تحترم نفسها ، التي هي دُول (مصر ، سوريا ، العراق ، ولا نضع صيغة « ... الخ » كما يفعل كاتبنا العربي الذي يحب – عدا ذلك – الدقة ، وَهْمَ الدقة) تستغني جزئياً أو كلياً ، وأكثر فأكثر ، عن استيراد أكثر هذه المصنوعات الاستهلاكية الخفيفة . إن وضعنا اليوم يختلف عن أوضاع ١٩٤٥ . السؤال الذي لم يطرحه الكاتب العربي : هل أقامت اسرائيل صناعة ثقيلة ، صناعة وسائل الانتاج؟ ما هي هذه «الآلات والتجهيزات الالكترونية ، والأنابيب الحديدية والفولاذية ، أدوات المطاط ، الكتان المصنع ، المنتجات الحديدية ، المنتجات الكيميائية ، الفوسفات ، الخ .. » ، ما هي بين هذه المواد تلك التي لا تصنعها مصر ، سوريا ، لبنان ، بل أحياناً حتى الاردن (الفوسفات) ؟ ولا ريب ان اسرائيل تستطيع (في حالة حدوث التصفية الدائمة الوَشاكة) ، ان تصدر إلى البلاد العربية بعض السلع – الصناعية ، و ، الزراعية ، و ، المنجمية ، والطاقية المائية والهوائية – ولكن خذوا أيضاً قياس المزاحمة الصناعية والزراعية الخ الأوروبية الرأسمالية والاشتراكية والصينية واليابانية في مضمار هذه السلع ذاتها ، في السوق العربية . لعلكم ترون ان التوسع الاقليمي – العسكري هو الأضمن ، هو « الأساس » ، هو الأفضل ، من وجهة نظر اسرائيل المتمثلة في دايان ورابين واشكول وماير – قبل شاوول زارحي وطائفة من « الاقتصاديين » ، من أصحاب النزعة

« الاقتصادية » « الماركسوية » المناهضة للواقع ، أي للماركسية .

في غمرة التحليل الاقتصادي، قدّم لنا المؤلف (ص ٣٩) جدولاً مأخوذاً من كتاب الاحصاء الاسرائيلي لعام ١٩٦٦ ، يبيّن **اتجاه** صادرات اسرائيل بحسب نوعها . من المفيد أن ننقل هذا الجدول نظراً لأهميته في معرفة موقع وطبيعة الاقتصاد الاسرائيلي .

الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٦٥ بملايين الدولارات

	بلاد متطورة اقتصادياً	بلاد سائرة في طريق النمو (في آسيا وافريقيا واوروبا الوسطى والشرقية [١])	بلاد أخرى	المجموع
صادرات زراعية	٧٥ [٢]	١٠	—	٨٦
ماس منحوت	١٢٥	٢١	٧	١٥٣
صادرات صناعية أخرى	١٠٦	٧٧	٤	١٨٩
المجموع العام	٣٠٧	١٠٩	١١	٤٢٩

كما يقول الكاتب العربي : « ٤١٪ **فقط** » من الصادرات الصناعية الأخرى (غير الماس) « يصدر للبلاد السائرة فيطريق النمو في آسيا وافريقيا وأوروبا الوسطى والشرقية » . إن مـا تنتجه **الصناعة** الاسرائيلية من سلع متنوعة استهلاكية يجد سوقه الأكبر (أكثر من النصف) في البلدان الأخرى، لا سيما في أوروبا الغربية واميركا الشمالية . والماس المنحوت ، يصدّر إلى هذه «البلاد المتطورة اقتصادياً » ، إلى هذه الشعوب الغنية (٦/٧) وكذلك الصادرات الزراعية .

(١) على حد ما ورد في السطرين الثاني والثالث من هذه الصفحة ذاتها (ص ٣٩) .

(٢) ألغينا الكسور تخفيفاً للدقة . وصحّحنا ما نعتقد انه خطأ مطبعي : ٧٥ وليس ٥٧. فالرقم ٧٥ وليس ٥٧ هو الذي ينطبق مع المجموعين الأفقي والشاقولي (٨٦، ٣٠٧).

تلك هي الحالة الراهنة للاقتصاد الاسرائيلي : ٣/٤ الصادرات تذهب إلى البلاد المتطورة المتقدمة : ٦/٧ في بند الماس المنحوت وبند الصادرات الزراعية. و ٣/٥ في بند المصنوعات العادية ، رغم وجود سوق افريقية ـ آسوية (+ بلدان متأخرة خارج هذه الدائرة في قارة أوروبا). كل شيء نسبي. في التبادل بين اسرائيل وافريقيا الوسطى والغربية : اسرائيل صناعية، والطرف المقابل زراعي . ولكن اسرائيل ليست الدانمارك . (إنها تستورد اللحم . وعلى ما يبدو ، في نصّ مرّ معنا سابقاً ، انها تفكر بشراء اللحم من مصر وسوريا ولبنان بعد التصفية الوشيكة) .

ليس فقط : إن اليسار الجديد يتبنى، مع التبسيط المنافي للينين ولمفهومه عن الامبريالية ومجادلته مع كاوتسكي حول تعريف الامبريالية ، المقابلة المملّة « العالمية » : زراعة ـ صناعة ، شعوب زراعية ـ شعوب صناعية ، بل ان الجبهة الشعبية الديمقراطية ، طليعة ومنظّرة هذا « اليسار » الجديد، تنساق في موقفها الاقتصادي économiste إلى سحب أحـد قطبي المقابلة العالمية على اسرائيل . هنا أيضاً لا ترى فردية الوضع الاسرائيلي ، خصوصيته البالغة ، وحدانيته sa singularité .

صادرات اسرائيل أغلبها مصنوعات : ٣/٤ . ولكنّ مصنوعةً خاصة ، بالغة الخصوصية ، تشكل مـا يقرب من نصف الـ ٣/٤ ، وحوالي ٣٥ ٪ من المجموع هي الماس المنحوت . المصنوعـــات الأخرى = ٤٠ ٪ من المجموع . الصادرات الزراعية ٢٥٪ . لسوء الحظ ، لم يقدّم لنا المؤلف جدولاً مماثلاً عن الواردات . ولنتذكر أن الميزان التجاري يعاني من عجز فادح . لا ندري ما إذا كان بند السلع الزراعية هي البند الأكبر في المستوردات . والمهم أن أرقام الصادرات (وفي نظرنا أرقـام الواردات أيضاً وبشكل أقوى) تبين أن الاقتصاد الاسرائيلي يأخذ مكانه ، ليس داخل عـــالم الدول الامبريالية وتابعاتها المتخلفة وحسب ، بل بشكل خاص داخل الشطر المتقدم من هــذا العالم ، داخل الدول الرأسمالية المتطورة، داخل هذا العالم المتنوّع، بصادراته

ومستورداته ، وصادراتها (اسرائيل) ومستورداتها .

يقول الكاتب (ص ٤٠) :

« إن اسرائيل تشكل سوقاً محدودة جداً لانتاجها المحلي... البلاد العربية تشكل سوقاً واسعة وتحتوي مصادر طاقة يمكن للصناعة الاسرائيلية أن تنهض على أساسها ، إذا أتيح للعلاقات بين اسرائيل والدول العربيـــة أن تقوم على أساس اعتراف متبادل وتبادل تجاري حرّ (أي تحكمه علاقات السوق الرأسمالية) ، اي اذا تمت تصفية سياسية لقضية فلسطين . هـــذا هو سبيل اسرائيل الأضمن لسدّ العجز في ميزانها التجاري ولوقف حالة التدهور الاقتصادي الذي تلا انقطاع رؤوس الأموال الأجنبية عن اسرائيل . وهذا هو سبيل الرأسمالية اليهودية في فلسطين للحفاظ على مكتسباتها منذ الثلاثينات من هذا القرن . وهذا هو الأساس المادي لاصرار اسرائيـل على إيجاد تصفية نهائية لقضية فلسطين ولمشكلة الشرق الأوسط » (ص ٤٠ - ٤١) .

ونحن نقول ، صارفين النظر عن الطـَلـْـعات « الماركسية » الدائمة من نوع « أي تحكمه علاقات السوق الرأسمالية » :

الأساس **المادي** جــــداً هو نموّ الصهيونية الدائم ، عدوانيتها الدائمة ، **توسّعها الاقليمي** . إن **نواياها** ونوايا اميركا التوسعية أكثر **مادية** من أساسكم المادي . انها أساس مادي ليس فقط « لِتصفية قضية فلسطين» و « مشكلة الشرق الأوسط » ، بل لتصفية فلسطين واستقلال الشرق الأوسط، والوجود **القومي** العربي .

نهاية هذا الفصل (ص ٤١ - ٤٢) تلخيص لكل ما سبق .

« أما بحثنا حتى الآن فيمكن تلخيصه فيما يلي :

- الامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، يهمها استمرار تدفق النفط العربي للاستفادة منه في التجارة العـالمية أو في تحريك قواتها القمعية ، ويهمها استعمال الممرات المائية في الشرق الأوسط لصالح التجارة العالمية ، وكل ذلك من أجل احكام تسلطها على خيرات العالم وشعوبه لجني المزيد من الأرباح على حساب الشعوب . وضمن هذا الاطار يهم الامبريالية العالمية تصفية قضية فلسطين » .

ونحن نقول : الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية يهمها استمرار تدفق النفط العربي .. والامبريالية العالمية ، **ما عدا** الولايات المتحدة الاميركية ، يهمها « استعمال الممرات المـائية في الشرق الأوسط » . النفط

العربي يتدفق جيداً بدون هذا الممر المائي-قناة السويس. والتجارة الاميركية والعالمية ، والتسلط على خيرات الشعوب وجني مزيد من الأرباح على حساب الشعوب الخ بخير . ليس اغلاق قناة السويس هو الذي يحوّل هـذا الخير إلى شر ، وهذا الشر إلى خير . بل هذا الاغلاق نفسه « يمكن » أن يكون في حساب جونسون ـ اشكول ـ دايان ـ نيكسون أداة ضغط من أجل تصفية قضية فلسطين واشياء أخرى. إن انتاج البترول العربي ، وتصديره، واستغلال كدح الجماهير العربية ، واستغلال كدح الشعوب الفقيرة ، وتحريك القوات القمعية آخذ في تزايـد دائم في السنوات الثلاث الأخيرة رغم أنف الممرات المائية في الشرق الأوسط ، رغم أنف « البرجوازية – الصغيرة » الحاكمة في السويس (في شطر منه ، =...) ، ورغم أنف « الجناح اليساري من الجبهة القومية صديق الجبهة الشعبية الديمقراطية الحـاكم عند مضيق باب المندب . وما يُندَب له منهج فكري يسوق إلى هذه الأقنية والمضايق المسدودة .

« – الرأسمالية اليهودية في فلسطين كانت القيّمة على النهوض الرأسمالي في فلسطين في الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن ، وهي قد استطاعت بفعل تدفق رؤوس الأموال الأجنبية ان تستمر في تطورها الرأسمالي بين ١٩٤٨ – ١٩٦٤ . ولكنها، عندما انقطع مورد رؤوس الأموال الأجنبية دخلت في مرحلة التدهور الاقتصادي ولم يبق لهـا إلا النهوض الصناعي لزيادة صادراتها ووقف التدهور الاقتصادي . لكن النهوض الصناعي في اسرائيل غير ممكن دون انفتاح السوق العربية الواسعة التي يمكن أن تؤمن المواد الأولية ومصادر الطاقة كما يمكنها أن تستوعب الانتاج الصناعي الاسرائيلي . ضمن هـذا الاطار ، يهم السلطات الصهيونية في فلسطين أن تصل الى اعتراف الدول العربية باسرائيل والى مفاوضات مباشرة معها والى تصفية لقضية فلسطين وفق شروطها » (ص ٤١ – ٤٢) .

ونحن نقول : في تلخيصكم الأول (بحثكُم « تلخيص ») تركتم عـدداً من « التفاصيل » تمرّ مع الانسياب اللفظي ، وقدّمتم من حيث تشاؤون أو لا تشاؤون عرضاً فيه **شيء من** تنوع الواقع ، شيء يحـدّ من منهج التبسيط «الاقتصادي» الدوغمائي . والآن في تلخيص التلخيص ، أضعتم هذه التفاصيل أيضاً ، وطردتم هذا الشيء الذي من شأنه ، لو **توقفتم** عنده ، أن يحد من

تبسيطكم وأن يعيدكم إلى الواقع الأكبر بكثير. قبل خمس صفحات (ص ٣٧) في أحد الاستئنافات المراجِعة الملخّصة نقلتم زارحي : « منــذ ركود حركة دخول رؤوس الأموال الأجنبية ». أما الآن : « انقطاع » ! « عندما **انقطع** مورد رؤوس الأموال الأجنبية »[١] . انكم إذن تروّجون النظرية المعروفة التي تحصر أسباب العُدوان الاسرائيلي في « التدهور الاقتصادي » ، «الأزمة» ، « البطالة » . أنتم على خطأ . ومرة أخرى في نهــاية المقطع المنقول ، تصلون إلى النتيجة ، وهي « تصفية لقضية فلسطين وفق شروطها » ، دون أن تتوقفوا لحظة عند شروطها (« أي تنازلات ») .

« — كذلك تطرقنا الى علاقة البرجوازية العربية بالامبريالية العالمية وتبعيّتها لها ، وكونها تستفيد من تصفية قضية فلسطين بقدار منسجم مع ما تستفيده الامبريالية العالمية والشركات الاميركية المهيمنة عليها ، من تصفية قضية فلسطين . بقي علينا أن نتناول الدول العربية المعنية مباشرة بالصراعات الناتجة عن قضية فلسطين ، ونبحث علاقاتها المادية بمشاريع تصفية قضية فلسطين . وفي هذا الاطار ، نجد أن للاردن الدور الأبرز في العمل لتصفية قضية فلسطين ، وهو ما سيتّضح في سياق البحث » (ص ٤٢) .

إننا نشكّ في أنكم تطرقتم إلى البرجوازية العربية وعلاقتهــا ... وكونها تستفيد من تصفية قضية فلسطين ... حتى الآن لم تتطرقوا جدياً[٢] . سنرى تطرّقكم عيانياً« وبالملموس »في تناولكم الدول العربية وهذه البرجوازية(!) العربية الملموسة جداً : الاردن ، أو شرقي الاردن .

ولكن نعرب لكم عن رأينا : « بقي عليكم » أن « تتناولوا » تسعة أعشار القضية ، أيهــا المنظّرون ضد العفوية . بالحقيقة ، فيما عدا المعلومات الصائبة والمتداولة (أرقام النفط ، أرقام الاقتصاد الفلسطيني والإسرائيلي) ، لم تتناولوا شيئــاً ، لم تتطرقوا إلى شيء . صحيح أن محور عملكم ومَرْمى

(١) هل أنتم تعتقدون فعلاً انه انقطع ؟؟ هل الامبريالية الاميركية والعالمية تترك اسرائيل تموت « اقتصادياً » و « مالياً » ؟

(٢) لاسيما وقد حدث أن تحدثتم عن الصراع بين البرجوازية العربية والبرجوازيةاليهودية. إن بضعة سطور متنوعة الاتجاه ، مبتورة من السياق لا تؤلف تطرّقاً .

فكركم العلمي في هذا الكتاب واخوته هو العنف المضادّ اللفظي للحل التصفوي.
ولكن والحالة هذه ، كان بامكانكم أن تكونوا أكثر تلخيصاً أيضاً. فالبلاغة ، الإيجاز : ١) بدلاً من الفصل الأول ، **خلاصتُه** : الامبريالية الاميركية تريد تصفية قضية فلسطين (ـ مَنْ قال لكم خلاف ذلك . نحن نقول لكم : + أشياء أخرى . وفلسطين جزء من أشيـــاء أخرى . تقولون : البترول . نقول : البترول + أشياء أخرى ... وندين قطعاً اقتصاركم على « جانب » من المسألة . ٢) بدلاً من الفصل الثـــاني ، **خلاصته** : الصهيونية تريد تصفية « قضية ـ فلسطين » (مَنْ قال لكم خلاف ذلك. نحن نقول: و « تصفية ـ فلسطين » ، + التوسع الاقليمي . وبالتالي فإن خلافنـا معكم هو أيضاً على تقدير الأدلة ، على قياسها) .

٤
الماركسية و«الاقتصادية»

- لينين ضد « الاقتصادية » القديمة .
- لينين ضد « الاقتصادية » الجديدة ، « اليسارية الامبريالية » .
- المفهوم الماركسي والمفهوم « الاقتصادي » للتاريخ وللثورة ، المسألة القومية ، الدوغمائية .
- « الاقتصادية » في مسألة الوحدة العربية .

إن الفصلين السابقين من كتاب « حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي الفلسطيني » قدّما لنـــا فهم وتشخيص الجبهة الشعبية الديمقراطية للعدوين الرئيسيين : الامبريالية ، الصهيونية .

العدوّان الرئيسيان في استراتيجية ماذا ؟ على الأرجح في استراتيجيـة « الثورة الفلسطينية » . في رأينا أنهما العدوان الرئيسيان الأوّليان المترابطان في استراتيجية الثورة العربية كلها .

وتطرّقت الجبهة ، على ما يبدو ، إلى عدوّ ثالث : البرجوازية العربية : بضعة سطور عن اللهث ، وسطور أخرى عن الصراع بين البرجوازية العربية والبرجوازية قبل حرب ١٩٤٨ . رغم هذا الحجم الصغير (بالمقارنة مع حجم

الفصلين) ورغم « تنوّع » اتجاه التقييم ، يمكن القول إن الجبهـة تعتبر هذا العدو الثالث عدواً رئيسياً [1] . لا نعارضها في ذلك . ننتظر **المضامين**.

الفصل اللاحق يتحدث عن عدوّ « برجوازي » « ملموس » : الاردن .

الفصل الرابع « شعب فلسطين ... » يحدّد **قوى** الثورة .

الفصل الخامس« طريقان للحركة الثورية الفلسطينية » وكل الفصول الخمسة تحدّد محور الجهد الرئيسي : « رفض تصفية قضية فلسطين » .

تلك هي استراتيجية«الحركة الثورية الفلسطينية» كاتقدمها الجبهة الشعبية الديمقراطية ، « كنظرية » للعمل الفدائي .

قبل المضي إلى أبعد ، لا بدّ من وقفة . في نظر الجبهة ، في نظرنا ، في نظر جميع المنادين بالماركسية والتقدميين غير المنادين بالماركسية : الامبريالية والصهيونية عدوان رئيسيان، العدوان الرئيسيان أو العدوّان الأولان في مجموعة الأعداء الرئيسيين . اننا اذن في هذين الفصلين الأول والثاني ، أمام القسم الأكبر في عملية فهم العدو ، إلى حد ما أمام كل منطلق الستراتيجية . ولذا من الضروري أن نقدّم الآن فهمنا المضاد ، وان نستجمع على هذا الأساس انتقاداتنا الرئيسيـة لواضع الكتاب (كشلي ، الجبهة) ولسلسلة لا حصر لها من « الماركسيين » العرب .

غير ان هذا العمل يتطلّب منّا العودة إلى موضوع « **الماركسية والاقتصادية** » ، المذهب الماركسي والمذهب « الاقتصادي » الذي عرضناه في مؤلفات سابقة ولا سيما في « نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن » .

---

(١) قرار المجلس الوطني الفلسطيني الأخير جاء خالياً من هذا العدو الثالث كعدو رئيسي (بل لا رجعية عربية ولا حسين)، وبتواقيع كافة المنظمات بما فيها توقيع الجبهة الديمقراطية . بالطبع ، هذا التوقيع « يلحَس » هذه « النظرية » ، أو هذه « النظرية » « تلحس » هذا التوقيع . على أي حال ، موضوعنا هو « النظرية » .

في هذا الكتاب السابق [1] ، بشكل خاص ، عرضنا بالتفصيل نضال لينين ضد « الاقتصادية » في شكلها القديم (١٨٩٨ - ١٩٠٣) والجديد « اليساري » الذي دعاه لينين « الاقتصادية الامبريالية » (١٩١٦ ، وأيضاً بعدها ...)

١ . إن تيار « الاقتصادية » أو النزعة « الاقتصادية » أو المذهب « الاقتصادي » ظهر في روسيا حوالي سنة ١٨٩٧ ، وانتشر بين الشباب **وطغى** . إن الرأي الشائع هو أن هؤلاء « الاقتصاديين » الروس **ليسوا سوى** أنصار روس لمذهب برنشتاين ، التحريفي ، الاصلاحي ، النقابي ، اليميني الخ ، لمذهب « الماركسية الديمقراطية » المزعومة في مجابهة ما أسماه التحريفيون الأوائل « الماركسية الدوغمائية » . هذا التشخيص جزئي وبالتالي خاطىء . **أولاً** ، التحريفية (المتمثلة في الغرب في برنشتاين ، جوريس ، فاندر فيلد ، فان كول ، أي في أشكال المانية ، فرنسية ، بلجيكية ، هولندية ، متنوعة ومتقاربة إلى حد) ، كان من الطبيعي أن تتخذ في روسيا شكلاً أقل قرابة ، وأكثر ابتعاداً عن « نموذجها العام » ، أي بالحقيقة عن نموذجها الأوروبي الغربي المتوسط . **ثانياً** ، في روسيا التحريفية اتخذت شكلين **اثنين** : « الماركسية الشرعية » (ستروفه ، ورفاقه الذين انتهوا إلى الكاديت ، حزب البرجوازية الليبرالية ، كمنظّرين لتقدّم روسيا البرجوازي الديمقراطي كمرحلة تاريخية لا بدّ منها) و « الاقتصادية » (مارتوف ، آكيموف ، وعشرات الآخرين الأقل شهرة ، على رأس تيار واسع من شباب الحزب الماركسي الناشىء بين

---

(١) كتابنا الحالي موجه بالدرجة الأولى إلى الجبهة الشعبية الديمقراطية ؛ إلى الرفاق نايف حواتمه ومحمد كشلي والآخرين . وليس مفترضاً فيهم انهم قرؤوا كتابنا السابق . وبالطبع ليس هدفنا من هذا الكتاب الحاضر تسجيل بعض الأخطاء التفصيلية على المنادين بالماركسية - اللينينية . (هذه الأخطاء التفصيلية قيمتها في روابطها المنهجية ، في دلالاتها النظرية) ، بل هدفنا ، بالارتباط مع نقد مضمون ومنهج ونظرية الجبهة ، تقديم البديل : الماركسية - اللينينية .

مؤتمريه الأول (١٨٩٨) والثاني(١٩٠٣)]. في هذه«الاقتصادية» الروسية، البعض أنصار برنشتاين بالتمام والكمال، ولكن ليس الكل، ولا الأكثرية. مؤثـّرات برنشتاين (أو بعضها) واردة عند الجميع، ولكن ليس الجميع ولا حتى الأكثرية وراء برنشتاين[1]. والأمـــر مفهوم : في روسيا القيصرية الاستبدادية شبه الاقطاعية، نادرون هم أولئـك الذين يعوّلون على التحويل الديمقراطي الاصلاحي (« الماركسيون الشرعيون » من هؤلاء). أمـــا « الاقتصاديون » - كما نرى بوضوح في مقالات لينين لعـام ١٨٩٩، ومقالات الايسكرا، وكتاب « ما العمل ؟»(١٩٠٢) - فينكرون الثورة الديمقراطية كمهمة وكمرحلة تاريخية، بحجة أن الرأسمالية قد انتصرت في روسيا (كما ثبت - وأثبت لينـين نفسه - ضد « الشعبيين »)، إذن « صَرْف » المسألة الفلاحية، المسألة القومية، المسائل السياسية، النظر إلى جمهور السكان غير العمالي ككتلة رجعية واحدة، تكرار صيغ صراع الطبقـة العاملة والطبقة البرجوازية ونضال العمال ضد أرباب العمل، تمجيد هذه العفوية، عفوية نضال العمال ضد البرجوازية، وعند اللزوم نضالهم الاقتصادي(أجور، راحة الخ..) و « السياسي » (من أجل تشريع العمل) ضد البرجوازية و « حكومتها » (وكأن البرجوازية والحكومة شيء واحد في روسيا).

ومن المعروف أن روسيا شهدت في ١٨٩٥ - ١٩٠٥ ولا سيما في ١٨٩٧ - ١٩٠٢، حركة اضرابات عمالية جبارة تبرز بقوة بالمقارنة مع الهدوء الغالب في القطاعات الأخرى (لا سيما الغربية) من جبهة حركة العـــمال الدولية، والمفكرون « الاقتصاديون » الروس يظهرون كأنهم منظـّرو هـذا التحرّك العمالي القويّ الذي يطوي (حسب رأيهم) المسائل الأخرى(المسألة الفلاحية، نضالات الفلاحين، نضالات الطلاب، والبرجوازية الليبرالية، مسائل الاستبداد السياسي العادي والقومي ...).

---

(١) وليس الجميع من أنصار « الكريدو » credo الذي ردّ عليـــه لينين ورفاقه من سيبيريا (١٨٩٩).

لينين يتصدّى لهذا التيار . يكشف التريديونية (النقابية) ، يكشف التحريفية الأوروبية ، يكشف الارتباطات ، القاسمَ المشترك . حركةُ العمال الدولية انقسمت وستنقسم أكثر إلى إصلاحيــة وثورية . الوعي البروليتاري الثوري لا يخضع للعفوية . بالعكس. إنه يعارض العفوية النقابيةـ التريديونية . والوعي البروليتاري الثوري لا ينبع أبداً من العلاقة الثنائية عمال ـ برجوازية ، بل مصدَرُه كلُّ العلاقات ، علاقات كل الطبقات ، مع الدولة، الحكومة ..، ووظيفتُه أن يستوعب هذا كله وأن يوجّه الحركة. القول بأن العمال يخوضون أيضاً ضد البرجوازية نضالاً سياسياً (من أجل تشريع العمل ، الخ) ما هو إلا تراجع اضطراري و « تحايل على النضال السياسي » . يجب على الطبقة العاملة أن تخوض النضال السياسي أولاً ضد الأوتوقراطيــة القيصرية في كل أشكالها ، أن تأخذ على عاتقهــا قضية الشعب ، ان تدافع عن الفلاح ، عن سائر الطبقات المضطهَدة ، عن القوميــات المظلومة ، عن الهرطقات الدينية الملاحقة ، عن طلاب الجامعة ، عن اليهود ... بدلاً من حزب العمال ـ العمال ضدّ البرجوازية ـ البرجوازية ، حزبُ زعامة البروليتاريا على الشعب ، على طبقات وأقسام الشعب في روسيا القيصرية الرأسمالية ـ الاقطاعية ، وحزبُ البروليتاريا الثورية ضد التحريفية. بالضبط لأن روسيا ليست مجتمع برجوازية ـ طبقة عاملة (كأنكلترة مثلاً) ولأن الطبقة العاملة وحركة العمال الدولية منقسمة (بين ثورية وإصلاحية ، مع « تفاصيل » و « فوارق » في عملية فهم الواقع وتشخيص الاحتمالات)، بالضبط لأن روسيا تقف أمام ثورة **ديمقراطية** هائلة المضامين والاحتمالات والمدى ، كذلك بالضبط ، الوعيُ لا ينبثق أبداً من العفوية ، أي من **الحركة العمالية العفوية** . الماركسية (ماركسية ماركس وانجلز نفسها) ليست ، لم تكن، وليدة « نضال الطبقة العاملة »، بل وليدة **العِلْم**(الذي يستوعب التطور الاجتماعي **كله**)، ويجب إذن أن تُعامَل كعِلم، أي أن تُدْرس . دراستُها ليست دراسة وترداد صيغة« صراع الطبقة العاملة والطبقة البرجوازية » . ليس من هذه الثنائية يتكوّن الوعيُ العِلمي الثوري

(الماركسي) ، بل من جميع الصراعات الواقعية الاجتماعية والسياسية ، من دراسة كل العلاقات ، لكل الطبقات ، الدولة ، « السياسية » . وجبهات كفاح البروليتاريا : اقتصادية (مهنية ، نقابية الخ) وسياسية ، وتنظيمية ، ونظرية .

هذا النضال الذي يقوده لينين في سنوات ١٨٩٨ – ١٩٠٣ كان الأساس الايديولوجي والتنظيمي للحزب الذي « نشأ » في السنوات السابقة ١٨٩٤ – ١٨٩٨ (وواصل نشوءه في هذه السنوات) كحركة اجتماعية تاريخية طبقية عمالية كاسحة . كان الأساس الايديولوجي والتنظيمي الذي أنمى هذه الحركة العمالية الجبارة نصف – العفوية فنمّى ثوريّتها وطوّر وعيها ورفعه إلى مرتبة الشمولية ، كان الأساس الايديولوجي والتنظيمي الذي ثبّت هذه الحركة العمالية كجزء طليعي ممتاز في الكفاح الشعبي ، ومكّنها من الارتباط مع سائر فروع الثورة الشعبية الديمقراطية ، من **قيادة** الشعب ، من الزعامة والهيمنة على الثورة غير « العمالية » غير « الاقتصادية » ، على الثورة الواقعية الجبارة .

إننا ننصح إذن الرفاق « اليساريين » بدراسة الايسكرا ، سيفهمون لماذا يفشلون دائماً في إنشاء « الحزب البروليتاري » الذي يدعون إليه . لأنهم في الوقت الذي يتصورون فيه أنهم يسيرون على هدي لينين إنما يسيرون ضد لينين ، ضد خط عمل لينين في إنشاء الحزب : النضال ضد « الاقتصادية » ، استيعاب الثورة الديمقراطية ، شمول قضايا الواقع ، الصراعات الواقعية . لا يفشلون فقط ، بل يحبطون ويجهضون مشروعَ الحزب الماركسي العربي . الحزب الماركسي الروسي نشأ أولاً من حركة موضوعية تاريخية جبارة ، هي حركة عمال بطرسبرج وموسكو وايفانوفو وريغا وباكو وأوديسا وتيفليس الخ (١٨٩٤ – ١٨٩٨ ، ١٨٩٨ – ١٩٠٣) . عملُ « اليساريين » العرب توجّه ضد الحركة الموضوعية (العفوية أو نصف العفوية) التاريخية الجبارة الوحيدة في الوطن العربي : حركة عشرات الملايين من العمال والفلاحين والبرجوازيين – الصغار والعساكر ، الوطنية القومية الديمقراطية الوحدوية . عمل «اليساريين»

العرب سار في اتجاه تفتيت هذه الحركة ، لا نَحْوَ حمايتها وإنمائها وتطويرها. بالنسبة « للطبقة العاملة » ـ بقدر مـا يؤثر « اليسار » المذكور على الطبقة العاملة ـ وجمهور الشباب المتعاطف (عاطفياً) مع الماركسية والذي تعلّم أحياناً بعضاً من ألفباء الماركسية ، إن عمل « اليسار » المذكور لا يسير نحو إحكام الوعي وتوسيع دائرته وإيصاله إلى الشمولية وإنمـائه « في كل الاتجاهات » ، بل نحو انتكاس الوعي ، تقليص دائرته ، إنزاله إلى مستوى بضعة جمل « عمومية » تتحوّل على يد المنظّرين وجمهورهم من « بديهيات » إلى أشباه ـ بديهيات ، إلى أشباه حقائق pseudo ، وإلى أغلاط حـادّة . « الماركسية » تكف عن كونهـا أداة للارتباط بالواقع ، تكف عن كونها أداةَ الوحدة البروليتارية الشعبية ، وتصبح أداة تمزيق وتفتيت الجماهير الشعبية .

لا ريب ان « اقتصادية » الجبهة الشعبية الديمقراطية ليست اقتصـادية ١٨٩٨ — ١٩٠٣ (الوطن العربي اليوم ليس روسيـا ١٨٩٨ — ١٩٠٣) . « اقتصادية » الجبهة الشعبية الديمقراطيـة — وسائر « الماركسية اليسارية » الحاضرة — أقرب (بشكل مرموق) إلى « إقتصادية » ١٩١٦ . ولكن « الاقتصادية » واحـدة رغم الاختلافات . وتنبغي الاشارة إلى أن حديث محمد كشلي عن « البرجوازية العربيـة » والحكومات ، يذكر **دائماً** بحديث الاقتصاديين الأوائل . إن « الشرارة » التي تُصْدِرهـا الجبهـة الشعبية الديمقراطية هي عكس شرارة (ايسكرا) لينين . و « شعـار » (!) « لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية » كما يُكرَّر في الكتابين اللاحقين ، يعني عند أصحابه الجدد **عكس** ما يعني عند لينين : إنه عند هؤلاء دعوة إلى ترداد جُمَل « ماركسية » عمومية ، إلى تبنّي خط « الاقتصـادية » « الطبقي » المزعوم ، وهو الخط الذي توَجّه ضده كل كتاب « ما العمل ؟ »، الذي حمل وبسّط هذا الشعار اللينيني، في كل فصوله . ولكن الرفاق الجدد حين يقولون « بلا **نظرية** ثورية » إنما يتصورون ان **نظريةً** ثورية = جمـلة أو خمس جمل

ماركسوية — دوغمائية ، « اقتصادية » . وكما أن الاقتصادية الروسية القديمة «نظّرت» لحركة قائمة في واقع روسيا الموضوعي (الحركة العمالية الاضرابية) ، كذلك « الاقتصادية » العربية اليسارية «تنظّر» لحركة قائمة في الواقع العربي الموضوعي : الحركة الفلسطينية الفدائية . والفرق هنا كبير : الحركة العمالية الروسية كانت موضوعياً وصارت بفضل وعي الماركسيين الحقيقيين ونضالات لينين الايديولوجية نِصْفَ الثورة الشعبية الديمقراطية في روسيا . ليست الحركة الفدائية موضوعياً نصف الثورةالعربية القومية والديمقراطيةوالاشتراكية وهي بفضل ايديولوجيا « اليسار » البالغة الشطط « اقتصادياً » ، بفضل التنظير المعادي للينينية ، مهدّدة بأن تصبح ما يشبه لا شيء .

لننظر الآن إلى « الاقتصادية » الجديدة ، « الاقتصادية الامبريالية » لاعوام ١٩١٥ — ١٩١٦ ، التي يسميها أيضاً لينين الكاريكاتور اليساري للماركسية .

٢ . لقد ماتت « الاقتصادية » الاولى تحت ضربات لينين ورفاقه . أو لنقل انها ذابت في تيار المنشفية ، التي كرّرت « بعض » صيغها . لقد رفع عددٌ من المنشفيك أهم صيغ الاقتصادية في فترة الردة الستوليبينية وبعدها : فكرة « حزب الطبقة » - أي الطبقة العاملة — ضدّ « حزب الزعامة » — حزب زعامة الطبقة العاملة على الشعب ، على الثورة **الديمقراطية** (البرجوازية) — . ولينين ردّ بقوة . وربط هذا أيضاً بتيار **التصفية** . نعم هذا **أيضاً** = التصفية ، تصفية حزب البروليتاريا ، عزله عن الشعب ، إلغاء مهمته التاريخية الديمقراطية ، إلغاء وعيه الذي ليس « شعاراً » أو فكرة بسيطة من نوع « الطبقة العاملة وحزبها » [1] .

---

(١) جميع « الماركسيين » « الاقتصاديين » في بلادنا يتصورون ان الوعي البروليتاري هو في التكرار الدائم ، والتأكيد الدائم، لصيغة « الطبقة العاملة وحزبها » . هذا منطق اقتصادي منشفي يفضحه لينين .

ومع ذلك ، لا سيما إذا استثنينا بعض مقالات لينين ، أمكننا القول ان تيار « الاقتصادية » كان نَسْياً منسياً في هـذا العام ١٩١٤ ، الذي اندلعت فيه نيران الحرب العالمية الامبريالية .

الزمن جديد ، قطعاً : اقتسام **العالم** ، **حرب عالمية** يقتتل فيها الملايين ، **خيانة** القيـادات العمالية الأوروبية ، رجوع الطبقة العـاملة إلى وراء .... « **الامبرياليةُ** » باتت الآن مركزَ اهتمام الماركسيين الثوريين ، قاعدةَ وأساسَ تفكيرهم : لينين يتجادل مع كاوتسكي ، إمام الماركسية أو إمامها السابق ، على الامبريالية . في عصر الامبريالية تتعزّز وتتضاعف **عالمية** الرأسمالية : أمم تستغل أمماً بشكل مضاعف ، حفنـة من الأمم الرأسمالية الامبريالية تقاسمت العالم الكبير في شكل مستعمرات وانصاف مستعمرات، تجني منها ربحاً إضافياً هائـلا ، تُنفق قسماً منه على عمالهـا ونقاباتهم وقادة أحزابهم . الانقسام ، الانشقاق ، داخل حركة العمال الأوروبية الدولية **محتوم**، بين اليسار واليمين ، بين الثوريين والانتهازيين . الوقوف في الوسط (مثل كاوتسكي ، مارتوف ، هيلفردنغ) خدمة لليمين وتسليم وخيانة .

على **هذا** ، لينين ، روزا لوكسمبورغ ، بوخارين ، بياتاكوف ، متّفقون. على ماذا يختلفون ؟.

يختلفون بحدّة وعنف على « المسألة القومية »، وبالتالي على فهم الامبريالية فهماً كاملا وعيانياً .

كلهم « يتعاطفون » مع الشعوب المظلومة. بل كلّهم يعلّقون بعض الأهمية على نضال شعوب المستعمرات وأنصاف المستعمرات : الهنـد ، أندونيسيا ، الجزائر ، الصين ، ايران . (حتى ان اليساريين الهولنديين يعلقون أهمية **كبيرة** على شعوب المستعمرات ، كما يفعل لينين واحياناً أكثر) .

ولكن القاسم المشترك عند روزا لوكسمبورغ ، بياتاكوف ، بوخـارين ، « اليساريين » البولونيين ، الهولنديين ، السويديين ، اليابانيين ، الأميركان الخ الخ ـ باستثناء لينين ـ هو نفضهم اليد من القوميات المظلومة في **أوروبا** ،

في العالم الرأسمالي المتقدم ، كإمكانية أو قيمة ثورية . بالحقيقة ، انهم ينفضون يدَهم من المسألة القومية nationale التي يعتبرونها تقليدية مَضى أوانها. بالنسبة للشعوب المسحوقة خارج أوروبا ، يتحدثون بعطف وتأييد عن **« الشعوب المظلومة »**، عن **النضال – ضد – الامبريالية** ، الخ[1] . حقُّ **الأمم في تقرير** مصيرها ، الشعارُ التقليدي ، يرفضونه كوهْم وخيال . وعلى حد قول روزا لوكسمبورغ « ان الحروب القومية التحررية باتت مستحيلة في عصر الامبريالية المنفلتة من عقالها » . والآخرون دون مستوى روزا لوكسمبورغ .

على هؤلاء الآخرين – بياتاكوف ، بوخارين ، راديك ، وعدد من البلاشفة اللامعين ، وطائفة من الجماعات في عدد لا حصر له من البلدان (بولونيا ، سويسرة ، هولندة ، السويد ، ... اميركا ، اليابان) يُطلِق لينين اسم « الاقتصادية الامبريالية » .

« الاقتصاديون » القدامى كان منطقهم : الرأسمالية انتصرت ، لذا انتهت مسائل العهد **السابق** (الثورة الديمقراطية ، المسائل « السياسية » ، **المسألة** الفلاحية ، النضال ضد الاقطاعية ، ضد الاستبدادية) .

« الاقتصاديون » الجدد يقولون : **الامبريالية انتصرت** ، لذا **انتهت** مسائل العهد السابق (عهد الرأسمالية الصاعدة) وفي رأسها المسألة القومية ... سنقفز الآن من الامبريالية إلى الاشتراكية بفضل كفاح البروليتاريا والكادحين. وكأن عالم الاشتراكية القادم سيكون عالم دول بلا حدود ، على غرار « إحساسات بلا مادة » (على حد قول لينين ، منوهاً بفلسفة « النقد

---

(١) من الواضح في نصوصهم التي ينقلها ويفندها لينين ان بعضهم لا يرى في هذا النضال لشعوب آسيا والمستعمرات مسألة قومية ، ينكرون وجود أي قاسم مشترك بين هذا النضال الآسيوي ضد « الامبريالية» وبين النضالات القومية التقدمية في ماضي أوروبا ... ومن الواضح ان الصيغة التروتسكية الحاضرة « الثورة الكولونيالية » (= ثورة المستعمرات) هي امتداد لهذا الموقف بقدر ما هي تتجنّب صيغة «الثورة القومية والكولونيالية » .

التجريبي » المثاليـــة التي سَحَرَت قسماً من البلاشفة ، الاوتزوفيين **أي** « اليساريين ») .

كلاّ . إن عهد الامبريالية لا يُلغي مسائل العهد « السابق » (العهـــد السابق ليس ماضياً ، انه حاضر) ، بل « يأخذ » ها ، يطوّرها ، يعطيهـا طاقات جديدة ، وأحياناً (المسألة القومية **في الغرب**) **يبعثها** من جديد[1] .

كلاّ . إن الحروب القومية التحررية ممكنة ، بل حتمية ، وهي تقدمية **وثورية** . في اوروبا أيضـاً . وفي اوروبا الغربية . ويستبشر لينين بالانتفاضة القومية الايرلندية لعام ١٩١٦ (— التي لم تكن انتفاضة فلاحين ، بل انتفاضة برجوازية صغيرة وعمـال في المدن . كانت الحركة القومية الايرلندية في القرن **الماضي** ، في القرون الماضية ، حركة فلاحين . ثم المسألةُ الفلاحية حُلّت ، إلى حد كبير . ولكن المسألة القومية قادرة على اتخاذ مضامين اجتماعية بالغة التنوع ، متجدّدة) . وفي ضوء هذه الانتفاضة ، يعلن لينين : ليس من ثورة اجتماعية خالصة ، « من ينتظر ثورة اجتماعية خالصة ، لن يراها أبداً ، ذلك ثوري في الكلام ، لا يعرف ما هي الثورة » .

والأساس هو بالطبع **الامبريالية**، مفهوم لينين عن الامبريالية : الامبريالية ليست فقط نظام اضطهاد وسحق طبقات (مستثمِرة) لطبقات (مستثمَرة) ، بل هي أيضاً نظام اضطهاد وسحق **أمم** لأمم . في العالم ، على نطاق العـالم . وفي اوروبا أيضاً ، وفي اوروبا الغربية المتقدمة[2] . بل قلنـــا ونقول — في

---

(١) لا بأس أن نذكر خلاف لينين مع بوخارين حول مفهوم الامبريالية في أساسهـا الاقتصادي ذاته إن صح القول : في نظر بوخارين ، الامبريالية أنهت الرأسمالية السابقة . في نظر لينين ، الامبريالية بناء أعلى فوق الرأسمالية السابقة ، فوق موجودات الواقع التاريخي المتنوع القدم والتدرّج ، رأسمالية سابقة ، انتاج سلعي صغير . وما يسبق ذلك أيضاً .

(٢) التاريخ (تاريخ عصر الامبريالية) ليس تاريخاً اقتصادياً ، اجتماعياً ، متدرجاً ، بل هو تاريخ سياسي وانهياري : حرب ١٩١٤ ، صلح فرساي ، نازية ، حرب عالمية ثانيـــة . إن مقدار السحق القومي في اوروبا لا يقل في هذه الظروف عن السحق في المستعمرات .

ضوء كتابات لينين ، في ضوء تحليلاته « العامة » ذاتهـــا ، وفي ضوء كتاباته الاخرى « غير الكلاسيكية » ، في ضوء كل منهجه ومفرداته : الامبرياليـة هي نظام اضطهاد وسحق طبقات لطبقات ، وأمم لأمم ، وأجناس لأجناس ، وأديان لأديان ، وجهات « جغرافية » لجهات « جغرافية » ! العـــالم ليس مجتمعاً « اقتصادياً » مؤلفاً من «طبقات» . انه **أيضاً** مؤلف من أمم وشعوب وكل الباقي ، وهذا هو المعنى اللينيني لصيغة « العالم » !

وضدّ روزا لوكسمبورغ التي قالت: كل حرب قومية (من شعب مضطهَد ضد الدولة المضطهِـدة) **تتحوّل** إلى حرب امبريالية (إذْ تَدْخلهـــا دولة امبريالية أخرى **بحجّة** الدفاع عن القومية المظلومة . مثلاً : روسيا القيصرية مع الصرْب ضد النمسا) ، يقول لينين : هذا حدث ، وسيحدث ، ويمكن أن يحدث مئـــة مرة . ولكن **العكس** أيضاً يمكن أن يحدث . يمكن أن تتحول حربٌ امبريالية (بين امبرياليتين) إلى حرب قومية منـــاهضة للامبريالية .

إن الأحداث اللاحقة (النازية وتسلـّطهـــا القومي على اوروبا ، الحرب العالمية الثانية وانطلاق المدّ الثوري **من** المسألة القومية في عصر الامبريالية ، الممارسة الراهنة للثورة الاشتراكية العالميـة) تثبت صحة مواقف لينين كما أعلنها في ١٩١٦ ، وكما دفعها إلى الأمام بين ١٩١٦ و ١٩٢٣ ... وهي **تُوسِّع** الفرق بين لينين والتيارات الاخرى في صف «الماركسية الثورية» ، وتكشف أهمية نضال لينين ضد تيّار « الاقتصادية الامبريالية » ، كاريكاتور الماركسية اليساري ، وتسوّغ تسويغـاً كاملاً **نهاجية** لينين الماركسية ضد نهاجية روزا لوكسمبورغ وطائفة « الاقتصاديين الامبرياليين » (وبينهم مؤلـّفون نظريون **كبار** ، وعلماء اقتصاد **كبار**) .

أنْ «يكتشف» لينين في زمن الحرب الامبريالية العالمية ، وقبيل الانعطاف العظيم ، تياراً « اقتصادياً » جديداً ، أنْ يُطْلِق على تيار ماركسي محدد ، يساري ـ أقصى ، مصطلح « الاقتصادية » القـديم ، أمرٌ بالغ الخطورة على

صعيد النظر والعمل الماركسيين[1] . هـذه « الاقتصادية » الجديدة تنطلق و « تتمدّد » في صفوف الماركسية الثورية ، على أساس **الامبريالية** وعصرها وتناقضاتها وانفضاح الماركسية الأرثوذكسية – كاوتسكي ، بليخانوف – المتخلّفة . ولينين يدعوها « الاقتصادية الامبريالية » ، أي النزعة الاقتصادية لزمن الامبريالية ، التي يكرر أصحابهـا لفظ « الامبريالية » و« النضال ضد الامبريالية » على الطالع والنازل ، دون أن يفهموا حقيقة الامبريالية عيانياً ، بل وهُمْ يلغمون **جوهرياً** فَهْمَهم لعصر الامبريالية بإسقاط المسألة القوميـة ومسائل « العصر السابق » من موجودات الامبريالية . عالمهم الامبريالي ليس عـالم الامبريالية الواقعي ، الحقيقي . وهـذا التيار يحرص لينين على وصفه بالـ « اقتصادية » . الاقتصادية القديمة يمكن أن تعتبر انحرافاً يمينياً (ولكن لا ريب أن كثيراً من دعاتها وربما أكثرهم كانوا يتصورون أنهم « اليسار » ، الماركسية الصافية ، العمالية ، البروليتارية ، ضد لينـين وماركسيته الملوّثة بأوهام يعقوبية ، برجوازية – صغيرة) . أما الاقتصادية الجديدة فهي «يسارية» ، يسارية قصوى ، على « يسار » لينين . (وفي شباط ١٩١٨ ، إبّـان أزمة صلح برست – ليتوفسك ، بوخارين ومعه راديك وسواه يترأسون « الشيوعية اليسارية » ضدّ لينين) . ولينين يسمّيها « اقتصادية » (قبل الحرب ، كان قـد أشار إلى أن آراء الماركسيين البولونيين أصدقاء روزا لوكسمبورغ في المسألة القومية إبان مؤتمر الحزب في ١٩٠٣ ، كانت في حينها قد أثارت عند الماركسيين الروس انطباعاً جعلهم يقرنون عَلَنـاً منطق البولونيين في المسألة القومية بمنطق « الاقتصاديين » العام) .

٣ . على أساس هذه المواقف اللينينية ، وعلى أساس نقد ماركس وانجلز لمواقف تبنّاها أكبر تلاميذه المعاصرين له (لافارغ ، لونغـه ، فلهلم

---

(١) ونضيف : إن « تعامل » لينين مع « الاقتصادية » الجديدة في ١٩١٦ قاده إلى تعميق معرفته للاقتصادية القديمة ذاتها ، لكل « الاقتصادية » كتيار تاريخي جديد .

ليبكنشت [١]) بصدد المسألة القومية ، وعلى أساس كل تراث الماركسية ـ اللينينية ، وصلنا في مؤلفاتنا السابقة إلى تمييز **عام** بين الماركسية وبين شيء آخر ليس إلا سقطة للماركسية: عدد من مواقف لافارغ، ف. ليبكنشت...، خط مارتينوف ورفاقه ، عدد من مواقف روزا لوكسمبورغ ، بياتاكوف ، بوخارين ... ، الهندي ن. م. روي ، الخ .. هذه السقطة أسميناها **تعميماً** « الاقتصادية »،المذهب «الاقتصادي»، économisme ، المفهوم «الاقتصادي» للثورة وللتاريخ . هذه السقطة رافقت الماركسية كظلّها خلال قرن ونيف. وهي اليوم تفتك بصفوف الماركسيين العرب ، وتلعب دوراً سلبياً كبيراً في الماركسية **العالمية** .

إن الماركسيين (ماركس ، انجلز ، لينين ، وكذلك: لافارغ، وكاوتسكي وبليخانوف ، وروزا لوكسمبورغ ، وبوخارين وتروتسكي وستالين الخ) قد ركّزوا انتباههم على الطبقات ، على علاقات الانتاج ، على « المجتمع » ، على الاقتصاد . بدون ذلك ، لا وجود للماركسية. ماركس أسّس الماركسيّة بفضل هذا **التجريد** .

إنّ تتبّع مسيرة فكر ماركس الشاب بين ١٨٤٢ و ١٨٤٨ كشف مـا نسميّه (**تجاوزاً**) عمليـة تطهير ، صَرْفَ الباقي ، اكتشاف وتثبيت فكرة « المجتمع » المدني ، البرجوازي ، علاقاته الانتاجية ، صراع طبقتيه ، دور البروليتاريا ، رسالتها التاريخية. وفي « البيان الشيوعي » : « أزيلوا استغلال طبقة لطبقة تزيلوا استغلال أمة لأمة ! » . ورغم ذلك ، إنـه ماركسي « ساقط » ذلك الذي « يسحب » تلك الصيغة سحباً ، ويتصوّر ان المهمة هي إزالة« الاستغلال الطبقي »وأما زوال الاستغلال القومي فهو محض **نتيجة** آلية تلقائية . هذا الماركسي يخالف آراء ومواقف ماركس في هـذه السنة

---

(١) اذا أضفنا الى هذه الأسماء الثلاثة، اسم ببل Bebel يكون لدينـا حصراً أكبر أربعة مناضلين اشتراكيين ، أكبر أربعة زعماء ومفكرين عماليين ماركسيين، في زمن ماركس، أكبر أربعة أنصار ومساعدين لماركس وانجلز .

١٨٤٨ ذاتها ، **منذ** تلك السنة . منذ تلك السنة ، ماركس أكّد **الانقسام** بين الأمم داخل الانتاج العالمي ؛ في أوروبا التزمَ مواقف **قومية** (أجل قومية . بمعنى : مع أمم ضد أمم ، مع شعوب ضدّ شعوب) لأن **هذه** المواقف « القومية » جزء من فهم « العالم » الواقعي (عالم الثورة الديمقراطية الأوروبية آنذاك) ، جزء من الأممية [1] . وبينما كان ماركس ينشىء ويصدر « رأس المال » أي أهم كتاب في تاريخ علم **الاقتصاد** ، كان يصحح منظوره إلى المسألة القومية الايرلندية (معلناً أن تحرّر ايرلندة القومي شرط لانتصار البروليتاريا الانكليزية ، لا العكس ١٨٦٧) ، ويَدْحَض بسخرية لاذعة مواقف لونغه ولافارغ العدَمية ـ القومية ، ويربط هذه المواقف بتيار الأفكار البرودونية والفوضوية(١٨٦٦). ولينين يواصل وينمّي عمل ماركس في كل الاتجاهات . نضاله ضدّ « الاقتصادية » الأولى مدخل إلى البولشفية . نضاله ضد « الاقتصادية الامبريالية » مدخل إلى البولشفية المتقدّمة ، إلى ماركسية عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية العالمية . وبعد ثورة اكتوبر : الستراتيجيةُ العالمية بالتمام والكمال ، تعريفُ الثورة الاشتراكية العالمية بأنها نضال الأمم التي تضطهدها الامبريالية في الشرق وداخل أوروبا (ألمانيا صلح فرساي) ، شعار « يا عمال العالم وأيتها **الأمم** المظلومة اتحدوا !»،« الثورات القادمة في الشرق » و« وسماتها الخاصة الأصيلة » الكثيرة ، « الشرق الثوري

---

(١) « الاقتصاديون » يتصورون أن الأممية = مع كل الأمم ، وضع كل الامم في سلة واحدة ، هي بالحقيقة سلة المهملات . حَسْبُهم أن يكونوا مع طبقة ضد طبقة ، مع العمال ضد البرجوازيين ، مع الفلاحين ضد الارستقراطيين الخ الخ . ماركس كان أيضاً مع الالمان والبولونيين ضد الروس والتشيك .

ماركس وانجلزولينين كانوا مع النبلاء البولونيين ضد الجيش الروسي القيصري« الفلاحي »، مع النبلاء البولونيين ضد الفلاحين الاوكرينيين ... الأممية الثالثة انطلقت من التمييز بين أمم وأمم ، بين أمم ظالمة وأمم مظلومة ... إن أممية « الاقتصاديين » هي برودونية ، شترنيرية، عدَميّة قومية ، وقومية بالاتجاه المعاكس ، لصالح الأمم الظالمة .

والقومي nationaliste » ، « روسيا ، الهند ، الصين الخ[1] » .

بتعبير آخر : ان الماركسية **تركز** على الاقتصاد ، ـ « رأس المال » ، « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » ، ـ ولكن سلسلة من كبار التلاميذ يسقطون في النزعة « الاقتصادية » : هذه هي تجربة تاريخ الماركسية . والفرق هائل بين الماركسية و « الاقتصادية » ، بين المفهوم المادي للتاريخ والمفهوم « الاقتصادي » للتاريخ ، بين المفهوم الماركسي للثورة والمفهوم «الاقتصادي» « الطبقي » للثورة ، بين المفهوم العالمي للثورة والمفهوم القطري للثورة ، بين الماركسية وظلّها .

هذا الظل أسميناه الماركسية المضاعفة ، أو الماركسية أُسْ ٢. (مرفوعة إلى قوّة ٢) . ألا تقول الماركسية : اقتصاد ، علاقات انتاج ، طبقات ، طبقة عاملة، حزب بروليتاري، دكتاتورية البروليتاريا ؟ أليس هذا جوهر (!) الماركسية ؟ فلنتمسّك بالجوهر .. ، ولنترك الباقي ! [2] .

بالحقيقة ، نادراً ما **يقول** الماركسي أس ٢ : لنترك الباقي . وقد يقول العكس . ولكنْ بين أن يقول وان يفعل فرق . إن أقواله هي من نوع : الباقي تابع . وعند ماركس ولينين : المسألة القومية مسألة تابعة . ولكن بين

---

(١) ثوريو العشرينات لم ينتبهوا بشكل كاف الى تعريف لينين للثورة الاشتراكية العالمية (نضال « الأمم » التي تضطهدها الامبريالية) ، لم يعطوا نضالات لينين ضد « اقتصادية» ١٩١٦ الأهمية اللازمة . ولهذا أسبابٌ عديدة (ستالين ، طغيان المجادلة ضد التروتسكية ، الملخّص الستاليني المبسّط للينينية في ١٩٢٤ ...) ونذكر من بين هذه الأسباب : أن نضالات ١٩١٦ حول المسألة القومية لا تبدو شيئاً حاسماً في ثورة ١٩١٧ الروسية ، التي غدت بشكل طبيعي « نموذج » الثورة . ولكن هذا الموقف ذاته حصْرٌ قطري للثورة ، لم يعدْ اليوم ممكناً ولا محتملاً .

(٢) لنعتصم بحبل الايمان ! ولكننا على ما يبدو ، نتفرّق ... قد يكون « الباقي » ـ الذي يفرّقنا الى هذا الحدّ ـ غيرَ بعيد عن الجوهر . لأن جوهر الماركسية ليس تسلسل أربع أو عشر صيغ ، انما هو ، كما يقول الرفيق نايف حواتمه : « التحليل الملموس لوضع ملموس » (والقول المأثور للينين ضدّ ... بوخارين !) .

تابعة وتابعة فرق . المسألة القومية تابعة في المفهوم العام ، في الهيكل ، وهي عيانياً تابعة في روسيا ١٩٠٠ و١٩١٣ و١٩١٧ و١٩٢٥ ... ولكنها ليست تابعة في صين ١٩٣٥ – ١٩٤٥ ، في علاقة الصين واليابان ، في مواقف حزب البروليتاريا الصينية وفي أفكار واقوال ماوتسي تونغ . وليست « تابعة » في فكر ماركسي جيمس كونولي في ايرلندة ١٩١٦ . وليست « تابعة » في فكر وعمل ستالين ، تيتو ، خوجه ، آكسل لارسن في ١٩٤١ – ١٩٤٥ . تابعة **لماذا ؟** مصيبة « الاقتصاديين » انهم يتصورون انها تابعة للمسألة العمالية (أو المسألة الفلاحية) التي هي في تصورهم مسألة صراع العمال والبرجوازية (أو صراع الفلاحين والملاكين) في « المجتمع »، في « القطر » . انهم يقيمون إذن التعادل بين « المجتمع »، نظرية « المجتمع » الماركسية، **نموذج** المادية التاريخية والثورة، وبين مجتمع **معيّن** ، **قطر معين** ، دون أن يروا ان **القطر** المعين معيّنٌ في العالم ، جزء من العالم ، وان « المجتمع » الأكبر هو العالم .

المسألة القومية **تابعة** في الثورة الاشتراكية العالمية . (هذه هي **تبعيّتها** للبروليتاريا! فالبروليتاريا ـ اللينينية ـ هي هذا: الثورة الاشتراكية العالمية). المسألة القومية تابعة للثورة الاشتراكية العالمية . المسألة القوميةُ ليست **تابعة** لأي شيء آخر ، في عصر الامبريالية . وليست بالتأكيد ولا **بأي** شكل تابعة للمسألة « العمالية » أو « الفلاحية » و « الكادحية » **في أي قطر من الأقطار** العربية . بالعكس تماماً : انها الطريق إلى **ذلك** ، وجزء من ذلك : زعامة البروليتاريا على الأمة = ان **تأخذ** البرليتاريا **قضايا الأمة** على أكتافها = حزب البروليتاريا. المسألة القومية جزء من كل. ولكن الكل ليس المسألة « العمالية » في قطر . كلا ! هذا أيضاً جزء !

الماركسية هي **النظرية** العلمية « للمجتمع » و « التاريخ » و « الثورة » . بوصفها **نظرية**، نظرية عامة ، مفهوماً أو تصوراً conception ، إنها تتضمن : أسلوب الانتاج ، قوى الانتاج ، علاقات الانتاج، الطبقات، صراع الطبقات، المجتمع البرجوازي، الرأسمالية ، الثورة البروليتارية، دكتاتورية البروليتاريا ،

في تسلسل وترابطات محددة ماركسياً .

ولكن الواقع ليس **مفهوم** الواقع . هذا مشتق من ذاك ، وفي خدمته . الواقع هو نقطة الانطلاق ونقطة الوصول .

حين ننتقل من المفهوم الى الواقع ، من المجتمع أو النموذج الاجتماعي (الطبقات على أساس الانتاج وعلاقاته) أياً كان هذا النموذج ومهما بلغ من « التحسين » ، إلى العالم ، إلى التاريخ الواقعي ، كل « فروع » الماركسية ، كل أقسامها المسلسلة المترابطة معرّض حكماً للتعديل . وفي هذا العالم الواقعي ، الأوّليُ والثانويُ ، السببُ والنتيجةُ ، الأساسُ والبنيةُ الفوقية ، الاقتصادُ والسياسةُ ، الأمة والدولة الخ الخ قابلة لتبادل المواقع والأدوار .

إن الماركسي الذي درس الماركسية فعلاً لا يصدمه الواقع ، لا تصدمه خصوصياتُ الواقع وفردياته ، لا يسعى إلى إنكار الجديد ، أو إلى إدخال الجديد قَسْراً في القالب ، لأنه يعرف ان الماركسية ليست قالباً بل ولا قالباً من قوالب . بالعكس ، الجديدُ أيضاً ، الجديد خاصةً ، يَدْخل بشكل طبيعي في الماركسية الحقيقية الآخذة في نموّ دائم . الوعي الماركسي هو هذا: استيعاب الجديد . الماركسية لا غنى عنها لهذا الاستيعاب(١) . أما «الماركسي» الآخر الذي يعرف النموذج الماركسي المتداول ، الذي لا يعرف الفروع « الثانوية » ، أو يعرفها كفروع « ثانوية » وحسب ، أي بدون ارتباطاتها في الواقع ، الارتباطات التي تؤكد صفتها الشمولية ، وتذكّر الماركسي الحقيقي بنسبية الثانوي والأولي ذاتها ، فهو يسير من صدمة إلى اخرى ، ينكر الجديد ، أو يُدخله في القالب ، في قالب عقله « الماركسي » غير المكوّن ماركسياً ، وهو يسبح بين الارتداد المعلن على الماركسية وبين الارتداد الآخر ، الانتكاس إلى « الاقتصادية » ، إلى الدوغمائية ، باسم « الماركسية » .

---

(١) ولا غنى لها عن هذا الاستيعاب .

٤ . في كتاب « نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن » ، بيّنا بالتفصيل آلية الانتكاس « الاقتصادي » للماركسيين في **قضية الوحـــدة العربية .**

المدرسة الماركسية التقليدية (البكداشية وامتداداتهـا في الجوار) حين أيدت مبدأ الوحدة العربيـة (١٩٥٥ ، ١٩٥٦) توخّت أو انتظرت هذه الوحدة العربية من تطور الاقتصاد العربي البرجوازي الوطني ، من نموّ التكامل الاقتصادي للدول العربية البرجوازية المستقلة ، مع الكفاح (الناقص) ضد الاستعمار ومشاريعه وأحلافه . انها لم ترَ اذن دور الوعي ، رفضت «الرغبة» و « الارادة » ، تحدثت عن العوامل الموضوعية ، ضيّعت **الممارسة** ووعيهـا في ثنائيــة العوامل « الموضوعية » ـ « الرغبة » و « الارادة » (رغبــة وإرادة فرد أو حزب ، ـ في سنة ١٩٥٦ : كان المقصود حزب البعث وغيره) . لم تر أن العوامــل الموضوعية تنعكس في شعور ووعي وإرادة البشر ، الطبقــات ، والأحزاب ، والأفراد ، والدول . سقطت في مانوية الموضوعي ـ الطبيعي والذاتي ـ المصطنع . توهّمت ان التطور الموضوعي الطبيعي يقود نحو الوحدة ، وان الوحدة ـ على الأساس الاقتصادي المذكور آنفاً ـ تتقدّم وتنتصر ، رغم كل العقبـات المصطنعة التي يقيمها الاستعمار . يكفي « النضال » ضد « الاستعمار وأحلافه » . لم تر ان السيرَ «الموضوعي» الاقتصادي في ظل الرأسمالية «الوطنية» المزعومة هو تعمّق التجزئة العربية . في هذه المهمة القومية أيضاً . الطريق البرجوازي (أي الطريق الذي تقوده ! بقيادة الطبقة البرجوازية) مسدود . إن البرجوازيات الوطنية العربية عاجزة عن تحقيق المهام « البرجوازية » الكونية : ضرب الاقطاع وتصفية علاقات العصور الوسطى ، التصنيع الحقيقي ، الاستقلال الاقتصادي ، العلمـانية ، الديمقراطية السياسية ، الاندماج القومي والوحدة القومية . هذا العجز ليس عجزاً مطلقاً بمعنى ان أي تقدم مستحيل (حدث بعض التقدّم في سلسلة من المجالات) ، ولكن هذه النسبية نفسها نسبية ، والعجز واضح بشكل خاص

في مجـال الوحدة القومية . إن التطور الاقتصادي العربي في ظل الرأسمالية يسير نحو مزيد من التجزؤ ، نحو بلورة الكيانات **القطرية** قوميـاً في ظل الأوضاع الاقتصادية العالمية الامبريالية .

لقد كان انتظار الوحدة القومية العربية من التطور الاقتصادي البرجوازي موقفاً « اقتصادياً » يمينياً . كان « سَحْباً » لنموذج حركة الوحـدة القومية في أوروبا الغربية في زمن البرجوازية الصاعدة العاملة ضد الاقطاعية والتبعثر الاقطاعي . أصحـابه نسوا إذن الاستعمار والامبريالية (رغم الحملة الدائمة على الاستعمار ومشاريعه وأحلافه والحديث العابر عن«عقباته المصطنعة») ، ولم يأخذوا في حسابهم ان المجتمعات الشرقية في ظلّ وبفعل الهيمنة الأجنبية الطويلة لها تطور آخر وصيرورة أخرى . بل أكثر من ذلك : اكتفوا ، في صعيد التجربة القومية لأوروبا الغربية (فرنسا ، المانيا الخ) ، بنموذج عام مشوّه تصوّروا انه نموذج الماركسية . تصوّروا ان الوحدة القومية كانت في تاريخ أمم أوروبا الغربيـة **نتيجة وخاتمة** التطور البرجوازي والنضـال ضد الاقطاعية . رأوا الدولةَ القومية نتيجةً ، و « الأمةَ » سبباً ، ولم يروا ، في أي حال ، العكس . رأوا « الاقتصاد » ولم يروا « السياسة » . وقعوا في عكس خطأ ساطع الحصري . رأوا (إذا حدث ان اهتموا بالموضوع) ان الوحدة القومية للالمان تأخرت (عن فرنسا، عن انكلترة ...) بسبب تأخر التطور البرجوازي في المانيا . لم يروا ان التطور البرجوازي الالماني تأخر بسبب التجزؤ. لم يروا ان هذا التجزؤ ليس مردّه الى السبب « الاقتصادي» ، الداخلي ، وحَسْبُ ، بل أيضاً إلى أسباب سياسية وحربية ، (إلى السياسة العالمية (أي سياسة الدول الأوروبية المحيطة بالمانيـا) والى تطور الاقتصاد **العالمي** ، (التجارة العالمية) الخ . رأوا تأخر الوحدة القوميـة للالمان ، ولم يروا قِدَم الوحدة القومية للروس، ولم يروا تأخر الوحدة القومية في ايطاليا. أوّل بلدان التطوّر البرجوازي الحديث[1] ، البلد الذي لم يستطع أن يواصل

---

(١) في القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى .

هذا التطور ، لأنه لم يتخلص من التجزئة، رغم ... نداء وأفكار ماكيافيلي.

بعد الوهم «الاقتصادي» البرجوازي اليميني، انتقل « الماركسيون » العرب إلى الوهم «المضاد»، «اليساري» العمالي أو الكدْحي. ولكنْ بين الضدّين قاسمٌ مشترك هو «الاقتصادية» . الطريق الاشتراكي إلى الوحدة، كبديل عن الطريق البرجوازي إلى الوحدة ! بناء الاشتراكية في الأقطار ـــ> الوحدةالعربية. «اتحاد الجمهوريات الاشتراكية العربية » ، وبهذا المعنى . القطر البرجوازي ـ الوطني المستقل كان حماقة . القطر الاشتراكي العربي حماقة أكبر ، وأكبر بكثير من بعض النواحي . اسرائيل تتقدم ، تسحق . بناء الاشتراكية في القطر !!

نداء السوق العالمية للقطن والبترول والفوسفات والفلز العربية ، وحاجات برامج التنمية في الافطار (الآلات ، التجهيزات) حصةُ الوطن العربي في تجارة كل قطر آخذةٌ في الهبوط . وحصةُ العـــالم خارج دائرة الوطن العربي ـ العالم الرأسمالي المتقدم أو العالم الاشتراكي، أو كلاهما ـ في تجارة كل قطر عربي، آخذةٌ في الارتفاع ، بالنسبة لأكثر الاقطار. التباعدُ الاقتصادي بين العرب يزداد . التكاملُ الاقتصادي القومي العربي ينخفض . افريقيا ، وراء العرب ، تتخبّط . سلسلة من الانقلابات الرجعية الاميركية في القارات الثلاث . الوضع الثوري ليس ممتازاً . مسيرة الاشتراكية الظافرة توقفت منذ عدة سنوات. الامبريالية الاميركية تحرس التجزئة العربية جيّداً. كلاهما بخير.

أسعارُ التبادل في ميزان السوق العالمية تتدهور . العوامل المقرّرة : قوى الميزان . التجزئة العربية ثقل كبير في كفة الميزان الامبريالية . « الغني » يمدّ ذراعه ويمسك عنق « الفقير » ، ويدُ « الفقير » تخبط وتتخبّط .

و « الاقتصادية » الجديدة اليسارية تدفع منطقها اللاوحدوي إلى حدوده القصوى . عبارات من نوع « الأمة العربية » ، « القومية العربية »، « وحدة العرب القومية » ، سقطت من قاموس المفردات الذي تغير بمثل لمح البصر . « وحدةُ العمال »، « وحدةُ الكادحين »، « وحدةُ العمال والفلاحين العرب » **صيغٌ** بديلةٌ عن **مهمة** « وحدة العرب القومية » . وعلى الطالع والنـازل :

« بروليتاريا » و « امبريالية » ، « امبريالية » و « بروليتاريا » . لم يقرأوا مجادلة لينين مع شباب ١٩١٦ . « حركة التحرر **الوطني** » تعويض لا غنى عنه في الشرق ، في الوطن العربي ، تعويض فقير [١] يضاف إلى وهْم الطهر « البروليتاري » ، ويعزّز الوهْم .

كما كان الموقف الاقتصادي القديم اليميني يعتبر الوحـــدة العربية نتيجة وخاتمة النضال ضد الاستعمار والتطور الوطني الرأسمالي ، كذلك فإن الموقف الاقتصادي الجديد اليساري الامبريالي يعتبر الوحـدة العربية نتيجة وخاتمة النضال ضد الامبريالية ، نضال العمال والكادحين والفقراء في كل قطر (وعند اللزوم في كل الأقطار ، «على الصعيد القومي» ![٢]) ضد الامبريالية والبرجوازية والبرجوازية الصغيرة وهلمجرا . في كلا الحالتين ، القديمة والجديدة ، اليمينية واليسارية، البرجوازية ــ التقدمية والبروليتارية الكدحائية ، الجبهوية ــ الوطنية والجبهوية التقدميــة أو الثورية أو البروليتارية الفقيرة الخ ، الوحدة العربيــة نتيجة وخاتمة [٣] .

هــذا ينافي واقع التطور العربي الراهن – تعمّق التجزئة الموضوعي – وينافي الممارسة التاريخية للمسألة القومية في تاريخ أوروبا .

ضدّ هذا الشطط ، قلنا [٤] ونقول :

الوحدة القوميـــة كانت في تاريخ أوروبا جزءاً من التطور البرجوازي والثورة البرجوازية .

---

(١) وحديث دائم عن « الفقر » و « الفقراء » و « الشعوب الفقيرة » ، في أدبيَّات الجبهة الشعبية الديمقراطية .

(٢) « ليس على الكلام جمرك » . أيّ صعيد قومي هـــذا ، حين تُلغى مهمة الوحدة القومية ؟ لَكَمْ يختلف هذا «الصعيد القومي» عن « الصعيد القومي » الذي يعنيه ماركس حين يستبشر بوحدة ١٨٧٠ ، من أجل مستقبل ونضال البروليتاريا على الصعيد القومي الفعلي !

(٣) نتيجة وخاتمة لعمل ، لكفاح ، لنضال ، لا يستهدفها . وهذا هو « الوعي » ؟!!

(٤) أنظر بشكل خاص كتابنا : الماركسية ـ اللينينية في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني وفي نقدنا لهذا البرنامج ، دار الحقيقة .

الوحدة القومية العربية جزء من الثورة العربيــة ، من الثورة الاشتراكية العربية المنطلقة من الثورة القومية – الديمقراطية ، المناهضة للامبريالية .

في كلا الحـالتين : جزء وليس **نتيجة** أو **خاتمة** . جزء أي أنّ الكل لا وجود له ككل بدون الجزء، أي ان الباقي («المسألة العمالية» «المسألة الفلاحية» «الاشتراكية» (؟)) هو أيضاً جزء . هـذا الجزء (– لوحدة العربيــة –) موجود على طول الطريق ، في البداية والوسط والنهـاية ، انه سلسلة من الحلقات .

في تاريخ أوروبا : فوارق كبيرة بين روسيا وفرنسا وانكلترة وهولنـدة والمانيا وايطاليا . ولكن ما من مرّة كانت فيها الوحدة القومية حلقة أخيرة وحسب. في فرنسا السائرة في طريق تطور برجوازي طويل، كانت هناك دولة قومية ملـكية اقطاعية أو اقطاعية – برجوازية ، دولة قومية واحدة ، رغم بقايا التجزؤ الاقطاعي الأول لحقبة العصور الوسطى . ألمانيا في عام ١٨٤٠ أو ١٨٦٩ متقدّمة على فرنسا عام ١٢٠٠ ، ولكنها لا تزال قبـل **إنجاز** التطور البرجوازي . وهـــذا التطور سيبقى مقصّراً في عدد من الميادين (المسألة الفلاحية ، والوحدة القومية **الكاملة**) إلى ما بعد وحدة ١٨٧٠ . في أيام ثورة ١٨٤٨ ، ماركس وانجلز لم « يشترطا » تحقّق التحويل البرجوازي أو زعامة البروليتاريا كشرط للوحدة ، ولم يضعا استراتيجية من نوع : أولاً : الثورةُ الاجتماعية، تحويلُ المجتمع ، انتصارُ المجتمع البرجوازي، زعامةُ البروليتاريا، **ثم** : المسألةُ القومية، الوحـدة القوميةُ، النضالُ ضد الروس . **بالعكس** . **في** فهم قائدَي البروليتاريا الالمانية والعالمية ، ومؤسسَي الماركسية ، إن مقولات من نوع « الثورة » ، « تحويل المجتمع »، « البروليتاريا » وزعامتها، « **المجتمع** البرجوازي الديمقراطي »، « الثورة الاشتراكية »، « **المجتمع** الاشتراكي »، **تتضمّن** بالضبط هذا : الأمّة ، الوحدة القومية ، التحرّر القومي .

« الكلّ » هو اليوم الثورة الاشتراكية العالمية المناهضة للامبريالية . على صعيد العـــالم العربي وفي نطاقه ، « الكلّ » هو الثورة العربية القومية

الديمقراطية الاشتراكية الوحدوية المناهضة للامبريالية والاقطاعية والرأسمالية والصهيونية . وليس شيئاً من نوع « المسألة العمالية » أو « تحرير الكادحين » أو المهمات الوطنية ـ الديمقراطية (فهي جزء) ، أو المهـمات الوطنية ـ الديمقراطية ـ « الاشتراكية » (!) الخ : مهما أطلنا القائمة فإنها تبقى جزءاً ، مـا لم تضمّ المهمة القومية : الوحدة ، وهذه المهمة القومية تربط كل الأجزاء وهي – من الظروف التاريخية الراهنة للعالم ـ تَحَقّـُق الثورة الاشتراكية العالمية في العـالم العربي . الاعتقادُ بأن الوحدة العربية ستأتي من انتصار « البروليتاريا » ، اعتقادٌ بأن البروليتاريا ستنتصر بدون الوحدة العربية (= حماقة) . معناها في جملة أشياء الاعتقادُ بأن صراع البروليتاريا والجماهير شبه البروليتارية (أكثرية السكان) **ضد بقايا البرجوازية وضد البرجوازية** – **الصغيرة الخ** يمكن أن ينمو وينبسط ويتجلى **ويظهر** بدون الوحدة العربية . نقول « ويظهر »، لأنه لم يظهر بعد . الذي « ظهر » هو « نضالُ » عدد من المثقفين البرجوازيين – الصغـار الذين يتصوّرون أنهم ممثلو البروليتاريا ، نضالٌ ينمو وينبسط ويتجلـّى (!) ولا يؤدّي في ظرف ميزان القوى التاريخي والمرحلة التاريخية وانعدام الوعي الأساسي سوى دورٍ مساعدٍ موضوعيٍ للعدوان الصهيوني على الأمة . إذ ان هذا النضال موجّه ضد القوى الكبرى المكافحة والقادرة على الكفاح ضد العدوان .

إن الماركسيين الجدد (وكذلك غالبية الماركسيين القدامى ، ولكن بشكل خاص : الماركسيين الجدد) يتصوّرون انهم يحملون مذهب الماركسية الطبقي . والحال، هذه «الطبقية» لها اسم : الاقتصادية، المذهب الاقتصادي . طبيعتها « الاقتصادية » لا «تغطيها» الحملة الدائمة على « البرجوازية–الصغيرة»، على الاشتراكية – القومية ، بل بالعكس : على طول التجربة الروسيـة – الاقتصادية ، المنشفية ، الاقتصادية الامبريالية – ، هذه الحملةُ ذاتها[1] دائمةٌ ،

(١) « مع التعديل المناسب » ، مع الفوارق : روسيا ١٩٠٠ – ١٩١٦ ليست الوطن العربي الحاضر .

« تغطية » دائمة ، ينزع لينين قناعَها عند مارتينوف وجماعته ، عند « الوسط » في مؤتمر ١٩٠٣ ، عند روزا لوكسمبورغ ، عند بياتاكوف الخ.. يفضح الابتزاز « اليساري » و « البروليتاري » المتاجر بضرورة الحملة على جماعة الفراك (الاشتراكيين القوميين البولونيين) ، وبضرورة التمايز عن كاوتسكي ومارتوف ... يردّ لينين على الابتزاز : في هذه النقطة ، كاوتسكي على حق ، مارتوف على حق . أنتم على باطل . أنا أتكلم مثل كاوتسكي ؟ أنتم تتكلمون مثل آلكسنسكي « اليساري » (« اليساري » سابقاً ، اليميني حاضراً) صاحبُ القول المأثور : « لنغرس خاذوقاً في جسد البرجوازية الخفّاق » . هذه الحملةُ على « البرجوازية – الصغيرة » ينزع لينين قناعها « العمالي » الصافي كاشفاً جوهرَها البرجوازي – الصغير .

إلى أي مدى المجادلات الحاضرة **تكرّر** مجادلات ١٩١٦ ، هذا ما بيّنّاه في « نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن » . وبينّا الفوارق . الوضع العربي الحاضر غير الوضع الروسي والاوروبي لعام ١٩١٦ . المسألة القومية كانت آنذاك شيئاً صغيراً ، انها اليوم المركز . (وبين ١٩١٦ واليوم، هناك خطيئة الهندي ن. م. روي ١٩٢٠–١٩٢٢ ، أوّل نقل شرقي–آسيوي للاقتصادية اليسارية) . ثم شتّان ما بين بياتاكوف ورفاقه وبين ايديولوجيي « اليسار » العربي على صعيد المعرفة والوعي والمواقف . ولكن ، حتى بدون هذا الفرق الأخير ، يبقى فرق الموضوع ، فرق الظرف التاريخي الموضوعي : بياتاكوف ورفاقه كانوا **مع** الثورة ، مع شباط واكتوبر ١٩١٧ ، مع الثورة البروليتارية الروسية والعالمية . اليسار « الاقتصادي » العربي لا يمكن أن يكون مع الثورة العربية القومية – الديمقراطية – الاشتراكية . الفرق ليس، جوهرياً ، بين أخطاء بياتاكوف – بوخارين وأخطاء كشلي – حواتمه ، بل هو بين الثورة الروسية والثورة العربية ، بين الثورة العالمية قبل خمسين – ستين عاماً ، والثورة العالمية اليوم .

٥
«الاقتصادية اليسارية» في قضية فلسطين

- هذه « الاقتصادية » تنحدر إلى ابتذال اقتصادي عادي .
- الامبريالية والصهيونية = البترول والتطور الاقتصادي والتجارة .
- كيف ينقل المفكر « الماركسي » العربي المحارب الفكر الصهيوني المسالم ؟

علينا الآن أن ننتقل إلى قضية فلسطين ، أن نتبين ما هي « الاقتصادية الامبريالية » في قضية فلسطين . انها أولاً « اقتصادية » ، تحمل على أكتافها صيغـة « صراع الطبقـات » وصيغة « البروليتاريا » والموقف البروليتاري الصافي . تحمل بشكل دائم على « البرجوازية ـ الصغيرة » ، على الوسط ، على الاشتراكية ـ القوميـة ، على « التلوّث » « القومي » عند المـاركسيين الحقيقيين . وهي ثانياً « اقتصادية امبريالية » تنبت على أرض الامبريالية ، وتطلق لفظ « الامبريالية » على الطالع والنازل دون أن تشخّص وان تفهم ما هي الامبريالية . وهي ثالثاً « يسارية » بالغة « اليسارية » .

أكثر من ذلك : «الاقتصادية» ليست ، هنا ، حديثاً دائماً عن «الطبقات»

وترداداً صحيحاً ومشوهاً للصيغ الطبقية « العامة » ، وحسب ، بل هي أيضاً حديث دائم عن « الاقتصاد » بالمعنى الشعبي العادي لكلمة الاقتصاد ، حديث لا يفتر عن **العوامل** « الاقتصادية » ، عن الأسباب الاقتصادية ، عن الدوافع الاقتصادية ، عن المصالح الاقتصادية ، عن التطور الاقتصادي . أصحابها يعتقدون هذا الحديث محكّ الماركسية ، شهادة على ماركسية الماركسيين ، معياراً لدرجة ماركسيتهم . من هذه الناحية ، كتاب محمد كشلي نموذج ومثل أعلى .

القارىء غير المكوّن ماركسياً يؤخذ ، يبهر ، في مرحلة أولى . أليست المصالح الاقتصادية هي التي تقرّر مواقف الطبقات ؟ أليست العوامل الاقتصادية هي التي تقرّر التاريخ ؟ أليس صراع الطبقات جوهر الماركسية ؟ هذا الحديث كله يشبه الماركسية **قطعاً** . ولكن !... في مرحلة ثانية ـ هذا الحديث **يشبه** الماركسية ، مع التشديد على « **يشبه** » . ثمة فرق بين أن يشبه وبين أن يكون . غير أن القارىء ـ غير المكوّن ماركسياً ـ يقف عند المرحلة الثانية . وغرضنا أن نقوده إلى المرحلة الثالثة بالتكوين الماركسي ، بتاريخ نضال لينين والماركسية ـ اللينينية ضد ظلها « الاقتصادي » ، بواقع وممارسة القضية العربية وقضية فلسطين ، بمناقشة وتفنيد التطبيق الفلسطيني المبدع الخلّاق لمنهج «الاقتصادية». المسألةُ الأولى : ما هي أهداف الامبريالية الأميركية والعالمية في الوطن العربي وفي قضية فلسطين ، ما هي مصالحها ، استراتيجيتها ، سياستها ؟

البترول ، قطعاً . إنتاج البترول العربي ثلث الانتاج العالمي ، احتياطي البترول العربي ثلثا الاحتياطي العالمي ، تكلفة انتاج البترول العربي زهيدة زهيدة ، الشركات الأميركية تستأثر بأكثر من نصف البترول العربي ، تبيعه في أوروبا ، في آسيا الخ بأسعار عالية ، تموّن به أساطيلها ، البترول **أهم** المواد التي توفرها الطبيعة للانتاج والحياة البشرية في ظروف الانتاج الحاضرة .

ولكن ! نترك الكلام لكاتب سوفياتي : **يوري ايفانوف** في « **احذروا الصهيونية !** » [1] . ننقل إذن ايفانوف ، الصفحات ٣٢ — ٣٤ من كتابه :

« وفي عام ١٨٤٠ درست الدول الاستعمارية الأوروبية الكبيرة، المتصارعة من أجل النفوذ في الامبراطورية العثمانية المريضة قضية مستقبل سورية المحتلة من قبل الجيوش المصرية . فكتبت «تايمس» اللندنية في ١٧ آب ١٨٤٠ مقالاً بعنوان « سوريا ونهضة اليهود » جاء فيه :

« ان اقتراح اسكان اليهود (مثل هـــذا الاقتراح ، كما هو معروف ، لم يتقدم به أحد — ي.ا.) في وطن آبائهم وتوطينهم هنـاك تحت حماية خمس دول لم يعد يشكل قضيـــة موضع مناقشة ، بل أصبح بالأحرى ، مادّة لمناقشة جدية » .

ولئن كانت الـ « تايمس » الجريدة الانكليزية شبه الرسمية ، قد اضطرت أن تتحدث بلغة دبلوماسية وتشير الى انها مهتمّة كذلك بالمستعمرين الآخرين، فإن الأوساط الاخرى في انكلترة لم تجد انه من الضروري في هـــذه القضية إخفاء آرائها ورغباتها الحقيقية .

وكتب شافتسبوري ،الشخصية ' السياسية الانكليزية البارزة، في رسالة إلى وزير خارجية انكلترا بالمرستون يقول انه من الضروري تحويل سوريـة إلى دومينيون انكليزي . وأشار إلى أن ذلك يتطلب رأسمالاً ويداً عاملة أمـا « الرأسمال فهو بطبيعته يرسل دائماً بدون رغبة كبيرة إلى كل بلد لا تكون فيه الممتلكات والحياة في أمن » واقترح شافتسبوري في ختام رسالته « لو اننا أمعنا التفكير في قضية عودة اليهود على ضوء اقامة أو استعمار فلسطين لاكتشفنا ان ذلك هو أرخص وأضمن طريق لتزويد هذه المنطقة القليلة السكان بكل ما هو ضروري » (٦٣) .

---

(١) كتاب بـ ١٧٥ صفحة ، من منشورات وكالة أنباء نوفوستي ، بالعربية ، ١٩٦٩ . نعم نترك الكلام لكاتب سوفياتي : هناك جديد تحت الشمس .

ان صراع الدول الاستعمارية على النفوذ في الشرقين الأدنى والأوسط في المرحلة التي سبقت بناء قناة السويس وبعد انتهاء بنائها ، كان عنيفاً للغاية . وقد كتب الدكتور ادوارد روبنسون في معرض وصفه للصراع العنيد بين الدول الاستعمارية في هذه المنطقة من العالم « ان فرنسا تعتبر منذ زمن بعيد حامية الكاثوليك .. وكانت روسيا تجد دائماً في شخص الأرثوذكس حلفاء يوثق بهم .. ولكن في شخص من تستطيع انكلترا ان تجد لها حلفاء في هذا الجزء أو ذاك من الامبراطورية التركية ؟ » (٦٤) . وقد حاولت انكلترا أن تضمن لنفسها دعم اليهود الشرقيين (واتخذت في هذه المرحلة قانوناً حول الوصاية عليهم) ، وإقناع اليهود الأوروبيين بضرورة الاستيطان (تحت رعايتها) في فلسطين .

وفي ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٥٣ أعلن في البرلمان الانكليزي العقيد غيورغ هاولر الحاكم العام السابق لجنوبي استراليا ، وبالتالي موظف استعماري محنّك : « ان العناية الإلهية قد وضعت سورية ومصر في طريق انكلترا نحو المناطق الأهم في تجارتها الاستعمارية الخارجية ، الهند والصين والارخبيل الهندي وأوستراليا .. ان الإصبع الإلهي يشير إلى انكلترا أن تعمل بقوة لخلق ظروف ملائمة في كل من هذين البلدين .. ويد انكلترا يجب أن تجدّد سورية بواسطة الشعب الملائم لهذه المهمة ، والذي يمكن أن تستخدم طاقته دائماً وبصورة فعالة ، أي بواسطة الأبناء الحقيقيين لهذه الأرض ، أبناء اسرائيل » (٦٥) .

وتجدر الاشارة إلى أن الدكتور ن. أدلر ، الحاخام الأكبر في بريطانيا العظمى قاوم في رسالته عام ١٨٥٤ الدعوات المشابهة للمستعمرين الانكليز ، فكتب أن مصائر اليهود في يد الإله الذي أمَرَ بأن « لا يُستغاث به ، وأن لا يثار حبه حتى تلك الساعة التي يختارها هو نفسه » (٦٦) .

ولكن مع الزمن ازداد عدد الذين يرغبون في إيقاظ يَهْوَه المتهاون» [1].

---

(١) هنا ينتهي المقطع المنقول عن كتاب ي. ايفانوف . الأرقام ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، =

هكذا إذن ، في سنة ١٨٤٠ إبان زخم الرأسمالية الصناعية وفي بدايات الموجة الثانية في تاريخ الاستعمار الممتد على أربعة أو خمسة قرون ، تضربُ أول وحدة عربية فعليـة في التاريخ الحديث . ويظهر أول مشروع جدّي لتهويد فلسطين . صاحب العمليتين : بريطانيا ، أكبر دولة استعمارية ، سيدة العالم أرضاً وبحراً . الموضوع : « المنطقة العربية » ، بوابة آسيا — افريقيا .

في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، مـع بزوغ فجر الرأسمالية ، وبزوغ فجر الاستعمار ، يغزو المستعمرون البرتغاليون والاسبان السواحل العربية (المغرب، الجزائر ، عمان والجنوب). وينجو الوطن العربي من ظلام التراكم البدائي للرأسمال (الذي يدفع ثمنه الزنوج والهنود الحمر والاندونيسيون والهنود)، ليدخل في ليل الانحطاط العثماني،بعد تحول خطوط التجارة العالمية.

استقلالُ الولايات المتحدة ، الثورة الفرنسية ، بداية الانقلاب الصناعي في بريطانيا ، تفتح عهداً جديداً في التاريخ العالمي . العرب يعودون إلى صلب الموضوع ، إلى مكان بارز في التاريخ العالمي الذي تشتد عالميته : بونابارت في مصر ، صراع بريطانيا وفرنسا على مصر والمشرق ، على طريق الهند، ضرب القرصنة المغربية على يد الاسطول الاميركي (قبل سنوات، فشل مشروع علي

=٦٦ التي تتخلل هذا النص إحالات من ايفانوف الى كتاب ن. سوكولوف:تاريخ الصهيونية (ج٢ ص ٢٣٠ و ٢٤٣ ، وج ١ ص ١١٨ ، ١٣٨) وهو أشهر مرجـع (صهيوني) في موضوعه .

اذا كانت الجبهة الشعبية الديمقراطية لا تصدّق ايفانوف بوصفه كاتباً سوفياتياً تحريفيـاً موافقاً على القرار التصفوي،فانـنـا ننصحها بأن تقرأ (جيداً)كتاب ناتان فاينشتوك « الصهيونية ضدّ اسرائيل » ، طبع باريس . فاينشتوك من مؤيدي جماعة ماتزبن (المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية) صديقة الجبهة الشعبية الديمقراطية .

ولكن يبدو انها تصدّق. فصادق العظم ينقـل مقاطع عديـدة عـن كتاب ايفانوف ، ولكنه لم ير هـذا المقطع (مقاله عن « المسألة اليهودية » ، في « دراسات عربية » ، عدد يناير ١٩٧٠) .

بك الكبير المملوكي المصري ، رغم مساعدة روسيا كاترين) . ونابوليون بونابارت أول من فكر بتهويد فلسطين[1] . في الربع الثـــاني من القرن التاسع عشر ، تقوم مصر محمد علي باشا بأكبر محاولة ــ على صعيد عالم الشرق المهدد بالاستعمار ــ لتفادي السقوط الكولونيالي الوشيك ، بالنهضة الحديثـــة (البرجوازية) والدولة القومية ، في ظروف الشرق الخاصة ــ الاستبدادية ، العشيرية الخ ــ . نهضـةٌ حديثة في مصر ، ودولةٌ قومية تحت زعامة مصر (٣ أو ٤ ملايين من البشر) بضمّ بلاد الشام (مليون أو مليون ونصف) والسودان واليمن ، وتهديد بزوال الدولة العثمانية المحتضرة منذ زمن غير قصير والباقية بفضل بريطانيا (= نصف الانتاج الصناعي العالمي ، سيّدة البحار و « الممرات المائيـة » ، جبل طارق ، سنغافورة ، عدن ١٨٣٩ ، صاحبة امبراطورية الهند وكندا واستراليا الخ) تأخذ على عاتقها سحق المحاولة ، المحاولة القومية العربية ، سحقها في سوريا ، (« الباقي » يمكن أن ينتظر). سبيلها ؟ الحركة « الشعبية » في سوريا ، اتحـــاد الطوائف (شيعة ، سنة ، دروز ، موارنة) في كنيسة مار الياس بأنطلياس مع بيان ثوري ديمقراطي مُشبع بشعارات ١٧٨٩ : حرية ، مساواة ، إخاء . وراء المشهد الأخوي ، السر ريتشارد وود R. Wood خبير لغات وسياسات الشرق الأدنى ، القادم من سفارة جلالته في الاستانة (بعد مهمّة ناجحة في كردستان). مع بريطانيا، حلفُ **الدول** . الدول الاستعمارية الأخرى (روسيا القيصر الارثوذكسي نقولا الأول هي هذه المرة مع بريطانيا ومع خليفة المسلمين)، والدول المرشحة لأن تكون قريباً صاحبةَ مستعمرات وبعضها لم يبلغ بعد وحدته القومية (بروسيا). جميع الدول ، باستثناء فرنسا (ولكن حتى هذا الاستثناء نسبي ، مشكوك فيه . على أي حال ، فرنسا تراجعت عن دعم مصر . الأرجح أنها كانت تؤيد مصر في مصر وحسب)، والسلطان ــ الخليفة ... و « الشعب » السوري[2].

(١) ي. ايفانوف : المرجع المذكور ص ٣١ - ٣٢ .
(٢) ما عدا شعب فلسطين .

لم يكن تاريخ الاستعمار والرأسمالية قد شهد مثل هذا التحالف . جميع الدول lespuissances ، جميع القوى العالمية ، أو جميعها ناقص واحد . كل التاريخ الاستعماري العالمي السابق كان تاريخ تصارع وتصادع : اسبانيا ضد البرتغال ، بريطانيا ضد اسبانيا ، هولندة ضد اسبانيا ، فرنسا ضد بريطانيا، بريطانيا ضد روسيا ، نابوليون ثم امبراطوريته ضد سلسلة من الأحلاف ، روسياضد بروسيا، روسيا – بريطانيا – فرنسا – ساردينياضد تركيا ومصر.. والآن في مسألة الحكم المصري في سوريا ، الجميع معاً ضدّ هذا . بعد هذا ، يعودون إلى خلافاتهم وصداماتهم وحروبهم. ليلتقوا معاً مرة أخرى وأخيرة: ضد الصين إبان ثورة البوكسر ١٩٠٠ ، بقصد التمزيق ، ويضطرّون إلى إعطاء التمزيق شكلاً آخر ، أخفّ (مبدأ الباب المفتوح) : الصين ٣٠٠ مليون من البشر أو أكثر !

اليابان وحدها استطاعت أن تتلافى السقوط الكولونيالي . (بين جملة الأسباب : اليابان ليست في مركز – وصل أوروبا المستعمِرة وآفرو – آسيا المستعمَرة) . ولينين الذي لم يكن يجهل أبداً طبيعة اليابان الجديدة الرأسمالية والامبريالية ، قد حدث له أن استبشر بانتصار اليابانيين (على الروس ، على الاوروبيين) كأمثولة للآسيويين ، ليقظة آسيا ، لكفاح عشرات الملايين من بروليتاريي الهند وآسيا (١٩٠٨)[1] . نعم ! إن لينين يستطيع أن يبتعد بهذا القدر (« هَلْقَد ») عن المفهوم « الطبقي » وعن الطهر « البروليتاري » ، يستطيع أن يشبه انتصارات

---

(١) انظر لينين : حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية ، طبع موسكو ، بالعربية ، ص ٤٢ ، السطر ٧ و ١١ . « لقد استطاع الأوروبيون بنهبهم الاستعماري للبلدان الآسيوية، أن يصقلوا أحد هذه البلدان – اليابان – لانتصارات حربية كبرى ضمنت لها التطور الوطني المستقل . ولا ريب في أن نهب الانجليز للهند طيلة قرون والكفاح الذي شنّه حالياً هؤلاء الأوروبيون « الراقون » ضد الديمقراطية الايرانية والهندية سيصقل الملايين وعشرات الملايين من بروليتاريي آسيا لنضال ظافر (كنضال اليابانيين) ضد الظالمين – »

البروليتاريين الآسيويين القادمة بانتصار اليـابان الآسيوية الامبريالية ! « زلة لسان» ؟؟ زلة لسان أنتم عنها معصومون أيها الرفاق «الطبقيّون» الاقتصاديون ! مهما بلغت زلات لسانكم ، مهما ... اقتربت من « الواقع الملموس » !

في ١٨٤٠ ، ضربُ الوحـدة المصرية – السورية الفعلية ، ومشروعُ الاستعمار الاسكاني اليهودي في فلسطين وتحويل سوريا إلى دومينيون انكليزي ! والمشروع لا « ينام » في آرشيف جريدة التايمز . شافتسبوري ،بالمرستون[١]، ادوارد روبنسون ، هاولر ... بلفور (هربرت صموئيل ، تشرشل) . ارتباط وثيق بين الخطّين : ضرب الوحدة ، وتهويد فلسطين (وقبل عام ١٨٣٩ ، احتلال عدن). **الحلقة الحاسمة : ضرب الوحدة.** على هذه الحلقة **المستعجلة:** اتفاق الدول . بعدها يعود التصارع .

ما سبب هذا كله ؟ ما هي الأغراض ، المصالح ؟ البترول ؟؟

لستُ أدري ما إذا كان بالمرستون ، ديسرايلي ، غلادستون ، يرجمون في الغيب . غير أنه من المفيد أن نذكر أن البترول لم يظهر « اقتصادياً » (!) إلا بعد مضي ٣٠ سنة على هـــذه الأحداث السورية وبعيداً عن المنطقة ، في الولايات المتحدة ، ثم ظهر في القوقاس واندونيسيا وايران ، على امتداد عدة عقود من السنين ، قبل ظهوره في العراق والخليج[٢] .

في ١٨٤٠ ، لا وجود للنفط ، للمصالح الاقتصادية النفطية .

والممر المائي الذائع الأهمية كان « مغلقاً » أكثر مما هو مغلقٌ اليوم[٣].

---

(١) في الجزء الثـــاني من هذا الكتاب ، سننقل رسالة بالمرستون الى سفيره في الاستانة حول ضرورة تأييد مشروع التهويد لدى السلطان ضد مشاريع محمد علي أو خلفه . تاريخ الرسالة : ١٨٤٠ أيضاً !

(٢) في ١٨٥٩ : أول حفر لبئر بترولي في بنسلفانيا على يد « الكولونيل » دريك . في ١٨٧٠ ، كان الانتاج العالمي ٠,٧ مليون طن . وفي ١٩٠٠ ، ٢٠ مليون (الولايات المتحدة ، روسيا ، اندونيسيا ... البترول العربي = صفر) .

(٣) افتتحت قناة السويس في عام ١٨٦٩ .

والبروليتاريا العالمية ، و « حركة التحرر الوطني » العالميـة ، والميليشيا العمالية ، والبؤر الثورية ، و « اليسار » العربي ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، ويسار الفتح ويمينها ، والماركسية ، ذلـك كله لم يكن له وجـود . (ماركس كان يكتب رسالة دكتوراه عن الفلسفة اليونانية القديمة أو يكتب قصيدة لخطيبته . انجلز كان يصرخ مع « شلة المُعْتَقِين » أجدادنا أو أجداد أجدادنا كانوا في المساجد والكنائس بعيدين عن المشاكل ، ولعـل بعضهم كان في كنيسة انطلياس في صف الثوار والمتعاونين على الـبرّ الثوري الانـكليزي ضد الاستبداد المصري غير الوهْمي والبالغ العسف) .

و « رغم » هذا كله ، رغم كل هذه الحقائق ، فإن « الامبريالية العالمية بقيادة بريطانيا العظمى » ضربت ، بقوّة وبسرعة وحسْم ، الوحدة العربية الأولى في التاريخ الحديث ، الوحدة الفعلية في شكل وحدة مصر - سوريا ، في سوريا . (وجـــاء مشروع تايز وشافتسبوري الخ .. « ملحقاً » يذيّل هذا الضرب) .

لقد عدنا مراراً إلى موضوع وحدة١٨٤٠ وسقوطها. وسنعود إليه مراراً. « اليساريون » لا يريدونه . إذ كيف يمكن النظر إلى هذا الموضوع التاريخي على أساس مقولات اليسار واليمين ومـا شابهها الخ ... انهم على حق ، من وجهـة نظر منهجهم « الماركـسي » « الاقتصادي » ! ولكن هذا المنهج هو عكسُ الماركسية وعكسُ الواقع. في نظرهم، الواقع محلول في« الطبقات ». الأممُ، الدولُ ، السياسة —بهذا المعنى— أقارب فقراء ، أشباح تسكن العقل البرجوازي أسير الأوهام القومية والجغرافية أو الجيو- سياسية géopolitique.

لو أن ماركس سار على منهجهم، لما كانت هناك ماركسية. إن ماركس، قائد البروليتاريا : (« يا عمال العالم اتحدوا » و « ليس للعمال وطن ») قد وضع تحرّر الالمان القومي (= وحدتهم القومية) في طليعة اهتماماته الثورية (اعتبر التجزئة الالمانية اضطهاداً قومياً يصيب الالمان) ونظر إلى «التاريخ» مسجّلا حقيقة بسيطة عامية من نوع : إن سياسة فرنسا التقليدية منـذ عهد

ريشوليو Richelieu إلى عهد نابوليون الثالث هي المحافظـــة على الأوضاع الالمانيــة والايطالية ، منع وحدة الأمتين الكبيرتين في وسط أوروبا [١] .
ولينين بالاستناد إلى ماركس وانجلز أدخل مسألة الوحدة الالمانية في التصوّر الماركسي للتاريخ العالمي : حرب ١٨٧٠ كانت حرب دفـاع قومي من قبل الالمـان ، حرب تحرر قومي ، حرباً تقدمية . بدون هذا ، التقدمُ اللاحق مستحيل ، تقدّمُ الرأسمالية والبروليتاريا والثورة البروليتارية العتيدة .

هنا ، يرى القارىء تطبيقنـا العملي لمقولات « العالم » و « السياسة » في مجابهة « القطر » التجريدي و « المجتمع » التجريدي و « اقتصاد » أصحاب النزعة « الاقتصادية » . المسألة هي مفهوم التاريخ العالمي ـ الواقعي في ضوء ملاحظات ماركس وانجلز غير « الاقتصادية » التجريدية ، غير « الطبقية » ـ التجريدية ، خارج دائرة هيكل علم التطور الاقتصادي ، في ضوء تعريف لينين للثورة الاشتراكية العالمية بأنهـا نضال البروليتاريا والأمم المضطهدة ، مفهوم التاريخ العالمي ـ الواقعي الذي يسند ويبرّر وينتهي إلى استراتيجية تقول : « يا عمال العالم وأيتها الأمم المظلومة اتحدوا » ، « الثورات القادمة في الشرق حيث الشروط الاجتماعية أكثر تنوعاً بكثير (ممـا هي في روسيا) وحيث كثافة السكان أكبر بكثير (ممـا هي في روسيا) » ـ وكلها [٢] ملاحظات تخرجُنا من « الماركسية ـ الاقتصادية » إلى الماركسية الواقعية ـ ، « الشرق الثوري والقومي » .

في مفهوم التاريخ العالمي ـ الواقعي هذا ـ « عالمية الرأسمالية »! ـ تحتل

---

(١) هذه النقطة أوردناها سابقاً في فصل « ماركس وانجلز والمسألة القومية » في كتابنا « الماركسية والشرق » . هذا الفصل نُشر في حينه في « الحرية » (أواخر ١٩٦٨) أي على الأرجح أيام صياغـــة كتاب « حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي » ! وشكرنا « الحرية » على سعة صدرها ، وسنشكرها كلما شاءت وتفضلت .

(٢) بما فيها الملاحظة « الديموغرافية » (كثافة السكان) .

ظاهرة' الاستعمار موقعــاً مركزياً (عالمية لرأسمالية تعني بشكل خاص وبالدرجة الأولى هذه الظاهرة: الاستعمار، اقتحام الرأسمالية الأوروبية للعالم)، تحتل هــذا الموقع بدءاً من ظهور الرأسمالية ، وبشكل مضاعف في زمن الرأسمالية الصناعية ، وبشكل مضاعف أضعافاً في عصر الامبريالية ، حيث الامبريالية مفهومة" فهماً لينينياً تصبح **الأساس** لكل استراتيجية ثورية .

ولينين الذي تبنَّى وبلور مقولة « الامبريالية » بهذا المعنى - أعلى، آخر مراحل الرأسمالية ، الرأسمالية الاحتكارية والمالية ، اقتسام العالم إلى مناطق نفوذ ... - استخدم **أيضاً** هذا اللفظ (« الامبريالية ») في حديثه عن الطور الرأسمالي السابق - طور الرأسمالية التجارية ثم الصناعية - ، بقدر ما كان ثمة استغلال واضطهاد أمم لأمم في إطــار الانتاج **العالمي** الآخذ في تكوّن طويل ، أي على أساس العالمية (عالمية الرأسمالية) الآخذة في النمو .

وفي تاريخ هذه العالمية ، إن الوطن العربي - فتح مدينــة الجزائر وبداية الاستعمار السكاني، فتح عدن، ضرب الاحتلال المصري لسوريا بقوة الامبريالية الانكليزية - العالمية الخ - يحتل مكاناً مركزياً، وداخل هذا المكان المركزي ، حادثة' ١٨٤٠ تحتل مكاناً مركزياً . وأن يظهر معها - مع ضرب الوحدة - وكملحق بهـا مشروع تهويد فلسطين وتحويل سوريا إلى دومينيون انكليزي لأمر بالغ الدلالة .

لم تكن بريطانيا (والدول) طامعة في نفط غير موجود - اقتصادياً - . هل كانت طامعة في استغلال كدح الشعوب السورية والفلسطينية والمصرية الفقيرة ؟ لا شك . علماً بأن مجموع تعداد هذه الشعوب لم يكن يزيد على خمسة ملايين على البشر (من الجنسين ومن مختلف الأعمار) . كانت طــامعة في « استغلال كدح الشعوب الفقيرة » في آسيا وافريقيا ؟ ما في ذلك ريب بالضبط .

ولكن **ها هنا** ننتقل إلى العالم ، ننتقل إلى الاقتصاد بمعنى آخر ، ننتقل إلى السياسة ، التكثيفِ الأعلى للاقتصاد ، ننتقل إلى الوعي ، إلى النظرية ،

نظرية بالمرستون ، ونظرية الماركسية الصاحية .

تلاميذ الصف الابتدائي يقولون : بريطانيا كانت طامعة في السيطرة على العالم ، في السيطرة على طريق الهند . « الماركسيون » المضاعفون يريدون « ماركسية » بدون الصف الابتدائي . ونحن نقول لهم : إن ماركسيةً بدون الصف الابتدائي ماركسيةٌ لا قوام لها ولا مادّة .

إن ماركسية بدون « الجغرافيا » (!) – بدءاً من الدرس الأول في كتاب الجغرافيا : موقع الوطن العربي وحدوده – بدون العالم ، بدون الأقطار ، والأمم ، والدول ، والوعي ، والبشر ، والزعماء ، و«السياسة» الخ ماركسية شَبَحيّة .

حوالي سنة ١٨٨٠ ، تسقط مصر ، وتونس ، وعدد من أقطار عالم الشرق الكبير . هذا السقوط يرافق التحول الذي يقود من الرأسمالية «الحرة» و « الصناعية » إلى الرأسمالية « المالية » و « الاحتكارية » بين ١٨٨٠ و ١٩٠٠ . في ١٨٩٧ ، ينعقد المؤتمر الصيوني الأول . بين ١٨٨٠ و ١٩٢٠ : سقوط مصر ، تونس ، السودان ، المغرب ، ليبيا ، بلاد الشام ، العراق ، الخليج ... في ١٩٠٧ ، **تقرير كامبل بانرمان** : الامبريالية العالمية ، بقيادة بريطانيا – العظمى ، ترى منطقة الخَطَر في البحر المتوسط ، ملتقى أوروبا وأفرو – آسيا ، وعلى وجه التحديد في احتمال وحدة وتحرر وتقدم الشعب الذي يشغل جنوبي وشرقي البحر المذكور ، وتُحدّد العلاج : إقامة شعب آخر في قلب هذه المنطقة – جعل فلسطين[1] يهودية . وَصفياً ، ذلك كان

---

(١) في القرن الماضي ، نقل سلسلة من الرحالة الانكليز وسواهم أنباء أو أصداء ما يسمّيه بعضُ المؤرخين « الانجيل العربي » ، المتداول في فلسطين بشكل خاص وفي بعض أوساط بلاد الشام بشكل عام . وفحوى إنجيل العقيدة العربية : ذكريات عن ابراهيم باشا وحادثة ١٨٤٠ ، الدعوة إلى وحدة عربية ، إلى دولة قومية عربية بزعامة مصر السياسية وزعامة شريف مكة الدينية ، ضد الغرب وضد العثمانيين . العقيدة عامة عند الفلسطينيين ، وفي الشمال يقول بها مثقفون مسيحيون ومسلمون ...

خطأ ، **أحدَ** الخطوط المقترحة لحماية وإنماء السيطرة الإستعمارية على العالم . ثم جاء وعد بلفور ، ثم جاءت الولايات المتحدة . كشف مئة تصريح غربي أو صهيوني. كلّها في الاتجاه : أوروبا ضد آسيا، السيطرة العالمية ← منع وحدة العرب ، دولة اسرائيل . **التاريخ سار في هذا الخط** .

التجزئة ، البترول ، اسرائيل ، السيطرة العالمية[1] : تلك هي أهداف « الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية » . كل محاولة لإسقاط التجزئة العربية من قائمـــة الأهداف هي تنكّرٌ « لتجربة التاريخ ، تاريخ الاستعمار والرأسمالية والامبريالية ، تاريخ « العالمية » (الاستغلال والسيطرة العالمية ــ القومية) . بتعبير آخر : إن إسقاط هدف التجزئة هو إسقاط أو تلطيفٌ لهدف السيطرة العالميـــة ، موقف « اقتصاديٌ » في النظرية والستراتيجية والسياسة .

الوطنُ العربي احتل مكاناًمركزياً في سير عملية استعمار العالم colonisation ومنع وحدة هذا الوطن كان حلقة آساسية وفاصلة . منذ وقت لم يكن فيه بترول ولا ثورة اشتراكية عالمية ، (١٨٤٠) **وبالأحرى** في وقت فيه بترول وثورة اشتراكية عالمية (١٩٥٨ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٠ ، مكان تحقيق

---

(١) وفي صدد هذه الأهداف ، وبخصوص البترول بالذات :

إن أميركا ١ – « تطرح جزءاً منه كسلعة للتجارة الخ ... لجني مزيد من الأرباح » ، و ٢ – « تستهلك الجزء الآخر لتسيير آلة الحرب الأميركية الخ ... » (ص ١٣) ، و ثالثاً : تستخدمه كأداة ضغط هائلة ، سياسية واستراتيجية على الدول الكبيرة والصغيرة .

هذه النقطة الأخيرة واضحة وبارزة عند الشيخ عبدالله الطريقي أو خبراء البترول الآخرين أو في أي كتاب مدرسي جيد . ولكنها غائبة كنقطـــة ثالثة عن كشلي . هذا واضح في الصفحة ١٣ (السؤال : « فماذا تفعل الرأسمالية الأميركية بالنفط العربي إذن ؟؟ » وجوابه الحَصْري المباشر : البندان ١ و ٢ !) . وحين « يمسّ » ، من بعيد ، النقطة الثالثة ، لا يشعر انها نقطة ثالثة .

بالطبع لا يأتي إلا على بال كشلي وأمثاله فصلُ موضوع البترول وموضوع التجزئـــة ، إلغاءُ موضوع التجزئة .

الحلقة الأساسية الحاسمة : المشرق Levant ، سوريا ، علاقة سوريا ـ مصر . في الحالتين .

الوطن العربي يحتـل مكاناً **مركزياً** في سير عملية النزع الطويل لاستعمار طويل décolonisation . **عالمياً** . في عصر الامبريالية والبترول والصهيونية وحركة التحرر الوطني والثورة الاشتراكية العالمية على امتداد القارات الثلاث ، والقارات الست . والمشرق ، سوريا ، علاقة سوريا ـ مصر ، في صميم الموضوع ، في قلبه . أول خطأ لدى « الماركسيين اليساريين » وسواهم ، أنهم لا يرون هذه الحقيقة . وهـــذا الخطأ خطأ سياسي ، ستراتيجي ، نظري ، علمي ، فلسفي الخ ، يكشف عنـد أصحابه رفض تكوين مفهوم للتاريخ الواقعي ، باسم مفهوم تجريدي للتاريخ ، بالغ الفقر وبالغ التشوه ، باسم مفهوم « اقتصادي » يكرر انحراف التيار « الاقتصادي » في الماركسية ، ويبتذل هذا الانحراف ابتذالاً اقتصادياً عامياً .

لقد ركز صاحب « **العفوية والنظرية في العمل الفدائي** » الفصلـــين الأولين من كتابه على « الاقتصادية » . **جميع** صفحات الفصل الأول (ص ٧ ـ ١٩) موضوعها البترول . لفظ « البترول » يظهر في الصفحة الأولى من الفصل ولا يختفي في **خلاصة** الفصل إلا لتحل محله ألفـــاظ « المصالح الاقتصادية » ، والبرجوازية العربية ـ الوسيط اللاهث ... بين الصفحتين إحصاءات البترول مع زلات « إغلاق قنـاة السويس » وعموميات عن « الممرات المائية » . الامبريالية ، جوهرياً ، استغلال وبترول وتجارة **وسلام** (ولعـل « الثورة الفلسطينية » هي التي أغلقت قناة السويس) وكذلك الصهيونية .

جميع صفحات **الفصل الثاني** (٢٢ ـ ٤٢) موضوعها « التطور الرأسمالي في فلسطين » ، « في اسرائيل » . كما كانت الامبريالية = ذلك (البترول) ، الصهيونية العالمية هي هذا : التطور الرأسمالي في فلسطين .

لست أدري ما إذا كان الأخ محمد كشلي قد قرأ « التطور الرأسمالي في

روسيا » للينين . إذا قرأ ، فإنه سيرى أولاً أن« التطور الرأسمالي في روسيا» هو ، من حيث الحجم ، عشرة أضعاف الكتب الثلاثة الصادرة عن الجبهة الشعبية الديمقراطية ، و ، من حيث المضمون، مئة ضعف على الأقل. وسيرى ثانياً أن لينين لا يتوخّى في موضوع بهذه الأهمية - التطور الاقتصادي لبلد ما، أياً كان ، سواء كان روسيا القيصرية ، أو فلسطين الانتداب ، أو اسرائيل بن غوريون واشكول - هدفاً بمستوى رفض « تصفية قضية فلسطين » . إنه يتوخّى فعلاً إعطاء صورة حقيقية صحيحة عن الواقع لتكون أساساً حقيقياً لاستراتيجية حقيقية . والحـــال ، إن « رفض تصفية قضية فلسطين » ليس استراتيجية ، وليس نظرية في معارضة العفوية . بين مثـل هذا الرفض وبين الستراتيجية والنظرية ، امتدادُ قرن وربع - وامتداد قارات في عمل وفكر الماركسية . ولينين، أصلاً ، أي قبل مؤلف « تطور الرأسمالية في روسيا »، يملك **منطلقاً** ستراتيجياً ونظرياً صحيحاً ،واضحاً ومبلوراً كمنطلق في مؤلفاته السابقة ولا سيما في كتابه « من هم « أصدقاء الشعب » وكيف يناضلون ضد الاشتراكيين الديمقراطيين ؟ » (١٨٩٤) . وهـذا الكتاب يحتوي هو أيضاً على مبدأ الثورة الديمقراطيـة وزعامه البروليتاريا للثورة الديمقراطية ، المبدأ الذي سينبسط بعد خمس سنوات وفي عقب تأليف« تطور الرأسمالية في روسيا»، في الكفاح ضدّ « الاقتصادية » . بينما ، عملياً ، كتابُ « العفوية والنظرية » والكتبُ الأخرى الصادرة عن الجبهة الشعبية الديمقراطية تَصْرُف بالتي هي أحسن هذا الذي يوازي « الثورة الديمقراطية » الروسية، أي الثورة **القومية** الديمقراطية العربية .

وأخيراً وخصوصاً ، لئن كان « تطور الرأسمالية في روسيا » منطلقـــاً صحيحاً للماركسيين الروس في أواخر القرن التاسع عشر ، منطلقهم الطبيعي الذي لا غنى عنه (الرد على أوهـــام النارودين ، إثبات التطور الرأسمالي المذكور ، فهْم سبله الواقعية المتنوعة ، الجديدة ، فهْم تشكُّل أو إعـادة تشكل طبقات المجتمع الروسي تحت فعل نمو الرأسمالية ، و الثورة الديمقراطية

في روسيا ، وزعامة البروليتاريا لهذه الثورة) ، فإن هذا المنطلق الذي لم يكن **كافياً** البتّة كأساس للعمل القائد إلى أوكتوبر الاشتراكي ، بل احتاج إلى إكماله الدائم بفهم العالم ، الواقع العالمي ، واحتاج إلى أن « يُؤخذ » في فهم وتشخيص الامبريالية وعلى أساس هذا الفهم والتشخيص(١٩١٦ ..)[1]، لا يصحّ أبـــداً **كمنطلق** لـ « قضية فلسطين » ، « للثورة الفلسطينية » ولا « للثورة العربية » ، « لحركة التحرر الوطني » العربية . المنطلق الصحيح ، الأساس ، لهذا الموضوع ، هو ، في ضوء لينين، الامبريالية، عالمية الرأسمالية، آليــة الاستعمار العالمي للوطن العربي ، والرد على هــــذا الاستعمار . أمـــا التطور الرأسمالي لبلد عربي – وبالأحرى فلسطين ! – فلا يمكن أن يكون أكثر من جزء ، من فرع ، من لون ، في ألوان صورة الأساس. وليس بالضرورة هو اللون الأساسي . في بلد كفلسطين ، في قضية كفلسطين ، في هذه القضية الفلسطينية الفرْدَة ، هـذا اللون ـ التطور الرأسمالي ، حتى إذا أعلنا (وهذا الاعلان نافذة هروب تكشف ضيق غرفة السجن) أنّ مصدره من الخارج ، صهيونيٌ ، يهودي ـ لا يغلب أبداً اللون العَسْكري أو السكاني (الديموغرافي) أو الاقليمي (التوسع) ، أو الايديولوجي (أوهـام العدو وأباطيله **ووعيه**) .

والحال ، إن هذه الألوان ، بترابطها الجوهري ، بتكاملها ووحدتها، هي التي تؤلف الصورة الشاملة الحقيقية للحالة الفلسطينية الخاصة المنفردة .

حديث ناقص عن الهجرة ، وحديث كامل (؟!) ظاهراً عن « التطور الاقتصادي » (وزراعة الحبوب والحمضيات !) ، والكاتب ترك ظاهرة بالغة الخطورة وبعيدة المدى في تاريخ التطور **الديموغرافي ـ الاقتصادي ـ الاجتماعي** لفلسطين الصهيونية الناشئة ، للجنـين الاسرائيلي المغروس في قلب فلسطين العربية و « المنطقة » العربية ، قصدنا ظاهرة « غزو العمل »، تهويد العمل ، الشعار الذي رفعه وطبقه الصهيونيون إبان موجة الهجرة الثانية (١٩٠٤)

---

[1] (١) تفاوت النمو ، الثورة الاشتراكية في بلد واحد الخ الخ .

وفي الموجتين الثالثة والرابعة (في العشرينات) ، محققين بذلك انتصار الصهيونية – « العمالية » على صهيونية البارون دو روتشيلد التقليدية [1] ، معطين الاستعمار الصهيوني لونه الجوهري الذي يميزه عن جميع ألوان الاستعمار الأوروبي (بما فيه الاستعمار السكاني) الاخرى في العالم ، واضعين أساساً راسخاً « نهائياً » لميلاد **الأمة الصهيونية** (الأمة = الطبقتان : برجوازية وطبقة عاملة) .

هذا الموضوع لم يغب عن نظر جماعة ماتزبن « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » ، صديقة أو حليفة الجبهة الشعبية الديمقراطية ، وعن ناتان فاينشتوك (انظر كتابه ، ص ٨١ – ٨٢ ، ١٢٩ ، ١٤١ – ١٤٣) . ولكنه غاب عن الفهلوي « الاقتصادي » « الأممي » (!) العربي . والحال ، انه موضوع خطير في عواقبه التاريخية . ونسيانه خطير في عواقبه « النظرية » . سوف ندرس هذه العواقب في مكانها ، تباعاً .

إن هذا النسيان هو أحد الأشكال الرئيسية للعدمية القومية عند الرفاق « الأمميين » : وضع كل الأمم ، كل المجتمعات ، في سلة واحدة طبقوية – « أممية » مزعومة ، برودونية القرن التاسع عشر الأوروبي مطبّقة أو مسحوبة على فلسطين عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية **العالمية** . سنرى أن هؤلاء الطبقويين سيدرسون « المجتمع » الفلسطيني العربي وتركيبه الطبقي أو الطبقوي ،

---

(١) في أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كان المستوطنون اليهود بإشراف رجال روتشيلد يستخدمون اليد العاملة العربية الرخيصة (شأنهم في ذلك شأن المستوطنين – المستعمرين الفرنسيين في المغرب العربي ، أو الهولنديين في اندونيسيا ، الخ) وقد تغيّرت الحال جوهرياً خلال سنوات ١٩٠٤ – ١٩١٤ ، و ١٩٢٠ – ١٩٣٠ ، بعد صراعات داخلية (داخل الحركة الصهيونية) . بمعنىً ما ، إن كبير المليونيرية اليهود (روتشيلد) وأزلامه أفضل من العمال والطبقة العاملة داخل الأمة الصهيونية ، داخل « المجتمع » اليهودي الناشىء في فلسطين المغزوّة . الوسام الذي يمنحه نيكسون اليوم للصهيونية العمالية أكبر من وسامه الى المليونير أو الملياردير روتشيلد ، والذي ظل تفكيره قاصراً ، أسيرَ « الاقتصادية » !

ولكنهم لا يقربون الصلاة الماركسية الأخرى: المجتمع اليهودي في «فلسطين»، الطبقات اليهودية الاسرائيلية .

هذا القصور الجوهري عن واقع العصر ، وعن منهج اللينينية ، يقود إلى معرفة أحادية الجانب unilaterale ، جزئية psrtielle ، بالغة الجزئية ، وبالتالي منحازة سلفاً partiale . لنقل أنها منحازة إلى الفأر الذي يلده الجبل قبل المخاض . أو لنقل أن هذا « التطور الاقتصادي » « الكبير » ما هو إلا القابلة التي تولّد السؤال « **لكن ماذا حدث منذ عام ١٩٦٥** ؟ - أزمة ، تدهور ، انقطاع رؤوس الأموال ، بطالة في أشكال متنوعة - ، فيأتي الوليد : الصهيونية تريد « تصفية قضية فلسطين » . في رأينا ، الوليد الحقيقي أكبر بكثير . لأن الأم والأب أكبر بكثير ، وهما في غنى عن القابلة .

ولكنْ ، لنفترض أن محمد كشلي والرفاق « اليساريين » على صواب في تشخيصهم للعِلّة . لنفترض أن أزمة جوهرية كانت تمسك بخناق اسرائيل « منذ عام ١٩٦٥ » وبشكل متصاعد بعد هذا التاريخ [١] . وهم على صواب ، جزئياً .

ماذا يجب أن نستنتج من هذا الصواب ؟ ما هو الاستنتاج الأول الذي يقفز إلى عقل كل من ليس مسحوراً ومهووساً سلفاً بنتيجته الفأرية ، إلى عقل كل من لم تتسلّط عليه الفكرة الثابتة obsession : التصفية ، الحل السلمي ؟

الاستنتاج الأول المباشر : إن مسؤوليتكم أيها « اليساريون » كبيرة. كان عليكم في ١٩٦٥ - ١٩٦٧ أن لا تدفعوا دفعاً نحو « التحرير » ، أن لا تُسَخّنوا من الخارج إناء يتفجّر من الداخل ، أن لا تقدّموا مادة دعاية إضافية للعدو ، مادة تساعده على تنفيذ الانتقال إلى « المرحلة الجديدة » التي يحتاج إليها : عدوان ونصر وسلام وشيك (كما تقولون) من أجل فتح

---

(١) « في الشهور الأخيرة من عام ١٩٦٦ » مع « انفتاح » على الأشهر الخمسة الأولى من عام ١٩٦٧ .

« السوق العربية » ، من أجل التوسع « الاقتصادي » (! كما تقولون)
لا سيما وانكم اكتشفتم مقولة « البرجوازية ـ الصغيرة » الرجيمة قبل الحرب ـ الهزيمة [1] . سنعود إلى هذا الموضوع ، سنلقي نظرة على أقوالكم السابقة ، سندرس مقولة « البرجوازية الصغيرة » ... أما الآن مـا دمتم قد اكتشفتم – الآن ، بعد كارثة حزيران – أزمة الاقتصاد الاسرائيلي، فاننا نطلب منكم أن تستنتجوا ما يجب استنتاجه . نطلب منكم أن تدينوا – بحكم اكتشافكم – كل تلك الثرثرات الديماغوجية (أي البرجوازية ـ الصغيرة) ، التي كانت تضخّم الأخطار الآنيّة « الاقتصادية » – إحياء النقب ، تحويل الروافد – كل ذلك العمل الطويل الدائب فوق الأرض وتحت الأرض عن تواطؤ القاهرة، عن الملاحة في خليج العقبة[2] ، الذي كان في صفوف كل « اليسار » الانفصالي المتجدد ، المتعاقب ، المتغيّر الجلد ، غذاءً يومياً ، على امتداد سبعة أعوام .

إذا كانت اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ ، في ١٩٦٥ – ١٩٦٧ ، تعاني من أزمة اقتصاد وسكان ورؤوس أموال وتصدير وبطالة، تعاني اختناقاً متعاظماً بسرعة بفضل مقاطعتنا التجارية العربية وعوامل اخرى (توقف الهجرة ، انقطاع رؤوس الأموال) ، إذنْ كانَ من الأفضل أن نكتفي، آنياً على الأقل، بإبقاء الخناق . أما أن ندعو ، نحن والشقيري ، على صفحات « الحرية » ، إلى « حرب التحرير الشعبية » ، فهذا أمر يمكن أن « يؤجَّل »[3] . بلْ

---

(١) نعم : « قبل » . لا نعتقد أن الاخوان سيكذّبوننا .

(٢) فاينشتوك لا يعلّق أهمية على هذه الملاحة (مرجع مذكور سابقاً ، ص ٤٧٩ – ٤٨٠) ولا على موضوع الروافد .

(٣) ما دام عدم « التأجيل » أي الكارثة = (وننقل الوقائع والجمل عن راعيكم الأول جيرار شاليان ، «المقاومة الفلسطينية»، ص ١٥٢) = «تدفق عظيم للرساميل (مؤتمر أصحاب المليارات اليهود في القدس)... الخ » ، « تضاعف الاستثمارات الأجنبية عام ١٩٦٨ بالنسبة للعام السابق » ، « امتصاص البطالة كلياً » ، « ازدياد الانتاج الصناعي – خصوصاً بفضل التسليح – بما يقرب من الثلث » ، « زيادة الصادرات بنسبة أكثر من ١٢٪ » ، « زيادة =

لعلّه من الأفضل أن نطلب قوات طوارىء دولية تحمي كلَّ الحدود ، وفي أراضينا الاقليمية . لعل تدفق رؤوس الأموال « ينقطع » أكثر . لعل رؤوس الأموال تهرب هروباً بعد الانقطاع . لعل البطالة ترتفع من ٦,٦ ٪ في ١٩٦٦ إلى ٢٠ ٪ في ١٩٦٨ عن طريق ١٠,٢ ٪ في « الأشهر الأخيرة من ١٩٦٦ » . لا سيما وإن قوات الطوارىء في غزة وشرم الشيخ والملاحة الحرة في ممر العقبة المائي .. باتجاه آسيا وافريقيا الشرقية لم تمنع « التدهور » والانقطاع والأزمة والاختناق أبداً . إن ١٠,٢ ٪ بطالة ما هي في مرآة النظرية المعارضة للعفوية إلا أوّل الغيث !

يدرك القارىء إذن أن هذه المرآة جزئية ومقعّرة. فهي أوّلاً لا تعكس الا جزءاً من الواقع ، جزءاً اقتصادياً – « اقتصادياً » ، وهي ثانياً تضخّم هذا الجزء .

ويتذكر القارىء أن هذه المرآة ما هي إلا مرآة **شاوول زارحي** . ومن الطبيعي أن « يتبادر إلى ذهنه سؤالان : ما هو غرض زارحي ؟ وهل من الصواب عندما ينظّر ماركسي عربي ضدّ « العفوية » من أجل العمل الفدائي والثورة الفلسطينية وربما العربية ، أنْ يعتمدَ ، هكذا ، على زارحي؟ وإلى هذين السؤالين نضيف سؤالاً ثالثاً : هل ثمة فرق بين كشلي وزارحي ، بين الماركسي العربي الفدائي وبين الصهيوني الاسرائيلي ؟ – بالطبع (هذا ما سيقوله البعض) : زارحي يريد السلام (عنوان مقاله: «أهمية السلام ..»)، وكشلي يريد الحرب أو « الثورة » . غير أننا – بعد هذا الصرف وضدّه – نعود إلى سؤالنا الثالث مرة أخرى : هل ثمة فرق بين كشلي وزارحي ، بين الماركسوي المقاوم ، وبين الصهيوني المسالم ، على صعيد تشخيص **الوقائع**

= الناتج القومي الخام بنسبة ١٤ ٪ » ، « وصول ٣٥,٠٠٠ مهاجر إلى اسرائيل عام ١٩٦٧وحوالي ٣٠,٠٠٠ عام ١٩٦٨(و ٣٧,٠٠٠ بين أيلول ١٩٦٨ وأيلول ١٩٦٩)». (نقلناً شاليان ، من ١٥٢ ، الأسطر ١ إلى ٧) .

الاقتصادية ؟ هل ثمة فرق بين الناقل والمنقول ؟ ويدرك القارىء أن الأسئلة الثلاثة مترابطة ، وان لنا عند هذا الموضوع وقفة[1] .

في سنة ١٩٦٦ ، بدأ **جان بول سارتر** ، صاحب « **الأزمنة الحديثة** » العمل لإصدار عدد خاص من مجلته الذائعة الصيت عن « **النزاع العربي – الاسرائيلي** » ، يوزع مناصفة بين كتّاب من الطرفين . وقد صدر هذا العدد الخاص في شهر **أيار ١٩٦٧** . ثم ترجمت مقالات الطرف اليهودي في كتاب صدر عن مركز الأبحاث تحت عنوان « **من الفكر الصهيوني المعاصر** » (بيروت ، شباط ١٩٦٨ . الترجمة بإشراف محمود سويد ، ومع مقدمة لمدير المركز ، أنيس صايغ . يقع الكتاب في حوالي **٥٣٠** صفحة) : **٢٢** مقالاً ، لـ **٢٢** كاتباً .

من المؤسف أن « الملحق : معلومات موجزة عن كتّاب المقالات » لا يعطينا دائماً الهوية السياسية – الحزبية للكتّاب . ولكن يمكن القول أن الغالبية العظمى من « اليسار » . صحيح اننا نجد في القائمة : شيمون بيريس وزير الدفاع الأسبق وعضو حزب رافي « المتطرّف » ، وناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ولكن دور هؤلاء يبدو دور « تعزيز » يعطي صفة شبه رسمية للمجموع ، للاتجاه الأساسي « اليساري » – المسالم ، الموجّه الرأي العام « اليساري » الفرنسي والعالمي[2] . المـــابام (الحزب « العمالي الاشتراكي اليساري » الذي « يتبنى » « الماركسية » ، و « المعتدل المسالم » تجاه العرب ، واجهة اسرائيل الرئيسية أمام العالم التقدمي والأفروآسيوي) ، له حصة الأسد : بالإضافة إلى رجال المابام المحددي الهوية في الملحق المذكور

---

(١) « وقفة نقدية صارمة » ، كما يقول نايف حواتمه في الكتابين اللاحقين عشرات أو مئات المرات .

(٢) ومقال غولدمان عنوانه : « من أجل حل كونفدرالي » إذن غولدمان « معتدل »، وكان من الواجب أن نضمّه إلى هذا الاتجاه لولا أنه « برجوازي » وبعيد عن «الماركسية».

كأعضاء في حزب مابام [١] ، هناك طائفة من الكتاب جاء في الملحق انهم محررون في مجلة « نيو آوت لوك » (وهي تحت سيطرة المابام ، حاملة هذه « النظرة الجديدة » إلى العرب) ، والأرجح أن غالبية الكتاب الآخرين (« استاذ مساعد في جامعة تل أبيب » ، أو « عضو مجلس إدارة المعهد الآفرو آسيوي في تل أبيب » ، الخ الخ) هم أيضاً من المابام أو ما يشبهه . ونذكر بشكل خاص نسيم رجوان ، اليهودي العراقي الأصل «رئيس تحرير جريدة اليوم الصادرة بالعربية والمحرر في مجلة نيو آوت لوك اليسارية»، وروبير مزراحي ، الفرنسي المحرر في مجلة « الأزمنة الحديثة » .

وعلى يسار هؤلاء ، هذه الغالبية الساحقة من اليساريين الصهيونيين دعاة السلام، نذكر موشه سنيه M. Sneh «أمين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي» ورئيس تحرير جريدته « صوت الشعب » (وهو منذ ١٩٦٥ رئيس الحزب « الشيوعي » — الصهيوني المنشق) ، وأوري آفنيري رئيس حزب صغير يدعو إلى « الإخاء السامي » وإلى اتحاد فيدرالي في الشرق الأوسط ، وماير فيلنر رئيس الحزب الشيوعي ، حالياً (حزب راكاح) .

الاتجاه العام واضحٌ إذن : « يسار » ، « تقدمية » ، « اشتراكية » ، « ماركسية » ، « سلام » ، الخ . المحور العريض : (٣/٤ الكتّاب) : مابام أو ما شابه .. على اليمين : غولدمان ، بيريس . على اليسار سنيه ، آفنيري ، فيلنر .

العدد الخاص هُيّئ في ١٩٦٦ – أوائل ١٩٦٧ ، صدر في أيار **١٩٦٧** : سلام ، سلام ، سلام . تهديدات تل أبيب لدمشق = أصوات باهتة يطغى عليها في باريس والغرب هذا الصوتُ : سلام ، سلام ، سلام ، ولكنها تسمع حيث يجب ان تُسمع : في دمشق ، موسكو ، القاهرة [٢] . هذا شيء لم يرد

---

(١) بدءاً من السكرتير العام للحزب ماير ياري .

(٢) مع عزف في جميع العواصم العربية التقدمية والرجعية على الناي أو الطبل ضد التقاعس والجبن والخيانة .

في مقدمة مركز الأبحاث لكتاب « من الفكر الصهيوني المعاصر » . ولكن نحن نورده هنا . هذه مناسبته .

سلام ! سلام ! سلام ! اشتراكيــة ، ماركسية ، مأساة اليهود في زمن النازية، شرعية دولة اسرائيل وتصريحات غروميكو في ١٩٤٧ و١٩٤٨[١].. البضاعة متنوعة ومتنوعة الجودة . لست أدري ، على سبيل المثال ، ما إذا كان تشبيه العرب ... بأميركا ، الذي يسوقه أحد الكتاب الصهيونيين اليساريين، يؤثر فعلاً في هذا اليسار الأوروبي. صدّق أو لا تصدّق ! فالعرب (على حد قول الكاتب) وحدهم من بين الأمم – باستثناء الأميركان في فيتنام – يحاربون في أراضي الغير ! ولكن لا ريب ان التذكير بمأساة اليهود، وبملحمــة اليهود الذين رفضوا العودة الى أوروبا الشرقية بعد المأساة النـازية وقرروا تحمل مشاق الطريق الى فلسطين ، يؤدي المطلوب ...[٢] .

سلام ! سلام ! سلام ! في هذا الخط الطويل العريض ، الاقتصادُ يلعب دوراً لا بأس به . النزاع خسارة كبيرة لاسرائيل وللعرب.الطرفان يكسبان في السلام . خاصة اسرائيل . كيف يمكن أن تكون اسرائيل غـــير محبّة للسلام ؟ اسرائيل تخسر خسارة كبيرة في التجارة والزراعة ، والصناعة ، وفي نفقات الدفاع التي ترهق الدولة والشعب (ولكن – كما يقول البعض – : حذار ! اسرائيل شعباً وجيشاً ستدافع عن نفسهــا .. هذا البعض ليس من الخبراء الاقتصاديين[٣]) فالصهيونيين توزعوا العمل جيداً . وخبراء الاقتصاد مكلفون بتقديم بضاعتهم .

---

(١) بلسان موشه سنيه وآخرين . موشه سنيه استشهد أيضاً بلينين (بصدد الموقف من النزعة القومية البرجوازية مع « نحن أوفياء لعقيدة لينين ») انتقد « القومية الاسرائيلية » و « القومية العربية » الخ. مقال ماير فيلنر يختلف جوهرياً .

(٢) خصوصاً إذا كان صادراً عن أحد مناضلي انتفاضة جيتو فارصوفيا ضد النازيين .

(٣) والقول نفسه قطعة صغيرة في البناء ،

وأحد هؤلاء هو **شاوول زارحي** ، مصدر الفصل الثاني في كتاب الجبهة الشعبية الديمقراطية . مقـال بـ ١٤ صفحة (٤٦٥ – ٤٧٨) تحت عنوان يكشّف المضمون : « أهمية السلام بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي » .

يبدأ المقال بشكوى « موضوعية » « علمية » :

« في اسرائيل يتولى الدخول في المناقشات حول مسألة السلام مع الدول العربية خبراء سياسيون يتخذون المصالح السياسيـة وأمن البلاد كأساس للمناقشة . مع ان لهذه المسألة أيضاً أهمية اقتصادية هي في الغالب[1] أساسية .

هذا الاقتراح ينبع بوضوح من تفحّص **التطور الاقتصادي الاسرائيلي** واتجاهاته الأساسية الحالية » (ص ٤٦٥) .

التطور الاقتصادي الاسرائيلي ! محمد كشلي على الخط . ونحن معه[2] .

« نحو مرحلة جديدة » ٤٦٥ – ٤٦٩ ، «إمكانات التصدير للبلاد المجاورة» ٤٦٩ – ٤٧٤ ، « أهمية التعاون الاقليمي » ٤٧٤ – ٤٧٧ ، النفقات العسكرية و « مشاكل الإدخار الوطني » ٤٧٧ – ٤٧٨ .

الماركسي « الاقتصادي » العربي ينقل ، ينقل بين مزدوجين وحتى بدون مزدوجين . **٣ صفحات** (من أول الصفحـة ٣٠ حتى أواخر الصفحة ٣٢) على سحبة واحدة، مع المزدوجات . ثم **سطران اثنان** من كتاب يوسف صايغ « الاقتصاد الاسرائيلي » مع المزدوجين ، ثم **نصف صفحة** بدون مزدوجين ، ثم من جديد : **صفحتان** لزارحي مع المزدوجين ، ثم ٣/٤ الصفحة من كتاب رفيق مطلق (ص ٣٥)، ثم **أربع صفحات** (من ٣٦ – ٤٠) من زارحي ، مع المزدوجين واحياناً بدونها : حين قرأنا جدول الصادرات الاسرائيلية « المأخوذ من « كتاب الاحصاء الاسرائيلي » لعام ١٩٦٦ » تفاءلنا (تصوّرنا

---

(١) في الأصل الفرنسي : Probablement ، على الأرجح .

(٢) في عرضنا السابق لكتاب محمد كشلي ، تجاهلنا مقالة زارحي إلا بقدر ما ينقلها كشلي وكما نقلها (وبالحقيقة ، لم تكن تحت يدنا) .

انما سنستعيره من الأخ محمد كشلي !) ولكن يبدو اننا أخطأنا : فالجدول أيضاً موجود في مقالة زارحي (ص ٤٧١)، ولكننا نكسب نهائياً تصحيح الخطأ المطبعي (الصادرات الزراعية = ٧٥ بدلاً من ٥٧) .

ما هو الفرق بين زارحي وكشلي ؟

أولاً . الناقل العربي « الماركسي » أضاف ألفاظاً « ماركسية » ظهرت في استنتاجه الأخير (ص ٤٠ – ٤١): « **تحكمه** علاقات السوق الرأسمالية » كتعريف لتبادل تجاري حر ، ... « هذا هو الأساس **المادّي** . . » .

ثانياً . أكّد على الاقتصاد وأعطاه صفة النزعة « الاقتصادية » : أهمل المقدمة الشاكية ، أهمل « نفقات الدفاع » رغم خطورتها في قضية **الادخار** الوطني (ليست « اقتصادية » كفاية ، تذكّر بأشياء غير – « اقتصادية »).

وثالثاً . في حديث الاقتصادي الاسرائيلي ، حول التطور الاقتصادي والأزمة ، أسقط كل الجمل المعدّلة ، الملطّفة التي من شأنها أن تلعب دور « لجام » بالنسبة لخياله « الاقتصادي » الماركسوي الفريد . هكذا على سبيل المثال نقرأ في الصفحة **٣٥ من** كتاب كشلي السطر ١ إلى ٧ :

« لقد خلق الجمود الاقتصادي وضعاً صعباً . ففي عام ١٩٦٦، وفي سوق العمل، بلغت البطالة ٦،٦ بالمائة من مجموع العمال – مقابل ٣،٣ بالمائة في عــام ١٩٦٤ .. ويمكننا أن نلاحظ أن من أهم أسباب الجمود المالي التغيرات العميقة في القوى الأساسية للاقتصاد الاسرائيلي : الانخفاض النسبي والكامل لتدفق رؤوس الأموال . وانخفاض نسبة تزايد السكان » (نفس المصدر – ص ٤٦٨) .

ما معنى هاتين النقطتين اللتين تقطعان التسلسل بين كلمة « عام ١٩٦٤ » وكلمة « يمكننا » . في نقل يمتــد على **صفحة كاملة** من كتاب « حول العفوية والنظرية » ، توازي ما يقرب من صفحة في المصدر الاسرائيلي (هي الصفحة المحددة في « ص ٤٦٨ ») ، هاتان النقطتان قد لا تكونان سوى نقطتين طباعيتين . صحيح أنّه لا يوجد في العلم نقطتان ، بل إمــا ثلاث نقاط أو نقطة واحدة. النقطتان لمجلة « صباح الخير »أو لأدب إحسان عبد القدوس ..

ولكنهما مألوفتان في كتب الجبهة الشعبية الديمقراطية . ربما طباعياً . ولكنْ ليس هنا !

فليقرأ القارىء النص السابق مرة أخرى ، ولكن عليه في هذه المرة أن يستعيض عن النقطتين بما يلي :

« ... في عام ١٩٦٤. هذا الجمود تأثر من غير شك بالسياسة الحكومية التي كانت تهدف الى تضييق التوسع الاقتصادي ، من أجل تخفيف عجز الميزان التجاري وإيقاف التضخم السريع . لقد كان هنالك أيضاً التذبذبات الدورية المعتـــادة في الاقتصاد : مرحلة الجمود بل وحتى مرحلة الانهيار، تعقب مرحلة النمو .ويمكننا أن نلاحظ...» (« من الفكر الصهيوني المعاصر » ، ص ٤٦٨) .

هذه الأشياء« الصغيرة » ـ السياسة الحكومية الرامية إلى معالجة التضخم المالي ، الدورة المعتادة للاقتصاد الرأسمالي ـ لا تفيد« اكتشاف » « الماركسي » المنظـّر . الحصان الجامح يحطـّم اللجام ، مندفعـاً نحو الهدف : « نظرية » العمل الفدائي ضد العفوية . « نظرية » ألفُها وياؤها رفض التصفية الوشيكة الثابتة على الوشاكة .

لا ندري ما هي الهوية الحزبية لشاوول زارحي ، « حامـــل دبلوم في العلوم الاقتصادية من الجامعة العبرية في القدس » . نرجح انه واحد من هؤلاء المابامين أو أشباههم من اليساريين . ولكن لن نفاجأ إذا علمنا أنه متعاطف مع جماعة ماتزبن التي تتعاطف معها الجبهة الشعبية الديمقراطية أو مـع جماعة أوري آفنيري . مطامحه السلمية ـ الاقتصادية أكبر بكثير مما يوحي به ناقله العربي . إنه يفكر بمشاريع تعاون اقليمي من نوع : إرسال بوكسيت تركيا إلى مصر لصنع الألومينيوم بفضل الطاقـة الكهربائية المصرية والخبرة الفنية الاسرائيلية ، وإرسال ملح الماغنيزيوم الاسرائيلي إلى مصر المكهربة(ص ٤٧٦ – ٤٧٧) . وقد يكون زارحي أيضاً « برجوازياً » محبـاً للسلم . في كل الحالات ، انه سهمٌ في حَملة السلم الاسرائيلية قبيل العدوان . ويعتقد الثائر العربي انه أفضل سهم في حملته الحربية . ذلك سلاح يأخذه من الخصم ليقلبه

ضدّ « الخصم » (الآخر) . حجة ad hominem من نوع آخر ، لم يعرفها خطباء روما القديمة ، ولم تدخل في تراث اللغات الاوروبية .

النقطتان اللتان قطعتا الكلام المنقول عن زارحي حول الأزمة كانتا « من البداية » موضع تساؤل لدينا . وهناك أمر صغير آخر كان **ولا يزال** موضع تساؤل لدينا .

بعد تعداد الصادرات الصناعية الاسرائيلية (من غير صادرات الماس) ، قال الكاتب العربي « ان جزءاً كبيراً من هذه الصادرات(٤١٪ منها فقط) » . يصدر للبلاد المتخلفة (ص ٣٩ ، السطر الأول) . استغربنا هذه العبارة : « (٤١٪ منها **فقط**) » التي تأتي بعد « ان جزءاً كبيراً » . لماذا فقط ؟ والحال ، في مقالة زارحي (ص ٤٧١ ، السطر الثالث بعد جدول الصادرات حسب فئات البلدان) نقرأ « أي ما يقارب ٤١٪ ، مما يشكل بلا جدال نسبة مرتفعة . » لا يبدو أن زارحي يستكبر هذه النسبة (ما يقرب من ٤١ ٪) مع أن النسبة الأكبر (٥٩٪) من الصادرات الصناعية من غير الماس تجد مكانها في الدول المتقدمة[1] . هذا اللعب كله لا يفيد أحداً. كل هذا الاقتصاد المبتور ليس ضرورياً لإثبات أن اسرائيل تريد تصفية قضية فلسطين . لا نعارضكم في هذا . نعارضكم في الباقي : اسرائيل تريد أكثر ، تريد التوسّع **الاقليمي** ، الخ ...

إننا نطلب من الأخ محمد كشلي ورفاقه أن يعودوا إلى قراءة مقالة زارحي ، وأن يتأملوا أرقامه وجداوله عن الصادرات ، عسى أن ينتهوا معنا إلى الحقيقة البديهية . خطر التوسّع « الاقتصادي » الاسرائيلي محدود . انه ليس إلا جزءاً من المسألة . التوسُّعُ الاقليمي ، سحقُ الطاقة العسكرية العربية ، الهجرةُ والنمو السكّاني ، الحراسةُ الامبريالية للتجزئة العربية : لها ثقل

(١) بما فيها الاشتراكية كما يقول زارحي .

أكبر في ميزان المشروع الصهيوني العتيد . والدعوة السلمية الاسرائيلية بالذات لا تُفهَم إلا بالارتباط مع هذا ، على أساس هذا ، مساعدة الضرب غير ـ الاقتصادي والاقتصادي ، تقسيم العرب ، النقر على الطبـل لراقصي الرقصة الثورية النظرية الذين بلا دفّ يرقصون .

٦
"العلاقات التجارية"

● هذه العلاقات وخسائرُ العرب واليهود « الاقتصادية » والأخرى .

● من جديد: كيف ينقل المفكر« الماركسي »العربي الثائر الفكر الصهيوني « اليساري » المسالم ؟

● البرجوازية العربية الحاكمة وجيوشها التابعة والتصفية الدائمة .

● وعي العدو وغباء الصديق .

يمتد **الفصل الثالث** وعنوانه « **الاردن وتصفية القضية الفلسطينية** » على ١٨ صفحة (٤٥ ـ ٦٢) . ويتوزّع إلى ثلاث فقرات كبيرة موضوعة تحت العناوين الآتية :

١ . العلاقات التجارية (٤٥ ـ ٥٢) . ٢ . مصالح الرأسمالية الاردنية (٥٢ ـ ٥٨) ٣ . نحْوَ تصفية قضية فلسطين (٥٨ ـ ٦٢) .

إذْ أننا لم ننتهِ بعد من « التطور الاقتصادي لفلسطين » . العنوان الأول يجب أن يكتب كما يلي: **العلاقات التجارية لفلسطين مع الدول العربية حتى**

١٩٤٨ (ص ٤٥ــ٥٠)، مع تعليقات وتعقيبات مناسبة عن التوسع الاقتصادي الاسرائيلي المرتقب بعد التصفية .

عندما أغلقنا الفصل السابق ، «الصهيونية العالمية وتصفية ... » ، توهمنا أننا ودعنا « الفكر الصهيوني المعاصر »في مجال علم الاقتصاد ، وأننا سننتقل الآن تحت عنوان « الاردن وتصفية ... » ، إلى تصريحات الملك حسين و « السياسة » . كلّا ! ننتقل الآن من شاوول زارحي إلى **ميخائيل شيفر** ، صاحب المقال الأخير في مجموعة « من الفكر الصهيوني المعاصر » ، وعنوانه « **نتائج المقاطعة على الاقتصادين العربي والاسرائيلي** » . هذا المقال يقع في المرجع الأصلي في ٤٦ صفحة (٤٧٩ ــ ٥٢٥) . **وهو إذن أكبر حجماً** ثلاث أو أربع مرات من مقال زارحي . لسوء حظنا ، **يبدو أصغر قيمة في** مرآة كشلي النظرية .

عن هذا المقال الصهيوني **الاقتصادي** ــ المسالم ، ينقل الكاتب العربي «الاقتصادي» المحارب جدول ميزان فلسطين التجاري لسنوات ١٩٣٨، **١٩٤٤**، **١٩٤٦** (ص ٤٦) :

	عام ١٩٣٨	عام ١٩٤٤	عام ١٩٤٦
صادرات إلى البلاد العربية « بملايين الجنيهات »	٠،٦	٦،٨	٦،٣
واردات مستوردة من البلاد العربية « بملايين الجنيهات »	٢،٠	١٦،٦	١٧،٠
الميزان التجاري الفلسطيني « بملايين الجنيهات »	١،٤	٩،٨	١٠،٧

ثم يعلق :

« وهكذا كان الميزان التجاري الفلسطيني دائماً لصالح البلاد العربية المجاورة » ، منوهاً بـ« ظروف الحرب العالمية الثانية التي نشّطت التجارة الاقليمية في المنطقة » (ص ٤٦) . « وبعد عام ١٩٤٨ ، وخاصة بعد عام ١٩٦٥ ، حدث تطوّر

معاكس ، إذ ازدادت أهمية السوق العربية بالنسبة لضرورات التوسع الصناعي للرأسمالية اليهودية في فلسطين » (ص ٤٦ - ٤٧) .

يتصوّر الكاتب العربي أنه برهن على شيء . بالحقيقة ، انتقل من تطوّر واقعي (١٩٣٨ - ١٩٤٦) كما يفهمه، إلى تطور « ممكن » («بعد عام ١٩٤٨، وخاصة بعد عام ١٩٦٥ ») تحت **ألفاظ** تنقل الممكن إلى الواقع مثالياً : « **حدث ، تطور ، معاكس** » . وتتوالى التأتأة الفكرية : « إذِ **ازدادت** أهمية السوق العربية » . إذا ازدادت أهمية السوق المذكورة ، لا نرى لماذا « تطور **معاكس** ». أليس هذا« التطور » الممكن (وشبه الواقع عندكشلي) والذي « حدث بعد عام ١٩٤٨ » ، **امتداداً ونمواً** للتطور السابق ، (الذي سجّله كشلي) قبل « عام ١٩٤٨ » ، في فترة ١٩٣٨ - ١٩٤٦ ؟ في منطق كشلي : ليس **معاكساً** أبداً ! وكلمة « **ضرورات** » توازن « حدث تطور » في خليط ما هو كائن وما يمكن أن يكون . هذه **التأتأة** ليس مفروضاً في « جمهور » الشباب « اليساري » القارىء أن يتوقف عندها ، و « ضرورات التوسع **الصناعي للرأسمالية اليهودية** في فلسطين » وظيفتها عند الجمهور وربما عند الكاتب نفسه أن تمنع التوقف . هذا - « الصناعي » ، « للرأسمالية اليهودية » ، « في فلسطين » - = بيار جاليه ، وماركس ، وتحرير فلسطين. والكاتب يردف بين قوسين : «(راجع الجزء الثاني من البحث - الصهيونية وتصفية قضية فلسطين المتعلق بتفاقم الأزمة الاقتصادية في اسرائيل منذ ١٩٦٥)» . ما هو مبرّر هذه المراجعة ؟ في الادراك الاجمالي الغامض ، الغموض يعزّز الغموض .

غير أن فلسطين لها أهمية أخرى : ترانزيت لتجارة الاردن والعراق (ص ٤٧ مع أرقام ١٩٤٦ مأخوذة عن ميخائيل شيفر) . وهذا بالطبع صحيح . وصحيح ما يأتي بعده : بعد عام ١٩٤٨ ، تجارة الاردن والعراق تحوّلت نحو الشواطىء السورية واللبنانية . و « هذان المنفذان يزيدان من نفقات النقل بالنسبة لواردات وصادرات الاردن والعراق . وخليج العقبة

قليل الأهميـة أيضاً لأنه بحاجة لتوظيف رؤوس أموال كثيرة لتحسين مرفأ العقبة والطرق التي تؤدي إليه . أما استخدام الشواطىء السورية واللبنانية فيعود بالفائدة على سوريا ولبنان ، خاصة لبنان » (ص ٤٧ – ٤٨) [1] .
ثم يردّد الكاتب العربي الفكرة نفسها بالألفاظ نفسهـا والمضمون : العراق وخاصة الاردن خاسران. سوريا وخاصة لبنان رابحان مستفيدان . ويستشهد الكاتب بمـا حدث مؤخراً « عندما حاولت الحكومة السورية تنشيط مرفأ طرطوس هذا العام ». زادت الضرائب على شاحنات الترانزيت . « وقدرأينا كيف سارع الاردن بإرسال وفد إلى دمشق لمفاوضة الحكومة السورية حول استثنـاء الفوسفات الاردني المصدَّر من الزيادة في الضرائب » (ص ٤٨) .
هذا البرهان الاضافي ـ النافل ،الزائد – بـ« ما حدث هذا العام» وما«رأينا»، ليس إلا مقدمة تمهّد لاقتراح اسرائيل تصفية قضية فلسطين مقابـل « منح الاردن ثغراً على شاطىء البحر المتوسط »،الذي يُردَف **فوراً** بـ« الماركسية » العلمية الطبقية («ـ طبعاً كجزء من التصفية النهائية للنزاع القائم ـ على حساب شعب فلسطين ولصالح الرأسمالية اليهودية والرأسمالية في الاردن .. »).
ولفلسطين أهمية ثالثة أيضاً ، هـي في موضوع البترول ، « أهم انتـاج عربي تطمع بـه الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية » . (ص ٤٩) . **وهذه** الصيغة صحيحة بالتمام والكمال : البترول أهم **انتاج** عربي تطمع به الامبريالية ... (ولكنه ليس بأي حال **المصلحة** الهامة أو الرئيسية الوحيدة للامبريالية في المنطقة العربيـة (حادثة ١٨٤٠ !) . بين الصواب والخطأ المسافة (اللفظية) ليست كبيرة . وفي الادراك الإجمـالي الغامض suprcrétisme ، ليس لهـذه المسافة وجود . وحين نسجل صواب الصيغة الصحيحة ، فأملًا بأن ينتقل « الماركسيون – اليساريون » ، منظـّرين

---

(١) « خليج العقبة قليل الأهمية » . وقد عاش « اليسار » الانفصالي المتجدّد المتغيّر الجلد على « أهميته » سبع سنوات . كشلي « يرّ » ، يعبر . لأن وظيفته أن يواصل !

وجمهوراً ، من الادراك الاجمالي الغامض إلى التمييز ، من سنّ الرضاعة **الأول** إلى ما بعده .

ويبسط الكاتب العربي هذا الموضوع : البترول وفلسطين، ١٩٣٦؛ ١٩٣٩ ١٩٤١ ، ١٩٤٥ ، نقل البترول عبر فلسطين ، وتكريره في مرفأ حيفا .

« أصبح البترول المكرّر يشكل حوالي ثلثي صادرات فلسطين للدول العربية » عام ١٩٤١ ، نقلاً عن ميخائيل شيفر . (الكاتب العربي يأخذ عن الكاتب الاسرائيلي نتفاً ...) . « بالاضافة الى شبكة أنابيب النفط بين كركوك وحيفا التي ابتدأت عملها عام ١٩٣٦ ، كانت شبكة ثانية في طريقها الى الانتهاء في نيسان ١٩٤٨ » . « أما حالياً فان أربع شبكات تعمل بين كركوك والمتوسط ، ثلاث منها تنتهي في طرابلس بلبنان ، والرابعة في بانياس في سوريا » . « إن استخدام الشبكتين اللتين تنتهيا في حيفا من شأنه ان يزيد حوالي خمس الطاقة الاجمالية لنقل البترول من العراق الى المتوسط بطريق البر ، كذلك لو لم تكن هناك مقاطعة عربية .. لكان بامكان « شركة بترول العراق » أن تقيم شبكة خطوط ثالثة تمر في فلسطين « ربما انطلاقاً من آبار البترول في البصرة في جنوب العراق » .. كذلك فان الشبكة التي تصل بين رأس تنورة في العربية السعودية وبين صيدا في لبنان « التابلاين » كانت انتهت عند حيفا .. يمكن أن تقدر الخسارة السنوية التي ألمت بالعراق على أثر ترك الشبكتين الموصلتين إلى حيفا بـ ٥٠ مليوناً من الدولارات . وهذا الترك يكبد اسرائيل كذلك خسارة فادحة . كان بوسع اسرائيل أن تقبض مبلغ مليون دولار كأتاوة تدفعها شركة بترول العراق . لكن خسائر اسرائيل لا تكاد تذكر بالنسبة لخسائر العراق » (نفس المصدر أي شيفر) » (ص ٥٠ - ٥١) .

هذا كامل الصواب وكامل الوضوح : في النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، في بندَيْ النفط والترانزيت، الرأسمالية العراقية والرأسمالية الأردنية خاسرتان . الرأسمالية السورية والرأسمالية اللبنانية رابحتان .

كلا ! ليس هذه هي النتيجة التي يستنتجها الكاتب « الماركسي » العربي بعد هذا العرض الطويل الممتد على صفحات (٤٧ ـ ٥١ حتى السطر ٧) .

فلنستمع إلى تتمة النص ، التتمة التي تلي **مباشرة** ، دونما فاصل ، هذا « التحليل » ، هذا النقلَ الدائم عن « نفس المصدر » :

« هكذا نجد ان الشركات الاحتكارية المنتشرة في الوطن العربي والرأسمالية العربية التابعة لها تدعم مشاريع تصفية قضية فلسطين ، وذلك لزيادة عائداتها من زيادة التجارة الاقليمية والعالمية عبر الأراضي الفلسطينية » (ص ٥١ ، السطر ٨ إلى ١٢) .

قبل قليل (في الصفحات السابقة ٤٧ ـ ٥١)، خرجنا من الادراك الاجمالي الغامض ، قبضنا على بعض **التمييزات** ، مسكنا بعض **الأشياء** : ترانزيت ، بترول ، أنابيب ، **تجارة البترول** ، سوريا ، لبنان ، اردن ، عراق . الآن نعود بعنف إلى اللون الرمادي العام : الرأسمالية العربية ، التجارة الاقليمية والعالمية .

قبل قليل ، برهنـّا (برهنتَ) بالأشياء والأرقام : سوريا وخاصة لبنان تربح ، تستفيد . والآن « **هكذا نجد** ... » عكسَ ما برهنـّا (ما برهنتَ عليه) ، نجده بلا أشياء ولا أرقام . ويعترينا (تعتريك) الندم على عبورنا (عبورك) العابر لسن الطفولة الأول ـ الأول .

لا أعتقد أن هناك في التاريخ الماركسي حتى « الماركسي » العربي الزائف تناقضاً بهذا الحجم . إلى أي جمهور يتوجّه هذا الفريق من المفكرين والقادة « الماركسيين » ؟ هل هذا الجمهور من نوع يرضى ويطلب : ألفاظ الامبريالية والبترول ، والصهيونية ، والرأسمالية ، وتصفية قضية فلسطين + أية معطيات ، أية أرقام ، حتى إذا كانت « تُخَرْبط » ، « التسلسل » وتفجّر مقولاته اللفظية ؟ إن مسؤولية هؤلاء المفكرين ـ القادة كبيرة . موضوعياً ، عملهم لم يعد ضد التكوين الماركسي وحسب ، بل ضد أبسط أسس التكوين المنطقي للعقل الانساني ، وهي الأسس التي بدونها لا ماركسية ولا من يحزنون ، وبها طريقُ الماركسية مفتوح لملايين الشباب ، لملايين الكادحين ، لجميع المقاومين الفلسطينيين والعرب .

ويتابع الكاتب : « وهي ... » ـ نفضل أن نعود إلى بداية هذه الفقرة حتى لا نقطع « تسلسلها » :

« وهكذا نجد أن الشركات الاحتكارية المنتشرة في الوطـــن العربي والرأسمالية العربية التابعة لهـــا تدعم مشاريع تصفية قضية فلسطين ، وذلك لزيادة عائداتها من زيادة التجارة الاقليمية والعالمية عبر الأراضي الفلسطينية . وهي بذلـــك تلتقي مع الرأسمالية اليهودية في فلسطين التي يهمهـــا تصفية قضية فلسطين لتفتح أمامها السوق العربية الواسعة ، وذلك حتى يصبح بامكانها تنشيط الصناعة اليهودية للخروج من الأزمة الاقتصادية والوضع المتدهور الذي بدأ في اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ » (ص ٥١) .

« هي » في « وهي بذلـك تلتقي » تعود إلى أي اسم ، تنوب عن أي اسم ؟ **لغوياً** ، هـــذا الضمير ينوب عن « الشركات الاحتكارية المنتشرة في الوطن العربي والرأسمالية العربية التابعة لها » . ولكن في ضمير الكاتب ، هذا الضمير ينوب عن « الرأسمالية العربية » . وكأن البـــاقي (الشركات الاحتكارية البترولية وسواها) ليس إلا وسيطاً للمقابلة الأولية والأخيرة بين « الرأسمالية العربية » و« الرأسمالية اليهودية » في المنظور« الطبقي » المزعوم، « الاقتصادي » الأبسط ، الأكثر شهرة وابتذالاً، المتّخَذ في ضمير« الثوار »، أساساً لكل « نظرية » و « لنظرية العمـل الفدائي » رغم أنف « حركة التحرر الوطني » .

ومن الغريب أيضاً أن « تنشيط **الصناعة اليهودية** للخروج من الأزمة..»، هذه الصناعـــة القوية المهدّدة بأن تأكل الأخضر واليابس في السوق العربية المحيطة ، لا تُثير عنـد الكاتب أي تساؤل من نوع : تُرى هذه « الرأسمالية العربية » ، هذه « البرجوازية العربيـة » ، وهذه « البرجوازية ـ الصغيرة » العربية، ألا تخاف على صناعتها العربية وعلى مطامحها التصنيعية من هذا الخطر الصناعي اليهودي ؟ في الفصـــل السابق ، تحدّث الأخ كشلي عن تناقض البرجوازيتين العربيـة واليهودية في ١٩٤٥ — ١٩٤٨ ، وعن قرار المقاطعة العربية . ولكن هذا كله تساوَى في عالم الذاكرة الرمادي. وفي علم النفس، تساوي الأشياء في الذاكرة = النسيان . وفي الماركسية ، تساوي الأشياء في المعرفة = الجهل . (عند غوته وماركس ولينين ، انه « النظرية » **الرمادية** التي تقابلها وتعارضها شجرة الحياة) .

في هذا كله ، نسير على منطق كتاب الجبهة الشعبية الديمقراطية ، نتابعه، نكشف تناقضاته ، ولا سيما تناقض وقائعه الصحيحة مع النتائج الخاطئة والرمادية الرتيبة، نكشف لا ـ تماسكه ، لا ـ تلاحمه . وعلينا أن نتابع على هذا المنوال .

... أخيراً ، أخيراً ، بعد كل هذه العروض الاقتصادية ـ الاقتصادية ، الممتدة على ثلاثين صفحة (٢١ – ٥١) ، « يضيف » الكاتب نقطة اقتصادية ولكنها ـلحسن الحظـ أقل «اقتصادية» ، غير « اقتصادية» بالمعنى الماركسوي المعادي للماركسية . وهي... **نفقات الدفاع** . لنستمع إلى هذا اللحن الجديد:

« يضاف إلى ذلك أن تصفية قضية فلسطين ستتيح للبرجوازية العربية والرأسمالية اليهودية التقليل من نفقات الدفاع التي تخصصها لبناء جيوشها النظامية المحترفة . وعلى سبيل المثال بلغت النسبة المئوية لنفقات الدفاع في الانتاج الوطني العام عام ١٩٦٣ في منطقتنا ما يلي :

ج ٠ ع ٠ م ٠	٨ بالمائة
العراق	٧ بالمائة
سوريا	٨ بالمائة
الأردن	١٤ بالمائة
لبنان	٣ بالمائة
اسرائيل	١٠ بالمائة»(٥١-٥٢).

لن نعلـّق على التوازن اللفظي الدائم بين البرجوازيتين أو الرأسماليتين « في منطقتنا » (الكاتب المعارض للبرجوازيتين ، الأممي المحلـّق فوق الصراع القومي البغيض ، ينظـّر لسائر ماركسيي « منطقتنا » ، للبروليتاريتـَين ، للكدْحائيتـَيْن) . علينا أن ننظر الى هذه « البرجوازية العربية » والى « جيوشها النظامية المحترفة » .

نُدهَشُ حقاً لكون المؤلف قد ساق ـ أخيراً ! ـ هذه « النقطة » !. لأن هذه النقطة هي ضدّ منطقه ، تنسف منطقه من الجذور .

إذا كانت النفقات العسكرية تبلغ هذه النسبة الهائلة : (٨٪ من الانتاج

الوطني العام ، ٨٪ من الناتج القومي الاجمالي ، من الدخل القومي !) يجب أن نقول : التصفية غير وشيكة ، هـذه « الجيوش النظامية المحترفة » الآكلة لِ ٨٪ من الانتاج الوطني العام ، لن تصفّي ، لا تريد التصفية . يجب ان تطمئنّ ، أن لا تدور في دنـيا الكتابة ، شهيداً حياً حاملاً كفنَه على يده (« تصفية » ، « مؤامرة » ، « تصفية » ، « مؤامرة ») . اطمئِن : هذه « الجيوش النظامية المحترفة » المترهّلة المهترئة[1] لن « تصفّي » (لأنها آكلة ٨٪) ، ولن « تحرّر » (لأنها آكلة ومترهّلة ...) . تستطيعون أنتم أن « تحرّروا » ، أن تحرّروا فلسطين أو الكتب والمقالات التي تضع نظرية العمل الفدائي وستراتيجية التحرير الشعبية غير النظـامية ومحترفة التناقض وقصْر النظر .

هذا مدهش حقاً ! أما كان بإمكان محمد كشلي بعد الزلات السابقـة أن يتحاشى هذه الزلة ؟ ألم يشعر ان إدخال هـذه المـادة « المضافة » (نفقات الدفاع ، جيوش الاحتراف) تهدم البناء كله ؟ نقول : محمد كشلي . لأن غيره أكثر ذكاء، ولكنه هو أكثر صدقاً . لم يرَ ممكناً أو مقبولاً تجاهل هذه النقطة (نفقات الدفاع) لا سيما حين يكون موضوعه الاقتصاد ، الاقتصاد ، المال ، حين يكون شغله وهمه خسائر الطرفين (الرأسماليتَيْن العربية واليهودية) في النزاع وربحهما في السلام ، كبرهان على وشاكة التصفية محور « نظرية » العمل الفدائي ، ألف وياء الفكر المقـاوم . غيره يستطيـع ويقبل أن يترك هذه النقطة . محمد كشلي لا يستطيـع . « يضيف » ها ، كذنَب « للعلاقات التجارية » .

يضيفها ، لا سيما وانه هنا أيضاً (على طول الخط) ، ورغم انه لم يذكر « نفس المصدر » ، فانه ينقل « نفس المصدر » : **ميخائيل شيفر** « نتـائج المقاطعة العربية على الاقتصادين العربي والاسرائيلي »، خاتمة « الفكر الصهيوني

---

(١) ألفاظ جريدة « الحرية » بما فيها مقالات كشلي في الحرية ...

المعاصر » اليساري ـ المسالم . ويبدو نقلُ كشلي خاتمةَ الفكر « الماركسي » المقاوِم في هذا المجال الاقتصادي . أما نحن **فننقل** هنا ـ على سبيل الخاتمة ـ خاتمة ـ الخاتمة ، الجدول الأخير ، الجدول الوحيد في القسم الأخير من مقالة ميخائيل شيفر (« **خلاصات** ») ، الجدول الذي **يلخّص** « الخسائر التي يسببها الخلاف الاسرائيلي ـ العربي سنة ١٩٦٣ » (كتاب من الفكر الصهيوني المعاصر ، ص ٥٢٢) .

الخسائر (بملايين الدولارات)

	في الاقتصاد العربي	في الاقتصاد الاسرائيلي
موازنة الدفاع :	٣٠٠	١٣٥
غياب العلاقات التجارية:	١٨	١٨
عدم استخدام أنابيب بترول «شركة نفط العراق» التي تنتهي في حيفا :	٤٠	١
	٣٥٨	١٥٤

نترك للأخ محمد كشلي أن يقدّر عمق الهوّة التي يتدهور فيها منطقه « الاقتصادي »! ثلاثون صفحة عن التطور الاقتصادي ، والأزمة ، والخسائر في العلاقات التجارية والترانزيت الخ كدليل على وشاكة التصفية ، ثم إضافة مستعجلة عن « نفقات الدفاع » . نقل يتواصل على امتداد ٢١ صفحة لزارحي وشيفر (بعد مذكرة الحكومة البريطانية: على امتداد عشر صفحات) ، ثم يقف دون هذا الجدول الأخير ـ الأخير ، الخلاصة ـ الخاتمة ، لكل موضوع الاقتصاد والسلام ، الموضوع العزيز على المسالمَيْن اليهوديَّيْن وعلى ناقلهما العربي المحارب .

مع أن هذا الجدول يكشف أن خسارة « البرجوازية العربية » ، إذا كانت باهظة في مضمار التجارة والترانزيت ونقل النفط (استحقت كل هذه الصفحات السابقة) ، فإن خسارة هذه « البرجوازية العربية » أكبر

ست مرات ($\frac{٣٠٠}{٤٨}$ = ٦,٠٠) في مضمار « نفقات الدفاع » .

« نظرياً » ، نفقات الدفـاع ليست ميداناً « اقتصادياً » صافياً كميدان ألفـــاظ « البرجوازية » و « التطور الرأسمالي » أو « الاحتكارات » أو « الامبريالية » (« امبرياليتـ » كم ، الامبريالية كما تفهمونها . دون مستوى بياتاكوف بكثير) ، أو كميدان وقائع وأرقام الترانزيت وما شابه .

يتصور محمد كشلي أنه تصافى مع هذه النقطة — نفقات الدفـاع — إذْ « أضاف » جدولاً عن نسبتها من الانتاج الوطني الخام . هل ُصفّيت النقطة بهذه الإضافة، بهذا الجدول، في أعين « الجمهور » « اليساري » ؟ هذا يتوقف على أفراده ، على مستوى القارىء « اليساري » ، معرفته أو عدم معرفتـه لمعنى عبارة من نوع « الانتاج الوطني العام »[1] ، قدرته العقلية (ذكائه) على طرح تساؤل من نوع : **تلك** الخسارة في الترانزيت ونقل البترول وغياب العلاقات التجارية التي كرّس لها الكاتب الصفحات الطوال (عنوان الموضوع كله بما فيه « الاضافة » عن نفقات الدفاع هو : « العلاقات التجارية ») هل هي ، يا ترى ، أكبر من هذه الخسارة في مضمار « نفقات الدفـاع » والبالغة ٨ ٪ من الانتاج الوطني العام ؟

أما نحن فإن واجبنا هو كشف هذه التناقضات ، تثقيف وتربية القارىء على القراءة البطيئة المتأنيـــة التي تكشف تناقضات الفكر « المخيّل » على حصان العسْف ، التي تكشف تعارض هذه « الاقتصادية » كلها مع الماركسية ومع العقل السليم .

أما محمد كشلي فلم ُيصَفّ أبداً هذه النقطة ـ نفقـــات الدفاع — ، لم

---

(١) لعلـّه مثلاً يتصوّر أن « الانتاج الوطني العـــام » (الناتج القومي الاجمالي) هو ميزانية الدولة !! فتكون الخسارة الناجمة عن نفقات الدفاع ٨٪ والخسارات الأخرى(تجارة، ترانزيت ، أنابيب) لعلها تبلغ ٣٠٪ من هذا الانتاج ـ العام ـ ميزانية الدولة !! كل شيء ممكن في العقل « اليساري » الاجمالي .

يتصاف معها (il n'est pas quitte) ومع الواقع .

مرة أخيرة نقرأ ويقرأ معنا مقطعه الأخير الذي يقدّم جدوله . بعد أن اطّلع واطّلَعْنا على جدوله وجدولنا ، يستطيع أن يجيب على سؤالنا .

فلنقرأ مقطعَك هذا :

« يضاف الى ذلك أن تصفية قضية فلسطين ستتيح للبرجوازية العربية والرأسمالية اليهودية التقليل من نفقات الدفاع التي تخصصها لبناء جيوشها النظامية المحترفة . وعلى سبيل المثال ...(١) » (ص ٥١) .

ولنقرأ سؤالنا :

« على سبيل المثــال »، من يحكم في ج. ع. م. ، العراق ، سوريا ، وفي بعض الدول العربية الاخرى : « البرجوازية العربية » أم « جيوشها النظامية المحترفة » ؟؟ وفي كم بلد عربي ، الجيوش النظامية المحترفة هي « جيوشها »، جيوش « البرجوازية العربية »؟ هل تخلـّيتم عن مقولتكم المفضّلة ـ« البرجوازية ـ الصغيرة » ؟ ، هل تخلّيتم عن اقنومكم اللاهوتي هذا وظلـّه على الأرض : الأنظمة العسكرية العربية ، الجيوش وحكم الجيوش ؟

بالأصل ، إن أقنومكم « الطبقي » المذكور خاطىء لأنه أقنوم ، ولأن الجيش ، ودورَهُ ، الثورةَ العسكرية ، الحكمَ العسكري البرجوازي — الصغير ، ليس في لاهوتكم سوى الظلّ .

وها نحن نرى الآن ان حتى هذه الطبقة الوسيطة ـ الأقنوم ضاق بها ذرعاً لاهوتكم « الطبقي » ، فعُدْتم بخفّي حنين إلى ثنائية « عمال ـ برجوازية » مكيّفة عربياً .

مرة أخرى : مَنِ الحاكم ، « البرجوازية العربية » أم « الجيوش النظامية المحترفة» في سلسلة الدول العربية الرئيسية التي لا تفتأون تسمّونها «برجوازية ـ

---

(١) نعم « على سبيل المثال » ! مع أن الجدول شمل : ج. ع. م.، العراق ، سوريا، الاردن ، لبنان ، اسرائيل . اكتفى بهذا « المثال » ، بهذا الجدول ، وترك الجدول الآخر المقارن لبنــود الخسارات .

صغيرة » ؟ (هل هـذه « الجيوش النظامية المحترفة » هي « جيوشها » ، « جيوش البرجوازية العربية » ، أم ان البرجوازية ـ **الصغيرة** ـ الحاكمة هي برجوازيتها ـ الصغيرة ، البرجوازية ـ الصغيرة لهذه الجيوش ؟ أم كلاهما ؟) .

إن « الفكر الصهيوني المعاصر » ، اليساري ـ المسالم وشبه ـ « الماركسي » يتوجه إلى العرب (والى اليساريين العرب) فيقول تلميحاً وتصريحاً : هـذه المسألة الفلسطينية ، هذا النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، هو الذي سمح بتضخم الجيوش المحترفة ، كان الذريعـة لهذه النفقات التي ترهق الادخار والتراكم . السلام يفسح المجال للانماء الاقتصادي ، للتصنيع ، للمشاريع الاقتصادية العظيمة ، ويفسح المجال لنمو قوى التقدّم ، للصراع الطبقي ، داخل المجتمعين ، داخل أقطار « منطقتنا » .

ولكننا نشك في أن اليسار الصهيوني شبه ـ « الماركسي » يصل إلى حد القول : « جيوشهـا » ، جيوش **البرجوازية** العربيـة . « اليسار » العربي الكاريكاتوري فعلاً يصل إلى هذا الحد ويتجاوزه . يتجاوز كل الحـدود في برهانه على وشاكة التصفية ، البرجوازية تصبح هي الحاكمة ، والجيوش تصبح جيوشها الخاضعة . والبرجوازية الحاكمـة تريد « التقليل من نفقات الدفاع » التي تبني بها « جيوشها النظامية المحترفة » .

ورغم الفرق بين سلميّة الأول (« اليسار » الاسرائيلي « الاقتصادي ») وحربيّة الثاني (« اليسار » العربي « الاقتصـادي » الكاريكاتوري) ، فإن في **هذا** الفرق **ذاته** قاسماً مشتركاً هو : صرف الجيوش العربية « النظامية المحترفة » . الأول (اليهودي) يصرفها من أجل السلام والادخـار والبناء الاقتصادي . الثاني (العربي) يصرفها من أجل « حرب التحرير الشعبية » المنبثقة من أحشاء العمل الفدائي المنظّر على هذا النحو ضد « العفوية » .

كلاهما يصرفها . والفرق ، في المآل الموضوعي ، لا يعود فرقاً . عندما سنصرف جيوشنا النظامية المحترفة ، سنصرف قضية فلسطين أيضاً (التصفية الأكيدة لا الوشيكة وحسب !) ، ووجودَنا القومي العربي . العملُ الفدائي

« يذهب في الطحشة » ، « يؤخذ كفرق 'عملة » . هذا ما تؤول اليه بصورة عفوية « نظرية' » العمل الفدائي « المعادية (!) للعفوية » .

زارحي ، شيفر ، الخ (بعد مجلة نيوزويك)، إن إحدى النتائج الضارة لمنطق الجبهة الشعبية الديمقراطية أنها تظهر العدو بمظهر الغباء ، 'تلبسه غباءها ذاته . إن وعي العدو ــ الامبرياليـــة ، الصهيونية ــ وعيَه العملي ، 'يخفّـض عندها إلى مرتبـــة وعي « اقتصادي » : البترول (والبترول بالغ الشأن ، « أهم انتاج عربي » ونيّف) ، والأزمة الاقتصادية الاسرائيلية (وهي أقل شأناً بكثير) كمسببِ العدوان ، والسلام المِلاحي ــ التجاري ــ الانمـــائي كهدف للامبريالية وتشخيص لنواياها وخططها وأعمالها .

والحال، إن وعي العدو ليس هذا الوعي « الاقتصادي »، وهو يستوعب ما هو أكثر من « الناحية الاقتصادية » ولا يبترها، يستوعب فعلاً «السياسة»، « العالم »، أهمية« المنطقة العربية » في الهيمنة العالمية ، أهمية التجزؤ العربي، أهمية مصر .

لقد ذكرنا بالمرستون ، شافتسبري ، جريدة تايمز ، بانرمـــان ووثيقته . وتصريحات هرزل ، وايزمان ، تشرشل ، بن غوريون ، معروفة .

ولكن ما دام الناقل العربي يقصفنا بوابل من زارحي ، شيفر ، حول الزمن الحاضر وحرب حزيران ، فإننا سنذكر له **بعض** التصريحات الصادرة عمّن هم أهمّ ــ بقدر لا بأس بـــه (!) ــ من زارحي ، شيفر ، واضرابهما وأضرابه ، تصريحات تتصل بالزمن الحاضر وبحرب حزيران . عسى أن يجد فيها عقلَ العدو غيرَ « الاقتصادي »،الفعليَ، العمليَ،وغباءَه هو « الاقتصاديَ» « النظريَ » .

أولاً. فترة قيام دولة اسرائيل.فيما يلي تصريحصادر عن **ناحوم غولدمان،** رئيس المؤتمر اليهودي العالمي (في خطاب ألقاه أمام المؤتمر اليهودي الكنَدي في أيار ١٩٤٧) :

«خلال إحدى محادثاتي في الصيف الماضي مع المستر بيفن [وزير خارجية بريطانيا] ، قال لي : « أتعلم ، يا دكتور ، ماذا أنت تطلب مني حين تريد أن أقيم دولة يهودية ؟ انك تطلب مني أن أضع في أيديكم مفاتيح المنطقة الستراتيجية الأكثر أهمية في العالم . ألا تسمح لي بأن أفكر جدياً في الموضوع قبل أن أسلمكم هذه المفاتيح ؟ » .

ومضى غولدمان يقول :

« فلسطين هي اليوم مركز الستراتيجة والقوة العالمية ، وإن رجال الدولة الذين يهتمون الآن بالصهيونية يفكرون هكذا ... حين يفكر رجلُ دولة أو سياسيٌ بالصهيونية اليوم ، فهو لا يفكر على طريقة الأنبيـــاء والوعّاظ والمثاليين والشعراء . بَلْ يفكر ... في حدود ومفردات باللغة الواقعية ، في حدود ومفردات بترول ودولة يهودية في فلسطين وشرق أوسط وروسيا واميركا » .

ومن المعروف أن بيفن (بعد « التفكير الجدي ») **رضي** بتسليم المفاتيح. رغم سخافات ناثان فاينشتوك ـ من جماعة ماتزبن ـ في العدد عشرين من مجلة بارتيزان partisans (نيسان ـ ايار ١٩٦٥) وبشكل خاص في الصفحة ٢١ والصفحة ٢٥ من هذا العدد:« كلا لم يكن شغل الانكليز **الأساسي** النضال ضد تغلغل الرأسمال الاميركي » . كلا : حرب ١٩٤٨ الاسرائيلية لم تكن « نضالاً معادياً للاستعمار البريطاني وحلفائه الاقطاعيين ». وجلال صادق العظم ـ أحد رواد ومعلمي الجبهة الشعبية الديمقراطية ـ مخطىء حين ينتهي إلى الثنـاء على « مقدمات » فاينشتوك« الصحيحة » و« منهجه السليم في التحليل »(دراسات عربية ، بيروت ، عدد يناير ١٩٧٠ ، ص ٢٩) [1] .

ننتقل الآن إلى زمن حرب حزيران : ما قبلها وما بعدها .

---

(١) أفكار هذا الجزء المثقّف والمصفّى من « اليسار » الكاريكاتوري - جلال العظم - تدخل في موضوع الكتاب الثالث والأخير من « نقد الفكر المقاوم ».

ثانياً . في أوائل ١٩٦٧ ، حين أصدرت بريطانيا كتاباً أبيض أعلنت فيه مراحل انسحابها العسكري من منطقة شرقي السويس ، طار **آبا إيبان** وزير خارجية اسرائيل إلى لندن . لأي غرض ؟

هذا مـــا يتّضح من حديث أدلى به ، قبل سفره ، الى مجلة « مراقب الشرق الأوسط » الصادرة في باريس ، وهي الطبعة الفرنسية لمجلة « المراقب اليهودي » Jewish Observer الصادرة في لندن على يد جون وديفيد كيمشه وهما أشهر بقليل (!!) من زارحي وشيفر. سألته الصحيفة الصهيونية الكبرى : ما هي العواقب المترتبة على انسحاب القوات البريطانية من عدن وجنوبي جزيرة العرب في عام ١٩٦٨ ؟ فأجاب :

« ... هذا أمر يتوقف على مـــا سيُفْعل في الفترة التي ستسبق الجلاء [وهي فترة قصيرة جداً !]. اسرائيل ليست جاراً قريباً للجنوب العربي، ولكن أهدافنا ومبادئنا تنطبق على كل الشرق الأوسط . إن مبدأنا الجوهري هو احترام سيادة الأمم . نحن ضد كل سيطرة ، ضد كل استعمار ـ جديد . إن واقع ان سكان عدن والجنوب ذوو لغة عربية لا يعطي في رأينا أي حق عليهم للقطر العربي الأهمّ . باختصار ، نرى من الواجب أن تُترك شعوب عدن وجنوبي الجزيرة تقرّر بحرية مستقبلها ومؤسساتها وعلاقاتهـــا مع دول الشرق الأوسط ومع الخارج ، فنحن نؤمن بالاستقلال الوطني وليس بالانتقال من هيمنة إلى اخرى » .

استقلال وسيادة « الأمم » . ضد هيمنة وتسلـّط «القطر العربي الأهم» ، ضد « استعماره الجديد » [١] . هذا لا يحتاج إلى ايضاح .

وفي ٢١ شباط ١٩٦٧ , ألقى **ايبان** خطاباً في لندن قال فيه :

« إن مصير وقدَر هذه المنطقة من العالم ليس التمركز centralisation ،

---

(١) وكأننا نسمع أصوات شيوعيي ١٩٦٠ - ١٩٦٣ ، في سوريا ولبنان والعراق... (جريدة « النداء » اللبنانية قريبة منكم . هذا هو « اليسار » الأوّل !) .

بالعكس انه الاستقلال القومي والتنوّع . الجابهة ليست بين « العالم العربي » وإسرائيل ، بل بين الذين يريدون إقامة هيمنتهم على الدول العربية الاخرى والذين يقاومون هذه المحاولة » .

إن استراتيجية الامبريالية والصهيونية ، استراتيجية العدو الحقيقية غير الاقتصادَوِيّة وغير الطبْقَوِيّة ، بل المادية فعلاً والتاريخية فعلاً ، هي تركيز العمل ضد كل محاولة وحدوية وضد العنصر الرئيسي في هذا التوحيد .

منذ ٢٨ نيسان ١٩٦٦ ، أجاب الكولونيل **مور دخاي هود** ، القائد الجديد لقوات الجو الاسرائيلية (هـذا الجزء من « الأداة القمعية للرأسمالية اليهودية » كما يقول كشلي وحواتمه) ، أجاب على سؤال حول نيّته في الدفاع عن مدينة تل أبيب ، بقوله : « الآن ، إذ أصبحت المسافات قصيرة إلى هذا الحدّ ، ليس هناك سوى رد واحد : الانقضاض على القاهرة » (نفس المجلة : « مراقب الشرق الأوسط ») . — ويستنتج القارىء « اليساري » «المحارب» من مثل هـذا التصريح ان اسرائيل لن **تبدأ** هي الحرب ، فهي تريد السلام والتعايش ، أما «نحن» فنريد الحرب ، حرب التحرير ، عبد الناصر لا يريد، **إذن** لن تكون هناك حرب ، لن يكون هناك انقضاض على القاهرة . بتعبير آخر : هـذا القارىء « اليساري » « قوّتـه » في حماقته — . وقد أشارت « لوموند » الفرنسية (٢١ / ٥ / ١٩٦٦ ، وأعداد اخرى) إلى هذا الاتجاه الأساسي : الانقضاض على مصر ، على مطاراتها .

ثالثاً . الآن . في ٩ يناير ١٩٧٠ ، كتب آلان غينه Alain Guinée في جريدة « أنباء اسرائيل » الصادرة في اسرائيل باللغة الفرنسية :

« على الصعيد العسكري ، إن تظاهرات القوة التي أعطتها قواتنـا باتت الآن في حقيقتها كما هي تظهر في أعين الجميع . إن غارات القصف التي يقوم بها طيراننا في دلتا النيل لا بدّ أن تُظهر حقيقتهـا في أعين الجماهير المصرية والعربية أيضاً . وعلى أي حال ، فإن مراقبين كثيرين يعتقدون ان باستطاعة اسرائيل الآن أن تشدّد ضغطها على كافة الجبهـات ، مستفيدة من القلق

والضيـاع الناجمين عن فشل مؤتمر الرباط وقبل التكوّن المحتمل لجبهة فعلية موحدة بين مصر وليبيـا والسودان . إن كل ما يُضعف هيبة عبد الناصر لا يمكن إلا أن يجعل تكوّن هذه الجبهة أصعب وأن يزيد انقسام العـالم العربي أكثر فأكثر » [1] .

هـذه ليست سوى **نماذج** . إذا كانت الجبهة الشعبية الديمقراطية ؛ رغم امتداداتهـا في العالم (بين الطلاب العرب في اوروبا ، أو جماعة ماتزبن في اسرائيل) ، لا تستطيع الحصول على المصادر الأصلية ، وإذا كانت لا تقبل مصدرنا ، فما عليهـا إلا أن تكتفي بالنماذج الاخرى ، الأقرب تناولاً ، « المدرسية » (على سبيل المثال كتب التـاريخ والمجتمع المدرّسة في المدارس الثانوية في سوريا) . فيها ما يكفي ويزيد !

الغباء ليس صفة العدو ، بل الصديق ، لا سيا إذا أصبح ماركسوياً !

---

(١) نقلاً عن مجلة « دراسات عربية » ، باللغة الفرنسية ، باريس ، العدد ٢-١٩٧٠ . مقال لطف الله سليمان : « الثورة العربية والحرب » : « ... إن حرب العرب ستكون وحدوية أو لن تكون ، وهذه الوحدة ستتحقق مع مصر أو لن تتحقق . تلك هي حدود المعادلة المطلوب من المجتمع العربي حلّها . في الصحو وليس في الثرثرة . في الوقائع وليس في إعلانات النوايا » .

٧
"مصالح الرأسمالية الأردنية" و "التصفية الدائمة"

- تقييم هذه المصالح دون تحليل مواقف اسرائيل وأحزابها وطبقاتها .
- من الفكر الصهيوني المسالم الى تصريحات الملك حسين .

تحت عنوان « مصالح الرأسمالية الاردنية » ، يقول الكاتب :

« هكذا نرى أن الرأسمالية العربية التابعة لرؤوس الأموال الأجنبية « بما في ذلك الرأسمالية في الاردن » تخسر من جراء إغلاق السوق الفلسطينية ، ومن جراء عدم استعمالها للشواطىء الفلسطينية في واردات الترانزيت وفي تسويق صادراتها ونفطها الى الأسواق العالمية » (ص ٥٢) .

بعد الحالة العامة (الرأسمالية العربية) ، الحالة الخاصة (« بما في ذلك الرأسمالية في الاردن »). « نفقات الدفاع » ضاعت نهائياً . اختلاف الرابح والخاسر في«عدم استعمال الشواطىء الفلسطينية» ، « ترانزيتاً » و«صادراتٍ» و « نفطاً » ، طار من قبل . الآن نمضي من العام إلى الخاص ، من القاعدة إلى المثال الذي يؤكدها ويبسطها . خصوصية الخاص هي في هذا التأكيد والبسط والإنماء .

« لكن أهمية فلسطين بالنسبة للاقتصاد الاردني بالذات لا تقتصر على دور فلسطين في التبادل التجاري الاقليمي والعالمي . ذلك انه بعد عام ١٩٤٨ ، وبعد تأسيس

المملكة الاردنية على أنقاض جزء من فلسطين ، أصبح للضفة الغربية لنهر الاردن دور كبير في البناء الاقتصادي للمملكة الاردنية الهاشمية ، وذلك لأن الاراضي الفلسطينية التي ضمت للاردن هي أخصب أراضيه وفيها من الآثار والمقدسات الدينية مما يجعلها مورداً زراعياً وسياسياً أساسياً للمملكة الاردنية » (ص ٥٢) .

ويتابع الكاتب العربي : الضفة الغربية منطقة زراعية خصبة (أرقام) ، وصناعتها « ضئيلة نسبياً » وتقتصر على الخدمات (كهرباء ، مياه) و « صناعات زراعية تعتمد على الانتاج المحلي » يعددها الكاتب : « زيت ، صابون ، معلبات [..] ، خشب الزيتون ، وبعض الصناعات الاستهلاكية البسيطة . **أما المشاريع الصناعية الكبيرة في الاردن فمعظمها في الضفة الشرقية »** (ص ٥٣) .

بيار جاليه ، نهب العالم الثالث ، آلية استغلال الصناعي المتقدم للزراعي والسياحي المتأخر ، داخل المملكة الاردنية الهاشمة بين الضفة الشرقية (جماعة غلوب باشا) والضفة الغربية (الثورة الفلسطينية). هذا تطبيق فذّ أصيل ، محلّي فعلاً ، عياني « ملموس » لقوانين الاقتصاد العالمي. إسرائيل ، الصهيونية ، الامبريالية نفسها ، ليست في الميدان ، في ساحة « النظرية » ، إلا كتأكيد على « التصفية » .

بعد أن عرفنا الصناعة الكبيرة [1] والصناعة الصغيرة وصناعة الخدمات والزراعة والسياحة ، نعود مرة أخرى إلى السياحة :

« ومن أهم الموارد الاقتصادية في الاردن السياحة التي تتركز بشكل رئيسي على الضفة الغربية . وقد بلغ عدد الزائرين سنة ١٩٦٤ : ٣٨٧،٣٤٣ وقدر دخل الاردن عن طريق السياحة عام ١٩٦٤ بسبعة ملايين دينار . وقد ازداد الرقم عن ذلك كثيراً في السنتين الماضيتين .. وتضم القدس العربية كل المدينة القديمة . وفيها مقدسات الديانات الثلاث كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة وحائط المبكى وكنيسة

---

(١) مناجم الفوسفات تقع فعلاً في الضفة الشرقية . وهذه « الصناعة » الاستخراجية موجهة نحو التصدير ، انها ، في مواجهة الصناعة الزراعية « المحلية » للضفة الغربية ، صناعة « عالمية » (بيار جاليه بدون تطبيق فذ أصيل !) .

القيامة وجبـــل الزيتون وحديقة الجسمانية . وبالقرب منها مطار حديث . ويأتي لزيارتها آلاف السياح كل سنة من مختلف أقطار العالم (١) ».

على **هذا** ، نعم على هـــذه المعلومات الفذة التي تثير مجادلات التقدميين والعرب عموماً ، والتي لا يعترف بها الملكُ حسين ، أو ربما حَمَلَةُ « العفوية في العمل الفدائي » — لا ندري — ، على هذه المعلومات — « المسجد الأقصى وقبة الصخرة ... وحديقة الجسمانية — يستشهد الكاتب الماركسي بمرجع ، يحيلنا إلى مرجع ، وإلى مرجع ليس ككل المراجع : « (١) مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، **نشرة خاصة** رقم ١٦ معلومات عن الضفة الغربية ص ١ و ٢ » . **هذا ما يسمَّى إسناد النصوص والشواهد !**

« لكن الحكم الاردني والبرجوازية الاردنية وقد كسبوا الأرض الزراعية ومراكز السياحة في الضفة الغربيـــة نتيجة لحرب ١٩٤٨ ، عادوا فخسروها نتيجة لحرب ١٩٦٧ . ولذلك فمع استعداد الحكم الاردني والبرجوازية الاردنيـــة لتصفية قضية فلسطين ، فهم حريصون في نفس الوقت على استرجاع ما يمكن استرجاعه من الضفة الغربية . وهكذا رأينا كيف أبرزت البرجوازية الاردنية قضية القدس ، بعد حرب ١٩٦٧ ، وكأنها محور للقضية الفلسطينية . وهكذا رأينا الحكم الاردني يقوم بعملية مدّ وجزر مع العمل الفدائي محاولاً إبقـــاء العمل الفدائي وسيلة ضغط على حكومة اسرائيل ، لكن ضمن حدود التحرّك الاردني الرسمي الهادف لتصفية قضية فلسطين ، واسترجاع ما يمكن استرجاعهمن الضفة الغربية الى السيطرة الاردنية » (ص٥٣-٥٤)

١) البرجوازية الاردنية أمالشرق ـ أردنية؟ هذه « البرجوازية الاردنية » تتردّد تحت قلم الكاتب في هذا القسم وغيره . ولكن لا يأتي على بالِ المنظّر أن يحدّد . لماذا ؟

« البرجوازية الاردنية » التي « **كسبت** الأرض الزراعية ومراكز السياحة في الضفة الغربية » لا يمكن أن تكون بحكم التعريف سوى « البرجوازية الشرق — أردنية » . — بالطبع نحن نسير مع منطق المنظّر وأقانيمه ؛ وما دام قد ذكر أن فلسطين انشطرت وأن مملكة اردنية قامت من ضفتي الاردن بضم واحدة إلى الاخرى... عليه أن يحدد ! — « البرجوازية الاردنية » التي «كسبت » « ... الضفة الغربية »هي البرجوازية الشرق ـ اردنيـــة . وهذا

نتيجتُه اللازمة أن هناك برجوازية **خسرت** هي البرجوازية الغرب ـ اردنية . كانت هي الطبقة المسيطرة في « الضفة الغربيـة » ، إلى أن كسبت الاخرى هذه الضفة في ١٩٤٨ .

البرجوازية التي كسبت ... هي إذن البرجوازية الشرق – اردنية ،ولكن البرجوازية التي تدينهـا « النظرية » هي برجوازية الضفتين . ويفهم القارىء الآن (والمنظـّر نفسه) لماذا يعتمد « المنظـّر » لفظ «البرجوازية الاردنية» . لأنه يمـكن أن يحمل المعنيين المختلفين ، المعنى الذي بفضله يُحقـّق الغرضين في آن واحـــد : غرض ادانة ضم الضفة الغربية إلى الاردن [١] ، تحكـّم واستغلال الضفة الشرقية (أو برجوازيتها) بالضفة الغربية . وغرض إدانة « البرجوازية » بشطريها . والحـال ، « البرجوازيةُ العربية » في « المجتمع العربي مدانة ٌ سلفاً ونهائياً ، قبل وصولكم إلى هـــذا المقطع الاردني . فلا فائدة من عملية اعتمادكم لفظاً واحداً لمدلولين اثنين،سوى انكم بذلك تكشفون، بعد مناقضتكم لمبدأ التلاحم والترابط والتسلسل في الاستدلال ، مناقضتكم لمبدأ الهوية أول مبادىء المنطق الشكلي الصوري (أرسطو) . ولكنكم قطعاً ضد هذه « الشكليات » تحلقون في سماء الديالكتيك الطبقي .

٢) ان يكون « الحكم الاردني والبرجوازية الاردنية » مستعدداً للتسوية والسلام ، فهذا أمر لا جدال فيه . ان يكون هنـاك اناسٌ – من التقدميين أيضاً ، في الوطن العربي وخارجه – واهمون محبـُّون للسلام ، يؤمنون بأن ثمة سلماً وطيداً دائمـاً يمكن أن يسود منطقة الشرق الأوسط البالغة الخطورة (كما أسلفنـا) على أساس التسوية بين الغازي والمغزو ، ان يكون ثمة اناس واهمون حالمون ، نسوا عصر الامبريالية والنازية والصهيونية والأميركية المنفلتة من عقالها ، فهذا أمر نحن لا نشك فيه ...

---

(١) بشكل غير واضح وغير محدد ، ولكنه يذكـّر بحديث فريق كبير من الصهيونيين ولا سيما الصهيونيين « اليساريين » .

أما أن تُتـْرك صيغة « **ما يمكن استرجاعه** من الضفة الغربية » التي وردت مرتين في سبعة سطور والتي سترد أيضاً فيما بعد ، دون تحديد ، فهذا أمر ندينه ونشجبه. ندينه ونشجبه لأننا، إذ نصل معكم إلى القضايا«الساخنة »[1]، لا يعود بوسعنا أن نغفر خطأ كهذا ، مـــع نسْبنا إياه إلى الإدراك الاجمالي الغامض ، إلى الطفولة الأولى في المعرفة . واما « إبراز البرجوازية الاردنية قضيةَ القدس »، فمن شأنه أن يعزّز الإدانة . والسؤال : **هل القدس الدينية السياحية هي في عداد « ما يمكن استرجاعه » ، حسب رأيكم** ؟ واننـــا إذْ ندين كلياً عملية المد والجزر مع العمل الفدائي ، نُدين في آن واحـــد منهج « التسخين » « الاجمـــالي » القائم على نظرية وشاكة التصفية التي لا تُربِـك نفسها بما يمكن وما لا يمكن استرجاعه .

٣) أمـــا أن القدس ليست محور القضية الفلسطينية فهذا شيء . وشيء آخر أن تفقد القدس التي « فيهـــا مقدسات الديانات الثلاث » كما اكتشفتم وكشفتم في النشرة الخاصة رقم ١٦ لمركز الأبحـــاث ، كلّ قيمة **خاصة** . إن هـــذه النظرية « **العامة** » حول قضية فلسطين تقود إلى نظرة خاصة من نوع النظرة الصادرة عن الجبهة الشعبية الديمقراطية بمناسبة حريق المسجد الأقصى، حيث نقرأ في أسفل البيان الجداري الصادر في النصف الثاني من آب ١٩٦٩، والحامل الترويسة الآتية : « قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني ، تصريح الناطق العسكري رقم ٥٦٥ ، ... رقم ٥٩٢ ، **الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين** ، عمليات رقم ١٣٤ ، عمليات رقم ١٣٥ » . نقرأ :

« إن حريق المسجد الاقصى [...] ثم مـــا رافق العملية من نفي مفتعل للحادث من قبل الدوائر الصهيونية في محاولة لتبرئة نفسها من مسؤوليتها تجاه كافة الممتلكات العربية داخل الأرض المحتلة تمهد لمواصلة تهويد هذه الممتلكات [...] ثم ما رافق هذه من ضجة مفتعلة أيضاً ذات طابع ديني صارخ فقط ، كل ذلك إنمـــا يعكس بشكل خبيث ومفتعل محاولات كافة القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية لتحويل الصراع

---

(١) والتعبير من مفرداتكم .

التحرري الدائر [... بقية الجملة لا تقول : تحويل الى مـــاذا ؟ ولكن الجواب في الفقرة التالية :] .

إن الفصائل التقدمية والوطنية الشريفة في حركة المقاومة الفلسطينية ترفض بشكل جذري وشامل محاولة تحويل نضالها الى مجرد صراعات دينيـــة [...] [ثم الشعار بأحرف بارزة سوداء] اليقظة تجاه تشويهات الرجعية العربية والصهيونية لنضال شعبنا ».

يبدو أن الجبهة الشعبية الديمقراطية في عملها « الملموس » انطلاقاً من « نظرية العمل الفدائي » تكتفي بإدانـــة مسؤولية الدوائر الصهيونية تجـاه **كافة** المتلكات العربية ، وتمتنع عن وتحذر من ادانة مسؤولية الدوائر المذكورة تجاه هذه « المتلكة العربية » الخاصة . ويبدو ان هذا الموقف هوَ هوَ موقف « الفصائل التقدميـــة **والوطنية الشريفة** في حركة المقاومة » . لحسن الحظ ، لسنا من هذا الصنف لا في حركة المقاومة ولا خارجها .

ليت الأخ نايف والأخ محمد ورفاقهما يستطيعون مشاهدة فيلم « الأنصار » . في أحد مشاهد الفيلم ، فلاح أوكريني كهل أو شيخ يقتل ألمانياً . قبل القتل ، إشارة صليب روسيـــة أرثوذكسية على طول جبينه وصدره وبطنه . (فيلم سوفياتي صدر في أيام « الحرب القومية العظمى من أجل خلاص الوطن » [1] ، يعتبره كثير من مؤرخي السينما أفضل فيلم سوفيـاتي عن الحرب صدر في كل زمن ستالين ، رغم ضعف الإنفاق « المادّي ») . أو ليتهم يشاهدون (هذا أسهل) فيلم « ألِكْسندر نيفسكي » : حرب الروس ضد الغزو الجرماني في القرن الثالث عشر ، وليتهم ينصتون إلى نشيد cantate الموسيقار بروكوفييف [2] (مع الكورس) : « الصليبيون (أي الغزاة الجرمان) هم في مدينة

(١) عنوان كتاب ستالين : مجموعة خطبه بين ١٩٤١ و ١٩٤٥ .

(٢) أعظم الموسيقيين السوفيات . ومعه أعظم المخرجين السينمائيين : آيزنشتاين ، وأكبر ممثل : تشركاسوف ، واكبر مصوّر : تيسّه . الفيلم صدر في ١٩٣٩ . دفاع القرن الثالث عشر أعد لدفاع ١٩٤١ — ١٩٤٥ ... قطعة بروكوفييف هـــذه من روائع الموسيقى السوفياتية . وفي نظر المعلّقين السوفيات نموذج الموسيقى القومية .

بسكوف ! انهض أيها الشعب الروسي ! » ليتهم يلمحون في بعض مشاهد الفيلم علائم البربرية الوثنيّة والكاثوليكية (الأرْغُن) في صف العدو ، وفي أحد مشاهد الفيلم الأخيرة الكهنة والمباخر الأرثوذكسية في صف الأمة الروسية . صحيح ان الاخوان حواتمه وكشلي ورفاقهما لا يأخذون عبراً من الحروب البربرية في القرون الوسطى . ولعلّهم قفزوا قفزاً إلى الألفية المقبلة millénarisme ، إلى الغد المأمول الشيوعي ـ الإلحادي . غير أننا نذكّرهم بأن هذه القفزة « فوضوية » وليست شيوعية ، في عرف ماركس ولينين ، ونذكّرهم بأنهم يخطئون حين يتصورون ان عصر الامبريالية نظيف من القرون الوسطى ومن البربرية . حتى في كندا ، هذا التصور باطل . أما في فلسطين !!(١) .

إن بعض قرائنا والرفاق الذين نخاطبهم **يفهمون** لماذا توقفنا عند إدانة « اتخاذ قضية القدس وكأنها محور للقضية الفلسطينية » . اننا نشارك في هذه الإدانة ، مع ملاحظتنا ان قضية فلسطين لها،في العمل السياسي والديبلوماسي وعلى صعيد شعوب العالم ، **عدة** محاور **أحدها** القدس (التي بها تتمسّك اسرائيل لأسباب ليست بالضرورة « اقتصادية » !) . ونطالب الرفاق بأن يدينوا بلا لبس ولا تحفظ ، وبالتحديد ، الاعتداء **على المقدّسات الدينية** . أيها الرفاق : ثورتكم الثقافية البروليتارية يمكن أن تؤجلوها،... إلى ما بعد التحرير بيوم واحد(٢) .

بعد القدس ، وبانتظار أن نصل نهائياً إلى الملك حسين وغونار يارينغ والخرطوم والتصفية ، وكتمهيد للملك حسين وتصريحاته في كتاب « فيك

---

(١) كيف يمكن أن يكون المرء « ماركسياً » و « فلسطينياً » (أو على الأقل عربياً) وان لا يعرف عصر الامبريالية بلحمه وشحمه ودمه القليل « الاقتصادية » ؟

(٢) وإلا فقد تتساقون إلى تحريم اغنية فيروز « زهرة المدائن : يا ليلة الاسراء ... الطفل في المغارة ... » ، من الآن . ذلك سيكون « تسرّعاً » .

فانس وبيار لوير – الملك حسين : حربنا مع اسرائيل، اصدار دار النهار» ، نعود مرة اخرى (!) إلى **ميخائيل شيفر** والاقتصاد .

ينقل كشلي عن شيفر ما يلي :

« إن الدراسة المفصّلة لنتائج الصراع الاسرائيلي – العربي على اقتصاديات مختلف البلاد العربية كل على حدة يؤدي بنا الى النتيجة التالية : ان الصراع في مجمله يلحق خسائر جسيمة باربع دول عربية هي الاردن والعراق وسوريا والجمهورية العربية المتحدة « مذكورة بالتسلسل حسب الأهمية بالنسبة لخسائرها » . كما ان هذا الصراع يقدّم في مجمله بعض الفوائد لاقتصاد بلد عربي واحد هو لبنان ... لبنان هو البلد الوحيد الذي جنى فائدة من ذلك ، وهو بالتالي الأقل تهيئة ، من الناحية الاقتصادية لإنهاء الصراع .. والاردن هو الذي يستفيد من الناحية الاقتصادية أكثر من غيره من تسوية الخلاف ... » (ص ٥٤) .

ويضيف الثائر العربي بلا توقف : « والحكم الملكي في الاردن مستعدّ لذلك .. » ثم تأتي تصريحات الملك حسين .

مرة اخرى : تمخض الجبل فولد فأراً : الاقتصـاد ، الطبقات ، المصالح الاقتصادية ، العلاقات التجـارية ، العوامل والدوافع الاقتصادية ، التحليل الاقتصادي الطويل (والمبتور والمشوّه) ، هذا كله يقود إلى « موضوعة » « تصفية قضية فلسطين » و « موضوعة » « رفض تصفية قضية فلسطين » . واقتصاد شيفر – كشلي يمهّد لتصريحات حسين .

في نظرنا ، الاقتصـاد أهم ويستحق أكثر من هذا . ذلك فرق جوهري يميّز الماركسيين الحقيقيين غير « الاقتصاديين » على الماركسيين «الاقتصاديين» أنصار المذهب « الاقتصادي » (مارتينوف، آكيموف ، كريتشفسكي لم يحللوا تطور روسيا **الاقتصادي** كما حلله لينين ، وبياتاكوف – بوخارين الخ كان تحليلهم « **الاقتصادي** » للامبريالية دون مستوى تحليل لينين **الاقتصادي** بكثير) .

لذا نتوقف عند هذا المقطع الاقتصادي المأخوذ عن شيفر .

١ . بادىء بدء ، قرأنا مع أدلة وشواهد ان « هذا الصراع » يضر بلدين

هما الاردن والعراق ، ويفيد بلدين : سوريا ولبنـان . الأدلـّة والشواهد : العلاقات التجـارية ، الترانزيت ، أنابيب النفط . ثم - أكثر من مرة - طـُرِح هذا التمييز تجريدياً وأعلن لنـا أن « البرجوازية العربية » متضررة وتريد تصفية « الصراع » . (أُعلِن لنا ذلك كنتيجة مباشرة أعقبت بصورة فورية مقدّمات تقول العكس ، تعرض التمييز) . والآن ، وفي هذه العودة المشتاقة الى « الناحية الاقتصادية » ، نَسْمع ان بلداً وحيـداً يستفيد هو لبنان . وان البلدان الاخرى : الاردن ، العراق ، سوريا، مصر ، متضررة. لنقل ان تناقضات محمد كشلي هي مرآة صادقة تعكس تناقضات الواقع . غير ان الماركسي **يعي** تناقضات الواقع وانعكاسها في مرآة المعرفة . تلك هي **ديالكتيك** المعرفة ، الصفة الجدلية للماركسية .

فعـلاً ، حسب منطق شيفر وزارحي و .... ، وحسب منطق كشلي (ومنطقنا أيضاً : من وجهة نظر « الاقتصاد ») : سوريا مثلاً خاسرة ، في الجمع ، في الحاصل ، في حاصل الجمع والطرح ، « الاقتصادي » . والقارىء حين يقرأ « حاصل الجمع والطرح » يدرك فوراً سير الامور : « مكاسب » سوريا من تحول الترانزيت أو من أنابيب النفط وعدة نقاط في « التجـارة » و « الاقتصاد » الصافي ، لا تعادل سوى جزء صغير من « خسارة » سوريا في النقطة التي كان الكاتب العربي الماركسي قد « أضافها » إلى « ذلك » ، في **ذيل** « العلاقات التجارية » بينما (كما قرأنا في الجدول الذي نقله كشلي عن نفقات الدفاع) ، لبنان لا تنفق على الدفاع إلا ٣ ٪ من انتاجها الوطني الخام (مقابل ٨ ٪ سوريا ، ٨ ٪ مصر ، ١٤ ٪ الاردن) .

كشلي يبقى عند التناقضات الواقعية ، لا يعيها ، لا يَعقِلـُهـا ، لذا فهي تصبح تناقضاته ، تناقضات كشلي (نقصد **كتابة** كشلي ، مع تحفظنا حول مـا في قرارة عقله أو نفسه) . السبب ، « بالملموس » ، هو انه امتنع عن رؤية الجـدول الرئيسي الأهم ، جدول الخسائر المقارِن - الشامل الذي نقلناه عن الصفحة ٥٢٢ ، وانه أيضاً امتنع عن رؤية هـذه

الخلاصة الممتدة على ثلاث صفحات (٥٢٢ – ٥٢٥) ولا سيما النصف الأول من **الصفحة ٥٢٤** ذاتها التي نقل نصفها الثاني .

٢ . حين يقرأ القارىء حتى المبتدىء – : « ان هذا الصراع يقدّم بعض الفوائد لاقتصاد بلد عربي واحد هو لبنان ... لبنان هو البلد الوحيد الذي جنى فائدة من ذلك ، وهو بالتالي الأقل تهيئة ، **من الناحية الاقتصادية** لإنهاء الصراع » ، فإنه لا بدّ أن يتساءل : ومن الناحية **السياسية** ؟. من الناحية السياسية ، ربما العكس ، العكس على ما يبدو . ثمة اذن ناحيتان ، والثانية (« السياسية ») ليست بنت الاولى (« الاقتصادية ») ، **وكل منهج « نظرية العمل الفدائي » ، كل بناء الفكر المقاوِم ، كل كاريكاتور الماركسية « الاقتصادي » « اليساري » ، ينهار** . الدوغمائية « الماركسية » الجديدة طبلٌ فارغ ، جبل يتمخَّض فيلد فأراً .

و « الفأر » الآخر « يلعب في عبّنا » . ما هي هذه النقاط الثلاث التي تفصل « لبنان » عن « لبنان » في النص الذي نقله كشلي عن شيفر ، والذي نقلناه عن كشلي مرتين (الأخيرة قبل حوالي ١٢ سطراً من هذا السطر) ؟ ان النقاط الثلاث هي من كشلي وليست من شيفر . **لنقرأ شيفر** :

« .... بعض الفوائد لاقتصاد بلد عربي واحد هو لبنان [ثم عودة إلى أول السطر !] هذا يؤدي بنا إلى نتيجة اخرى : فالبلد العربي الأكثر ميلاً إلى تسوية الخلاف مع اسرائيل سياسياً ، أي لبنان ، هو البلد العربي الوحيد الذي يجني فائدة من هذا الخلاف ، وهو بالتالي الأقل تهيئة ، من الناحية الاقتصادية ، لانهاء الخلاف . »

التمييز بين الناحيتين « الاقتصادية » و « السياسية » ، التعارض بينهما ، وارد عند شيفر ، تصريحاً .

لم نشك لحظة (وقد صرحنا بذلك في كتابنا « نظرية الحزب عند لينين والموقف العربي الراهن ») أن العدوّ أعلم من الصديق . قلنا بوضوح ان الامبريالية « اقتصادية » (اقتصادية النزعة « économiste ») عن علم .

و « اليسار » الكاريكاتوري العربي الثائر اقتصادي عن جهل وكسل وغباء ولا مسؤولية . الامبريالية مع المنهج « الاقتصادي » ضد المنهج اللينيني لأنها تعلم ان لينين على حقّ . « الماركسية » العربية المستحدثة « اليسارية » مع المنهج «الاقتصادي» ضدّ لينين والماركسية لأنها تتصور ان المنهج «الاقتصادي» هو هو الماركسية ولينين .

حين يقرأ محمد كشلي (أو سواه) في شيفر اختلاف الناحيتين «السياسية» و « الاقتصادية » ، فإنه « يطفّ » و « ينطّ » ، من فوق هذا الاختلاف ، يُلقي به في الظُلمات الخارجية ، في ظلمـــات العلم البرجوازي المبتذل أو الخبيث .

نحن نفعـــل العكس ، ونطلب من كشلي ورفاقه أن يفعلوا العكس : أمسكوا هـذه النقطة الصغيرة ، هذه الفارقة الدقيقة ، هذه الـ nuance ، اقبضوا عليهـــا ، ومنها عودوا الى لينين وماركس ، إلى « الماركسية — اللينينية » . بواسطتهـا وبواسطة مئة نقطة صغيرة اخرى ، بواسطة واقع فلسطين[1] وقضية فلسطين ، عودوا إلى اكتشاف الماركسية (ونضالها ضدّ وتعارضها مع « الاقتصادية ») .

ويتابع شيفر : « من ناحية اخرى ، فان البلد العربي الذي يعجز أكثر من غيره على اتخاذ المبادرة لحل الخلاف مع اسرائيل ، أي الاردن ، هو الذي يستفيد من الناحية الاقتصادية أكثر من غيره من تسوية الخلاف » . ثم يتابع بعد الرجوع الى أول السطر : « إن دراستنا تساعدنا على الوصول الى نتيجة اخرى كذلك ، ذلك ان الزمن يسهم في تقليل الربح الذي يجنيه لبنـــان من هذا الاختلاف ، ويساعدنا في خطورة الأثر المضر باقتصـــاد الجمهورية العربية

---

(١) لستم فلسطينيين للاشيء على صعيد المعرفـــة الماركسية والمنهج اللينيني . كَوْنُكم فلسطينيين يجعلكم أقدر الناس في الدنيـــا ، لاكتشاف لينين ، لاعادة اكتشافه الدائمة = الماركسية . لو تشاؤون ! لكنكم إلى الآن لم تشاؤوا اطلاقاً . ونقوم بواجبنا معكم .

المتحدة . أضف إلى ذلك ان أعباء موازنة الدفاع المرتبطة بالخلاف الاسرائيلي العربي تصبح مرهقة أكثر فأكثر بمقدار ما تزداد حـــدّة سباق التسلّح بين اسرائيل والعرب وبمقدار ما تصبح أشدّ كلفة . هكذا ، قد يبدو المستقبل ملائماً أكثر من الحاضر لتسوية الخلاف الاسرائيلي – العربي » (ص ٥٢٥) .

بهذه الكلمات **ينتهي** كتاب « من الفكر الصهيوني المعـــاصر » ، حملة السلام اليسارية الاسرائيلية في عشية العدوان الذي يُهيّأ منذ عشر سنوات .

هذا هو خط الدعاية الإسرائيلي الموَجَّه الى العـــالم ، وخَط « اليسار » الاسرائيلي الصهيوني الموجه الى العرب . في هذا الخط ، في « مفرداته » ، في مضامينه الواقعية والصحيحة ، نقاط غير قليلة ، يأخذهـــا « اليسار الماركسي » العربي[1] . يأخذها حجّة من الخصم (الصهيوني) ويقلبهـا ضد الخصم (الخصم الآخر : العربي ، البرجوازية ، البرجوازية – الصغيرة ، النظم العسكرية ، القاهرة) . ذلك لأنهم يقلبون (أو يتصورون انهم يقلبون) الهدف . عند « اليسار » – الصهيوني الاسرائيلي : الهدف (على الأقل ، الهدف **المعلَن** !) هو السلام . عند «اليسار» الماركسي العربي الكاريكاتوري الاقتصادي ، الهدف (المعلَن) هو الثورة ، الحرب الثورية ، حرب التحرير الشعبية . ولكن ها **هنا** تقصر المسافة بين « اليسارَين » . المسافةُ كبيرة في الاعلان ، في « الوعي » ، في « الايديولوجيا » ، في « الذات » . في الواقع ، في الموضوع ، المسافة صغيرة ، وفي بعض النقاط (غير الثانوية !) تحتاج إلى مجهر . الفريق الأول يقول : نفقات الدفـاع ، ارهاق ، سباق التسلّح . والفريق الثاني يقول : اصرفوا الجيوش النظامية المحترفة .

لقد نشر مركز الأبحـــاث كتاب « من الفكر الصهيوني المعاصر » حتى يطلع شبابنا العربي (لا سيما التقدمي ، ولا سيما طلابنـا في اوروبا) **على** سير الايديولوجيا الصهيونية اليسارية (خطها ، تنوعهـــا ، مفاصل **الضغط**

(١) و « اليمين الماركسي » أحياناً .

الايديولوجي) . ولكن هذا الهدف السليم – الذي أعلن عنه أنيس صايغ في المقدمة – لا يبدو أنه يتحقق بالنسبة لـ « يسار » يتصور أنه يمثل «الشعوب الفقيرة » ولكنه ليس سوى يسار فقير . والمسؤولية تقع بنسبة ١٠٠ ٪ على هذا « اليسار » الغبيّ . أنْ يكون **هذا** ما تستخرجه الجبهةُ الشعبيةُ الديمقراطية من كتاب « من الفكر الصهيوني المعاصر » يُظْهِر إلى أي درك يمكن أن يهبط فكر يدّعي الماركسية ، يُظهر أنه ، بصدد الماركسية – الفدائية ، ليست الجبهة الشعبية الديمقراطية سوى جهيض ماركسي . أنْ يتجرجر مفكّر عربي وماركسي ، على امتداد الصفحات ، وراء شاوول زارحي وميخائيل شيفر ، هذا كان قدَرَ الجهيض .

والآن ، بعد أن انتهينا (هذا ما نرجوه) من زارحي وشيفر ، سننتقل إلى الملك حسين ، سنتجرجر مع الجبهة ، مرغمين ، وراء كتاب « **فيك فانس وبيار لوير – الملك حسين « حربنا مع اسرائيل »** ، دار النهار للنشر » .

ينقل الكاتب قول الملك حسين : « إن على اسرائيل ان تسهم في حل المشكلة الفلسطينية برمتهـا ، من أجل أن يكون السلام نهائياً . والفرصة متاحة الآن لتحقيق ذلك .. » (ص ٥٥) .

ثم يضيف في وصلة شخصية : «لكن الملك حريص على مكاسب ١٩٤٨». ثم يستشهد على ذلك بنصف صفحـة من الكتاب المذكور (ص ٥٥) . ويلخّص : « وهكذا ، مع استعداد النظـام الاردني القائم لتصفية قضية فلسطين فهو حريص على الضفة الغربية » ثم ينقل قولاً آخر لحسين : الحرب المزعومة حرباً أتاحت لاسرائيل أن تسلبنا القدس والضفة الغربية . ويضيف: « وكان وقع ذلك قاسياً على الملك » ، وينقل مقطعاً جديداً للملك : أقسى مرحلة في حياته هي المرحلة من ٢٩ آب إلى أول أيلول ١٩٦٧، والتي أضرَّت بصحته الجسدية وصحته النفسية ... « أما لماذا تنتهي أقسى مرحلة مرّ بها الملك ، مع مؤتمر القمة العربي ، فذلك لأن البرجوازية العربية في مؤتمر

القمة في الخرطوم ، وضعت حجر الأساس في التحرّك البرجوازي العربي لتصفية قضية فلسطين . » (ص ٥٦) . ثم ينقل كشلي - بلا وصلات شخصية - عدة مقاطع من المرجع المذكور (ص ٥٦ - ٥٨) .

يقول الملك : ذهبتُ للاجتماع بعبد الناصر مرة اخرى ... كان ذلك في يوم ٣٠ أيلول ١٩٦٧ ، أي بعد أسابيع على مؤتمر القمة في الخرطوم .

« تمكّنْتُ من الاجتماع بعبد الناصر وقررت معه النقاط الخمس الآتية لتحديد « الموقف العربي » :

١ - نقبل الاعتراف بحق كل واحد في العيش بسلام وأمن في هذه المنطقة ، بما في ذلك اسرائيل .

٢ - اتفقنا على فتح الممرات المائية الدولية بما فيها قناة السويس ، أمام الجميع .

« (١) وذلك مقابل التعامل بالمثل للنقطتين الأولين وبشرط ما يأتي :

٤ - انسحاب الاسرائيليين من كل الأراضي المحتلة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ .

٥ - ايجاد حل حقيقي لقضية اللاجئين : الحق لهذا الشعب بالعودة الى ارضه أو الحصول على تعويض ، وفقاً للقرارات الاولى التي اتخذتها الامم المتحدة » (ص ٥٧) .

وذهب حسين لمقابلة « المتطرفين في الجزائر » . « قبلوا أن يتركونا نحاول تحقيق ما عرضناه ، دون تدخـّل من قبلهم . غـير انهم لم يكونوا يؤمنون كثيراً بهذه السياسة » (ص ٥٧) . ثم قرار مجلس الأمن في تشرين الثـاني ١٩٦٧ ، وغونار يارينغ . « كانت ردود الفعل العربية كالآتي :

« بعضهم اعتبر اننا لن نتوصل الى أي حل مرض . ولو ذهبنا الى هذا الحد .

« أما الذين ما كانوا يؤمنون بامكان الوصول الى حل سلمي وعادل فقد قبلوا ، مع هذا ، أن يمنحونا فرصة للمحاولة .

«وأخيراً قبلنا بقرار مجلس الأمن ، وأعربنا عن ارادتنـا في تطبيقه بكامله . ولم توضح اسرائيل موقفها . لذلك أخذت مهمة الدكتور يارينغ ممثل الأمين العـام للامم المتحدة ، تتقدم بطريقة بطيئة للغاية » (ص ٥٨) .

هذا ما نقله كشلي عن المرجع المذكور ، مع المزدوجات (لم نترك شيئاً). بالطبع ، لن نضبط الناقل على المنقول . وقد حرصنا على نقل اهم المقاطع **حرفياً** ، لا سيما النقاط الخمس التي اتـّفق حسين مع عبد الناصر حولهـا .

---

(١) ننقل حرفياً . لعلنا أمام خطأ مطبعي . بدلاً من « ، رقم ٣ .

لئن كنا نعتبر موقفاً غبياً ومجرماً ذلك الموقف الذي يشنّ حملةً متواصلة على مصر بسبب موقفهـــا « السلمي » — إجرامه في غرضه ، أو في نتيجته الواقعية : موضوعياً ، ليس إلاّ سلاحاً إضافياً ضد مصر ، سلاحاً دعائياً و «ايديولوجياً» « يضيفُه » « يسارٌ » ماركسوي أو غير ماركسوي مهووس إلى « عمل » اسرائيل العسكري (بما فيه ضرب مصنع أو مدرسة أو شرشحة خطف رادار أو بلوغ الجندل الخامس أو ما بعد موريتانيا) وإلى عمل الرجعية العربية (من السعودية وجلال كشك إلى علاّل الفاسي وحزبه)؛ غباؤه في عجزه عن تمييز الأقوال والأفعال ، في عجزه عن فهم « السياسة » والسياسة العالمية والإمكانات ، في عجزه عن أن يطرح سؤالاً من **نوع** : من يفعل ، من يقاتل ، من لا يفعل ، من لا يقاتل ، من يقدر على الفعل، في عدم إدراكه كذبَه عندما يقول « الطويلة المدى » إلا إذا كانت «الطويلة المدى» ليست إلا صفة تافهـــة لحرب التحرير **الشعبية** . وهي كذلك : اصرفوا الجيوش النظامية المحترفة !— لئن كنا نعتبر هذه الحملة على مصر - الكبيرة أو الصغيرة أو الأصغر (هذه الصراخات ، وهذه التلميحات) — غباءً ، فإننا نعتبر غباء آخر أن لا يعرف الشعب العربي ، عمالاً وفلاحين الخ ، شعوباً وأحزاباً وأفراداً ، (لا سيما أنصار الوحدة ومصر وعبد الناصر وأنا منهم) ، موقفَ مصر السياسي بدقة وأمانة .

قلت : وأنا منهم . ولكنْ في « أنصار الوحدة ومصر وعبد الناصر » تنوعٌ بالغ .

بعضهم « يساريون » (لستُ منهم أبداً ، بقدر ما أصبح لفظ «اليسار» عمومية — معمية . لم أنظـّر ، ولم أفكـّر يوماً بالتنظير لليسار الناصري . هذه المهمة أخذها على منكبيه محسنُ ابراهيم — أكبر ايديولوجيي « النظرية » الحالية — يسارُ القوميين العرب ، جماعة « الحرية » الأحرار ، أصحـــابُ نوبات النقد الذاتي) .

بعضهم (من صحفيي القاهرة أو سواها) يضعون لخطاب من أهم خطب

عبد الناصر مانشيتاً ضخمة تبرز قوله أو مبدأه : ما أُخِذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة ، في وقت فيه الضغطُ داخل مصر يسير لا باتجاه السلم بل باتجاه الحرب السابقة لأوانها ، الحرب التي لا تحسب حساب الخصم ، ولا تحسب إلا « نوايا » نا و « إرادةَ » نا .

بعضهم عندما سمع الموقف المصري **الأول** من قرار مجلس الأمن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ قـــال : « عبد الناصر رفض » هذا الفهمُ واضح في بعض المقالات المصرية ، لا سيما عند بعض ايديولوجيي « اليسار » القاهري (الذي ترك مناسبة الذكرى المئوية للينين تمرّ دون أن يتعلّم لينين ، بشهادة عدد من مقالات « الطليعة » و « الكاتب »[١]) ، ولكن هذا الفهم كان في حينه واسع الانتشار بين « الجمهور الناصري » ، « الجماهير الناصرية » التي فشل في تكوينها وتثقيفها محسن ابراهيم ، ومحمد كشلي ، ونايف حواتمه ، ثم اكتشفوا خرافتها (إنها « خرافة » جزئياً ، ولكنهم هم نجحوا جزئياً في تكوينها وتثقيفهـــا بهذا الشكل ، قبل أن ينحدروا هم بذاتهم إلى مستوى أكثر « يسارية » واستعجالاً وكَسَلاً). في حينه ،قلنا : لا ، عبد الناصر لم يرفض، لم نفهم موقف القاهرة على هذا الشكل ؛ موقف القـــاهرة أقل بساطة من « الرفض » و « القبول » plus nuancé . وحين انتقلت القاهرة من هذا الموقف (الذي أسمـــاه البعض ، ولا سيما من الخصوم المتّزنين في اليسار أو اليمين ، ملتبِساً ، ولا نعترض **كلياً** على هذا الوصف[٢]) إلى موقف القبول ، إلى **الموافقة** على قرار مجلس الأمن ، لم نثُرْ أبداً على القـــاهرة ، لم نقل : فضيحة ! بالعكس ، وجدنا في هذه الموافقة موقفاً سليماً ، موقفاً سياسياً وديبلوماسياً صحيحاً ، ورأينا فيه من جهة ثانية **عكسَ** ما رأى فيه سوانـا

---

(١) ولا نذكر مقالات « من الفكر المعاصر » .

(٢) عند لينين ، هذه الأمور — سياسة دولية ، ديبلومـــاسية ١٩١٨ وبعدها — لا تحتمل أي التباس وتحتاج إلى أقصى الوضوح . بالطبع مصر وظرف أواخر ١٩٦٧ غير روسيا وظرف أوائل ١٩١٨ .

(الاستسلام !) ، رأينـــا فيه **خطوةً** إلى **الأمام** في نموّ القدرة العسكرية المصرية ، ووحدة الشعب المصري ووحدة وجدانه ، **خطوةً** في تجـــاوز الانفعال والخروج من أسر الابتزاز الطويل والغباء الضارب في الساح وفي أعناق العرب ، أي بالضبط الشرط الأول في إمكانية التحرير ، في إمكانية **الصمود** الطويل والاستنزاف الطويل . وهذا عكس زارحي وشيفر وكشلي.

بالطبع لا يتصوّر القارىء اننا سننتهي من هذه القضية هكذا . سنعود اليها ربما **مراراً** ، حسب المناسبات ، وسنعود اليها في **خاتمة** هذا الكتاب : الحل السلمي (أو السياسي ، الخ لسنا قـــادرين على « حنتفات » حسنين هيكل) ، ما يسمّيه كشلي ورفاقه « التصفية » (!)،ما نسمّيه **قرار مجلس الأمن** ، تنفيذ قرار مجلس الأمن (أي = أن تنسحب اسرائيل من الأراضي التي احتلتها في ٥ — ١٠ حزيران ١٩٦٧ ، أن يسترجع الملك حسين و « البرجوازية الأردنية » القدس والضفة الغربية ... ، مقابل ضمان دولي « للسلام » أو حتى اعتراف « برجوازي » — عربي باسرائيل وليس فقط مرورها في « الممرات المائية » وتبادل ديبلوماسي وتجارة « تحكمها علاقات السوق الرأسمالية » و « توسع صناعي اسرائيلي في السوق العربية » ، مقابل لا عودة اللاجئين بل نصفهم فقط إلى اسرائيل المعترف بها عربياً ، أي = هدنة سلم في حرب أو **حروب** المئة عام بين العرب واليهود والأميركان في عصر الإمبريالية والصهيونية والأمريكية المنفلتة من عقال عقالها)، هذا الحل السلمي ، هذه الهدنة الشديدة كما حددناها وشددناها (اعتراف عربي مباشر باسرائيل و « تجارة » و « اقتصاد » مقابل الانسحاب العسكري ، مقابل الناحية « الاقليمية » وعودة اللاجئين الأصليين أو نصفهم) احتماله في نظرنا — الآن وقبل عام وعامين وثلاثة[1] — لا يتجاوز ١ ٪ أو لنقل إنـــه في

---

(١) هذا ما قلته شفوياً لبعض الاخوان . رأيي هذا معروف عند الجبهـــة الشعبية الديمقراطية .

نظرنا يتراوح « مداً وجزراً » بين ١ ٪ و ٢ ٪ . حين يستولي التفاؤل على مذيع بيروت والتشاؤم على مجلة « الحرية » ، حين يقول كلاهما قولاً واحداً : السلم في الأسبوع القادم ، نقول : احتمال ٢ ٪ . حين نقرأ في صحيفة قاهرية صرخة مشدّدة بمعنى : لا ، يارينغ انتهى ، حرب ! نقول : الاحتمال المذكور نزل إلى ١ ٪ . ولكننا لا نتعدّى ، لم نتعدّ إلى الآن الحدّين . ندور حول ١ ٪ . كشلي ، حواتمـــه والحرية ، يدورون حول ٩٩ ٪ أو حول ١٠١ ٪ منذ عامين ونصف . شهداء أحياء يحملون كفنهم بيدهم : « التصفية » تحمل القضاء على العمل الفدائي .

ونحن نقول لهم : كلا . العمل الفدائي مستقبله في يده وعقله . مستقبله التاريخي كله ومستقبله الآني .

الصراع بين حركة التحرر العربيـــة وبين الصهيونيـــة — الامبرياليـــة ، الصراع بين الأمتين أو الشعبين العربي واليهودي على فلسطين ووطن العرب القومي ، له من العمر نصف قرن أو قرن ، وقد يستمر نصفَ — قرن أو قرناً آخر : لا مكان لأمتين ، **لسيادتين** ، في أرْض العرب القومية . العرب يمكن أن يتنازلوا عن مئة حق ومئة سخافة ،ما عدا هذا الحق غير السخيف: سيادة الأمة العربية على أرضهـــا القومية . وهذا الحق البسيط الساذج هو في خطّ تحرر البشرية ، في خط الثورة الاشتراكية العـــالمية ، والسلام ، ضد بالمرستون وبانرمان ولويد جورج وتشرشل وجونسون ونيكسون وخلفائهم القادمين : **هذه** هي الماركسية .

الصراع بين العرب واسرائيل باق . الصراع بين الشعوب والامبريالية باق. أمّا صعود وهبوط ، نمو وانحدار ، بقاء وزوال الحركة الفدائية فيتوقف على وعيها . من الممكن أن نقول ، بعد عشر سنوات : بدأت الحركة الفدائية في ١٩٦٥ ، قويت واشتدّت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، تقدّمت في ١٩٦٨ ، تعثّرت وتراجعت في ١٩٦٩ أو ١٩٧٠ ، ثم تغلّبت على أزمتهـــا وتقدّمت وبلغت الذروة ، مع صعود الاستعداد العربي العام ، وهي تلعب الآن دوراً

طليعياً في الكفاح العربي الكبير . ومن الممكن أن نقول : **كانت هناك** حركة فدائية . ان « قوانين التاريخ » لا يمكن أن تقرّر سلفاً إلا ما يلي : السلام بين الامبريالية والشعوب ، بين الصهيونية والعرب ، مستحيل . عصرُ الامبريالية ، عصرُ العنف، الحرب ، القتال . ولكن قوانين التاريخ لا تقرر سلفاً **شكل** الكفاح . وقابلية هذا الشكل – الحركة الفدائية – على الحياة والنمو تتوقف على عوامل وظروف موضوعية ؟ بالتأكيد . ولكنها تتوقف بالضبط على **وعي** الظروف الموضوعية . إن وعياً زائفاً ، مثالياً ، لفظياً ، فقيراً ، كسولاً ، مدعياً ، « طبقياً » مزعوماً أي « اقتصادياً » ، يقود الحركة الفدائية – وحركات **أكبر** من الحركة الفدائية (في تاريخ الشعوب) – إلى حتف محتوم . سوف نتابع « ازمة حركة المقاومة الفلسطينية » في الكتاب الصادر عن الجبهة الشعبية الديمقراطية بهذا العنوان . سندرس « التحليل والتوقعات » .

وسنعود الى موضوع قرار مجلس الأمن، وإلى احتمال الهدنة . وقد يتساءل القارىء : لماذا هذه العودة إلى احتمال نعتقد أنه ١ ٪ ؟

أولاً ، لأنه احتمال واحد بالمئة . ولكنه احتمال ! ولا يجوز التهرب من بحثه .

ثانياً وخاصة . لأن هذا الموضوع اختبار ورائز للماركسيين العرب ، يكثّف ويجسّد عيانياً عيوب مناهج الفكر والعمل ، لدى ماركسيي اليمين واليسار . عند الأخيرين : إنه أحد أعراض الداء ، إحدى قرائنه ، ولكنه قرينة فاعلة ، تفتك بالوعي فتكاً ، تتسلط على الفكر والنفس ، فتجعل من « رفض التصفية » تاكتيكاً واستراتيجية ونظرية ، تدفع موضوعياً في اتجاه تصفية المعرفة وفلسطين والمسألة القومية والثورة العربية . بتعبير آخر : ما « يشغلنا » ليس الموضوع محض موضوع الـ ١ ٪ ، بل موضوع ١٠١ ٪ (أصحاب الـ ١٠١ ٪) .

أما الملك حسين ، فقد أصبح جزءاً لا يتجزأ من الـ ١٠١٪ أكثر من كونه

جزءاً من الـ ١ ٪ . دوره كرأس تركي tête de Turc أو ككبش فداء في « اليسار » – الفدائي أكبرُ من دوره في إنماء الـ ١ ٪ (الى ٢ ٪) .

لقد قرأنا قول صاحب « العفوية والنظرية » : « لكن الملك حريص على مكاسب ١٩٤٨ » (ص ٥٥ ، السطر ٨) . ولكن بدلاً من إعطاء شاهد على هـذا الأمر من « نفس المصدر السابق » (فيك فانس و ...) ، كان من الأفضل الاستغناءُ عن هذا الشاهد ، وطرح السؤال الطبيعي :

وإسرائيل ؟ هل اسرائيل حريصة على اعادة مكاسب١٩٤٨ إلى الاردن – الملكي – الرجعي – العميل – الامبريالي الخ ، الى البرجوازية الاردنيـة أو الشرق – اردنية المتحكـّمة بالضفة الغربيـة « اقتصادياً » الخ ...؟ مسألة ما يمكن ومـا لا يمكن استرجاعه تبقى بلا جواب ، بل إنـّها لا تُطرَح . ان هؤلاء اليساريين (وغير اليساريين) على اختـلاف مللهم لا يزالون عند العقـل الذي قادنا نحو الكارثة . مثلهم مثل لاعب شطرنج أو لاعب زهر يتصور انه يلعب مع نفسه ، يفرض على الخصم – مثالياً – طريقة معينة في اللعب ، يفترض في الخصم الذي أمامه انه سيلعبُ **هذه** اللعبة **المحدّدة** التي هو قررهـا حسب منطقه القاصر ، يعتقد ان عملية المعرفة هي حوار بين ذاته وبين « موضوع » فيزيائي « مادي » ، لا يرى ان ذات – الخصم هي جزء من الموضوع ، هي الموضوع . هذه «الموضوعية» اسمها في الماركسية **الذاتية** . وهذه « المادية » اسمها **المثالية** . والحال هنا ، لا يبدو ان الخصم يلعب هذه اللعبة – القبول بقرار مجلس الأمن ، وتنفيذه ، الانسحاب من جميع الأراضي المحتلة في حزيران (موقف القاهرة وحسين[1] إلى الآن : الأراضي المحتلة أي **جميع** الأراضي) ولو مقابل السلام وكل التوسع « الاقتصادي » للصنـاعة الاسرائيلية ، والخلاص من الأزمة الخانقة ، التوسع والخلاص اللذين تلازم وشاكتُهما وشاكةَ « التصفية » .

---

(١) بقدر ما هو شيء ما في المسألة . إن خروجه عن هذا الموقف يجعله لا شيء .

لقـــد استشهد صاحب « نظرية العمل الفدائي » بآراء الاقتصاديين الاسرائيليين ، وتجرجر وراءهم على امتداد الصفحات والبحوث . ولكنه ، على مـــا يبدو ، لا يعطي أية قيمة لتصريحات قادة وصحف اسرائيل بصدد مسألة ما يمكن استرجاعه ، بصدد مسألة حرص حسين على مكاسب ١٩٤٨ في علاقتها مع الحرص وعدم الحرص **المقابل** . المسألة كلها خارج حقل النظر، خارج حقل النظرية النظرية جداً .

ولكنْ هنا نقول : هذا الموضوع معروف ، وأصحـــاب « النظرية » لا يجهلونه .

وعلى سبيل المثـال (ولكن الأمثلة ليست كثيرة في صف « اليسار ») تطرق كاتب « يساري » آخر إلى هـــذا الموضوع ، وبشكل واضح ، هو **عباس بزي** («دراسات عربية » ، عدد آذار ١٩٧٠ ، انظر بشكل خـاص ص ٢٤) : ... حزب المابام « اليساري » « يقف طموحه عند ضم القدس القديمة وقطاع غزة وتعديل الحدود مع الاردن » ... لقد نسي عباس بزي الجولان : الجولان يعتبر أمراً منتهياً ، ورجـــال من المابام هم الذين تولـّوا ويتولـّون مهمة استعماره (إقامة المستعمرات الزراعية) . والمابام هو الحزب الأكثر « اعتدالاً » في الحكومة الاسرائيلية وفي مجتمع الطبقات – الأحزاب الاسرائيلية .

ولكن مـــا دام الأخ كشلي ينقل الكتـّاب الاسرائيليين حول الناحية « الاقتصادية » المفضلة لديه (باتراً « السياسية »، في النص المنقول، ومشوّهاً الاقتصادية ، ومع سلسلة من التناقضات) ، فسننقل إليـه صفحة من كاتب اسرائيلي آخر عن الناحية « الاقليمية » المفضلة لدينا، (بلا بَتر ولا وصل). وننقل عن كاتب يدعو إلى إتحاد فلسطيني ديمقراطي يهودي – عربي وإلى أن يرتبط هذا الاتحاد باتحاد عربي وبالعالم الثالث الخ ، قصدنا أوري آفنيري في كتابه « اسرائيل بلا صهيونية » (باريس ١٩٦٩) .

« الوزارة الحالية تعدّ ٢٢ وزيراً . لا يوجد واحـد منهم مستعدّ لصنع

السلام بلا إلحاق . هؤلاء الأعضاء الاثنان والعشرون ، الذين كان بعضهم في الحكم قبل حرب الستة أيام ، يمكن تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات :

آ . الذين يريدون ضم كل الأراضي المحتلة . على رأسهم مناحيم بيغن زعيم حزب حيروت . هذه المجموعة تشمل حوالي ربع أعضاء الوزارة (بعضهم يدّعون اليسار) .

ب . الذين يريدون ضم كثيراً من الأراضي ولكن ليس كل الأراضي . وهم جميعهم متفقون في كثير أو قليل على « مشروع آلون » ، الذي يلحّ على ضم هضبة الجولان ، كل وادي نهر الاردن حتى أريحا (وبدونها) ، بعض المناطق على طول الحدود القديمة بالقرب من اللترون وقلقيلية ، كل منطقة القدس، الشاطىء الغربي للبحر الميت حتى الخليل، قطاع غزة ، سيناء الشمالية مع العريش ، ساحل البحر الأحمر وبضمنها شرم الشيخ . بالاجمال، كل ما تمَّ فتحهُ ، ما عدا سيناء الجنوبية والمناطق غير المسكونة حول مدن نابلس والخليل .

هذه المجموعة تضم الغالبية العظمى من أعضاء الوزارة وجميع الوزراء ذوي الأهمية أمثال ييغال آلون (والمشروع يحمل اسمه) ، غولدا ماير ، آبا ايبان، موشه دايان (الذي يطالب أيضاً بالتلال المجاورة لنابلس) .

ج . أخيراً ، الذين يريدون قليلاً من الضم . بينهم وزيران من المابام الذي يطالب رسمياً بضم منطقة القدس ، وهضبة الجولان (الذي بدأ من قبل استعماره على يد أعضاءفي هذا الحزب) ، وقطاع غزة وبعض المناطق الواقعة على طول الحدود القديمة مع الاردن ، لأغراض الامن .

والحال لا يوجد زعيم سياسي عربي واحد مستعد لقبول أي مشروع إلحاقي ، لا مشروع المابام ولا غيره . وبما أن أحداً من أعضاء الوزارة ليس مستعداً للتنازل عن شبر من الاراضي المستولى عليها قبل عقد رسمي لمعاهدة سلام ، فبالنتيجة إن مواقف مابام وحيروت تتلاقيان » ص ٢١٣) .

ويلاحظ آفنيري أن حزب مابام يمتصّه أو امتصه حزب ماباي (حزب

العمال ، أو العمل ، حزب غولدا ماير ، رأس الحكومات والمجتمع) .

لنفترض أن ظروفاً عربية وعالمية أفضل فرضت على هؤلاء التراجع عن هذه المواقف [1] ، يبقى السؤال إلى أية مواقف يمكن أن يتراجعوا ؟ ان مسألة « ما يمكن استرجاعه » (من قبل حسين أو البرجوازية الاردنية أو الشرق ـ اردنية) تتوقف على هذا السؤال ! الجبهة الشعبية الديمقراطية ، في ركضها وراء « التصفية » الوشيكة ، تحرق هذه « المرحلة » التي يراها سير غير لاهث .

هذا عن الحكومة الاسرائيلية .

أما المجتمع الاسرائيلي ـ اليهودي (الطبقات والأحزاب) فهو مع حكومته بنسبة لا نبالغ إذا قلنا أنها لا تقل عن ٩٨٪ :

الحزب « الشيوعي » التابع لموشه سنيه ، الذي يضم الغالبية من أعضاء الحزب الشيوعي السابق الذي انشق في ١٩٦٤ – ١٩٦٥ ، (واسمه حزب ماكي ، ويسمى تحقيرياً –على حد تعبير آفنيري– الحزب الشيوعي الصهيوني) نال في انتخابات ١٩٦٥ ... ١٪ من الأصوات ، فقط !

الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح (ماير فيلنر ، اميل توما ، وجميع

---

(١) أو لنفترض أن هذا « التطرف » الاسرائيلي سياسة مرحلة أولى ، سيليها موقف « اعتدال » .

على وجه التحديد ، إن « رفضكم » ، تعاميكم ، لا يسلتح العرب ولا يسلحكم ضد المرحلة الثانية والثالثة والعاشرة . «تجاوزتم» التصفية ككل، « تجاوزتم »(!) « أزمة الشرق الأوسط » الى « القضية الأصلية ـ قضية فلسطين » ، « تخطيتم » اسرائيل ـ العدو والواقع كله ، وشرعتم لفلسطين المستقبل العربية اليهودية الديمقراطية ، وضعتم المملكة الاردنية (وسيطكم المنفي بين فلسطين الأصل والهدف ، فلسطين البداية والنهاية) خارج قوس (بالنفي)، طرحتم شعارات وتبنيتم مواقف لا تسلحكم أبداً للمراحل اللاحقة الاسرائيلية والدولية ، ضد الاحتمالات القادمة ، بالعكس . بما أن خطكم فاسد كله ، فاسد في الجوهر والأصل والمنطلق والمنهج(فهم الامبريالية والشعوب . والصهيونية والعرب وفلسطين) ، الباقي « ينبع » ، يتبع (تشخيص خاطىء أو حتى غائب !)

الأعضاء العرب ، وبعض اليهود) حزب ينال تأييد وتعاطف جماهير عربية واسعة في اسرائيل ، ولكنه في المجتمع اليهودي ، هزيل ،بالغ الهزال .

جمـــاعة أوري آفنيري (شخصية اوري آفنيري اللطيفة ، جريدته « هاعولام هازه » = هذا العالم ، أو هذا العـالم الواطىء) نال ١،٢ ٪ من الأصوات (على الأرجح يهود) . وآفنيري ليس من انصار «الموقف العربي» ولا من انصار اليسار الماركسي العربي أو غيره . هذا أولاً . وثانياً ، نفهم من كتاب مكسيم رودنسون (اسرائيل والرفض العربي ، باريس ١٩٦٨) ان هذه النسبة (التي لا بأس بها في جو المجتمع الاسرائيلي : وهي ١،٢ ٪) مردهـــا بالدرجة الأولى الى حرب آفنيري ورفاقه ضد قيود التزمّت الديني المفروضة على الحياة الاسرائيلية . بتعبير آخر . بعض هؤلاء الـ ١،٢ ٪ يُحبّ آفنيري **بما فيه** دعوته السلميــة . وبعضهم الآخر يحب آفنيري **رغم** دعوته السلمية . الـ ١،٢ ٪ يصوّتون لآفنيري أياً كان موقفهم من النزاع مع العرب (سواء كان « معتدلاً » أو « متطرفاً » أو محايداً بـــين « الاعتدال » و « التطرف ») .

وجماعة « ماتزبن » التي تحبهـا الجبهة الشعبية الديمقراطية **أصغر بكثير** من جماعة آفنيري .

بتعبير آخر . ماير فلنر + ماتزبن + أنصار سِلْميّة آفنيري يمكن أن يتراوح تقديرهم بين ١ ٪ و ٢ ٪ من يهود اسرائيل .

واسرائيل مجتمع طبقات . **والطبقة العاملة** الاسرائيلية — اليهودية موزعة بين ماباي ومابام وأحدوت آفودا (اليوم حزب واحد !) وأحزاب يمينية . وهي ليست أقل صهيونية من البرجوازية اليهودية . **النَفَر** الشيوعي اليهودي **غالبيته** خارج الطبقة العاملة . والشيء نفسه بالنسبة للانفار الاخرى المقبولة أو نصف المقبولة . في المجتمع الاسرائيلي اليهودي ، نسبة المعتدلين أو المسالمين في « الطبقةالعاملة » ليست أكبر منها بين رجال الدين أو كبار ضباط الجيش أو كبار ضباطه المتقاعدين . حقيقة لا تغيب عن الخبراء والكتاب لا سيما

الاسرائيليين . في « اليسار » « الماركسي » العربي المنفلت من عقال « أممية مزعومة (هي « الاقتصادية ») هذه الحقيقة لا قيمة لها . سنعود الى هذا الموضوع .

يرى القارىء ان المسألة ليست الملك حسين بل **اسرائيل وأميركا** . في الجمع الحسابي (فلينر + ماتزبن + سلمية آفنيري) ، أدخلنا آفنيري . قد يعترض كشلي على هذا الجمع ويقول : أخرِجْ آفنيري ! وقد نستجيب . وعباس بزي قد يرفض فيلنر وراكاح، وربما الجميع. الجبهة الشعبية الديمقراطية لا تقبل إلا ماتزبن . أما جمعنا الحسابي **الموسّع** فيبين ضيق امكانية ما تسميه الجبهة « التصفية » ، من جانب اسرائيل ذاتها . وحسابُ الجبهة التي لا تقوم به الجبهة أضيق أيضاً. ربما واحد بالألف من المجتمع الاسرائيلي اليهودي ، واحد بالألف من البرجوازية والعمال والبرجوازية الصغيرة الخ الخ اليهودية ، يرضى بما تسمّيه الجبهة « التصفية » : قرار مجلس الأمن ، مؤتمر الخرطوم . بالفعل ، آفنيري ذاته له رأي معاكس في مؤتمر الخرطوم ، إذ يرى فيه **تطرفاً** عربياً أبعد السلام وعزّز المؤسسة الصهيونية في اسرائيل ... فليطمئن رفاق الجبهة على موضوع ما يمكن وما لا يمكن استرجاعه، من جانب اسرائيل على الأقل [1] .

المسألة ليست اذن في الملك حسين . ومع ذلك ، من المفيد ان نذكّر

---

(١) أما ناتان فاينشتوك ، فقد أسهب في عرض وقائع المدّ التوسّعي الالحاقي الذي غمر اسرائيل بعد حزيران : الماباي ورافي واحدوت - هاعفودا (حزب العمال الموحّد الشامل ...) ، المابام ، حزب ماكي ، (كل الأحزاب ما عدا راكاح وجماعة ماتزبن) ، استعمار الجولان ، استثمار بترول سيناء ، مشاريع المستقبل (« الصهيونية ضد اسرائيل » ، ص ٥١٥ وبعدها) . وقد استخلص من نصوص ميخائيل شيفر استنتاجات مختلفة عن زميله اليساري العربي الثائر : التوسع « التجاري » لا يبدو الوحيد ، ولا الأهم ! (ص ٥١٧) . وفي التوسع التجاري ، اسرائيل مهتمّة بتصريف ... فائض البيض والدجاج . أما منتوجات الصناعة فلا تستطيع أن تنافس المنتوجات العالمية : فرق الانتاجية كبير .

الجبهة الشعبية الديمقراطية ، ما دامت تنال رعاية أوساط ماركسية من نوع جيرار شاليان أو مجلة آفريك – آسيا أو ميشيل بابلو أو ما هبّ ودبّ إلى عندِها من تروتسكيين، ان هناك أوساطاً ماركسية اخرى في العالم لا تشاركهم هذا الموقف . أوساط لها وزن « أكبر » من خمس جماعات تروتسكية ، دول اشتراكية بروليتارية . إن صاحبي كتاب « **خفـــايا حرب الأيام الستة** » (وارصو ، ١٩٦٩ ، بالفرنسية) لا يبخلون بألفاظ « وطني » و « شجاع » عن مواقف حسين بعد حرب حزيران . « حسين كان لسان سياسة واقعيـة قوامها عمل العرب المشترك ووجدت تعبيرها في بيـــان مؤتمر رؤساء الدول العربية في الخرطوم [...] ان مؤتمر الخرطوم قد بدّد كل الأوهـام حول الانقسام في العالم العربي . سوريا وحدهـــا رفضت الموقف العربي المشترك [...] » (ص ١٦٧ ، ص ١٦٨) . يان دزيدزش وتادوز فاليشنوفسكي متفائلان .... ولكن يبقى ان الاتحـاد السوفياتي والدول العمالية في اوروبا الشرقية تؤيد « العمل العربي المشترك » بما فيه « البرجوازية الاردنيـــة » . ومع علمنا ان وكالة أنباء الصين الجديدة تركز انتباهها على « العمل الفدائي » وعلى أحاديثنا (ليس نحن !) عن حرب التحرير الشعبية وتُطارد هي أيضاً الحل السلمي والتحريفية السوفياتية (مطاردتها لذلك الحل جزء و « فرع » من مطاردتهـا لهذه التحريفية) فلا نعتقد انها تعارض تضامن الدول العربية بما فيه « البرجوازية – الاردنية » .

وبعد . نحن لا نضمّ الملك حسين إلى مقولة« الملوك وصغار الملوك والأمراء الوطنيين » الصينية المعروفـــة (والتحريفية في نظر السوفيات ! نحن نؤيد المقولة الصينية !) . لا نضم الملك حسين إلى هذه المقولة . الملك حسين ليس الأمير نورودوم سيهانوك ، أو الأمير زعيم باتت لاو الرسمي. ولكننا نستطيع أن نميز بين حسين – وصفي التل ايلول١٩٦١ وأيار ١٩٦٧ (نباح اذاعة عمان ضدّ « الجبنـاء الذين يختفون وراء قوات الطوارىء » «الذين لا يغلقون خليج العقبة » في أيار ١٩٦٧ ، لأن هذا الابتزاز ليس وقفاً على «اليسار» ، إطلاقاً.

اليوم : جلال كشك ، علال فاسي ، ومئات الآخرين . بل في مكان مـا من العالم العربي الفسيح ، هناك تركيبة تجمع الطرفين « اليساري » « العالم ثالثي » « الغيفاري » و « القومية » « الثورية » « الاسلامية » الخ . وحتى بدون التركيبة المرئية ، هناك تضافر موضوعي بين المتباعدات) ، وحسين أواخر أيار ١٩٦٧ وما بعد . لعلّ حسين – التل – حاطوم الخ تصوّروا فعلاً أن الاميركيين كتبوا لهم أن يحكموا دمشق، ونشطوا . ولكن لعلّ لحظةً جاءت هي لحظة الحقيقة . في لحظة الحقيقة ، حسين يدرك أن النشاطات السابقة له ولغيره تمهيد طويل ومدروس مُحْكَم من أجـل نتيجة أخرى . ولعلّ اسرائيل أعلمته فعلاً : مصر ستنال ما يلزم ، أنتَ خارج الموضوع . ولعل حسين (بخلاف التل) لم يصدّق الشطر الثاني ، وأدرك تماماً الشطر الأول . ولعلّه تذكّر مصير أجداده. ولعله كما تقولون« حريص على مكاسب ١٩٤٨ ». وفي هذا الشكل (شكل ايار – حزيران ١٩٦٧) مصيره الشخصي مرتبط بمسلكه ، بحرص معلَن على هذه المكاسب ، بأن يتلقى « الضربة » ، لا بعد مصر (في ظرف عدائه لمصر وحياده في الحرب) ، بل جنباً إلى جنب مع مصر . ومسلكه في أواخر ايار ١٩٦٧ لم يؤدِّ إلى شيء مفيد . موضوعيـاً . جاء عبد المنعم رياض إلى الاردن . ولكن ميثاق الدفاع السوري – المصري سقط (اذا كان موجوداً ! [1]) . في ساعة مغادرة حسين مطار عمان إلى

---

(١) صاحبا الكتاب البولوني المذكور آنفاً يقولان : « ليس مستبعداً ان اسرائيل كانت تسعى أيضاً الى إلقاء الشبهة على ميثاق الدفاع السوري – المصري المعقود في آذار . هـذا الميثاق كان قد وقع بعد حادث السموع، إلا أنه لم يجد تطبيقاً عملياً خلال الاشتباك السوري – الاسرائيلي فوق بحيرة طبريا في نيسان . إن عدم التدخل من قبـل الجمهورية العربية المتحدة (إن طائرات ج. ع. م. – كما شدّد على ذلك ناصر في خطابه في أول ايار – لم يكن لها حق المرابطة على أرض سوريا) جعـل مراكز الدعاية المعادية لمصر تعلن أن هذا الميثاق ليس إلا قطعة ورق عربية بالية أخرى » (ص ٩ – ١٠) .

القاهرة ، كانت اذاعة عمان لا تزال تهاجم القاهرة . في ساعة بداية الحرب كانت إذاعة دمشق تهاجم عمان .

ذلك جانب من ظروف الحرب ـ الهزيمة . **أحد** أسباب الهزيمة ـ **الكارثة** (التي فاقت في هولهـا توقعات أكثر الناس تشاؤماً ، وأنتم جميعاً كنتم من صفّ المتفائلين) هو هذا . اسرائيل شنت الحرب في الوقت الذي تريد ، في ظرف ذروة الانقسام العربي الذي تريد . هذا الجانب أو الجزء من الأسباب المباشرة للهزيمة لا يرد إطلاقاً في كتابات « المنظّرين » .

شيء آخر بصدد الملك حسين وحرصه وتصريحاته . تُرى ألم يسمع الكاتب بتصريحات لحسين مفادها أنه ليس – هو أو مملكته أو إمارته أو برجوازيته الاردنية أو الشرق – اردنية – حريصاً على أن يسترجع الضفة الغربية ، وإنما هو حريص على أن تنسحب اسرائيل من الضفة الغربية والأراضي المحتلة بوجه عام ؟

في هذا الشكلِ الاحتمالِ الواحد بالمئة ، قد يؤول الحكم في الضفة الغربية بشكل طبيعي وبسيط إلى الفقراء حاملي السلاح وسلاح « النظرية » . وعندئذ ، تستطيعون أن تشنّوا « حرب التحرير الشعبية » . وقد تنتصر البروليتاريا الاسرائيلية أيضاً بقيادة ماتزبن أو تجمُّع اليسار الاسرائيلي المعادي للصهيونية ، وعندئذ ستكونون قـد أنشأتم دولة فلسطين الديمقراطية الشعبية الاتحادية العربية – اليهودية ، « المعادية للقهر الطبقي والقومي » ، وجعلتم فلسطين « قلعة تقدمية ثورية مع كافة القوى المناضلة ضد الامبريالية والثورة المضادة في هذا العالم الأرضي » [1] .

---

(١) « نحو حل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية » في كتاب « حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن » ، قدم له نايف حواتمـه ، الفصل الأخير ، ص ١٦٧ . في هذه الصفحة « تدعو الجبهة الشعبية الديمقراطية » (حرفياً ، ومع التشديد) « كافة العناصر والتجمعات الاسرائيلية واليهودية » « الى الالتفاف حول هذا الحل » . نعم كافة التجمعات الاسرائيلية =

وبعد . مرة أخرى : لم نستنفد موضوع الـ ١٪ الصائر ١٠١٪ عند أعداء « القهر الطبقي والقومي » . وشطحات أنصار الـ ١٠١٪ لا تغنينـا أبداً عن بحث الـ ١٪ نفسه وملابساته واحتمالاته الدولية والعربية .

أما ملك الاردن أو شرقي الاردن ، فقد قلنا أننا نميز بين حسين ١٩٦١-١٩٦٧ وحسين حزيران ١٩٦٧ - ١٩٧٠ . ثمة فرق بَيْن الاثنين . هذا الفرق ليس في **حسين** ، انـه في الموضوع ، الذي هو أكبر من حسين ومنكم مئات المرات : الامبريالية وخططهـا ، الصهيونية ، الأمة العربية ، الثورة الاشتراكية العالمية .

« يختم » الكاتب العربي القسم السابق الذي حمل عنوان « مصالح الرأسمالية الاردنية » (مع ان ثلثي القسم السابق كان يجب أن يوضع تحت هذا العنوان اللاحق ، ولكن يبدو ان التناظر الشكلي أهم من أقسام المضمون المنطقية ، في نظر قارىء الكتاب أو ربما الجريدة) . إذن **يتابع** الكاتب تحت العنوان الجديد « نحو تصفية قضية فلسطين » موضوع « نحو تصفية قضية فلسطين » (٥٨ - ٦٢) :

« وقد جرت تحركات دبلوماسية كثيرة ، وقام عدد من الشخصيات الدبلوماسية برحلات سندبادية ، وكلها من أجل تنفيذ المؤامرة الكبرى لتصفية قضية فلسطين تحت عنوان الحل السلمي . كل هذه التحركات ما زالت تنتهي الى طريق مسدود . لكنها توضّح مجدداً أن النظام القائم في الاردن يريد الوصول الى تصفية مـع اسرائيل » (ص ٥٨) .

ثم : « وعقب نتائج حرب حزيران بدأ الاردن يهدّد بشراء السلاح من مصادر أخرى - شرقية - إلا أنه سرعان ما تراجع عن تهديده وأمكن المحافظة « على صداقة الولايات المتحدة الاميركية الى أبعد الحدود » . ودارت دورة الرحلات الدبلوماسية ومهمة يارينغ » (ص ٥٨ - ٥٩) .

= المناهضة للصهيونية ، المؤمنة بالكفاح المسلّح ، هلمّجرا .

سنرى في مكان لاحق أن صاحب «النظرية»، بدافع من المنهج الثوري في الفكر والعمل، يدين أسلوب « المناشدة » ، المناشدة الموجهة الى العرب من قبل منظمة التحرير البرجوازية .

ثم مهمة يارينغ ومعنى فشلهـــا ، وخشية حسين « أن يرسخ في أذهان العرب أننا لن نبلغ أهدافنا بالحل السلمي » (نقلاً عن المصدر المذكور فيك فانس . . الخ) .

« لكن الحـــل السلمي يصطدم ، بالنسبة للاردن ، بتناقضات عديدة . من جهة يصعب على الاردن الاتفاق مع اسرائيل حول وضع الضفة الغربية. ومن جهة أخرى، يضطر الاردن للتردد كثيراً قبل الانفراد بتحمل التبعات السياسية لحـل سلمي اردني بمعزل عن باقي الدول العربية » (ص ٥٩) .

ثم جواب حسين لسؤال وجهه فانس ولوير حول احتمال إقامة سلام منفصل بين الاردن واسرائيل : « لا . انـ هذا ليس ممكناً ولا جدياً . يجب أن نحل الخلاف بكامله وليس جزئياً . إننـا نريد تنسيق كل شيء . وقد بذلت قصارى جهدي في هذا السبيل » . (نفس المصدر)، والتعليق : حسين يريد تغطية موقفه، يريد « التسلح بالموقف المصري والعربي الرسمي لتغطية تحركات النظام الاردني نحو تصفية قضية فلسطين » لأن النظام الاردني بدون هذا « الغطاء العربي » ، « سيقف وجهـاً لوجه مع الجماهير الاردنية والفلسطينية التي تتم التصفية على حساب أرضها ومجهودها . ان النظام الاردني يبقى عاجزاً عن تحقيق طموحه إلى حل سلمي اردني اسرائيلي ، لأن ذلـك يعني التدهور السريع في الوضع الداخلي في الاردن ويعرّض الحكم والطبقـــة البورجوازية الملتفة حوله للانهيار » (ص ٦٠) .

و«الحكومة الصهيونية تدرك ذلك أيضاً»، تصريح للجنرال اسحق رابين، الذي «أعرب عن اعتقاده بأن الاردن مستعد لعقد السلام «لكنه لا يستطيع عقده » بينما مصر لا تريد السلام » (ص ٦٠ و ٦١) .

ثم « موجز هذا البحث » (ص ٦١ و ٦٢) .

قبل الانتقال إلى الموجز لا بد من بعض الملاحظات الاضافية :

لا ريب في أن الاردن بتراجعه عن شراء السلاح الشرقي قد أخطأ . أما أن يكون الاردن قـــد « هدّد » ، فإن هذه الخطوة الاردنية ليست بهذه

الخطورة والخطر . وحسين حريص « على صداقة الولايات المتحدة الاميركية إلى أبعد الحدود » ، ولكن الولايات المتحدة لم تبادله هذا الحرص . ويبدو أن المنظر العربي يجهل هذه الواقعة ، ولو انه لا يتوقف عندها ، إنما يقول « ودارت دورة الرحلات الدبلوماسية ومهمة يارينغ ، تلك المهمة العقيمة التي أصبحت الأمل الوحيد المرجعية العربية في إيجاد مخرج سياسي لتصفية قضية فلسطين » (ص ٥٩) . مع أنـــه كان من الطبيعي بدلاً من (أو داخل) « الرحلات الدبلوماسية » أن يتوقف عند رحلة حسين الدبلوماسية إلى الولايات المتحدة الاميركية ، الـتي لم تبادله الصداقة ، قطعت الصداقة (بعد ترحيب خارج عن المألوف) عندمـــا عرفت موقفه : رفض الحل المنفصل حسب الشاهد المنقول من كتاب فيـلك فانس الخ (« تنسيق كل شيء » ، « حل الخلاف بكامله وليس جزئياً ») أو « الحرص على الغطاء العربي» حسب التعليق على الشاهد. هذه الواقعة ـ أحداث رحلة حسين إلى الولايات المتحدة ـ منشورة بشكل واضح في الكتاب البولوني المذكور آنفاً، وقد تكون واردة في « المصدر نفسه » (فيلك فانس الخ). لن نتوقّف عندها . ولعل الكاتب العربي موافق على ذلك (وصف المهمة ، مهمة يارينغ ، والرحلات السندبادية بأنها « **عقيمة** ») .ولكن صداقة على صداقة ، وحب بحب ، ليس المهم حب الاردن لـ « لمولايات المتحدة الاميركية »بل حب« الولايات المتحدة الاميركية» للاردن ، غربية وشرقية ، تسلسل أولويات الحبّ : اسرائيل لهـا الأفضلية في سلّم العواطف، ليس فقط على « الجماهير الاردنية والفلسطينية » بل أيضاً على « البرجوازية الاردنية اللاهثة وراء دور الوسيط في السوق العالمية » التي « تحكمها علاقات السوق الرأسمالية » وعلى **الملك** حسين ووصفي التل ، وحتى في عواطف لندن ، رغم زوجة الأول ومدرسة الثـاني . (أو لنقل أن العواطف لم تسيّر سياسة لندن في يوم من الأيام . الملك عاد أميراً على شرقي الاردن ، ويمكن أن يعود إلى من حيث يأتي الانسان ، « إلى التراب »).

أما « تعرض الحكم والطبقة البرجوازية الملتفة حوله للانهيار » ، فإننـــا

نسألكم بصدق وبساطة : ألا تعتقدون بأن الاردن كلّه معرّض للانهيار ، وأنتم معه ؟

اما « موجز هذا الجزء من البحث » : « ان النظـام الحاكم في الاردن والطبقة البرجوازية الملتفـة حوله تسعى لتصفية قضية فلسطين مع الصهيونية لتحقيق مصالح البرجوازية الاردنية والرأسمالية اليهودية ، ولكن النظام الحاكم في الاردن يسعى أيضاً لاستعادة السيطرة على الضفة الغربية لنهر الاردن » (ص ٦١) .

مرة أخرى : السعي لاستعادة السيطرة على الضفة الغربية . كل كلمة موزونة : « السيطرة » ! الجبهة الشعبية الديمقراطية ضدّ استعـادة هذه السيطرة وكذلك اسرائيل : حتى الآن على الأقل !

« والنظام الحاكم يجد في مواقف الطبقات الحاكمة في الدول العربيـة المجاورة لفلسطين سنداً وغطـاء يمكنه الاعتماد عليه لازالة العقبة المستعصية من طريق الحل التصفوي لقضية فلسطين ، » (ص ٦١) .

— نعَمْ « يجد » قبل قليل، قبل ستة أسطر فقط قرأنا اعتقاد رابين بأن « مصر لا تريد السلام » . وعلى امتداد الصفحة السابقـه كانت « مساعي » و « تحركات » من جانب **الاردن** . صحيح انـنا قبل أربع صفحات قرأنا نقاط الاتفاق الخمس بين حسين وعبد الناصر. لا يبدو اننا سـ « نتجاوز » مرحلة الادراك الاجمالي الغامض، أو أننا تجاوزناها(!) **سلفاً** إلى...«الموجز»، موجز كل الأجزاء وكل البحوث .

« ، وتلك العقبةهي الموقف الجماهيري الاردني الفلسطيني والطلائع الثورية المقاتلة في الحركة الفدائية الفلسطينية . ذلك أن » . وينقل المنظر ١١ سطراً عن « نفس المصدر » : « في عمان قليل من التصريحات وقليـل من الموسيقى العسكرية » ، « وبالمقابل ظاهرة مقلقة : في كل مكان رجـال بالبزّة الخاصة بالفدائيين ينقلون رشيشاتهم بشكل ظاهر » ، « معظمهم من دعـاة الكفاح المسلح إلى النهاية » ...

— ما هو المعنى الذي يجب أن نعطيه لـ« في »في عبارة « الطلائع الثورية

المقاتلة في الحركة الفدائية الفلسطينية » على لسان الجبهة الشعبية لديمقراطية ، هذا ما قد يتوضح في مكان لاحق . أما الآن ، من الآن ، علينا أن نبدي ثلاث ملاحظات ما دمنا في صدد « العفوية والنظرية » :

١ . قلة التصريحات (ربما المقصود تصريحات حكومة عمان) يعوّض عنها اليوم بشكل كافٍ كثرة البيانات (بيانات الكفاح المسلّح) يذكر القارىء (القدس كمحور وحريق المسجد الأقصى) اننا في آب ١٩٦٩ كنا عند تصريح قيادة الكفاح المسلح رقم ٥٩٢ وبيان عمليات الجبهة الشعبية الديمقراطية رقم ١٣٥ . هذا ليس قليلاً . والأفضل أن يسعى محمد كشلي ـ الآن ـ ما دام على ما يبدو ، يحب « قليل من التصريحات » ، أن يسعى إلى « قليل من التصريحات » . نحن معه !

٢ . « البزّة الخاصة بالفدائيين » و« نقل الرشيشات الظاهر » هذا لا يغني عن الوعي (ولا عن العمل) . وبدلاً من « النظرية » ، إنه يدفع إلى انعدام النظرية ، إلى ما هو أسوأ من العفوية ، إلى نظرية خاطئة .

٣ . يستطيع الأخ محمد كشلي ـ إذا شاء ـ (ونستطيع معه) أن يستشهد بمئة كاتب ، بمئة مفكر يساري ومـاركسي ، وبمئة صحفي يساري وعشرين صحفياً يمينياً ، وعشرة أو مئة « اعتراف » صادر عن « العدو » ، عن « الامبريالية » أو « الرأسمالية اليهودية » أو « البرجوازية العربيـة » أو جنرالات اسرائيل ، فإن الحركة الفدائيـة الفلسطينية لن تكون بسبب ذلك في أحسن وضع . **حذار !**

« هذه الحركة الفدائية الفلسطينية التي تقف اليوم وحدها في مجابهة الصهيونية و» (ص ٦٢) .

ـ كلا ! ليس وحدها أبداً . لا الآن ولا في ١٩٦٨ . كتابك لم يكتب قبل **أواخر** ١٩٦٨ (في المقدمة اشارة إلى صدام ٦٨/١١/٤) . كانت هناك

معارك حول الممر المائي المغلق ، وتدمير سفينة إيلات[1] ، وتدمير مصافي البترول في مدينة السويس ، قبل ذلك بمدة لا بأس بها ، وفي معركة الكرامة ، جيش الأردن هو أيضاً وقف في مجـابهة الصهيونية (ونال هو ورئيسه الملك مديح أوسـاط اشتراكية ودول اشتراكية صديقة ، وبعض الاشتراكيين « اليساريين » لم يسرّوا بهذا المديح) . بفضل نظريتك ، أكثرَ قليلاً من نظريتك ، اذا تعمّمت نظريتك – كلمة « وحدها » ، وكل الباقي – ، والحركةُ الفدائية الفلسطينية لن تقف غداً لا وحدهـا ولا مع الآخرين ، مع الجيوش النظامية المحترفة الآكلة المترهّلة ، وراء « البرجوازية العربيـة » التي هي جيوشها .

« وتتعرض لمجابهة تفرضها عليها الرجعية العربية » .

تكلمنا عن ذلك وسنتكلم عنه . دائماً نحن معكم ، وراءكم .

« هذه الحركة الفدائية لها أساسها الاجتماعي ضمن شعب فلسطين ، وهـذه الحركة الثورية لها آفاق ومهمات تتحكـّم فيها وتحدد لها تقدمها في حركة التاريخ الصاعدة.. وسنتناول بالبحث الواقع الاجتماعي الفلسطيني الذي أفرز الحركة الفدائية الفلسطينية ، وسنتناول الحركة الثورية الفلسطينية بآفاقها ومهماتها » .

« الأساس الاجتماعي »، « حركة التاريخ الصاعدة »، « الواقع الاجتماعي » الذي « أفرز » ، « الآفاق والمهمات » ، ومرة أخرى « آفاقها ومهماتها » : هذا كله يمكن أن يكون ماركسية ويمكن أن يكون « اقتصادية » ويمكن أن يكون « ألفاظاً » .

الواقع الاجتماعي ؟ نعم . ولكن خصوصاً : الشعب الفلسطيني ، الوجود الفلسطيني ، الوجود القومي الفلسطيني (العربي) ، الوجود القومي العربي ، في زمن الامبريالية وصراعاتها . واقع الشعب ، الواقع القومي ، واقع الحرب والهزيمة ، واقع العصر ، وأخيراً : الواقع الاجتماعي الفلسطيني ، الطبقـات

---

(١) ٢١ تشرين أول ١٩٦٧ « أول هزيمة عسكرية لاسرائيل منذ حرب ١٩٤٨ » (كتاب فاينشتوك ، ص ٥٥٠) .

« الداخلية » لفلسطين العربية ، المجتمع الفلسطيني العربي ، الذي ليس مجتمعاً ، لم يعد مجتمعاً ، في زمن الامبريالية واستعمارها السكاني واستباحتها غير الاقتصادية للشعوب . وعلى هذا الأساس : الطبقات ، الواقع الاجتماعي .

لقد أخذنا في الفصول الثلاثة السابقة نموذج «الاقتصادية» الصائرة اقتصادية « العوامل الاقتصادية » بأكثر المعاني ابتذالاً . يبدو اننا سنرتقع الآن درجة ، عائدين إلى معنى « الاقتصادية » المألوف في تاريخ الماركسية وصراعاتها الايديولوجية : الطبْقَوِية !

٨
"الواقع الاجتماعي للشعب الفلسطيني" "الكامن" وراء "رفض التصفية"

- توطئة فيتنامية .
- « الفلاحون ٨٠٪ من السكان في غالبية البلدان العربية».
- « نتائج حرب حزيران » .
- « الحركة الفدائية والنظام الاردني » .
- الحلقة المفقودة : « الحركة الفدائية واسرائيل » .

لا ! أخطأنا . على الأقل بالنسبة لهـذه الصفحة الأولى من الفصل[١] (ص ٦٥) وربع الصفحة الثانية .

نبدأ في هذه التوطئة (ص ٦٥ – ٦٦) **بفيتنام . « نضال شعبها البطل »**

---

(١) نبدأ الان الفصل الرابع وعنوانه : « الواقع الاجتماعي للشعب الفلسطيني » . هذا الفصل عنوانه في المقدمة : « شعب فلسطين ورفض تصفية قضية فلسطين » . وهذا الأصح ، الأكثر تحديداً وملموسية .

« الحافل بالدروس التي تفيد كافة المعنيين بقضايا التحرر في العالم » .
(السطر ١ ، ٤ ، ٥) .

« وفيما يلي نورد حديثاً عن أبرز الدروس الفيتنامية قبل متابعة بحثنا الأساسي . يقول نيغوين فون جياب ، قائد جيش التحرير الفيتنامي : »
(السطر ٥ ، ٦ ، ٧) .

السطر ٨ : « إن عدو الأمة الفيتنامية » .

— !! نعم ! هكذا **يبدأ** أبرز دروس نضال الشعب البطل على لسان جياب . فعلاً ، إن صاحب « النظرية » شجاع حقاً . على امتداد ٦٤ صفحة لا نذكر أننا قرأنا « **الأمة** العربية» مرة واحدة. استطاع المنظّر أن يتحدث عن الامبريالية العالمية و« منطقتنا »، بدون «الأمة العربية»، وعن الصهيونية العالمية وفلسطين ، بدون « **الأمة** العربية » . رأى « الصناعة الكبيرة » في الضفة الشرقية للاردن . ولم يرَ « الأمة العربية » الصغيرة (وهذا معناه انه لم يرَ لا الامبريالية ولا الصهيونية[1]) . نغوين فون جياب (**الجنرال** جياب الذي هو « جنرال » ، وغير مترهل، وتحريري شعبي بالفعل لا بالقول ، بالعمل لا بالعواء الذي لا يجتمع مع العمل (على حد قول ماركس وقول أبسط كادح و «فقير») ، وجنرال ونظامي جداً ، ومحترف هذا كله، محترف القيادة والعسكرية والنظام والقتال و ...... التحرير) يقول **مدشناً** الدرس : إن عدو **الأمة** الفيتنامية . فمن هو عدو **الأمة** الفيتنامية ؟

« إن عدو الأمة الفيتنامية هو الامبريالية العدوانية التي يجب القضاء عليها. ولكن لأن الامبريالية تحالفت منذ زمن طويل مع الاقطاعيين ، لذلك لا يمكن ، قطعاً ، أن يفصل بين الصراع ضد الامبريالية ، وبين الصراع ضد الاقطاعية . أما من الناحية الثانية فإن بلداً متخلفاً مثل بلدنا ، حيث يشكل الفلاحون غالبية السكان ، تصبح فيه الحرب الشعبية ، أساساً ، حرب فلاحين بقيادة الطبقة العاملة . لهذا فإن التعبئة

---

(١) هذا « الديالكتيك المادي » رآه (؟) في نتف من كتب . لم يره في التاريخ العربي الحديث ، في الواقع العربي الراهن ، في موضوع اللينينية .

العامة لجميع أفراد الشعب مـا هي تقريباً إلا تعبئة الجماهير الريفية . وان مسألة الأرض ذات أهمية حاسمة .

« لقد أثبتت حرب التحرير التي خاضعهـا الشعب الفيتنامي .. (١)

« ان الحرب الشعبية الفيتنامية في سبيل التحرير ، يجب أن ينظر اليها ، بعد التحليل العميق ، بوصفها ثورة شعبية ديمقراطية وطنية ، تتخذ شكلاً مسلحاً ، ولها هدف مزدوج : هو الاطاحــة بالامبريالية ، وهزيمة الطبقة الاقطاعية ، مع اعتبار الصراع ضد الامبريالية هو المهمة الرئيسية ..

« لقد أثبتت حرب التحرير التي خاضها الشعب الفيتنامي أن النصر على عدو قوي بقدر ما هو بطاش ، ممكن فقط ، عن طريق توحيد الشعب بكامله ، في قلب جبهة وطنية متحدة واسعة وحازمة .. تقوم على أساس تحالف العمال والفلاحين » (انتهى الشاهد من جياب . إحالة الى كتــابه : حرب المقاومة الشعبية ، دار الاداب ، ص ٢٤ و ص ٣٠) .

هذا ما ينقله منظّر الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين عن جياب. وسنكتفي بما ينقله .

هذا الذي ينقله هـل هو يبرّر خط « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » أم عكسه ؟ هل يبرّر نظرية منظّر العمل الفدائي أم عكسها ؟ جملةً وتفصيلاً !

جملةً : جياب (هوشي منه ، ماوتسي تونغ ، ليوشاوشي ، لين بياو الخ الخ) يبدؤون بالامبريالية ، بالامبريالية والأمة . هذا هو الأساس الأول ، المنطلق. المنطلق الماركسي اللينيني : الامبريالية ، عالميــة الرأسمالية ، مفهومة فهماً لينينياً وليس « اقتصادياً امبريالياً » « ماركسياً كاريكاتورياً يسارياً ». ثم : تحالف الامبريالية والاقطاعية المحلية (في نص جياب : البرجوازية غائبة . عنــد ماوتسي تونغ : برجوازيتان كومبرادورية – بروقراطية ووطنية – قومية ؛ الأولى في صف العدو ، الثانية في صف الصديق ؛ في زمن الحروب القومية ضد الاجتياح الياباني ، الأولى نفسها تُقسَم : حلف مع تشانغ كاي شك !). الصراع ضد الاقطاعية . مسألة الأرض ذات أهمية حاسمة : ضرورة القضاء

(١) ننقل حرفياً (.. ») ، نُصوِّر .

على النظام الاقطاعي ، وضرورة تعبئة الفلاحين - غالبية السكان في فيتنام والبلدان المتخلفة – في الحرب الشعبية المناهضة للامبريالية التي تصبح حرباً مناهضة للامبريالية والاقطاعية . « ثورة شعبية ديمقراطية وطنيـــة » (على الأرجح في النص الفرنسي والفيتنامي : القومية nationale . تلك هي الحال في كل نصوص ماوتسي تونغ) ، لهـا هدف مزدوج : « الاطاحة بالامبريالية وهزيمة الطبقة الاقطاعية مع اعتبار الصراع ضد الامبريالية هو المهمة الرئيسية » (كذلك عند ماوتسي تونغ) . « توحيد الشعب بكامله » ، ضرورة نابعة أيضاً من كوننا نجابـه عدواً قوياً وبطاشاً بالتوازي والتساوي ، على أساس تحالف العمال والفلاحين .

حين يتجرّأ المفكر القيادي إلى سوق مثل هـذا النص كمقدمة لفصله « الاجتماعي » يجب أن يكوّن متوسط جمهوره - جمهور قرائـه – في حالة من الوعي تعيسة . وكأن الأمر عند هذا الجمهور يسير على النحو التالي :

يقرأ القارىء المتوسط – الجبهوي ، « اليساري » ، المنفعل من الهزيمة – الكارثة (التي لعب هو أو قادته الحاليون دوراً فيها) ، المتمرّد على الفكر القومي البرجوازي ، على ماضيه الشخصي الفكري نصف التعيس ، الخجلان من هـذا الماضي ، ومن تأخّره عن ركب الفكر الماركسوي المنفلت ... – يقرأ : إن عدو ، الامبريالية العدوانية ، القضاء عليها ، إقطاعية ، فلاحون ، جماهير ريفية ، ثورة شعبية ، حرب تحرير ، نصر ، بطاش ، عمال وفلاحين . بل كأنه لا يكتفي بالاقتطاع ، وإنما يضيف اضافات : قضاء على البرجوازية والبرجوازية الصغيرة والاحتراف العسكري ، وبروليتاريا وحزب بروليتاريا ، وماركسية (يأخذها من قراءة أخرى ، قراءة جرت بطريقة مماثلة إجمالية « جوهرية ») ، وكلمـا قرأ « تحالـُف العمال والفلاحين » يتصوّر ان هذا محقـّق ، متجسّد في رفاقه ، في جماعة إخوان الصفاء الماركسي الطبقي الذي لا يلين . المشكلة هي أولاً في القادة ، قادة التيار . هم المسؤولون . أرادوا إمّعـات . ذاتياً ، يطلبون « الوعي » ، « العلم » ، « الهدوء » ، « النقد » ،

« الوقفة النقدية » ، « المحاكمة النقدية الصارمة » ، البناء الثقافي الماركسي . ويتصورون انهم يحققون ذلك ، بدليل التمرّدات ، الانتقـادات ، النقدات الذاتيات ، التقلّبات . لا يرون إذن ان هذا كله ـ قلبات ، إنشقاقات ، تمرّدات لفظية ـ يمكن أن يصدر ومن الطبيعي ان يصدر عن إمّعات : خراف بانورج Panurge ألقت بنفسها إلى البحر وراء الخروف الأول، ولكن العميان يمكن أن « يتخبطوا » يمنة ويسرة في الظلام ، ذلك لا يجعل الظلام نوراً والخراب بناء .

إلى المسؤولين ، إلى قادة التيار الكبير ، نتوجه : علّموا فعلاً « المحاكمة النقدية الصارمة »، أو على الأقل الصف الابتدائي الأول في مدرسة « المحاكمة النقدية الصارمة » : القراءة المتأنية ، **البطيئة** ، الفاهمة ، الصاحية (شدّدنا على « البطيئة » ، لأنها « مادية » جداً و « ملموسة » جداً) . وبادىء بدء : أنتم تعلّموا !

بعد التمهيد الفيتنامي الذي لم يُفهَم ، ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام تحمل العناوين الآتية : الواقع الاجتماعي الفلسطيني (ص ٦٦ ـ ٧٢)، نتائج حرب حزيران (ص ٧٢ ـ ٨٤) ، الحركة الفدائيـة والنظـام الأردني (ص ٨٤ ـ ٨٧) .

الواقع الاجتماعي الفلسطيني

يقول الكاتب :

« هذا الدرس الفيتنامي يهمنا بمـا يحمل من صفات ومميزات عامة لحركة التحرر العالمي . ويهمنا في البحث أن نتناول الواقع الاجتماعي الفلسطيني الكامن وراء رفض تصفية قضية فلسطين ، وهو الرفض الذي تدعمه الحركة الفدائية الفلسطينية التي يمكن أن تتجاوز حدود العمل الفدائي الفلسطيني ، لتولد حركة ثورية عربية قادرة على دفع النضال الثوري إلى النصر ، وذلك تبعـاً للتطورات الذاتية للحركة الفدائية وتبعاً للتطورات الموضوعية في المنطقة » (ص ٦٦) .

لنترك جانباً « الواقع الاجتماعي الكامن وراء رفض تصفية قضية فلسطين»:

لا نعتقد ان رفض تصفية قضية فلسطين - بلا مزدوجات - يحتاج إلى واقع اجتماعي يكمن وراءه . إن قبائل الهنود - الحمر والماوري ، وشعب الصين ، وشعب فرنسا ، وشعب الاتحاد السوفيـاتي ، وجميع الشعوب - أياً كان « واقعهـا الاجتماعي » ، بدءاً من « الواقع الاجتماعي » البدائي حتى المجتمع الاشتراكي مروراً بالمجتمع البرجوازي الخ - رفضوا دائماً التسليم بوطنهم للغزاة ، تصفية قضية الوطن . هذا الرفض ليس ابن واقع اجتماعي خاص . (حظنا معكم أو حظكم معنا قليل : تتخلون عن « العام » وتلجون « الخاص » حين يجب أن تتمسكوا بالعام - العام الذي درجتم عليه) . إن الواقع الاجتماعي لشعب من الشعوب لا يعلل « رفضاً لتصفية قضية وطنه » ، بل يعلل نتائج الرفض ، قدرة نجـاح الرفض ، خطة الشعب ، استراتيجيته ، تاكتيكه ، نظريته. وكما ترون : «رفض تصفية قضية فلسطين» ليس خطة ولا استراتيجية ولا تاكتيكاً ولا نظرية . مرة أخرى : الماوري ، هنود الولايات المتحدة ، رفضوا . فلسطين ، الشعوب العربية ، ليست الماوري أو الهنود الحمر . احرصوا معنا على أن لا تنزلوها إلى هذا المستوى . أي - في جملة أشياء - قولوا : **الأمة** العربية .

أنْ « تتجاوز الحركة الفدائية حدود العمل الفدائي الفلسطيني » المشهود في ١٩٦٧ - ١٩٧٠ فهذا ممكن ولازم ومطلوب . ما يحدث الآن (النصف الثاني من ١٩٦٩ - الأشهر الأولى من ١٩٧٠) هو العكس . تراجع وانحدار وانقسام وتبعثر ، وضياع فكري ، وضياع فكري باسم الماركسية ، وتوقف ، ومعارك ليست هي الجوهر .

أن «تولّد حركة ثورية عربية قادرة على دفع النضال الثوري إلى النصر» ، فهذا إذا أخذنا هـذا الكلام العمومي الغامض في مدلوله المحدد - المقصود ، غير ممكن . النصر يحتاج إلى الدول العربية ، إلى الجيوش النظامية المحترفة ، إلى الوحدة العربية ، إلى التغيّرات العربية ، وإلى حروب طويلة ومنزفة . والحركة الثورية العربية هي هذا كله ، بما فيه العمل الفدائي . إن فكرة

تَولُّد (انبثاق) « الحركة الثورية العربية » من « العمل الفدائي » او « المقاومة » الخ ، قد رفضناها منذ البداية ، ونحن نرفضها الآن أيضاً . ما هو رأيكم الآن ؟ لم نشاطر شباب « اليسار » الماركسي (البرجوازي — الصغير ونيف) والاعلام العربي والشعر والموسيقى ذلك التفاؤل . وها أن **بعض** أقوالكم ، اليوم ، تشبه ناقوس الجنّاز ، فهل سيأتي البعث في صباح اليوم الثالث ؟ لن نقرع معكم هذا الناقوس . ونحن اليوم أقل تشاؤماً مما كنّا قبل عامين ، ليس فقط بفضل معارك الجيوش النظامية المحترفة (مصر) ، بل أيضاً لأننا نرى **بداية** وعي ، بداية ردّ على موجة اللاوعي في صفوف ماركسيي المقاومة .

ولسنا ندري ما إذا كان الكاتب مدركاً معنى « التطورات **الذاتية** » و « التطورات **الموضوعية** » (وهما كلمتان أُخريان سيكون لهما شأن كبير في الكتابين اللاحقين) . ولكن إذا كان مدركاً ، فإن ربط التطورات **الذاتية** بالحركة الفدائية والتطورات الموضوعية بالمنطقة ما هو إلا نفض يد من « المنطقة » .

بتعبير آخر ، هذا المقطع الغامض (ولعله غامض في وعي صاحبه) لا يمكن أن يحمل سوى معنى واحد ، معنى « التوليد » : الأب والأم : الحركة الفدائية وفلسطين ، الابن : الحركة الثورية العربية .

الصفحات ٦٦ — ٧٢ مكرسة إذن لِ « الواقع الاجتماعي الفلسطيني » . نقلاً عن « ملف القضية الفلسطينية ، سامي هداوي ، مركز الأبحاث » ، تعداد الفلسطينيين مع بعض التعليقات الماركسوية .

الفلسطينيّون في عشية حرب حزيران تعدادهم ٢,٣٥٠,٠٠٠ ، منهم ١,٣٤٥,٠٠٠ لاجئون ، ٤٧٥,٠٠٠ سكان الضفة الغربية غير اللاجئين ، ١٣٠,٠٠٠ سكان قطاع غزة غير اللاجئين، و١٠٠ ألف غير مسجلين كلاجئين ويعيشون خارج الأردن وغزة، و ٣٠٠,٠٠٠ في اسرائيل . اللاجئون ٥٧٪ يعيشون من مصدرين — مساعدة وكالة الغوث ، ومجهودهم العملي ، أو من

المصدر الثاني وحده . بعض الملاحظات أو العبارات الماركسية أو المفترض انها ماركسية : « مجهودهم العملي لتأمين كافة المتطلبات الحياتية ـ وهؤلاء في غالبيتهم أصحاب حرف وتجارة استهلاكية محلية ، وبعضهم من الطبقات الوسطى ذات العلاقة الاقتصادية المتينة بالبرجوازية المحلية في الأقطار العربية ». (ص ٦٧) .

ثم التوزع الجغرافي :

٥٢ ٪ من الفلسطينيين في الأردن (الضفتين) ، ١٧ ٪ في غزة ، ١٢ ٪ في اسرائيل ، ٧ ٪ في لبنان ، ٦ ٪ في سوريا ، ٣ ٪ في الكويت والسعودية والخليج (« غالبيتهم من البرجوازية الصغيرة والمستفيدة من الشركات الأجنبية أو الحكومات المحلية »...) ، ١ ٪ في مصر والعراق ، ٢ ٪ في بلدان المغرب العربي وأميركا وغيرها (« وهم إما من طبقات وسطى ورأسمالية أو من طلاب العلم والطموحات اللاحقة .. ») (ص ٦٨ ـ ٧٠) . بالاضافة إلى « مظاهر الواقع الاجتماعي » هذه ، « ثمة ظواهر أخرى » : « ثلثا اليد العاملة التي يشكلها اللاجئون الفلسطينيون عاطلة عن العمل » (ص ٧٠) . غير ان هذه الظاهرة الاجتماعية لا تبدو إلا تمهيداً للأسطر التالية : « ولما كان ذلك بمثابة خسارة في اليد العاملة في الدول العربية المضيفة ، فقد كان يدخل لهذه البلدان ربحاً بديلاً « يقدر بين ٣٥ و ٤٠ مليون دولار تقدّمه معونات وكالة الغوث » وصلت موازنة وكالة الغوث في عام ١٩٦٥ إلى ٣٧ مليون دولار » (مع احالة إلى ميخائيل شيفر مرة، نرجو انها الأخيرة) : لا بأس بعد أن «أضفنا» « إلى ذلك » (إلى تلك « العلاقات التجارية ») نفقات الدفاع ، أن نعود وأن نضيف كسب الدول العربية من وكالة الغوث ، ولكن لا ندري ما إذا كان هذا أيضاً يؤيد منطق « النظرية » و « هدف » ها الأخير والمعروف سلفاً ، أم العكس !

على أي حال ، لم يعلمنا المنظّر شيئاً ما جديداً عن الواقع الاجتماعي الفلسطيني ، في هذه الصفحات الطويلة ـ القصيرة . بل ان هذا « الواقع

الاجتماعي » مناسبة للعودة إلى الأفكار والمواضيع والألفاظ السابقة : وكالة الغوث والدول العربية وميخائيل شيفر مثال . مثـال آخر هو وكالة الغوث ومساهمة الولايات المتحدة فيها (« ٧٠ ٪ من ميزانيـة وكالة الغوث ، أي ٢٥ مليون دولار سنوياً ») و

« ومن المعلوم - للمقارنة - ان وزارة الدفاع الاميركية قدرت اثر حرب حزيران أنها « ستتكبَّد زيادة على ما تصرفه حالياً لتأمين المنتجات البترولية اللازمـة للقوات الاميركية اذا ما انقطع ما تأخذه من الشرق الأوسط بمـا مجموعه ٢١ مليون دولار شهرياً » أو ٢٥٢ مليون دولار سنوياً - لا شك أن ذلك يوضح حرص اميركا وشركاتها على (غوث) الفلسطينيين وتصفية قضيتهم ، وطبعـاً الحفاظ على مصالحها المتزايدة في المنطقة » (٧١) .

مرة أخرى : البترول ووزارة الدفاع الاميركية ونفقاتها الاضافية . أيتها « البرجوازية العربيـة » (ملك السعودية ، أمير الكويت ، عبد الرحمن عارف الخ)اقطعي البترول عن« التجارة العالمية »ووزارة الدفاع الاميركية، أو (عبد الناصر) اغلقي « الممرّ المائي » . ومرة أخرى ؛ نحن نطمئنكم على الشطر الثاني ، انه محقّق .

نشكر منظّر « الواقع الاجتماعي الفلسطيني » على الأرقـام والنسب التي قدّمهـا (ونشكر سامي هداوي ، ومئة كتاب آخر) . ولكن الباقي (الألفاظ) يساوي صفراً . **والمجموع** ليس صورة « المجتمع » الفلسطيني التي ينشدها« ماركسياً »أي « اقتصادياً ». نحن ، في الصورة، لا نرى بروليتاريا، وفلاحين ومراتبهم، وبرجوازية صغيرة في المدن، وبرجوازية، وكبار ملاكين، **بقدر ما** نرى لاجئين (٥٧٪) وغير لاجئين (٤٣٪) ، وبين اللاجئـين ، عاطلين عن العمل (الثلثين) وغير عاطلين عن العمل (الثلث) ، وبين غير اللاجئين أناساً يعيشون تحت النير الاسرائيلي ، وأناساً يعيشون (قبل حزيران ١٩٦٧) في خطر السقوط تحت هذا النير نفسه (الضفة الغربية ،غزة) الخ . . أي مشردين ونصف مشرّدين وقابلين للتشريد ، لاجئـين مرة ، ولاجئين مرتين الخ . **هذه هي فلسطين.** فلسطين هذه لا تدخل في القالب« الاجتماعي »

(« الاقتصادي ») ، لا في قالب نموذج المجتمع الغربي، ولا الروسي القيصري، ولا الصيني ، **ولا الفيتنامي** . ولكنها تتفق تماماً مع الماركسية، مع اللينينية فاهمة الامبريالية ونافية القوالب .

هذه الصورة الفلسطينية ، كما يكونها أي انسان يفتح عينه على الواقع ، وكما نكوّنها من أرقام ووصف صاحب « النظرية » (أو سامي الهداوي) ترضينا ، ترضينا تماماً . إنها **الأساس** ، وأساس الأساس ، الباقي يأتي بعد ، فوق الأساس (فلاحين، عمال، الخ، مليونيرية، أصحاب مصانع كبيرة الخ). ولكن هل ترضي صاحب « النظرية » و « النظرية » ؟ أليس من المؤلم أن الكاتب « الماركسي » العربي ترك هذه المناسبة الفريدة الأصيلة الفلسطينية — الواقع الاجتماعي وما تحت الاجتماعي الفلسطيني بلا مزدوجات — تفوت دون أن تُمكّنه من العودة إلى لينين والماركسية ؟ حقاً، اننا نشكّ في جدوى عملنا : لعل الحالة ميئوس منها. على كل حال، ليس من علاج سوى الاستئصال، استئصال « النظرية » من جذورها . دورنا ليس أكثر من مساعد . فلنواصل المساعدة إلى النهاية .

في خضمّ التقسيمات التي ، في نظرنا ، تأتي فوق الأساس ، **بعد** الأساس ، (« مهن » أو « طبقات » غير مميزة في الادراك الذي يبقى « اجمالياً ») ، يقول الكاتب (ص ٦٧ — ٦٨) :

« كذلك فإن ٢٦ بالمائة من الفلسطينيين عشية حرب حزيران كانوا من سكان الضفة الغربية (٢٠٪) وغزة (٦ ٪) غير اللاجئين - أي من الفلاحين في غالبيتهم (نسبة الفلاحين في غالبية الدول العربية حوالي ٨٠ بالمائة من السكان) وبنسبة أقل من الطبقات الوسطى والبرجوازية الصغيرة بالاضافة الى نسبة أقل من الرأسمالية ، وبقايا الاقطاع في الضفة الغربية وغزة » .

ولا نبالغ إذا قلنا ان هذه هي المرة الوحيدة التي أضاف فيها المؤلف « الماركسي » شيئاً إلى موضوع (الواقع الاجتماعي الفلسطيني) . ولكن ما أضافه — « ماركسياً » — خطأ .

ومن المؤسف انه لا يحيلنا هنا إلى أي مرجع . أين قرأ ان « **نسبة**

الفلاحين في غالبية الدول العربية حوالي ٨٠ بالمائة من السكان » ؟ عند جياب ؟ ماوتسي تونغ ؟ فانون ؟ جاليه ؟ عند شيفر ؟ زارحي ؟ في مذكرة حكومة الانتداب البريطاني ؟ في النشرة الخاصة رقم ١٧ ؟عندلينين؟ في مذكرات السلطان سليم الثالث ؟ في « تاريخ العرب والبربر »؟ في « معجم البلدان » ؟ لا ندري . والأرجح أننا لن ندري .

وأين قرأ أن غالبية سكان قطاع غزة من الفلاحين ؟ وكم ؟ ٨٠٪ ؟ وسكان الضفة الغربية غير اللاجئين؟ (٨٠٪ فلاحون ؟ ترى وعمال «الخدمات(الكهرباء والماء)»وصناعات « الانتاج المحلي » غير الكبيرة والسياحة والدين ؟

كلا . الفلاحون لا يشكلون لا ٨٠٪ ولا ٧٠٪ لا في غالبية الدول العربية، ولا في ربع الدول العربية . والفلاحون لا يشكلون « ٨٠٪ من السكان في غالبية الدول العربية » لا اليوم ، ولا قبل عشرين سنة ولا قبل مئة سنة ولا قبل ألف سنة .

بالنسبة لصاحب النظرية الاجمالية : العرب حالة « خاصة » في العالم الثالث . وفلسطين حالة خاصة في الوطن العربي (عفواً: في المنطقة العربية). « خاصة » - بالطبع ! - لا تحمل أي معنى ، وبالأحرى لا تحمل معنى « خاصة » بل « عامة » . (فهو يقفز إلى « وحدة » العام والخاص« الجدلية الماركسية »، من فوق كل اعتبارات المنطق الصوري . هذا إذا كانت المشكلة واردة في ذهنه !) . في العالم الثالث ، الفلاحون ٨٠٪ من السكان. إذن في البلدان العربية الفلاحون ٨٠٪ من السكان . ولكن ، إثباتاً لديالكتيكنا ، نضع تحفظاً : في **غالبية** البلدان العربية الفلاحون ٨٠٪ من السكان .

هذا **كلّه** لا يمتّ بصلة للواقع ، للواقع الاحصائي المعروف .

ومصيبةٌ أخرى أن المنظّر يسوق « موضوعته » - نسبة الفلاحين في غالبية الدول العربية ٨٠ بالمائة من السكان - كأنها بديهية البديهيات ، **بين قوسين**، في معرض حديث عن سكان الضفة الغربية وغزة. بديهية البديهيات. ألم تقرؤوا فانون وماو ؟ ألم تسمعوا نيغوين فون جياب ؟ هكذا تسير أمور

المعرفة في الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين !؟

والحال ، إن معرفة هذا الموضوع — **نسبة** الفلاحين في الدول العربية ، (أو في الكونغو) ، ٨٠ ٪ أو ٩٩,٩٪ — ليس لها علاقة بجياب وماو وفانون [١] . وهي مشكلة ليست بهذه البداهة ، بهذه البساطة ، بهذه السهولة. الخبراء ، كتّاب « المصادر » المتنوعة تعبوا ويتعبون عليها كثيراً : بسبب ندرة الإحصاءات ، تنوعها ، غموضها ، أحياناً : قربها من الخيال ، غموض مقولة « الفلاحين » ، التباسها الخ . بعض المصادر تقدّم أرقاماً (نسباً) **تقديرية** عن « السكان الزراعيين » ، « السكان المشتغلين بالزراعة » ، أو الذين « يعيشون منها » ، بعض المصادر تقدم أرقاماً **تقديرية** (في الغالب) عن « سكان المدن » و « سكان الأرياف » أو « سكان الأرياف والبادية » . بعض المصادر تميز « الفلاحين » الذين يتعاطون أعمال الفلح والزرع ، و ، الرعاة الذين لا يتعاطون الفلح والزرع. ولكن مهما وسّعنا المقولة — « الفلاحين » — ، وأيّاً كان **موضوع** التقدير الاحصائي في « المصادر » التي ليست « نفسَها » ، وكيفما أخذنا « موضوعة » كاتبنا « الماركسي » — الفلاحي ، فإن موضوعته تبقى خطأً بالتمام . لا الفلاحون ٨٠ ./. ولا الفلاحون + الرعاة والبدو ٨٠ ./. ولا السكان خارج المدن ٨٠ ./. ، لا في غالبية الدول العربية ، ولا في ربع الدول العربية .

فيما يلي بعض الأرقام التقديرية :

أولاً . العالم الثالث . ما دام هذا العالم الثالث وفلاحوه ، هذا « العام » ، مهيمناً على عقل منظّري الجبهة .

نقلاً عن كتاب بيار جاليه « نهب العالم الثالث [٢] » ، باريس ، ص ٣٢ .

---

(١) ماوتسي تونغ : « يشكل الفلاحون زهاء ٨٠ ./. من سكان البلاد ». يقصد الصين ، في ١٩٣٩ ، سنة صدور الكتاب : « الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني » .

(٢) الكتاب صدر بالعربية (عن وزارة الثقافة ، دمشق) .

النسب المئوية للسكان الزراعيين (تقدير)

المناطق	١٩٣٧	١٩٥٠
العالم ، بدون الصين والاتحاد السوفياتي	٥٨ ٪	٥٢ ٪
الولايات المتحدة / كندا	٢٣ ٪	١٤ ٪
أوروبا بدون الاتحاد السوفياتي	٣٦ ٪	٣٣ ٪
اميركا الجنوبية	٦٢ ٪	٥٩ ٪
آسيا بدون الصين	٧٣ ٪	٦٤ ٪
افريقيا	٧٦ ٪	٦٦ ٪

إذن : العالم الثالث ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ٪ في عام ١٩٥٠ مع هبوط بمقدار ٣ ، ٩، ١٠ ٪ في خلال ١٣ سنة. إذا قدرنا أن الهبوط جرى بالمقدار نفسه في السنوات **العشرين** التالية — ٣ ، ٩ ، ١٠ ٪ — تكون نسب اليوم ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ٪ . إذا أخذنا « آسيا بدون الصين » **كمتوسّط** العالم الثالث ، يكون معنا : في ١٩٣٧ : ٧٣٪، في١٩٥٠ : ٦٤ ٪، في ١٩٦٩ : ٥٥٪ .

ولعل الرفاق « الماركسيين » لا يعرفون أن معدّل نمو التصنيع شيء ، ومعدّل هبوط السكان الزراعيين شيء آخر . الهبوط يسير قدماً ، نتيجة أسباب وعوامل كثيرة . الفلاحون سابقاً يتحولون إلى عمال أو مستخدمين أو عساكر ، أو ... لا شيء (بطالة) . المدن تنمو . البطالة تنمو .

ثانياً . هناك فرق لا بأس بـه بين **العالم العربي** من جهة وبين مجتمعات الصين والهند وفيتنام الخ ، المجتمعات الزراعية ، الأكثر زراعية في التاريخ (والحاضر) بحكم « الجغرافيا » ، بحكم الطبيعة . مصر استثناء للقاعدة ، وليست هي القاعدة . مصر تشبه الصين ، الهند ، فيتنام . مصر وحدها بين المجتمعات العربية . « المنطقة » العربية في موقع وسيط : التجارة في سلسلة من الحقب التاريخية ، لعبت في حياة هذا العالم العربي كله دوراً أكبر بكثير مما هي الحال في مجتمعات الشرق الأقصى الزراعية ، وفي « مناطق » أخرى

مما ندعوه اليوم « العالم الثالث » . والبادية .

وانا ننصح الرفاق المنظّرين أن يقرؤوا ملاحظات ماركس وانجلز عن هذا الموضوع بالذات (سواء رسائل ١٨٥٣ ، أو ملاحظات لاحقة ، مما نشرناه في كتابنا « الماركسية والشرق » ، دار الطليعة ، ص ٢٣٧—٢٦٠) . أو أن يقرؤوا الصفحات المخصصة لمنطقة « افريقيا الشمالية والشرق الأدنى » في كتاب بيار جورج « الجغرافيا الاجتماعية للعالم »[(١)] ، وهو كتاب كلاسيكي **صغير** لعالم ماركسي شهير وكبير في اختصاصه . أو دراسات المستشرقين ، علماء فرنسا وانكلترة ،خبراء زمن الانتداب والاستعمار الخ . وعلماء اسرائيل ، علماء هذا العدو الذين لم يوقّتوا بحوثهم العلمية (والموجهة دائماً)مع حادثة محددة كعدوان ١٩٦٧ . هناك بين هؤلاء من يفيد أكثر ـ بكثير ـ من زارحي وشيفر . صحيح أنه لا يفيد بالنسبة لـ « موضوعة التصفية الوشيكة » . (لسبب أن هذه البحوث صدرت ، أحياناً ، قبل ٢٠ أو ٣٠ سنة) .

ثالثاً . ننقل عن الكتاب المعروف« **الأرض والفقر في الشرق الأوسط** » تأليف **دورين وارينر** ، الخبيرة الاميركية التقدمية ،الصادر في لندن ونيويورك ١٩٤٨ ، ص ١٠ :

« **السكان** . [...] هنا أيضاً تواجهنا صعوبات كبيرة لأنه ما من قطر في الشرق الأوسط ، باستثناء مصر ، ينشر أرقاماً عن السكان الذين يعيشون على الزراعة . فلسطين يمكن أن تقدم أرقاماً يركن إليها عن السكان الريفيين ، ولكن بالنسبة للعراق وسوريا ، حتى هذه الأرقامُ يمكن فقط أن تقدّر . [ننقل الآن الجدول . تبسيطاً : بالملايين ، مع رقم واحد بعد الفاصلة] .

---

(١) بالفرنسية ، باريس ، سلسلة « ماذا أعرف ؟ ». وننصحكم بدراسة بعض كتب هذه السلسلة الصغيرة الحجم .

السكان في الشرق الأوسط : ١٩٤٣ - ١٩٤٤

	مجموع السكان	سكان الريف
مصر	١٧,٣	١٢,٠
فلسطين	١,٦	٠,٨
شرقي الأردن	٠,٤	٠,٣
سوريا ولبنان	٣,٩	٢,٨
العراق	٤,٥	٣,٥
	٢٧,٩	١٩,٤

بمجموع سكاني يبلغ حوالي ٢٨ مليون ، منهم ١٩,٥ مليون يعيشون في شروط ريفية ، يمكن أن نقدر السكّان العائشين على الزراعة بحوالي ١٧ — ١٨ مليون » ...

بالطبع : دورين وارينر ليست هنا في صدد إثبات شيء ما يتعلق بـ « نسبة الفلاحين » ٨٠٪ أو ٦٠٪ أو ١٠١٪ . ولو قرأت نموذج مؤلفينا ومنظّرينا — «٨٠٪» في ١٩٦٩ —، ليئست من كل موضوع « الأرض والفقر في الشرق الأوسط » ...

وإذا حسبنا النسب المئوية ، حصلنا على ما يلي :

سكان الريف ، في مجموع المنطقة ٦٩٪ ، في مصر ٦٩٪ ، في سوريا ولبنان ٧٢٪ .

السكان الزراعيون في مصر ٦٣٪ (وبالتالي في سوريا ولبنان ٦٦٪ ، وفي مجموع المنطقة **٦٣٪**) .

بالطبع ، يمكن أن نتصور ان خطأ التقليل الاحصائي في الريف أكبر منه في المدينة . تصور صحيح . ولكننا لا ننسى ان الريف يشمل هنا البادية أيضاً (شرقي الأردن ، سوريا ، **العراق**) .

ولا ننسى ان هذه النسب التقديرية تعود إلى ما قبل ربع قرن .

وإذا قارنا هذه النسبة الشرق ـ أوسطية ـ ٦٣٪ ـ مع رقم « آسيا بدون الصين » في جدول بيار جاليه ، لسنة ١٩٤٣ مقدرة على انها متوسط سنتي ١٩٣٧ و١٩٥٠ ($\frac{٧٣ + ٦٤}{٢}$) ، نجد ان هناك تقارباً بين الرقمين العربي الشرق ـ أوسطي الخاص والآسيوي ٦٨٪ . وهذا يبدو لنا معقولاً .

بالطبع ، إن هذه النسب قد انخفضت في ربع القرن اللاحق ، بقدر ما ، وربما بقدر كبير . (صحيح ان البدو تحضّروا واستقروا وزرعوا ، في أغلب الحالات . ولكن رقم « السكان الريفيين » عند دورين وارينر يشمل أصلاً البدو) .

رابعاً . ما هي الحال في بلدان المغرب العربي ؟

أمامنا كتاب **ألبير عياش**[1] **«المغرب»** le Maroc ، باريس ، المطبوعات الاجتماعية ، ١٩٥٦ . القسم الخامس عنوانه : نتائج الاستعمار . الفصل الأول في القسم المذكور : الجالية (أو المستوطنة) الأوروبية ، الثاني : التمركز المديني ، الثالث : المغربيون les Marocains . ونفهم ان هذا الفصل الثالث من القسم الخامس مخصص للمغربيين ، للمراكشيين ، بدون الأوروبيين ، المغربيين (مسلمين ويهوداً) . نقرأ في الصفحة ٢٨٤ :

(ب) التركيب المهني .

أما التركيب المهني ، فقد انقلب رأساً على عقب بنتيجة دخول أسلوب الانتاج الرأسمالي . الفعاليات تنوعت في حين ان زراعة الأرض والرعي كانتا في نهاية القرن التاسع عشر جوهر أعمال ٩٠ إلى ٩٥٪ من السكان [...] .

إن احصاءات ١٩٣٦ و١٩٥٢ قد أنشأت بشكل غليظ صورة التركيب

---

(١) ألبير عياش ، عضو بارز ومفكر في الحزب الشيوعي المغربي . يهودي . أفضل طبعاً من جماعة « الفكر الصهيوني المعاصر » . كتابه يحمل نفحة وطنية مغربية واستقلالية وعربية . رغم بعض السخافات « الحزبية » حين يصل الى « السياسة » والأحزاب . يبقى الكتاب مرجعاً ثميناً ، لعله لم يصدر مثله منذ ذلك الوقت .

المهني للسكان المغربيين . إن مقارنة النتائج تبيّن التغيرات ، التحولات الفجائية الحاصلة خلال خمسة عشر عاماً [وهنا شرح أسفل يقول :] كي نجعل المقارنة ممكنة ، حذفنا من تعداد السكان العاملين ٧٠٠ ألف شخصاً ، هم نساء وبنات الزرّاع اللواتي أخذتْهنّ مصلحة الاحصاء في السكان العاملين . هذا الأسلوب لم يُعتمَد في ١٩٣٦ . والخبراء المختصون لا يوافقون عليه دائماً . وقد جمعنا المسلمين والاسرائيليين. [أي بدون الجالية الأوروبية ونسبتها في المدن أكبر بالطبع من نسبة « المغربيين » . ننقل الآن الجدول ، نسقط الأرقام ، ونحتفظ بالنسب المئوية] .

السكان العاملون المغربيون [النسب المئوية]

	١٩٣٦	١٩٥٢
١ . السكان المنتجون		
زراعة ، صيد ، حراج	٧٥,٧	٦٠,٤
مناجم ، مقالع ، صناعات وحرف	١٢,٣	٢٢,٩
النقل وأعماله	٣,٨	٤
٢ . السكان غير المنتجين		
تجارة	٤,٨	٥,٣
خدمات شخصية ، خدم	١,٧	٣,٢
وظائف ادارية، مهن ثقافية، حراسة	١,٧	٤,٢
	١٠٠	١٠٠

ماذا نستنتج من هذا الجدول بالنسبة لموضوعنا ؟

٦٠,٤٪ « زراعة ، صيد ، حراج » . لا نجد أي بند « خاص » بالرعي أو ما شابه ، هذا داخل في بند الزراعة . قد نتصوّر فعلاً ان هذه الفئة من السكان أكثر تناسلاً . هذا ليس أكيداً البتة . الآخرون أيضاً مغربيون

« مسلمين واسرائيليين » ، ونصفهم أو أكثر ، كان قبل قليل في الزراعة والرعي الجبلي[1] .

٦٠٫٤٪ في سنة ١٩٥٢ ، مع سير هبوط شديد .

في الجزائر ، الأمر يختلف ، ربما بقدر لا بأس به . ولكن الرقم السابق (٦٠٪) هو رقم ١٩٥٢ .

في السعودية ؟ يجب أن لا ننسى أهمية المدن والبادية . في اليمن ؟؟ في جمهورية الجنوب اليمنية الشعبية ؟ عدن ، حضرموت ! بإمكان الأخ نايف حواتمه أن يقوم بإحصاء أو أن يقدم تقديراته « على الطبيعة » . لعلّه فعل ذلك . في ليبيا ؟ في الكويت ؟! في السودان ؟ ربما ! في سوريا ؟

خامساً . عن سوريا ، حاولنا أن ندرس الموضوع، أن نصل إلى تقدير .

نقرأ في كتاب أصدرته باللغة الفرنسية مديرية الدعاية والأنباء على الأرجح في ١٩٥٩ أو ١٩٥٨ ، تحت عنوان « ج. ع. م. – تاريخ ، وقائع، أرقام » ، نقرأ الأرقام .

في ص ١٨٨ : « **القرى** . الفلاحون يشكلون القسم الأكبر من السكان السوريين . نسبتهم إلى المجموع ٦٠٪ (٨٠٪ في مصر) . نلاحظ بسهولة أن الريف في سوريا ليس متّصلاً كما هو متّصل في مصر . القرى في سوريا (وعددها ٥٫٠٠٠) متباعدة » الخ ...

غير أننا قرأنا في الصفحة ٥٨ : « **أسلوب الحياة** . الفلاحون : الفلاحون يشكلون القسم الأكبر من سكان ج . ع . م (٧٠٪ من مجموع السكان) . نسبتهم أكبر في مصر منها في سوريا » .

بالطبع ، ٧٠٪ هي متوسط ٨٠٪ و ٦٠٪ ، إذا تساوى الإقليمان ! والمساواة على ما يبدو وصلت إلى هذا الحد ، إلى هذا الميدان !

ولكننا نقرأ في مجموعة إحصائية سورية لاحقة (١٩٦٢) ، جدولاً

---

(١) والفرق (المحتمل) في معدّل الولادات ، يوازيه فرق في معدّل الوفيات .

بـ « توزع السكان حسب **النشاط الاقتصادي** والجنس في **التعداد الفعلي** لعام **١٩٦٠**» وجدولاً بـ« توزع السكان حسب **المهنة** والجنس في التعداد الفعلي لعام ١٩٦٠ » [١] ، جدولين يعطيان أرقامـــاً ونسباً تختلف عن التقدير السابق (« الفلاحون » = ٨٠ ٪ !) بدرجة لا بأس بهـا . « نترك » الاناث (كما فعل ألبير عياش) ، « نجمع » بعض الحقول تسهيلاً ، وننقل

آ . **حسب النشاط الاقتصادي : (عدد السكان بالألف)**

١ . أقل من ٦ سنوات	٥٢٥
٢ . الزراعة والصيد	٤٦٨
٣ . الصناعات التحويلية ، المناجم ، البناء	١٧٦
٤ . الكهرباء والغاز	٧
٥ . النقل والمواصلات	٣٨
٦ . التجارة	٨٨
٧ . الخدمات	١١٣
٨ . أنشطة غير واضحة	٢٣
٩ . غير مبيَّن	٣٣
١٠. ليس لهم نشاط	٧٥٩
١١. العشائر	١٠٩
المجموع (مجموع السكان الذكور في التعداد الفعلي لعام ١٩٦٠)	٢٫٣٤٤

إذا أضفنا الحقل ١١ (العشائر) إلى الحقـل ٢ (الزراعة والصيد) ، وإذا حذفنا الحقول ١٠ و ٩ و ٨ (ليس لهم نشاط ، غير مبيَّن ، أنشطة

---

(١) ننقل هذين الجدولين من دراستنا « سوريا بلداً متخلفاً » ، ندوة الجزائر ١٩٦٧ ، على الجستتنر . الدراسة لم تجد ناشراً .

غير واضحة) ، وإذا حذفنـا أيضاً الحقل ١ (أقل من ٦ سنوات) نحصل على ما يلي :

« الزراعة والصيد » + « العشائر » / اليد العاملة ، العاملة والمبيّنة = ٥٧٧ / ١,٠٠٠ = ٥٨٪

بدون « العشائر » : ٤٧٪ . إذا أخذنا مثلاً بعين الاعتبـار أن نسبة الأولاد في الزراعة أعلى يمكن أن نرفع الـ ٥٨٪ إلى ٦٠٪ والـ ٤٧٪ إلى ٥٠٪ .

ب . **حسب المهنة** (عدد السكان بالألف) –
« بدون البدو الرحّل »

١ . أقل من ١٥ سنة	١,٠٦٢
٢ . المشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك	٤٧١
٣ . ليس لهم مهنة	٢٠٢
٤ . غير مبيّن	٥١
٥ . أصحاب الحرف والصناعة، المشتغلون بالمناجم ، المشتغلون بأعمال النقل والمواصلات	٢٥٩
٦ . المشتغلون بأعمال البيع، بالأعمال الكتابية ، أصحاب المهن الفنيّة ، المشتغلون بالحرف الرياضية والترفيهية ، المديرون والمشتغلون بالأعمال الادارية	١٨٥
المجموع (مجموع الذكور بدون « البدو الرحّل »)	٢,٢٣٤

المشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك / مجموع السكان –[1] الحقل ١ والحقلين ٣ و ٤ = ٤٧١ / ٩١٥ = ٥١٪

(١) هذه الاشارة : « ناقص » .

يمكن أن نقدر نسبة « الفلاحين » انطلاقاً من هذه النسبة ، وعلى أساس عدد من الاعتبارات على النحو الآتي :

١ . نحذف ١ أو ٢ ./. (صيادين ، وملاكين زراعيين غير ـ فلاحين) .

٢ . نضيف ٣ أو ٥ ./. ، مراعاة لحساب من هم تحت عمر الـ ١٥ سنة : (هؤلاء بين الفلاحين أكثر بقدر ما منهم بين الفئات الأخرى) .

٣ . نضيف ٠.٥ ./. ، من وجهة نظر « من ليس لهم مهنة » : العاطلون عن العمل أكثر في الريف منهم في المدينة . ولكن هل هم في الريف؟ لا يزالون في الريف ؟!

على أي حال ، مهما فعلنا ، ومهما وسّعنا مقولة « الفلاحين » ، لا أرى كيف يمكن أن نتخطى نسبة الـ ٦٠ ./. في سنة ١٩٦٠ . وبالأحرى اليوم .

إن أي تقدير « للفلاحين » يتجاوز ٦٠./. من السكان ، في العالم العربي عموماً ، وفي غالبية البلدان العربية بلداً بلداً ، يبدو لنا تجاوزاً على ما يمكن أن نستخلصه من الاحصاءات والتقديرات الآنفة .

إن « سحب » تقسيمات ماوتسي تونغ عن الصين وفلاحيها على الوطن العربي عمل باطل جوهرياً .

لأن المجتمع العربي ليس المجتمع الصيني . بينهما فوارق كبيرة ، اجتماعياً ـ تاريخياً ـ إنتاجياً .

ولأن عام ١٩٧٠ ليس أبداً عام ١٩٣٩ . بينهما تطورات وتبدُّلات على امتداد العالم الثالث .

إن انشاء صورة المجتمعات العربية الراهنة لا بد أن تعطي مكاناً مشدَّداً للبطالة بأنواعها .

ولقد تطرقنا في كتاب « نظرية الحزب عند لينين » ، لبعض خصائص المجتمع العربي والتاريخ العربي . ولا بأس ان نعود إلى هذا الموضوع .

من المعروف أن أكثر الأحزاب الشيوعية وبعض الأحزاب التقدمية ، في الوطن العربي قد أهملت « الفلاحين » . إلا أننا نشهد في الحقبة التاريخية

الأخيرة ردّ فعل معاكس وغير مدروس في شكل ايديولوجيا خلاصتها «اعتماد على الفلاحين »، لفظيّ .

نعتقد أنه من الواجب ، بعيداً عن خطأي التقليل والتزويد، ان يأخذ الثوريون بعين الاعتبار ، حقائق المكان (العربي) والزمان (الحاضر) .

١) نادراً ما نشهد في **التاريخ** العربي ثورات فلاحية – طبقية . المجتمعات العربية تختلف عن روسيا وعن الصين . الاختلاف في أسلوب الانتاج . مقولة « أسلوب الانتاج الاقطاعي» المأخوذة كمقولة عامة عالمية أفقر من أن تستطيع استيعاب هذا الفرق .

٢) في عصر الانحطاط العثماني (تحول طريق التجارة العالمية نحو رأس الرجاء الصالح وأسباب الانحطاط الأخرى) ، التجارة هبطت . ولكن الزراعة هبطت أكثر ، في بلد كسوريا . ثلثا القرى ماتت واندثرت . البادية تقدّمت على حساب الأرض المزرعة في كل الجهات (الفرات ، حلب ، حماه، دمشق ....) . العالم العربي العثماني يظهر كأنه عالم المدن + البادية، وهذا يصح إلى حد كبير في أدوار شتى على الرقعة الكبرى من العالم الاسلامي كله[١]. ملاحظة نجدها عند ماركس وانجلز ، وعند المستشرقين ، الذين لا يجهلون بالطبع ان الفلاحين في مصر ووديان الأنهار هم غالبية السكان في شتى الأدوار التاريخية. ولكن ليس في العراق مثلاً (منذ الغزو المغولي الأول، سنة ١٢٥٠). التاريخ **الاجتماعي** العربي ليس ، قطعاً ، تاريخ انتفاضات وثورات فلاحية (كتاريخ روسيا منذ منتصف القرن السابع عشر ، أو كتاريخ الصين) .

٣) في القرن العشرين ، نشهد انتفاضات فلاحية – طبقية محدودة (في العراق مثلاً) ، ونضالات فلاحية – طبقية **محدودة** (في سوريا مثلاً ، أو مصر) ، ونضالات وانتفاضات وثورات فلاحية – قومية موجهة ضد الاستعمار . الفلاحون هم القوة الرئيسية أو احدى القوى الرئيسية في (بعدَ

---

(١) الرقعة الكبرى أي بدون البنغال وجاوا ، مناطق الأمطار الموسمية والاستوائية .

ثورات وحروب الجزائر في القرن التاسع عشر ، والحركة المصرية العرابية) ، في ثورات العراق و « الريف » (المغرب) وسوريا ، في العشرينات . انهم المعين الرئيسي للثورة الجزائرية الحديثة . بالطبع ، في كل هـــذه الثورات والحروب الوطنية ، الصفة الفلاحيـــة — الطبقية تأتي — حين توجد — بعد الصفة الوطنية المناهضة للحكم الأجنبي . وفي غالبية البلدان العربيـــة ، سار النضال التحرري **الظافر** ضد الاستعمار في مسيرة مختلفة عن المسيرة الجزائرية ، كانت في أكثر الحالات مسيرة الانقلاب العسكري الوطني التقدمي الذي يحقق تحولاً مناهضاً للعلاقات الاقطاعية مع « اصلاحـات زراعية » متفاوتة المدى ومحدودة بوجه عام .

الفلاحون ٥٠ — ٦٠ ٪ من السكان . انهم الغالبية الكبرى . (وهم المعين الأول للجيوش) . ظروفهم المعاشية بائسة . البطـــالة في تقدم . الأرض الزراعية محدودة . يجب السير نحو اصلاح زراعي غـــير محدود ، ثوري ، فلاحي ، شعبي . الهـــدف الأخير : الاشتراكية . ولكن « سحب » « المخططات » schéma المعروفة ، أياً كانت ، ليس استراتيجية مقبولة .

ويبدو لنـــا ان الجبهة الشعبية الديمقراطية « تسحب » المخططات ، بل و « تسحب » الأرقام[١] .

وفي غمرة « السحب » ، تنسى (أو لم تقرأ) بعض تعاليم الماركسية الكلاسيكية في مضمار الفلاحين . لقد اكتشف الرفاق مقولة « البرجوازية — الصغيرة » ، فتحوا النـــار على « البرجوازية — الصغيرة » ، باسم « العمال والفلاحين » . ولكن تجري أمورُ نارِهم وكأنه ليس ثمة أي صلة بين مقولة « الفلاحين » ومقولة « البرجوازية — الصغيرة » . « الاقتصاديون » الروس القدامى فتحوا النار على « البرجوازية — الصغيرة » عموماً باسم العمال وحركة العمال والحركة الاضرابية . ولكن الوطن العربي ليس روسيا ١٨٩٧—١٩٠٣ :

---

(١) من مكان الى مكان آخر ، من زمان الى زمان آخر .

القاهرة ليست بطرسبرج ، وحماه ليست ايفانوفو . التركيب الطبقي مختلف ، بحكم الانتاج (ظروف روسيـــا : استقلالها ، حجمها ، الصناعة الثقيلة) ، والمشاكل التاريخية العيـانية مختلفة (مسألة الاستقلال) . الشيوعيون الصينيون حلّوا موضوع الصين رغم الاختـــلاف ، لانهم وعوا الموضوع والاختلاف . المسار العربي سلك « التواءً » آخر . الوطن العربي ليس اليوم روسيا ١٨٩٧ — ١٩٠٣ . « الاقتصاديون » اليساريون العرب يختلفون عن أسلافهم الروس بهذا القدر . ليس باسم الطبقة العاملة — الطبقة العاملة ، بل باسم العمال والفلاحين ، باسم الكادحين والفقراء ، ضـــد « البرجوازية — الصغيرة » . وهنـــا ينسون التداخل بين مقولة « الفلاحين » ومقولة « البرجوازية — الصغيرة » .

لئن كان من الحماقة أن نسحب الماركسية الكلاسيكية ولينين —وبالأحرى بعض صيغها — على البلاد العربية والعالم الثالث ، فمن الحماقة أيضاً أن نجهل الماركسية الكلاسيكية ولينين .

عند لينين ، (لا سيما في المجادلة ضدّ النارودنيين ، ١٨٩٤ وبعدهـا) : الفلاح ، حين يخرج من عزلة الاقتصاد الطبيعي ويدخل في حلبة التبـــادل والاقتصاد السلعي ، **هو** برجوازي — صغير . فهو يملك وسائل إنتـــاج (أرض ، أدوات ، دواب) يعمـــل ويكدح ، يبيع ويشتري . مثله مثل الحرَفي . طبقة الفلاحين la paysannerie تتفكك ، تنحلّ الى مراتب ، إلى طبقـــات couches . classes ، في سير طويل ، أكيد ، ظاهر : ١) فلاحين أغنياء ، كولاك ← برجوازية ريفية . ٢) فلاحون متوسطون . ٣) فلاحون صغار . ٤) فلاحون بلا أرض : بروليتاريا ريفية . ٢) و ٣) : برجوازية — صغيرة ، مع تدرجات وتداخلات لا حدّ لهـا . وهذا حاصلٌ تحت سلطة نمو الرأسمالية في روسيـــا ، النمو الأكيد ، الظاهر ، الشامل ، والبالغ التنوع . في تحليلات بليخانوف ، لينين ، ستالين : طابع روسيـــا الغالب هو **الطابع البرجوازي — الصغير** . هـــذا واضح في نصوص عديدة

كلاسيكية . لينين لا يتخلى أبـداً عن مقولة « الفلاحين » ، عن الـ paysannerie ، عن « الفلاح » ، عن المسألة الفلاحية ، ولكن لينين بالمقابل لا يتخلى عن الصفة البرجوازية – الصغيرة للفلاح ، لغالبية الفلاحين . الموقف الأول (التخلي عن « الفلاح » بحجة كونه برجوازياً – صغيراً) سقوط في موقف قريب من منطق « الاقتصاديين » . الموقف الثـاني (تجاهل الصفة البرجوازية – الصغيرة للفلاح ، باسم الفلاح – الفلاح – الفلاح) سقوطٌ أو عودة إلى منطق « النارودين » (« الشعبيين ») واعتمادِهم « الفلاح » وبقاءٌ عند الادراك الاجمالي (الغامض) لِـ « النارود » (« الشعب ») أو – فيما بعد ، عند خلفائهم المطعَّمين بالماركسية ، « الترودوفيين » (الشغيليين) – لِـ « الشغيلة » (« الكادحين ») .

لنقرأ مثـلاً النص الكلاسيكي الذي يلخص خطة الثورة الديمقراطية ، وخطة الثورة الاشتراكية في روسيا والعائد إلى عام ١٩٠٥ (لينين : خطتان للاشتراكية – الديمقراطية في الثورة الديمقراطية) ، يقول لينين (مع علامة التشديد على كل النص) :

« على البروليتاريا أن تقوم حتى النهاية بالثورة الديمقراطية، بضمّها الجمهور الفلاحي، من أجل سحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة وشل تذبذب البرجوازية. على البروليتاريا أن تقوم بالثورة الاشتراكية بضمّهـا جمهور العناصر شبه – البروليتارية من السكان ، من أجـل سحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشل تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة » .

١ . « الجمهور الفلاحي » مع البروليتاريا ، في الثورة الديمقراطية .

٢ . في الثورة الاشتراكية، « الفلاحون » قوة وسطية يجب شلّ تذبذبها. هنا ميّز : شل تذبذب « الفلاحين والبرجوازية – الصغيرة » وهـذا لا يعني إسقـاط الصفة البرجوازية – الصغيرة عن « الفلاحين » . العكس أقرب إلى الصواب – في ضوء هذا المؤلف وكل المؤلفات – ، ولكن لينين يرى ضرورة

ذكر هذا – شلّ تذبذب الفلاحين – ضرورة هذا التحديد[1]. ولينين – في هذا النص – لا يقول تذبذب الفلاحين الأغنياء ، بل « الفلاحين » ، (هناك نصوص أخرى تختلف[2]) .

إن منطق الماركسية واضح إذن في موضوع الفلاحين . ومن الخطأ أن نسحب هذا المنطق سحباً على ظروف وشروط الشرق المستعمَر ونصف – المستعمَر . ذلك معناه ، في جملة أشياء ، نسيان جوانب أخرى من عمل لينين في تحليل نمو الرأسمالية في روسيا : التمييزُ الذي نجده في بعض مؤلفاته الأولى بين « بروليتاريا » و « طبقة عاملة » ، أخذُه أحياناً المقولة الأولى بمعنى أوسع من الثانية ، تبيانُه أن « البروليتاريا » بهذا المعنى الأوسع تنمو بشكل أوسع من نمو « الطبقة العاملة »(ولا سيما الطبقة العاملة الصناعية وشبه الصناعية) – إن نمـو الرأسمالية الدائم الكاسح المتنوع يحوّل الملايين إلى بروليتاريا دون أن يحولهم بالضرورة إلى « عمال » – ثم بلورتُه الدائمة لمقولة شبه – البروليتاريا أو نصف – البروليتاريا – semi prolétariat (في « العالم الثالث » حاضراً : + « تحت – البروليتاريا » ، سكان « مدن التنك » و « مدن الحُصر » ، نمو البطالة والتشرد ، والانحلال الخ بشكل أوسع مما في روسيا نقولا الثاني) .

إن تحليلات لينين والماركسيين الروس يجب أن تُقرأ بتأنٍّ . يجب أن ينتهي الماركسيون العرب من الاعتقاد الضمني أو الصريح بأن تحليلات ماوتسي تونغ الصينية (الفذّة والمقروءة على عجل) « تنسخ » ، تلغي تحليلات

---

(١) تذبذب « الفلاحين » (في الثورة الاشتراكية) وضرورة شل هـذا التذبذب قائمان بالضبط لأن « الفلاحين » برجوازيون ـ صغار .

(٢) مثلاً تلخيصه لتجربة ١٩١٧ – ١٩١٨ في كتابـه « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » : « أولاً مع « كل » الفلاحين ضد الملكية ، ضد كبار الملاكين ، ضدالاقطاعية [. . .] ثم ، مع الفلاحين الفقراء ، مع شبه – البروليتاريا ، مـع كل المستغَلين ، ضد الرأسمالية ، بما فيها الأثرياء الريفيين ، الكولاك ، المضاربين » .

لينين. في سوريا: ما هي نسبة الفلاحين التي **لا** تنطبق عليها الصفة البرجوازية - الصغيرة ؟ ٥٠ ٪ ؟ تقدير أشك في صحته . سوريا التي رزحت تحت نير الاستعمار ، والتي تختلف عن روسيا في هذه النقطة الخطيرة ، ولكنها في الوقت نفسه ، ليست في تكوينها الاجتماعي - التاريخي نموذج المجتمع الزراعي - الفلاحي الروسي أو الصيني ، والتي لعب فيها القطاع التجاري من السكان والاقتصاد دوراً أكبر ، ألا ينطبق عليها الوصف الماركسي لروسيا بأن طابعها الغالب هو الطابع البرجوازي - الصغير ؟

ولا ريب أن سوريا ليست فلسطين . صحيح أن فلسطين أيضاً « تجارية » التكوين إلى حد كبير ، « برجوازية - صغيرة » إلى حد كبير . ولكن كله **كأساس** هو طي الماضي . الأساس اليوم هو : الصهيونية ، **الاستعمار** السكاني ، الطرد من الأرض ، من الوجود الاقليمي - القومي : لاجئون وغير لاجئين ولاجئون مرتين . على هذا الأساس ، الباقي - فلاحين ، برجوازية - صغيرة مدينية ، عمال ، مراتب فلاحين ، الخ - . وهذا الباقي **وجوده** وجوداً **حقيقياً** فقط بالنسبة لقسم . وليس بالنسبة للكل .

أما قول منظر الجبهة الشعبية الديمقراطية : سكان الضفة الغربية وغزة غالبيتهم من الفلاحين، فهو تمييع **للأساس** أولاً، وقول غامض ثانياً (غالبيتهم؟ وفي غزة أيضاً ؟) يكشف ثالثاً كونه شطحاً ماركسوياً في موضوعة « في غالبية الدول العربية الفلاحون هم ٨٠٪ من السكان » .

لقد أسهبنا في مناقشة هذا المقطع « الماركسي » من الفصل الفلسطيني لأن الموضوعات « الفلاحية » سوف تتكرر أكثر من مرة ، في سير الفكر « اليساري » المقاوم . لن نتوقف عندها ، إلا في حدود المناسبات .

علينا الآن بالعودة إلى شعب فلسطين والتصفية. إن تحليل الواقع الاجتماعي الفلسطيني أساس للستراتيجية ، - والستراتيجية (!) هي « رفض التصفية ». يقول المؤلف (ص ٧١ - ٧٢) :

« عرضنا فيما سبق بعض ظواهر الواقع الفلسطيني عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ، ورأينا أن تعداد اللاجئين منه ، وتركز أكثرية الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وفي الاردن وغزة وخدمات وكالة الغوث ، وارتفاع نسبة العطالة عن العمل ، من أبرز الظواهر .

على الصعيد السياسي كان لغالبية الشعب الفلسطيني موقف الرفض لتصفية قضيته والاصرار على تحرير أرضه ..

وباعتراف مسؤولين دوليين ، في سنة ١٩٥٧ « ... إن غالبية اللاجئين العظمى ما زالوا يعتقدون أن إجحافاً كبيراً قد أنزل بهم وما زالوا يعبرون عن الرغبة في العودة الى ديارهم (١) » .

هكذا يحيلنا المؤلف تحت هذا الرقم (١) إلى وثيقة الأمم المتحدة رقم ٣٦٨٦ - ٨ تقرير الأونروا ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ، في كتاب سامي هداوي ، ثم ينقل نصاً آخر وأطول للمستر ميتشلمور مدير الأونروا (وثيقة رقم كذا ، وتقرير الأونروا سنة كذا ، راجع نفس المصدر السابق) .

بعد هذه البراهين الدامغة على ما ليس بحاجة إلى برهان ، ينتهي بما يلي :

« وبالفعل فقد رأينا اللاجئين الفلسطينيين يكافحون بحزم ضد مشاريع الاسكان وتضليلات وكالة الغوث ، وضد محاولات تصفية قضية فلسطين على حسابهم ، وضد الأحلاف العسكرية الامبريالية ، ويكافحون بحزم في صفوف حركة التحرر العربي ومن أجل الوحدة العربية ومن أجل التقدم ... ومنذ عام ١٩٦٤ بدأت طلائع العمل الفدائي نضالها المسلح في فلسطين .. » (ص ٧٢) .

« ومن أجل الوحدة العربية » . أهلاً وشكراً . كما يقول المثل الفرنسي « مرة ليست عادة » . كيف يمكن أن ينسى هذا : تمسّك جماهير شعب فلسطين بالوحدة العربية (١) ، نضالهم من أجلها ؟ . مهما يكن من أمر : مَرْحَى !.

---

(١) اذا تفضّل الرفيق كشلي أو حواتمه ، وحلّ محل المستر ميتشلمور في عملية استفتاء جديدة لا على موضوع الاعتقاد بالاجحاف والرغبة في العودة ، بل على موضوع الوحدة ، فإنه سيجد أن « غالبية اللاجئين العظمى » « ما زالوا » (رغم كل الرَدْح) يؤمنون بالوحدة كشرط للعودة .

الردح ضد مصر ، الردح غير « النظري » غير الرفيع ، الشائعات الكاذبة ، تضخيم =

نتائج حرب حزيران

في الصفحات ٧٢ – ٨٤ ، يدرس الكاتب نتائج حرب حزيران ، و « اتضاح المواقف المغـــايرة للطبقات المختلفة من الفلسطينيين إزاء قضية فلسطين » .

يذكر « هجرة ٤١٠,٠٠٠ لاجىء فلسطيني من الضفة الغربيـة وغزة إلى الأردن (الضفة الشرقية) خـلال عدوان الستة أيام » (ص ٧٣) . ومع ذلك « فقد ظل في فلسطين (اسرائيل والضفة الغربية وغزة) ما يقـارب ١,٥٦٥,٠٠٠ نسمة أي حوالي ٦٥٪ من الفلسطينيين . هكذا فرغم التوسع الاقليمي الصهيوني ، فقد ارتفعت نسبة الفلسطينيين الخاضعين لسلطات القمع الصهيونية من ١٢ بالمائة قبل حرب حزيران إلى ٦٥ بالمائة من الشعب الفلسطيني بعد حرب حزيران »[1] . ثمة ظاهرة أخرى : انتقال اللاجئين من جديد من وادي الأردن إلى مناطق أبعـد وأعلى وآمن في الضفة الشرقية بعد شباط ١٩٦٨ . وهناك لاجئون أردنيون (شرق ـ أردنيون) من وادي الغور .

= أشياء، واختلاق أشياء ، بلغت اليوم (تموز ١٩٧٠) أبعادها القصوى . الى أين ؟ أفلا تحذرون العدوّ الأذكى منكم ، يا أغشم الغشماء ؟!

(١) لا نفهم لماذا « رغم » . على كل حال ، لا يرى الكاتب حاجـة لاعطاء نسبة من نوع آخر ، نفترض انها أهم ، من وجهـة نظر استراتيجية « الثورة الفلسطينية » للاطاحة بـ « سلطات القمع الصهيونية » و « تدمير الكيان الصهيوني » ، ألا وهي نسبة العرب من مجموع السكان داخل إقليم فلسطين الحالي، (أو من مجموع السكان داخل إطار منطقة « سلطات القمع الصهيونية ») . هذه النسبة ٣٥ بالمائة (أو ٣٧ بالمائة) . الباقي هم اليهود . (انظر فاينشتوك ، مرجع مذكور سابقاً ، ص ٥١٨ ، أو شاليان ، بالعربية ، ص ١٥١) .

إذن لا نفهم لماذا « رغم » . مع توسّع الاطار الجغرافي للاحتلال، ترتفع نسبة الفلسطينيين الذين تحت « سلطات القمع الصهيونية » من مجموع الفلسطينيين في العالم . وترتفع أيضاً نسبة الفلسطينيين (والعرب) من مجموع سكان منطقة الاحتلال . إذا احتلت اسرائيل الضفة الشرقية أيضاً ، فإن النسب الثلاث سترتفع أكثر . واذا احتلت كل الوطن العربي ، سترتفع نسبة العرب في اطار الاحتلال إلى ٩٨ بالمائة . إلى الأمام ! Vperiod ! en avant ! إلى الأمام ! أي أولاً إلى الوراء !..

وتبلغ نسبة اللاجئين إلى غير اللاجئين في الأردن الآن (حزيران ١٩٦٨) « اثنين إلى واحد » (عن نفس المصدر كتاب سامي هداوي) . ولهذا أيضاً أثر بارز في الصراعات القائمة (ص ٧٢ – ٧٤) .

– « نسبة اثنين إلى واحد » . تأنوا يا رفاق ! حماكم الله ، وحمى الجميع (الاثنين والواحد) !

« وعلى الصعيد الآخر ، بدأت تتضح المواقف المغايرة للطبقات المختلفة من الفلسطينيين ازاء قضية فلسطين . ففي فلسطين (حيث ٦٥ بالمائة من شعب فلسطين تحت السيطرة الصهيونية) توجد : »

١ – طبقة صغيرة العدد تجمع بقايا الاقطاع الفلسطيني والبرجوازية العميلة. وهي متعاونة مع العدو . من أبرز عناصرها الجعبري والفاروقي .

٢ – البرجوازية الوطنية ، « وهي طبقة تتناقض مصالحها مع الرأسمالية اليهودية في كثير من الأحيان فيما يتعلق بالسوق الفلسطينيـة ، ولكنها تلتقي مع مصالح الرأسمالية اليهودية أحياناً ، خاصـة فيما يتعلق بتصدير المنتجات المحلية إلى الأسواق العربية »[1] . وهي « في صراع مع السلطات اليهودية ، ولكنها – وبحكم مصالحها – تتوجه للسلطـات السائدة مناشدة إياها رفع القيود عنهـا ، أو محتجة لهـا على الحد من حريتها » . وللتدليل على ذلك ، ينقل المؤلف تصريحاً بتسعة أسطر لمدير الغرفة التجارية العربية بالقدس بتاريخ ١٩٦٧/٨/٢٥ عن كتاب « وثائق مقاومـة الضفة الغربية » . « هذه الطبقة يمكن أن يساهم قطاع كبير منها في الحركة الوطنية بحكم مصالحهم ، ولكنها – ولنفس السبب – يمكن أن تقود الحركة الوطنيـة الفلسطينية إلى الخضوع

---

(١) بعد « ولكنها » نتوقع (« يسارياً ») أن نقرأ « في أكثر الأحيان » ، أو « غالباً » . ولكننا لا نجد إلا « أحياناً » . بيد أن الشطر الأخير « .. الأسواق » يداوي هذه « اليمينية » . والجبهة الديمقراطية « تتجاوز » كل هذا الموقف في الكتب التالية .

الفعلي للرأسمالية اليهودية ، لأن البورجوازية الوطنية أضعف من أن تصمد أمام مزاحمة الرأسمالية اليهودية الكبيرة المرتبطة بالرأسمالية العالمية » .

وفي هـذا يختلط الصواب والخطأ ، أفكار أو جمل الماركسية ، ومنهج « الاقتصادية » . لا يستطيع الكاتب أن ينفي تناقض وتصارع البرجوازيتين العربيـــة واليهودية « في فلسطين » . ولكن كل شيء ينحدر إلى مستوى السوق ، السوق الفلسطينية . يتذكر الكاتب أو ينقل نتفاً من ماوتسي تونغ ، انصاف ـ جمل . الاستعمار الاسكاني ليس له وجود في هذا التناقض (رأيناه في صفحة سابقة في صيغة « محاولات استعمار اسكاني » ، صيغةً « عامة »). هذا الاستعمار الاسكاني وصراعه التاريخي لا يبدو تناقضاً ، ولا يبدو تناقضاً قومياً . التناقض بين البرجوازيتين على السوق . البرجوازية ليس لها وطن . وطنها السوق . هذا يشبه الماركسية . فلسطين تكفُّ عن كونها فلسطين ، لتصبح تجلياً للفكرة الماركسية ـ الماوتسي تونغية العامّة ، تجسيداً غير خاص لصيغة « شاملة » تنبسط « على امتداد » حركة التحرر الوطني . فلسطينيون « قوميون » سابقاً يبدؤون في الماركسية ، يُتأتئون الماركسية ، لينسوا فلسطين . وماوتسي تونغ ليس له صلة جوهرية بهذا المنطق كله . إن عدداً من الجمل المعتدلة « اليمينيـــة » (!) عن تناقض البرجوازيتين على السوق ، عن « إمكان مساهمة قطاع كبير من هذه البرجوازية الوطنية العربية الفلسطينية في الحركة الوطنيـــة » ، لا يمكن أن تُنسي ان ماوتسي تونغ أكثر اعتدالاً و « يمينية » (!!) من نقلتِه العرب : في زمن الحرب ضد الزحف اليـاباني ، ليست فقط « البرجوازية الوطنية » مساهمة في الحركة الوطنية ، بل أيضاً « قطاع كبير » من البرجوازية الأخرى .

ويفهم القارىء ان المسألة ليست مسألة البرجوازية ، بل مسألة فلسطين بالذات . هل هي موجودة أم لا ؟ في الوقت الحـــاضر ، ليس الخطر من البرجوازية الوطنية ومن احتمال قيادتها المتذبذبة للحركة الوطنية . في الوقت الحاضر ، ليست المسألة أخذ القيادة من البرجوازية ، بل المسألة ان القيادة

«سائبة» طبقياً ، رغم دعوتكم ، ودعوة عدة جهات أخرى ، «البروليتارية».
والحال ، إن وصولَ البروليتاريا إلى قيادة الثورة العربية والفلسطينية ، أو بلوغَ الثورة العربية (القومية والديمقراطية والاشتراكية والفلسطينية) قيادتَها البروليتارية ، يمرّ عبر الوعي البروليتاري ، عبر نظرية واستراتيجية وخطة وسياسة ماركسية . وإن وجود عدة جهات — متخالفة — تحمل هذه « الدعوة » ، دليل على أن الوعي الماركسي ليس « الدعوة » . والساحة الفلسطينية مثال خاص . الجهات (ربما عشر منظمات أو أربعون منظمة) ، « ماركسية » وغير « ماركسية » ، متفقة على « الجوهر » (!) : « رفض تصفية قضية فلسطين » ، مطاردة « الحل التصفوي » الخ الخ . خلافاتها على « الباقي » ، على « تفاصيل » ومن هذا التعدّد والتخالف، يبدو أن «الجوهر» ليس الجوهر ، والباقي ليس « تفاصيل » ، وإن الأفكار جانحة أن تكون ألفاظاً .

والمسألة ليست « ان البرجوازية الوطنية [الفلسطينية] أضعف من أن تصمد أمام مزاحمة الرأسمالية اليهودية الكبيرة المرتبطة بالرأسمالية العالمية » ، بل هي مسألة ضعف وقوة « فلسطين » — الشعب - المقاومة والأمة العربية وقدرة الأمة العربية على الصمود أمـــام الزحف الصهيوني الأكبر من كبير المرتبط بالامبريالية العالمية وسيطرتها العالمية الزاحفة .

٣ . البرجوازية الصغيرة .. « وهي طبقة غير متجانسة لا في وضعهـــا الطبقي ولا في موقفها الوطني ، » (ص ٧٦) . — لا ! أولاً: كلها وطنية ، قومية ، معادية للصهيونية . « ، ولكن غالبتها تتضرّر من عدم الاستقرار وانخفاض حركة الخدمات والتسويق الاستهلاكي الذي ». — لا ! هذه «اقتصادية» وحماقة وغباء في ظروف فلسطين . وكذلك الباقي .

« هذه الطبقة البرجوازية الصغيرة تشكل من حيث العدد ، جزءاً أساسياً من الحركة الوطنية الفلسطينية ، ولكنها مليئة بالتيارات الانتهازية وعرضة لانحرافـــات كثيرة ، إلا انها - وحسب تجارب الثورة في العالم - يمكن أن تلعب دوراً كبيراً

في تعزيز النضال الوطني خاصة . إذا اخضعت لعملية تثقيف ثوري تشد ارتباطها بالطبقات الكادحة من العمال والفلاحين » (ص ٧٧) .

– والحال ، إن صيغة « حسب تجارب الثورة في العالم » ، تكشف المنهج : إلغاء « فلسطين » ، إغراق « الخاص » في بحر « العام » . ليس الماركسي بحاجة إلى «تجارب الثورة في العالم» لتقرير ان هذه « « البرجوازية– الصغيرة » الفلسطينية تلعب دوراً كبيراً في (نسقط كلمة تعزيز) النضال الوطني » – ونشاطكم (الكفاحي المسلح والنظري) جزء صغير أو كبير من هذه « الموضوعة » ولكن نشاطكم النظري لا يُخضع البرجوازية الصغيرة لعملية التثقيف المذكور ولا الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين .

٤ . « – طبقة العمال– وتشمل آلافاً متزايدة من العمال العرب تستوعبهم الصناعات الاسرائيلية » (ص ٧٧) . – رغم البطالة الخانقة في اسرائيل (البالغة ١٠ ونيف بالمئة) ؟ – « هذه الطبقة المحدودة العدد ولكنها تعاني من الاضطهاد القومي والطبقي ، وهي معرضة للطرد والقمع المباشر من قبل العدو ، » (ص ٧٨) . – جميع الطبقات أو تقريباً ، ٩٩ ٪ من السكان الفلسطينيين ، معرضون لأكثر من هذا . – « ، وتشكل طبقة أصيلة المصلحة في التحرر الوطني ودحر الصهيونية والامبريالية » – هذا يصح بالتمام على نيف وتسعة أعشار « المجتمع الفلسطيني » (بل كان يصح أيضاً على تسعة أعشار المجتمع الصيني) . الطبقة العاملة أصيلة المصلحة في **الاشتراكية**–. « ولكن قلة عددها وعدم تمركزها يعيق حشدها لمجابهة العدو كقوة أولى في الصراع من أجل تحرير فلسطين » (ص ٧٨) . – كما وإن قيادةَ البروليتاريا العربية للثورة العربية تعيقها الثرثرةُ « البروليتارية » عن أصالة المصلحة « الوطنية » لطبقة العمال .

٥ . « – طبقة – الفلاحين – وهم الأغلبية العددية بين عرب فلسطين وكذلك في كافة الدول المتخلفة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية » . عانوا وما زالوا يعانون من عمليات القمع الصهيونية (قصف الطائرات، المذابح ...

هذه الطبقة « تشكل المصدر الأساسي للاجئين الذين يشردهم العدوان ولطبقة العمال التي تنمو في المدن والضواحي » .

« هذه الطبقة هي القوة الأساسية التي تتشكل منهـا قوات الثورة الوطنية .. ولكن هذه الطبقة تعاني من ميزات فلاحيـة مثل تضخيم الأمور والتردد في بادىء الأمر وردّات الفعل العفوية .. الخ . وقد رأينا كيف كان الفدائيون يجدون صعوبة في اللجوء إلى القرى بعد نسف القوات الصهيونيـة لمنازل العديد من الفلاحين الذين ساعدوا الفدائيين . لكن هذه الصفات الفلاحية تتضاءل أمـام الصفات الفلاحية الأخرى من شجاعة وقدرة على تحمّل المشاق وإخلاص في الوطنية ، وذلك مع تصاعد النضال المسلح الذي يزيد ثقة الفلاحين بأنفسهم ويزيدهم إصراراً على النصر ويربطهم بالنضال الثوري فيصبحوا مدافعين عن الثوار وجزءاً منهم ، هذا التطور يوضحـه ويضمن استمراره عمل الثوار من أجل التوعية السياسية والتثقيف الجمـاهيري بين أوساط الفلاحين، فالتثقيف السياسي هو الأساس في تحويل الفلاحين من معجبين بالثوار إلى جنود مقاتلين مع الثوار » (ص ٧٨ - ٧٩) .

هذه الفقرة الأخيرة تستدعي عدداً من الملاحظات النقدية :

الجملة الأولى موضوعة « عامة » . هل هي محققة في فلسطين ؟ إن التتمة توحي بجواب سالب . إن الاشارة السابقة عن كون الفلاحين هم الأغلبية العديدة بين عرب فلسطين وكذلك في كافة الدول المتخلفة في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية لا تدفع القضية إلى الأمام . لا يمكن ماركسياً، أن نستعيض عن معرفة الحالة « الخاصة » بالقانون العام . اشارات « .. » و « .. الخ » لا تساعد على حل المشكلة .

أما أن تعتبروا « تضخيم الأمور » و « ردّات الفعل العفوية » « ميزتين » من « الميزات الفلاحية » الثلاث ، فلعلّ هذا يفيدنا في معرفة المنشأ الاجتماعي لصاحب النظرية . على أي حال – سواء كان صاحب النظرية فلّاحي الأصل أو لا – فليس من الممكن تعميم حالة الفرد على الطبقة .

أما أنكم « رأيتم كيف كان الفدائيون يجدون صعوبة في اللجوء إلى القرى بعد نسف القوات الصهيونية للمنازل » ، فهذا يدفعنا إلى سؤالكم : ما هي « الطبقة » (مـا دمنا على طول الخط في « الطبقات ») التي ترتقي فوق

المستوى الفلاحي ؟ الطبقة العاملة ؟ هنا أيضاً : ليست « الطبقة » و « الواقع الاجتماعي » ، بل **واقع** الامبريالية و **واقع** قضية فلسطين ، وارتباط ذلك العام وهذا الخاص في الوحشية ، في البربرية .

وبصدد الجملة الأخيرة الطويلة : احرصوا على التصاعد ، وعلى وحدة العمل الفدائي ، وعلى العقل ! ٢ و ٣ هما أساس لِـ ١ . وهما أساس ربط الفلاحين بالنضال الثوري . وهما علاج العيوب الحقيقية للفلاحين وسائر الطبقات الكادحة ، في وطننا المستباح .

٦ ــ اللاجئون في الضفة الغربية وغزة ....

ثم ينتقل الكاتب إلى باقي عرب فلسطين ، « وأكثر من نصفهم في الاردن ــ الضفة الشرقية » . بينهم :

١ ــ « قلة من كبار الرأسماليين يشكلون جزءاً من البرجوازية الاردنية الملتفة حول النظام الملكي » . « وهؤلاء كالمحور الذي يتحلقون حوله على استعداد لتصفية قضية فلسطين خاصة اذا كان هناك من المغريات الاسرائيلية ــ ثغر على المتوسط مثلاً ــ » (ص ٨٠) .

٢ ــ « البرجوازية الوطنية وهي ذات مصلحة في مناهضة الصهيونية وفي استقلال الأردن لأن نمو البرجوازية الوطنية ، القائمة على النشاطات التجارية والخدمات والملكيات العقارية والصناعات المحلية ، إنما يعتمد على نمو « الوطنيين » ، وبالفعل قام في الأردن ما يمثلها وهو « التجمع الوطني » الذي جمع بعثيي القيادة القومية ، والاخوان المسلمين ، وبعض رجال الحاشية الملكية ، والحزب الشيوعي الأردني الاصلاحي ، والحزب الوطني الاشتراكي التابع لسليمان النابلسي ، وبعض من كانوا في حركة القوميين العرب (حمد الفرحان) » (ص ٨٠) .

هذا كثير فعلاً ، يدل على عمق النفاذ « الماركسي » « الطبقي » . في جملة واحدة تصل أشطارها الفواصل ، وُضع الجميع في سلة « البرجوازية الوطنية » الواحدة ــ الاخوان المسلمون ، الحزب الشيوعي الاردني الاصلاحي ، حزب سليمان النابلسي ، القوميون العرب ــ تحت رعاية مصالح « النشاطات التجارية والخدمات والعقارات والصناعة المحلية » . بين الاقتصاد ــ الاقتصاد والأحزاب ــ الأحزاب ، يتبخّر الوعي ومسائله . هؤلاء الشيوعيون الاصلاحيون ،

هؤلاء القوميون ، لم يعودوا حملة وعيٍ ما يعكس – بصواب وخطأ – واقع الاردن والعرب والعالم ، الواقع الاقتصادي (بلا مزدوجات) والواقع كله. كلا ، إنهم أجزاء البرجوازية ، الذين يمثلون النشاطات التجارية والخدمات الخ في المجتمع – المجتمع الاردني .

٣ – « البرجوازية الصغيرة وهي قطاع واسع نسبياً من الحرفيين وصغار التجار والموظفين والمدرسين » ... (ص ٨١) .

٤ – « العمال – ويشكلون طبقة ما زالت قليلة العدد مع انهـا تزداد مع الزمن ، » – ليس كثيراً ! – « ، وكذلك فان هذه الطبقة وهي تشمل بالاضافة للعمال الصناعيين (وصناعات الاردن ما زالت محدودة) » ـ ولكنها « كبيرة » !!؟ ـ « العمالَ الزراعيين والموسميين وعمـــال الصناعات المحلية الصغيرة ، » ـ كيف ؟ هذه الصناعات المحلية الصغيرة كانت قبل صفحات ، في الضفة الغربية ، أما الأردن ـ الضفة الشرقية فكان مختصاً بالصناعات الكبيرة ـ « ، فهي طبقة قليلة التحشد » . ـ ما في ذلك شك . نور أخضر على طبقة الفلاحين ! ـ ... (ص ٨١) .

٥ ـ « **الفلاحون** ـ ويشكلون قطاعاً واسعاً واساسياً خاصة في المنطقـة الشمالية والغربية من الأردن حيث أهم الأراضي الزراعية » ـ لا ريب . الأراضي الزراعية في المنطقة الشرقية من امارة شرقي ـ الأردن أقل أهميـة ! ـ « وهم مصدر أساسي للاجئين بعد عمليات القمع الموجهـــة ضدّهم ، » ـ « قمع » الصهيونية ، « قمع » البرجوازية ، لا ندري بالضبط . « القمع » كلمة تتردد كثيراً في هذه « البحوث » . لعل مصدرها وكالة نوفوستي . كلمة « الاستعمار الاسكاني » لم ترد إلا مرة في صيغة « محـاولات » ـ . « ، وهم مصدر أساسي للمقاتلين الثوريين ، خاصة إذا رافق النضال الثوري توعيـة سياسية وتنظيماً لطاقاتهم . » ـ هذه ليست توعية . (ص ٨٢) .

٦ . ـ اللاجئون ـ ... « بالنسبة لتجمعات اللاجئين لا مجال للايمان بامكانية إيجاد حل سلمي » . الأمم المتحدة (الجمعية العامة) أصدرت ٨٨

قراراً ، مجلس الأمن أصدر ٤٢ قراراً ، الأمم المتحـدة شكلت ٥٥ لجنة في عشرين سنة. مع احالة إلى نشرة خاصة رقم ١٥، صادرة عن مركز الأبحاث، مع تحديد الصفحة . « إن قرار مجلس الأمن في تشرين الثـاني ١٩٦٧ ما هو إلا قرار يضاف لِـ ٤٢ قرار سابق كلها محفوظة في نيويورك » ـ هذا صحيح . والتصفية ليست وشيكة : أميركا وحلفاؤها لم ينفذوا أي قرار لصالح الحق أو جزءٍ منه . والآن أيضـاً ـ تلك القرارات بما فيهـا الأخير « لا تتعدى كونها عمليات تضليلية وتمويهاً عن دعم الامبريالية العالمية للصهيونية ، » ، كما يقول الكاتب بحق . « وعجز الطبقات العربية السائدة عن مواجهة الصهيونية مواجهة حقيقية » – على أي حال ، الصهيونية تواجه الدول العربية مواجهة حقيقية . فلنطمئن ! التصفية مستحيلة . وحتى « الهدنة » الموقتـة (تطبيق قرار مجلس الأمن) مستحيلة رغم احتمال الـ ١٪ الذي سنعود إليه .

« وهكذا فإن ٧٥ بالمائة من اللاجئين في الأردن « يريدون العودة دون تردد ....» ، وهنا نصّ بثلاثة عشر سطراً لإثبات قوة هـــذه الارادة مع إحالة إلى مرجع جديد . (ص ٨٣ – ٨٤) .

« هذا هو الأساس الاجتماعي للحركة الفدائية الفلسطينية التي بدأت عام ١٩٦٤ وانطلقت بعد حرب ١٩٦٧ والتغير في الظروف الموضوعية ، النـاتجة عن حرب الأيام الستة » (ص ٨٤) .

– نعم **هذا** هو الأساس **الاجتماعي** ! مع أننا مثلاً لم نر « بعد » ان غالبية الفدائيين هم من الطبقة الاجتماعية الغالبية – الفلاحين ! –

الحركة الفدائية والنظام الاردني

« ولكن الحركة الفدائية التي عبرت عن رفض تصفية قضية فلسطين كان لا بد لها من الاصطدام بالأنظمة العربية وخاصة النظام الاردني»... في شباط ١٩٦٨ بدأت محاولة عمليـة لتصفية العمل الفدائي ، إذ أذاع وزير الداخلية حسن الكايد بيانـاً ، وحاصرت القوات الاردنية بعض القواعد الفدائية ،

ولكن الضجة الشعبية وصمود حركة المقاومة حالا دون استمرار تلك المحاولة واستقال وزير الداخلية .

« وفي شهر آذار ١٩٦٨ ، طلع الملك حسين بتصريحات تقول كلنا فدائيون ، مناقضاً بذلك تصريحات وممارسات سابقة ولاحقة ورأينا بدايات تعاون بين السلطات الاردنية وبعض قيادات الحركة الفدائية ، خاصة قيادة « فتح » التي أبرزتها معركة الكرامة » (ص ٨٥) .

وبعدها : محاولة النظام الاردني في آب ١٩٦٨ ، ومحاولته في تشرين الثاني ١٩٦٨ حيث « كانت المناسبة مشكلة « كتائب النصر » المعروفة » .

« وكان بين قيادات الحركة الفدائية موقفان متغايران : موقف يعتبر المجابهة التي حدثت موجهة لكل الحركة الفدائية ، وموقف وقفته قيادة فتح بادىء الأمر ويتهم « كتائب النصر » التي دخلت من « الباب الخلفي » للعمل الفدائي وهو موقف مؤداه السكوت على محاولة تصفية العمل الفدائي . ولكن الموقف تغير اذ ان المجابهة التي حصلت في المخيمات أدت الى اصطدام قوات البادية والحرس الملكي مع الفدائيين من جميع المنظمات وخاصة فتح والجبهة الشعبية ، وقد اشتركت قواعد فتح بالقتال جنباً الى جنب مع قوات الجبهة الشعبية اثناء حصار قوات البادية للمخيمات ، بالرغم من انها كانت غير مقصودة بالضرب في هذه المرحلة ، بالرغم من التعليمات الصادرة اليها بعدم اطلاق النار .. (١) » .

وفي الشرح : راجع « الحرية » العدد ٤٣٨ الصادر في ١١ / ١١ / ٦٨ ص ٤ و ٥ . لسوء حظنا ، ليس بامكاننا أن نحقق هذه الاحالة من كتاب الجبهة إلى جريدة الجبهة . وربما من الكاتب إلى الكاتب « نفسه » (تحت اسمين اثنين) .

ويواصل الكاتب خاتماً هذا الفصل (ص ٨٧) :

« ولكن هذا التراجع من قبل قيادات بارزة في المنظمات الفدائية لم يكن وليد الساعة ، بل نتيجة لسلسلة من الممارسات التي تعبر عن ايديولوجيات مختلفة وآفاق متباينة حول قضايا الثورة في فلسطين . هذا التراجع من قبل قيادات بارزة في العمل الفدائي يرتبط بمواقفها السابقة حول العلاقة بين قضية فلسطين وقضايا الثورة العربية ، ومواقفها التي حافظت على التبعثر التنظيمي للعمل الفدائي ، والتي ناهضت المحاولات القائمة بين صفوف الحركة الفدائية لتطوير النضال الثوري الفلسطيني سياسياً وعسكرياً

ليكون قادراً على انجاز مهام الثورة الوطنية ، والتي تخشى بحث المضامين الاجتماعية لنضال الشعب الفلسطيني .. لذا أصبح ضرورياً إعادة بحث واقع الحركة الفدائية الفلسطينية ودورها وآفاقها في الحركة الثورية لشعب فلسطين والشعوب العربية في المنطقة . ذلك انه « حين يستمر النضال ، طويلاً ، عنيداً ، حامي الوطيس ، تأتي عادة لحظة تظهر فيها نقاط الخلاف المركزية ، الأساسية التي يتعلق على حلها مصير الحملة النهائي وتتضاءل ازاءها أكثر فأكثر جميع أحداث النضال الصغيرة » — لينين ، في « خطوة الى الأمام ، خطوتان الى الوراء » — . » (ص ٨٧) .

هذه الخاتمة تستدعي الملاحظة الآتية ، من وحي صيغة « انجاز مهام الثورة الوطنية » .

يذكر القارىء ، في نقلنا لمقدمة الكتاب ، تعليقنا على صيغة « الثورة الفلسطينية » ، المعتمدة في الأوساط الفلسطينية والعربية والعالمية . انها صيغة جيدة (تؤكد وجود شعب فلسطين وحقه في الثورة على مغتصبي فلسطين) ، **شريطة** أن نفهم فوراً وأن نعلن فوراً ، على صعيد النظرية ، — حين نكون قيد النظرية وبالأحرى نظرية العمل الفدائي ضد العفوية ، وليس قيد الشعر والشعائر والشعارات — صفتها الفردة المفردة الوحدانية التي تميزها عن جميع الثورات الماضية والحاضرة ، الوطنية والاجتماعية ، الخ : الاستعمار الاسكاني ونتائجه . المرشحون «للقيام بالثورة» ليسوا هم الأكثرية في الأرض ، في الاقليم ، في « الدولة » واطارها . والعدو متمثّل في مجتمع بكامله : دولة وجيش وهستادروت الخ : اسرائيل .

والامبريالية العالمية ؟ والامبريالية العالمية ! ولكن بعض « الماركسيين » وغير الماركسيين يجعلون من « الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية » بابَ هروبٍ ، نافذة تناظر كاذبة ،يخرجون بواسطتها من وجوب مواجهة «اسرائيل » — الدولة — المجتمع ، في النظرية (وغيرهم : في الممارسة أيضاً) ، يتحايلون بواسطتها على الخاصة المميزة الفردة لـ «الثورة الفلسطينية». وفي « النظرية » التي نحن بصددها ، « البرجوازيةُ اليهودية » ، « الرأسمالية اليهودية » ، لا تفعل سوى تأكيد وكشف عملية الخروج والهروب . الصفة

« اليهودية » في الصيغة المذكورة تلعب دورَ غطـــاءٍ للهروب ، « قومي » اللون أو المظهر . والغطاء المذكور يبرز بالمقارنة مع ما كان دارجـاً (قبل سنوات قليلة) في الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية وفي الأوساط الماركسية العالمية ، حين كان محظـّراً لفظُ « اليهود » و « اليهودية » إلا في معرض الدفاع عن اليهود ضد النازية واللاسامية ، حين كان اللفظ الوحيد المقبول هو « الصهيونية » . ولكن الغطاء حتى اذا اتخذ صبغة « قومية » يبقى غطـاء ولا يستطيع أن يخفي حقيقة كون « النظرية » ترفض النظر إلى اسرائيل ، تتكوّن (!) كنظرية وكنظرية للعمل الفدائي بدون أن تأخذ في صلبهـا هذا العدو المباشر للعمل الفدائي والشعب الفلسطيني والأمة العربية ، هذا العدو الأكثر مباشرة ومادية وعنفاً وعنفاً مضاداً الخ : اسرائيل — **المجتمع** اليهودي الاسرائيلي —الدولة—الجيش — الهستادروت — الكيبوتز الخ الخ الخ.

« الماركسيون — اليمينيون » دعاة السلام ، المثاليون ، الذين اتخذوا قرار مجلس الأمن ستراتيجية ونظرية ، الأغبيـاء أو الدجالون الذين ينشرون على الشعب أوهامـــاً سلمية تبعد الشعوب عن المستقبل الصراعي الدامي الذي ينتظره ، الذين أداروا ظهرهم على هذا النحو لكل تجربة نصف — القرن الماضي في فلسطين ، وأداروا ظهرهم لواقـع العصر كله ، ولتعاليم لينين ، لمفهوم وتشخيص لينين للامبريالية ، للامبرياليـــة والمسألة القومية ، هؤلاء « الماركسيون — اليمينيون » المحبون للسلام في الشرق الأوسط ، رغم بالمرستون وبانرمان وبلفور ووايزمان وترومان وبن غوريون ونيكسون ، هم اليوم أقل غبـــاء في دعايتهم لمنظورهم . يكتفون بحديث (متكرر) عن « الشرفاء في اسرائيل » — مايرفيلنر وراكاح ، أو ماتزبن، وإذا شئتم أوري آفنيري ، وإذا إذا شئتم سنيه وميكونيس: المجموع = ٢ أو ٣٪ من السكان اليهود ، (الشرفاء فعلاً : ١٪ أو أقل) — ولا يقربون الشراب الماركسي : حديث الطبقات ، الطبقات الاسرائيلية ومواقعها ومواقفها (لو لمسوا الموضوع بطرف إصبعهم الماركسي لَعرِفوا — إذا كانوا لا يعرفون — ان الطبقة

العاملة الاسرائيلية » صهيونية في ٩٩٪ منها[١]) .

« الماركسيون – اليساريون» الجدد المستحدثون الحديثو العهد بكل شيء بما في ذلك أساليب الكذب عند « الماركسيين » (!) ، يثبتون هنا أنهم أقل ذكاء . لقد قربوا طبقـــة اجتماعية يهودية محددة ، « البرجوازية اليهودية » خصوصاً في شكل « الرأسمالية اليهودية » . وهم بهذا الاقتراب ، يدفعون ثمن نزعتهم « الاقتصادية » المشدّدة الكاملة المبتذلة . ولكن حديث « الرأسمالية اليهودية » الدائم ؛ مقروناً بتحليلهم « للواقع **الاجتماعي** الفلسطيني » يذكّر بأنهم لم يحللوا « الواقع **الاجتماعي** الاسرائيلي – اليهودي »[٢] . بـل انهم أصلاً لم يلمسوا ، في النظرية ، « اسرائيل » – المجتمع ، الدولـــة ، الواقع العسكري . و « الرأسمالية اليهودية » هروب . سوف نرى (أحياناً) ما يفيد بأنهم يعـارضون المجتمع الاسرائيلي الصهيوني . ولكن استراتيجيتهم ، نظريتهم ، بل نظريتهم للعمل الفدائي ، تقوم بدون **هذا** العدو . والحـال ، لا يمكن أن تكون هناك ستراتيجية ، أو نظرية فلسطينية للعمل الفدائي (بل ولمـــا هو أدنى من العمل الفدائي بمراتب) ، ماركسيه ، أو نصف ماركسية ، علمية أو ربع علمية ، عقلية أو عامية ، متطورة عالية أو مبتدئة أولية بدائية ، بدون هذا العدو : اسرائيل – المجتمع ، الدولة ، الجيش ...

---

(١) تحدثنا عن هذا الموضوع بشكل كاف في كتابنا « الماركسية – اللينينية في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني وفي نقدنا لهذا البرنامج » .

(٢) لقد « حللوا » الواقع « الاجتماعي » الفلسطيني وانتهوا منه الى « السياسة » ، الى المواقف « السياسية » للطبقات العربية – الفلسطينية ، على طريقتهم (الفأرية) . ولكنهم بالنسبة لاسرائيل ، اكتفوا بـ « الرأسمالية اليهودية » وهربوا من بحث الواقع « الاجتماعي » اليهودي – الاسرائيلي . لعل فلسطين « الديمقراطية الشعبية » القادمة بعربها ويهودها (مع اعتراف أو عدم اعتراف بـ « عرب » ها و « يهود » ها) هي من الآن ، من البداية ، إطار النظرية . هذا الاطار « فلسطين » محقق سلفــاً ، في « الرأس » ، ولكن اذا كان الامر هكذا ، فقــد كان الواجب تحليل « الواقع الاجتماعي الفلسطيني » على انــه هو الواقع « الاجتماعي » لفلسطين كما هي اليوم (عرب ويهود) + اللاجئين العرب .

ليس عبثاً يتجنب صاحب « النظرية » هذا « الموضوع ». فبهذا الموضوع، الموضوع object، شرط الموضوعية ، شرط عدم السقوط في الذاتية والجنوح المثالي الطفولي والشطح الخيالي واللفظي، بهذا الموضوع نضع **حدودَ** الألفاظ ، ولا نلهث وراء اللفظ ، ولا نستمدّ « نظرية الثورة الفلسطينية » من مقولة « الثورة » ، حتى « الثورة الوطنية » « المعتدلة » .

هذا ما نقوله في نهاية هـذا الفصل ، وبمناسبة « انجاز مهام الثورة الوطنية » في « فلسطين » .

كلا ! يا رفاق ! إن « إنجاز مهام الثورة الوطنية » أمر بعيد بعض الشيء. المسألة غير « إنجاز مهام الثورة الوطنية » في « فلسطين » مناضلةٍ ضد رأسمالية يهودية وامبريالية عالمية ورأسمالية عربية منتفعة بالسوق الخ الخ . هـذا ليس المسألة That is not the question . المسألة ، مسألة « الثورة الفلسطينية »، هي مسألة قتال الفدائيين وكفاح المقاومة وكفاح العرب وحرب العرب مع اسرائيل والصهيونية والامبريالية الأميركية والعالمية . **الثورة** الفلسطينية هي أولاً **حرب** مع دولة قائمة ومجتمع قائم على جسد فلسطين والأمة العربية .

في « الثورة الفلسطينية » ، المرشحون للقيام بالثورة هم **الأقلية** . في اسرائيل ، هذه الأقلية ١٢٪ . وفي « فلسطين » كلها ، **كما** تأخذونها الآن في هذا الفصل ، في جزء من جزء منه ، وباعتبار ان فلسطين كلها هي اليوم في قبضة « الرأسمالية اليهودية» المسلّحة (وهذه الحالة باقية لمدة قد لا تكون قصيرة ، فالحل السلمي مستحيل بمقدار ١٠٠٪ أو ٩٩،٩٪) ، إذا أخذنا فلسطين « كلها » كوحدة لا تمايز فيها ، هذه الأقلية أكبر بكثير ولكنها ليست أكثرية. حسب الأرقام التي نقلناها عنكم (← عن سامي هداوي)، هذه الأقلية =

$$\frac{\text{١،٥ مليون عربي}}{\text{٢،٤ مليون يهودي + ١،٥ مليون عربي}} = \text{٣٨،٥٪ أقل من ٤٠٪ .}$$

إذا افترضنا ان الفلسطينيين خارج « فلسطين » (اللاجئين في شرقي الأردن

والبلدان الأخرى) انتقلوا بقدرة « نظرية » ماركسوية إلى داخل فلسطين ، ترتفع النسبة إلى قرابة ٥٠ ٪. نبقى بعيدين عن نموذج « الثورة » أو « الثورة الوطنية » الفيتنامية أو الصينية أو أية ثورة أخرى .

بالطبع ، هذا كله تساهل « نظري » كبير من جانبنا . النازحون لن ينتقلوا إلى داخل فلسطين . ومن غير الصحيح في جميع الحالات « تجريد » ، إغفال ، طرح ، حذف[١] ، التمايز **داخل** « فلسطين » أو «**فلسطين المحتلة**». في النظرية العسكرية ، في أي نظرية مهما كانت بدائية ، عسكرية ، « نظامية محترفة » أو « شعبية تحريرية » طويلة المدى أو قصيرتة ، هنـــاك فرق بين « اسرائيل » (اسرائيل ٤ حزيران ١٩٦٧) و « فلسطين والأراضي **المحتلة** » الواقعة حالياً تحت « الرأسمالية اليهودية » .

لهذا ، لهذه الأسباب ، لهذا الفارق الوحداني عن نموذج « الثورة » وعن جميع الثورات ، هنـــاك **« عمل فدائي »** . عمل فدائي فلسطيني ينطلق من خارج « فلسطين » ، إلى داخل فلسطين .

في المفهوم : الثورة الفلسطينية . في الواقع : لا نشاهـــد « الثورة » الفلسطينية ، بل نشاهد عملاً فدائيـاً محدداً محدوداً ، ينطلق من الأغوار ، من الأردن – الضفة الشرقية ، من سوريا ، من لبنان ، (من مصر) ، إلى داخل « فلسطين » (والجولان السورية وسيناء المصرية) . – وربما أحياناً (إذا تجاوزنا المرحلة ، إذا تجاوزنا الثرثرة الثائرة ، إذا وحدّنا الصف) من داخل فلسطين[٢] – ونشاهد مقاومة سلمية أو شبه سلمية (اضراب ، تظاهر الخ) داخل فلسطين (داخل فلسطين المحتـلة في ٥ حزيران ، في غزة ، في نابلس ، في القدس) . العملُ الفدائي أعلى أشكال هـذا « النضال » ، هذا « الكفاح » . (النضال المسلح أعلى من النضال السلمي). ولكنه لا يستهدف

---

(١) faire abstraction de

(٢) الآن : تلك هي الحال على ما يبدو بالنسبة لقطاع غزة .

تنظيم « ثورة » في « فلسطين » — « المجتمع » (!؟) تطيح بـ « الرأسمالية اليهودية » . إنه لا يسير على هدي عمليـــة إسقاط الباستيل أو نقولا أو كيرنسكي ، أو « حكم » نابوليون من إسبانيـا أو الاستعمار الانكليزي وحكم السلاطين في حضرموت وعدن وظفار .

فيتنام ؟ إن الفدائيين يعرفون الجواب . من كلامكم (والأمر تحصيل حاصل) ، من شكواكم بمناسبة « ميزات » طبقة الفلاحين ، نفهم ان عمل الفدائي الفلسطيني في «فلسطين» أصعب من عمل مناضل الفيتكونغ في سايغون . بالطبع ، الحالة سوف تختلف حين سنتقدم فعلاً ، حين سنلقي التنظير المدعي الكاذب للعمل الفدائي ، حين سيتوحّد العمل الفدائي في تنظيم واحد ، حين ستعود المـــاركسية نوراً لا ضباباً على الواقع كله ، وعلى الواقع البشري — « الجغرافي » — العسكري بالذات ، سوف يكون العمل في « فلسطين » — المحتلة — بعد — ٤ — حزيران (في نابلس والقدس العربية ورام‌الله الخ) ، **مشابهاً** لعمل الفيتكونغ في سايغون . ليس في تل ابيب وحيفا وصفد والقدس الاسرائيلية ويافا العربية الملحقة بتل ابيب اليهودية في « اسرائيل » .

كما ترون ، يا رفاق ، إن « السحب » الفيتنامي ليس خطوة إلى الأمام بل عشرين خطوة إلى الوراء . إنه الضباب المكمّل (والمعوّض) لِضباب « الاقتصادية » المناهضة للماركسية — اللينينية .

كما ترون ، يا رفاق ، بين الأسباب والعوامل الذاتية التي عرقلت إلى اليوم والتي تهدّر اليوم العمل الفدائي ، في قصور الوعي وجنوحه المخيف ، تميّز الصعيدَ العسكري .

نترك جياب وهوشي منه وماو ولين بياو وتشوته وغيفارا لكم عن طيب خاطر . (ونترك كلاوسيفتز وشروح لينين على كلاوسيفتز لسواكم) . في في هذه المواضيع ، تذكروننا بمن لم ير شيئاً ثم رأى فبُهر (حسب مثل شعبي معروف ، لا ننقله تمسّكاً باللغـــة الفصحى) . هل تتصورون ان الماركسيين اللينينيين العرب لم يقرؤوا مؤلفـــات استراتيجية الحرب الثورية

الشعبية ؟ لعل بعضهم قرأها ودرسها لا قبل طوركم « الناصري » بل قبل طوركم « الفاشي »[1] ، بمدة طويلة . ولأنهم قرؤوها فإنهم لا ينسخونها . من يعرف عشر صيغ من الماركسية ، يتصور أن هذا هو الواقع ، وهذه هي الماركسية . ولكن من يعرف الماركسية ويسعى إلى معرفتها دائماً ، يعرف أن الواقع أكبر ، وأن الماركسية أكبر . وإن الماركسية ليست عشر صيغ ولا ألف صيغة . إنها نهج جدلي يستوعب واقعاً تناقضياً متنامياً متجدداً .

على الصعيد العسكري ، أكبر قصور ، أكبر خطأ وذنب ، تقع مسؤوليته على قادة العمل الفدائي ، على قيادة المنظمات الفدائية ، أنهم لم يصنعوا لا نظرية عسكرية لعملهم ، ولا مبادىء لهذه النظرية ، وإنما أُخذوا بأقوال المفكّرين – المنظرين ، أخذوا صيغاً مألوفة ، ونظريات سياسية – عسكرية جاهزة مبتورة ، رضخوا للابتزاز « الفيتنامي – الكوبي » الذي يمـــارسه بعض المنظّرين – الجهلة ، امتنعوا عن رؤية أصالة ، خصوصية ، وحدانيـــة ، فردية ، الوضع الفلسطيني ، والعمل الفدائي الفلسطيني ، أو امتنعوا عن تأكيد هذه الأصـــالة والخصوصية والوحدانية ، أو عن استنتاج ما ينبغي من هذا التأكيد على مختلف المستويات وفي مختلف المجالات ، بما في ذلك (في محور ذلك) المستوى العسكري ، مستوى النظرية العسكرية .

بالطبع ، لا نشك في أن قادة المنظمات الفدائية في عملهم الناجح – في الحدود المبينة سابقاً والتي ستتبيّن أكثر في بقية مناقشة «العفوية والنظرية» – يخالفون ، مبدأ سحب النموذج الفيتنامي أو الكوبي أو أي كان (الجزائري مثلاً) ، ويؤكدون في التطبيق العملي أصـالة وخصوصية ووحدانية العمل الفدائي الفلسطيني . غير أننا نقول – على سبيل تبرئة ذمّتنا – : من غير الممكن ، من غير المقبول ، من غير الجائز ، من غير المفيد ، أن تعيشوا على مستويين : أحدهما نظري والآخر عملي .

---

(١) ننقل مفردات عنوان كتابكم : « لمـــاذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ؟ حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية » . – فعلاً لماذا ؟

بتعبير آخر: إن الكفاح الفدائي الفلسطيني، إذْ من الطبيعي والضروري أن يستفيد إلى الحد الأقصى من كل تجــارب الثورات والحروب الثورية والحروب الكلاسيكية ونضالات الأنصار والغوار في التاريخ ، ليس تجربة من هذه التجارب السابقة ، ليس مثيلاً ولا شبيهاً بتجربة سابقة ما .

لا قتال دوغيكلين وفلاحي فرنسا ضد الانكليز في حرب المئة عام . ولا الأنصار الاسبان ضد نابوليون وشقيقه . ولا الأنصــار التيروليون . ولا الأنصار الروس في ١٨١٢ . ولا « السين فاين » الايرلندي . ولا أنصــار ١٩٠٦ الارهابيون . ولا قتال شتشورس وبارخو منكو في الحرب الأهلية الروسية . ولا الأنصار اليوغوسلاف واليونان والألبان ضد الاحتلال الألماني . ولا رجال « كوفباك » . ولا المقاومة الفرنسية أو الهولندية . ولا الانتفاضة السلوفاكية . ولا حرب التحرير الصينية . ولا ديان بيان فو ، أو هجوم رأس السنة القمرية . ولا كوبا . ولا الجزائر . ولا المالايو أو بوليفيا أو موزامبيق .

حرب أنصار ؟ أجل . ولكن : **حدودها ؟ امكانياتها الموضوعية ؟ مستقبلها ؟ موقعها ، مكانها ؟**

لقد **كتب** أحد قادة العمل الفدائي يقول : ليس هدف العمــل الفدائي « تحرير فلسطين » ، العمل الفدائي وحده عاجز عن ذلك ، عن أقل من ذلك . لم أقرأ هذا القول [1] . حين **سمعته** ، ذُهلت وسررت . ذُهلت لأن

---

(١) أو لعله قال : ان العمل الفدائي حتى الآن لم « يخدش » اسرائيل ... أخشى ما أخشاه أن يتصور أن سبب « النقص » هو سبب « ذاتي » محض ، وانه اذا ما تغلّبنا على القصور الذاتي ، فاننا عندئذ سننتقل بقدرة قادر من « عدم الخدش » والتكتكة الى إسقاط اسرائيل . في رأينا : سننتقل حتماً الى أعلى بكثير من الخدش ، ولكن لن نصل مطلقاً الى إسقاط اسرائيل . في رأينا : في هذه الحالة ، اذا تجاوزنا الخطأ الذاتي ، سننتقل الى ما هو أعلى بكثير من الخدش ، ولكننا لن نصل مطلقاً الى عتبة إسقاط اسرائيل . بل نضيف : إن عدم وعي هذه « النقطة » الموضوعية المتعلقة بالموضوع ـ الموضوع هو البند الأول في خطأ الوعي والقصور الذاتي ونتائجه العملية .

كل هذه البيانات الجدارية ، كل هذه العناوين الكبيرة في الصحف والمجلات ، توحي بالعكس وتقول العكس (و « الجمهور » تصوّر العكس (أو كاد) ، لفترة !) وسررتُ لأنه بداية كل نظرية ، وشرطها الأول وما قبل الأول : إبعاد الأوهام ، « الأفكار » - « المثل » ، طرد الأشباح ، الحركة الفدائية يجب أن تعمل وأن تنمو وأن تعيش نصف قرن ، ستعمل وتنمو وتعيش حتى النصر ، حتى التحرير ، بدون هذا الشطح . « تحرير فلسطين » أكبر **بكثير** من العمل الفدائي ، من الحركة الفدائية ، حتى لو خرجت من « الأزمــة » ، ولو أنمت قوتها مئة ضعف .

إن « حرب الأنصار » الفدائية الفلسطينية تنتظر نظريتها **العسكرية ، السياسية - العسكرية** . التي ليست مجموعة من آراء غيفـارا وجياب ولينين وماوتسي تونغ (ولا مجموعة صورهم)ولا عدداً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ولا اجتماعات ما من هذه وتلك .

إن بعض المفكرين والعاملين - لا سيما الجبهـــة الشعبية الديمقراطية - يعتقدون أن العمل الفدائي سيتحول إلى « حرب تحرير شعبية » (أي عملياً النموذج الصيني أو الفيتنامي) . سنعود إلى هذا الموضوع ، سنطرح السؤال: كيف ؟ سنبين أنهم لا يبيّنون « كيف ؟ » . ولكن من الآن ، قلنا ونقول: مستحيل . **مستحيل** ، كنتيجـــة **حتمية** ، **موضوعية** ، تنجم عن الصفة الخاصة الفردة singulière لقضية فلسطين (نتائج الاستعـــمار الاسكاني) و لـ « الثورة الفلسطينية » ، الصفةِ التي تقيم فرقاً جوهرياً بينها وبين جميـــع الثورات . سنبيّن أن « الاتصال » الذي تضعه « النظرية » اليسارية (الجبهة الشعبية الديمقراطية وسواها من « الماركسيين » وغير الماركسيين ، « اليسار » عمومـــاً ، والذي يؤثّر أيضاً على « اليمين الماركسي » التقليدي بدرجات وأشكال شتى) بين « الثورة الفلسطينية » و « الثورة العربية » ، بين« العمل الفدائي» الفلسطيني و« حرب التحرير الشعبية »«على امتداد الوطن العربي»الخ، ليس إلا اتصالاً وهْمياً ، يكشف مرة أخرى ، وهُنـــا بشكل خاص ،

« الادراك الاجمالي الغامض » منهج المعرفة العمومية الطفولية، عند أصحابه . لسنا بعد إلا في البداية ، في المقدمات (بترول ، تطور اقتصادي ، اردن ، تصفية ، تصفية ، واقع اجتماعي فلسطيني ، رفض التصفية، رفض التصفية). ولكن هذه المقدمات نفسها حملت بذور النتائج الفكرية المقبلة. إن « مبدأ » و « استراتيجية » « النضال ضد الامبريالية والرأسمالية اليهودية والبرجوازية العربية » يحمل « مبدأ » و« استراتيجية » « حرب التحرير الشعبية العربية ». لا وجود للعالم ، ولعالم **المنطقة** ، للدول ، **للاقطار** ، للفوارق غير« الطبقية » المزعومة ، أي غير « الاقتصادية » . ولا وجود **لفرق** الأوضاع والمهمات . اللون الرمادي « العربي » فوق اللون الرمادي« الفلسطيني » لا يشكل صورة ماونة . قلنا « مبدأ » و « استراتيجية » ، « مبدأ » و « استراتيجية » . ننقل منطقهم بمفرداته . في مفرداتنا ، منطقهم هو : **شعار وشعار وشعار وشعار .**

في « الثورة الفلسطينية » ، المرشحون للقيام بالثورة هم الأقليـــة . في « الثورة العربية » ، هم الغالبية الساحقة [1] . هذه الثورة العربية بدأت منذ زمن غير قصير واتخذت أشكالاً متنوعة . في **أكثر** الأقطار ، حققت تقدمـاً كبيراً : أقامت حكومات ليست حكومات الامبريالية والبرجوازية ، ضربت الاقطاعية والمصالح الامبريالية ومصالح الرأسمالية . في الأقطـــار الأخرى، لا تزال دون هذه المرحلة . ولكن لا في أقطار الحكم « البرجوازي - الصغير » ، ولا في أقطار الحكم الاقطاعي والملكي والرأسمالي والاستعماري الجديد (تونس ، المغرب ، السعودية ، لبنان ، الكويت ، شرقي الأردن)، « حربُ التحرير الشعبية » هي دواء عميم النفع panaceé universelle .

اذا نزلت القوات الاميركية في شواطىء مصر وسوريا والجزائر والجنوب

---

(١) الغالبية الساحقة (٩٠ أو ٩٥ ٪) من سكان « المنطقة » ، من « مجتمع » المنطقة الكبير .

والعراق الخ ، او في هذه الشواطىء + شواطىء المغرب ولبنان الخ ، واحتلت...، عندئذ : حرب التحرير الشعبية (بواسطة بقايا الجيوش العربية المهزومة ، وقوات شعبية جديدة ، أنصار الخ ، قوى قومية - مسلّحة - متنامية ، في الجبـــال ، في الأرياف ، في المدن) ، حربُ التحرير الشعبية ستكون أو قد تكون الدواء العميم النفع . ولكن الآن (وربما في المستقبل أيضاً) ، نواجـــه واقعـاً مغايراً . الاميركان (والاسرائيليون) لا يحتلّون سوريا ومصر والجزائر واليمن الجنوبي والشمالي . اسرائيــل احتلت فلسطين + سيناء المصرية والجولان السورية . الأمة العربية وشعب فلسطين يواجهان هذا ، عسكرياً . اسرائيل تمدّ رجليها في مياه قناة السويس وتجلس على تلال الجولان . وتضرب أحياناً (بالطيران وربما بالمشاة) في نجع حمادي أو القامشلي . وقد لا « تتفضّل » باحتلال الدلتـا والوادي والفيوم ودمشق والغوطة والعاصي ، حتى نحاربها بـ « حرب التحرير الشعبية »[1]. علينا أن نواجه هذا . اسرائيل (= اميركا) تلعب هذه « اللعبة » . علينـا أن « نلعب » هذه « اللعبة » أولاً . أن نعالج هذا الأمر .

في مجابهتنا لهذا الواقع، نفكّر أيضاً ونخطط للاحتمال الآخر، للاحتمالات الأخرى (أن تنتصر اسرائيل انتصاراً جديداً ، وأن « تتفضّل » بعد ذلك باحتلال مليون ونصف من سكان دمشق والغوطة أو عشرين مليون من سكان الدلتا والقاهرة ، أو أن ترسل الولايات المتحدة مليوناً من الجنود وأن تحتل الخ) . أمّا من يُفكّر بهذا **الاحتمال** الآخر حتى يَهرب من **الواقع**

---

(١) رب من يقرأ : « حتى لا نحاربها بحرب التحرير الشعبية » ، بتعبير آخر : « اسرائيل تخاف من احتلال عشرات الملايين من البشر وما يتيحها ذلك من فرص الحرب المذكورة » . ولكن أولاً وقبل ذلك تخاف أيضـا أن تخسر عشرات الألوف من خيرة عسكرييها في هذا الفتح ، وربمـا أيضاً أن تفشل ، أن تعجز ، وأن يكون هذا بداية النهاية (الطويلة) .

القائم أمامه، قبالتـه، ضدّه (= باللغة الالمانية Gegenstand = الموضوع ، الواقع الموضوعي و gegen = ضدّ) فهو ذاتي ، مثالي ، خيالي ، طفولي ، سحْري . إنه « متكلّم » هائل ، ولاعب من الدرجة الدنيا . يعتقد مثالياً أنه يلعّب الخصم لعبتـه الشاطرة ، وهو موضوعياً الذي يلعب لعبةَ الخصم (تضييع الذات والرفـــاق والشعب ، « منع » الوعي باسم الوعي ، خلق عملية « كفّ » شاملة عن الادراك ، وابتزاز « نظري » ضد الواقع، صرف الجيوش النظامية المحترفة) . ولا يبقى كتعريف مقبول لـ « حرب التحرير الشعبية» كمبدأ عام يصح على الواقع العربي كله ، أو على الاقطار التي قبالتـُها العدوُ المباشر سوى تعريف الصيغة المذكورة بأنها« تعبئة كل طاقات الأمة»... موافقون ! ولكن « تعبئة كل طاقة الأمة » تصح على كل حروب هذا القرن، وعلى حروب ليست تحريرية بتاتاً (كحرب المانيا وفرنسا في ١٩١٤– ١٩١٨: كل طاقات الأمة ونيف !) . إلا أن رفـــاق الجبهة الشعبية الديمقراطية لا يقصدون هذا التعريف « العـام » (« تعبئة كل طاقات الأمة ») ، بل هم يشدّدون على « الشعبية » في « حرب التحرير **الشعبية** » وعلى صرف جيوش النظام والاحتراف. سنعود إلى ذلك مراراً، لنكشف عند منظّري «اليسار» الماركسوي عملية الهروب ، عيانيـاً بالتحديد . ولكننا من الآن ، نمسك في كتاب « العفوية والنظرية » نموذجاً واضحاً عن هذه المثالية المطلقة ، الذاتية المطلقة . في اللغة الالمانية : الموضوع هو الـ Gegenstand ، ما يقف أمـام الذات ، ضد الذات ، هنا : العدو . في لغة « ماركسيي » آخر زمان « الجدليين » العرب : الموضوع هو الذات ، مـــا « تضعه » الذات ، ما « وضعته » الذات عسْفياً ، « على كيفهـا » . الموضوع ليس « العدو » . « العدو » كله داخـــل في الذات . الذات المتماثلة مع « الشعار » المسمى « نظرية » . تلك هي الموضوعية والماركسية والمادية والديالكتيك والعـلم والوعي وكل شيء !

نترك لكم ان « تنجزوا مهام الثورة الوطنية » في « فلسطين » ـ « الواقع

الاجتماعي » . وأن « تتجاوزو » ها إلى « المضامين الاجتماعية » . أما أن تحتجوا أنتم على « التبعثر التنظيمي للعمل الفدائي » ، فهذا كثير . ولكنه « ينبع » من الباقي . و « مشكلتنا » النظرية بوصفنا ماركسيين ليست مع فتح ، بل بالدرجة الأولى مع الماركسيين ، مع دعاة وأدعياء الماركسية . فعلاً ، كما يقول لينين في كتابه « خطوة إلى الأمام ، خطوتان إلى الوراء » ضد المنشفيك : «تأتي عادة لحظة تظهر فيها نقاط الخلاف المركزية ، الأساسية التي يتوقف على حلها مصير الحملة النهائي ...» . هذه اللحظة أتت منذ زمن. ما دمتم تتصورون ذاتكم البولشفيك في مواجهة المنشفيك (فتح) والوسط (الجبهة الشعبية) ، بات علينا أن نقول لكم رأينا صريحاً : لستم البلاشفة ولا المناشفة . انكم دون « الاقتصادية » ، ودون النارودية (الشعبية) الفلاحية ، خليطٌ من الاثنين أدنى ، بدون القوى والتحركات الاجتماعية الموضوعية التي ركب الاثنان على أمواجها ، لفترة . الموجة الوحيدة التي « رفعتكم » هي موجة الانفعال واليأس والضياع ، بعد كارثة عنها أنتم وسواكم مسؤولون : البرجوازية — الصغيرة بلا مزدوجات . من « الفاشية » (؟) إلى « الناصرية » (!) ، ثم أكثر من خطوتين إلى الوراء .

إن « الواقع الاجتماعي الفلسطيني » تفتّح ، عبر السقطة الفلاحية والنقل الماوتسي تونغي المشوّه ، و « انجاز مهام الثورة الوطنية » العمومية ، عن « رفض التصفية » . و « الحركة الفدائية » كموضوع تحوّلت وأصبحت دون سابق انذار موضوعَ « الحركة الفدائية ـ و ـ النظام الأردني » . بتعبير آخر ، صرفتم النظر عن موضوع الحركة الفدائية ـ و ـ هذا الذي لا تزالون تسمّونه « العدو » : اسرائيل ، الاداة القمعية للرأسمالية اليهودية ، احتلال الضفة الغربية وغزة و « فلسطين من البحر إلى النهر » .

سنرى الآن ما إذا كنتم تتداركون هذا النقص ، هذا الهروب ، في « طريقان للحركة الثورية الفلسطينية » .

٩
"طريقان" ؟ "العفوية والنظرية في العمل الفدائي" ؟

- النقاش مع فتح .
- الماركسية ـ و ـ المقاومة ، كما هي وكما يمكن ويجب أن تكون .

الفصل الخامس والأخير ، وعنوانه « **طريقان للحركة الثورية الفلسطينية** » ، منـاقشة لبعض آراء المنظمات الأخرى في « الحركة الفدائية الفلسطينية » ، تنتهي إلى رفض المنطق السائد في هذه الحركة ، مع تسويغ منطق الجبهة الشعبية الديمقراطية . (ص ٩٠ – ١١٤) .

يعارض المؤلف اتخاذ « متطلبات العمل اليومي حجـــة لتأجيل البحث وتغطية نقاط الضعف في الحركة الثورية الفلسطينية وهي تعبر بذلك عن إيديولوجية خاطئة تبقي العمل الثوري ضمن حدوده القـائمة ، بينما تتحرك قوى الثورة المضادة » . ويستشهد بقول ريجي دوبريه في كتـاب « ثورة في الثورة » : « ان نكران الذات ليس حجة سياسية وليس للشهيد قوة الدليل. وعندما تطول عملية الاستشهاد، وعندما يتحول كل عمل صعب إلى الاستشهاد، فمعنى ذلك ان هناك شيئاً لا يسير على ما يرام » . – هذا صحيح تماماً . وقد

قلنا سابقاً : يجب على حركة الشعوب أن لا تقع في الهزيمة « مرة اثر مرة » .

بعد هذه التوطئة ، ننتقل إلى حلقة يُفترض انها فاصلة ما دامت تحمل عنوان **«حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي الفلسطيني »** (ص ٩١-٩٥)، وهو عنوان الكتاب كله .

يعترض الكاتب على « الفصل المفتعل بين النظرية والممارسة ، والانسياق وراء فكرة سائدة في العمل الفدائي – خاصة في منظمة فتح – تؤكد على عفوية الحركة الجماهيرية الثورية على أساس ان حركة الثورة نفسها تفرز قوانينها ... وبالتالي فليس من ضرورة للنظرية ..» (ص ٩١) .

والكاتب على حق . ولكن « النظرية »، عند لينين ، هي بالضبط عكس المذهب « الاقتصادي » ، عكس تيار الاقتصادية . ضد هذا التيار ، توجه عمل « الايسكرا » و « ما العمل ؟ » ، وأكد لينين على ضرورة النظرية : « لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية » .

ينقل الكاتب مقاطع عن مجلة « **الثورة الفلسطينية** »، لسان **فتح**(تشرين الاول ١٩٦٨) . منطق المجلة : « نحن نعتبر أن حركة الجماهير هي التي تخلق الجو الملائم حتى تحدث قوانين الثورة آثارها . بل ان حركة الجماهير هي خالقة هذه القوانين، المهم أن تتحرك الجماهير ، فحركة الجماهير على صواب دائماً »... على حد قول الكاتب ، إن الوعي في فكر فتح هو « تأكيدات على أسلوب الكفاح المسلح ، ومحاولة إقناع الجماهير بجدواه وإثبات فعاليته، حتى أصبحت هذه المهمة وحدها وكأنها الدليل على « وضوح الفكر وعمق الوعي » لدى الطلائع الثورية الفلسطينية » (ص ٩٢) (ويستشهد على ذلك بمقطع جديد مأخوذ من مجلة فتح ، تشرين الثاني ١٩٦٨) .

إن الجبهة على صواب . « التأكيدات على أسلوب الكفاح المسلح، ومحاولة إقناع الجماهير بجدواه وإثبات فعاليته » ، هذه التأكيدات والمحاولة الإقناعية ليست الوعي . ولكن : هذه التأكيدات والمحاولة الإقناعية + بضع أفكار « اقتصادية » ليست الوعي ، بل هي دون اللاوعي ، دون العفوية (التي

نقل الكاتب قبل سطور قول لينين أنها « الشكل الجنيني للوعي ») . هذا أولاً . وثانياً : في الواقع العملي ، الدعاوي ، أمام الجماهير ، في الملصقات الجدارية للجبهة الشعبية الديمقراطية (وهي **الطاغية** أمامي ، على جدران مدينة اللاذقية ، تفوق كماً مجموع ملصقات الصاعقة — وهي قليلة — وفتح والجبهة الشعبية — القيادة العامة ، والمنظمات الأحدث عهداً) ، **التوعية** الجماهيرية هي هذه « التأكيدات » وهذه « المحاولة » ، مع ألفاظ « الجماهير الكادحة » وبضعة أشياء « طبقية » أخرى (مثلاً عن « رجل الدين الفقير » الشيخ عز الدين القسام قائد ثورة ١٩٣٦)وتحت أسماء شي غيفارا وهوشي منه ومناجل الشمال و « الخط الأحمر » ، بالخط الأحمر .

حين أقرأ : « إن قدرة الطلائع الثورية تتجسد في : ١ — وضوح الفكر وعمق الوعي [...] . ولقد دللت حركة الثورة الفلسطينية على وضوح فكري عندما طرحت شعار الكفاح المسلح كأقصر طريق بين العبودية والحرية وأثبتت فعاليته عندما انبثقت منظمات فلسطينية تسقط من حسابها كل الحلول الأخرى ... » ، فإنني أعتقد أن هذا الكلام صادر عن الجبهة ، عن صاحب « النظرية » ، ولا أتصور أنه صادر عن مجلة فتح ، لولا تنبيهكم (ص ٩٢ — ٩٣) ، ولولا جملة « ٢ — الايمان بالمرحلية في النضال والثورة » التي تخالف أو لعلها تخالف منطق الكتاب . ولا أستطيع أن أوافق أو أن أعارض فكرة « المرحلية » ، بانتظار **التحديد** . والشيء الذي يحتاج إلى تحديد هو « الثورة » .

ويضيف الكاتب : « وهكذا كان تأكيد فتح بأنها حركة عسكرية ، وكانت لها ممارسات سياسية مفادها الاستعداد لمصادقة كل من يساعدها . وفي هذا تجاهل عملي لكون النضال الثوري نضالاً عسكرياً وسياسياً في نفس الوقت ، خاصة في المرحلة الأولى من النضال وفي مرحلة تتعرض فيها الحركة الفدائية الفلسطينية لمحاولات تصفية متكررة » . ويستشهد الكاتب « بأحد دروس الثورة الكوبية » : دقة الوضع السياسي ، خاصة في بداية الحركة ، خطر الخطيئة السياسية (نقلاً عن غيفارا — « حرب الغوار وسيلة » (ص ٩٣) .

بالطبع ، ومرة أخرى، ودفعاً للالتباس ، نقول أن السياسة «الاقتصادية» أسوأ من اللاسياسة . « عسكرية » صرفة أفضل من « عسكرية » مستندة على أو مغلّفة بنظرية سياسية « اقتصادية » ، في الحالة الفلسطينية بالذات . ومن الغريب أن المنظّر ترك هذه المناسبة أيضاً تفوته لإعـــادة النظر في نظريته الاقتصادية – اليسارية – المسلّحة . هذه المناسبة فرصة جيدة . هناك أناس أو جهات – تساعد الحركة الفدائية – أو قطاعاً كبيراً منها ، أكبر وأشهر وأقدم منظماتها - لا يجوز (حسب منطوق الكاتب) مصادقتها وعلى الأرجح (حسب منطق الكاتب) لا يجوز قبول مساعدتها (هذه **النقطة** أثارت كل التعليق التالي مع الاستشهاد بغيفـــارا عن خطورة وخطر الخطأ السياسي) . هذه الواقعة – مساعدة جهات يفترض فيها انهـــا عدوة « لدودة » للثورة الفلسطينية أو الحركة الفدائية الفلسطينية ، لقطاع كبير منها ، وربما استعداد هـــذه الجهات لمساعدة كل الحركة – لا تدفع الكاتب إلى رؤية أن موضوع المنطقة أكبر بكثير من الحركة الفدائية .

والأرجح أن الأمور في ذهن الجبهة ومنظّرها تسير على النحو التـــالي : هذه الجهـــات (من الواضح أن المقصود : الكويت والسعودية ، أو شيوخهما وأمراؤهما[1]) مستعدّة لأن تساعدنا أيضاً فيما لو تخلّينا عن طبقيّتنا ، عن ماركسيتنا ، عن عدائنا للامبريالية وسوقهـــا النفطية . هذا الأمر هو إذن دليل وشهادة على طبقيتنا وماركسيتنا وعدائنا للامبريالية وصوابنا . – على أي حال ، الجهات الأميرية – البترولية تساعد قوة فدائيـــة كبيرة (غالبية أفرادها وربما كوادرها من الفقراء ، من الفلسطينيين المشردين، من « الطبقة » الكادحة وتحت الكادحة) تحمل سلاحاً .

ولست أدري ما إذا كانت فتح تردّ وماذا تردّ . مـــا هي هذه الصداقة

---

(١) سنقرأ في الصفحة ١٠٣ : « رضى الأنظمة العربية وإغداقها الاموال عليها خاصة الكويت والسعودية .. »

التي تبادل فيها المساعدة ؟ سكوتها عن النهب البترولي الاميركي والأميري ؟ كل القوى التقدمية في الساحة العربية يمكن أن تتولى عدم السكوت ، وهي تتولّى . هذا لا يفيد كثيراً في حل القضية ، في استئصال المصلحة الامبريالية والرجعية من الجذر ، في تأميم البترول ، بدون الوحدة العربية . وبمناسبة أحد دروس الثورة الكوبية وكاسترو وغيفارا ، هل تردّ فتح ، هل ردّت فتح بأن كاسترو لم يكشف ورقته سلفاً ، وأن حركة الغوار الكوبية نالت عطف « الولايات المتحدة الاميركية قائدة الامبريالية العالمية » ، في البداية ، أيام النضال ضد دكتاتورية باتيستا (ولعل هـذا كان إحدى حجج الحزب الشيوعي الكوبي التقليدي« **الاصلاحي** »في موقفه الأول من حركة كاسترو) .

لست أدري ما إذا كان هذا منطق حركة فتح . ولكن رجالاً في قواعد فتح أجابوا سائلاً شدّد على ضرورة الهوية « الايديولوجية » : كاسترو لم يعلن عن هوية ايديولوجية . انظر الينا . نحن « على الأرض » (أي فقراء مدقعون الخ) وبيدنا سلاح . ماذا تتصوّر ؟![1] .

في نظرنا ، المثال الكوبي ليس مثالاً **يُنقَل** ، لا في هذه النقطة (عدم كشف « الهوية ») ولا في غيرهـا . ولكن الهوية « الايديولوجية » ليست قطعاً : الكفاح المسلح + ثرثرة عن « الطبقـات » و « الامبريالية » (= « اقتصادية امبريالية ») .

هذه المناسبة – نقاش الجبهة الشعبية الديمقراطية وحركة التحرر الوطني الفلسطيني فتح – لا ندعها تفوت ! ما هي العلاقة الحاضرة والمقبلة ، الراهنة والممكنة ، بين الماركسية من جهة ، والعمل الفدائي وفلسطين والفلسطينيين من جهة ثانية ؟

كيف تبدو لي الصورة من « بعيد » ؟

---

(١) القرائن المعروفة تشير الى ان الصين الشعبية تساعد فتح أو فتح أولاً ، وليس هذا اليسارُ العالمي الأقصى « قابضاً » هذا اليسارَ المحلي الأقصى .

لقد تركت زيارة معسكرات الضفة الشرقية للمفكرين والكتاب اليساريين وغيرهم ، ولسلاسل السيّاح الثوار . وفي الوقت نفسه ، وبهذه المناسبة ، أُعرب عن شكري وامتناني لمن دعاني ، عن تقدير رجل لا يحمل السلاح لمن يحمل السلاح، عن تقديره المتواضع للعمل والصمود التاريخي الجبار، للذين هم وحدهم أثبتوا أمام العالم وجود فلسطين وشعبها، وقضوا على التضليل الصهيوني العالمي الذي مفاده ان فلسطين = اسرائيل ، وأثبتوا على وجه التحديد وبكل قوة ان فلسطين « ضد » اسرائيل وإسرائيل « ضد » فلسطين ، وأعادوا للأمة العربية ثقتها بذاتها بعد نكبة خارقة فساهموا بشكل حاسم في منع استفحالها.وأُعرب عن تقديري لهذه الدعوة ولدلالتها : رحابة صدر الرفاق ، إصرارهم على طلب النقد . هذا الحرص على الحوار ، على النقد ، النقد غير المعلّق بشرط أن يكون « بناءاً » لا « هداماً » (الشرط الذي كان معناه في تجربة الأحزاب « الماركسية » التقليدية رفض النقد ، « سحقه » « بلا رحمة » ، قبل أن تكشف الأيام انه كان نقداً صحيحاً ، وان الهدم والبناء مرتبطان بالخطأ والصواب) . حقاً، لا أستطيع أبداً أن أفصل بين هذه الامور . الحركة المعزولة عن الجماهير ، عن الواقع الانساني الشعبي ، عن التاريخ ، تخشى النقد، « تسحقه » ، بلا أخذ ولا رد . الحركةُ الجماهيرية ، الشعبية ، التاريخية ، لا تخشى النقد ، لا « تسحقه » ، بل تفنّد تفنيداً كل ما ليس صحيحاً في النقد ، وبذلك تسحقه فعلاً ، تبيده من الواقع ، من واقع الأفكار والبشر والتاريخ ، وليس فقط من هيكل « الشيعة المعزولة » secte التي تصبح بسحقها شبه البوليسي (أي المثالي) « شيعةً » أكثر ، معزولةً أكثر . حين أحيي حمل السلاح ، العمل التاريخي الجبار ، الفلسطيني والعربي والعالمي ، وحين أشكر بادرة تجاهي شخصياً ، – في ظروف موقفي النقدي **المعروف** – ، فإن الموقفين موقفٌ واحد ، لأن « موضوعَيها » واحد : **الذات** التاريخية الحقيقية الفاعلة والواعية ، المكافحة بالسلاح وطالبة النقد ، المقاتلة ضد أعتى أعداء الشعوب ،

المستعدّة للموت (هذه الحقيقة أكبر حتى من كلمة « الشهـادة ») ، والتي لا ترفض ، بكبرياء غير جديرة بمن يقاتل ويموت ، نقداً ، لمجرد صدوره عن شخص لا يقاتل ويموت . وعيُ الحركة الفدائية — تجاوز هذا أيضاً، من اليوم الأول . لأن هذا ليس كفاحاً بل هروب .

« من بعيد » إذن أقول :

الماركسية وصلت إلى العمل الفدائي في أعقاب نكسة حزيران أو في عشية النكسة : فتح نشأت قبل الحرب بثلاثة أعوام ، من أوساط مختلفة ، « اسلاميـة » (اخوان مسلمين أوْ لا) وأوساط أخرى متنوعة « يسارية » أو لا ، على أساس أهداف ومبادىء فتح « حركة التحرر الوطني الفلسطيني» ، فلسطين و « الحياد » تجاه الباقي . ثم ظهرت الجبهة الشعبية وانقسمت . مبرر المنسحبين (الجبهة الشعبية الديمقراطية) « الالتزام بالماركسية — اللينينية ». ردّ الجبهة الشعبية : الالتزام نفسه وبنفس القوة . — منذ سنوات (بشكل عام منذ ١٩٦٤ ، وبشكل خاص : قبل أيضاً) ، كان هناك تحول باتجاه « الماركسية » في « حركة القوميين العرب » — وهكذا ظهرت منظمتان « ماركسيتان » رئيسيتان في حركة المقاومة الفلسطينية . والأرجح أن هناك منظمات أخرى « ماركسية لينينية » . لعل هناك الآن منظمات فدائية «ماركسية» من الأحزاب الشيوعية أو من بعضها . ولا شك ان «الايديولوجيا الماركسية—اللينينية » ليست غائبة من أوساط فتح أو الصاعقة ، وقيادتيهما . يمكن القول ، ان « الايديولوجيا الماركسية اللينينية » دخلت الحركة الفدائية من كل الابواب . وهي الغالبة .

والحال ، ان « الايديولوجيا الماركسية — اللينينية » لا تبدو أداة توحيد بل أداة انقسام اضافية . ذلك أوّلاً لأنهـــا في وضعها الراهن لا تبدو — كما قلنا— نوراً بل ظلاماً على الواقع. بتعبير آخر : انها **ايديولوجيا** ، ايديولوجيا بالمعنى الماركسي الأصلي للكلمة ، بالمعنى الرئيسي (وربما الوحيد) الذي كان يعطيه **كارل ماركس** لهذا اللفظ : الايديولوجيا كشيء غير العلم ، مناقض

للعلم ، كمجموعة أفكار — أوهام ، كخليط من حقائق وأباطيل ، (والماركسية علم وليست ايديولوجيا ، في مفردات لينين : الماركسية «ايديولوجيا علمية»[1] ، الشطرُ الأول يؤكد صفتها الطبقية الهادفة ، المبادرة الثورية للجماهير والحزب — الوعي — الارتباط مع الجماهير ، الثاني يؤكد منهج الصرامة العلمية المطلقة ، شرط الدقة العلميـــة اللامتناهية) . الايديولوجيا بالمعنى الأوّل (الماركسي الأصلي ، بالمعنى « الضيق » strict) تعارض العلم ، وتخبطِ الرؤية . صاحبُ الموقف الايديولوجي لا يرى الواقع ، يرى ذاته ، لا يرى في الواقع إلا ذاته . بالطبع انه يرى مئة شيء واقعي ، ولكنه لا يرى الواقع ، لأن المئة شيء الواقعي هي ما « أراد » ان يراه في واقع الألف شيء ، انها امتداد لـ «ذاته» المنحازة سلفاً . في عرف ماركس ولينين ، الطبقةُ الصاعدة ، البروليتاريا ، منحازة ، منحازة سلفاً ، ولكن لماذا ؟ لقضيتها المتطابقة مع خط التاريخ الصاعد . وهذا الخط الصاعد العريض يفرض عليها على وجه التحديد أن تسعى إلى رؤية **الألف** شيء ، لا المئة شيء ، بتعبير أصح وأعلى : أن تسعى إلى رؤية **كل** الارتبـاطات والتناقضات والتداخلات والاحتمالات ، في الواقع الجدلي المادّي . أن ترى سلبيات وضعها ، أن ترى قوة الخصم ، أن ترى أن الثورة لن تقوم غداً ، أن تعرف ان خط التاريخ الصاعد ليس صاعداً في كل لحظة ، أن لا تغذّي نفسها بأيّ وَهْم ، أن لا تعلّل نفسها بالألفاظ .

إن ماركس ما كان يكون ماركسياً لو لم يشارك في الثورات ، في الحركات الشعبية التاريخية الكبرى ، في ١٨٤٨ ، في ١٨٧١ ، لو لم يبادر في الأحداث الكبرى نظرياً وعملياً (ولو لم يخطىء) . ولينين ما كان يكون ماركسياً لو لم يشارك في الثورات ، ويبادر ويقود (ويخطىء) في ١٩٠٥ ، في ١٩١٧ ، على طول السنوات الثلاثين من حياته السياسية القيادية . ما كان يكون ماركسياً ولينينياً لو لم يؤكد في نيسان ١٩١٧ ان الثورة البروليتارية

---

(١) الايديولوجيا العلمية للبروليتاريا .

في روسيا ممكنة وآتية غداً (بصيغة مبسّطة ! في الو قع : بعد عدة أشهر ، واستناداً إلى عدد من الشروط الموضوعية والذاتية ، بأقصى ما يمكن من الحزم والاندفاع الثوري الشعبي الحقيقي ، وأقصى ما يمكن من الفطنة والحـــذر والتؤدة والتأني ، وسلسلة من التغييرات التاكتيكية غير الثانوية) .

ولكن ماركس ما كان يكون ماركس لو شارك شابر وفيليش شطحاتهما الثوروية في الخمسينات ، لو شارك باكونـين تصوراته الاشتعالية وخطـه التشعيلي . ولينين ما كان يكون لينين لو لم ينبذ ويفنّد الخط « اليساري » الاوتزوفي في ١٩٠٧ — ١٩١٠ ، لو لم يقف في أوائل ١٩١٨ بكل مـا أوتي من قوة ، في وجه قطار « اليسار » الذي جرف نيف ونصف أعضاء اللجنة المركزية — الرفاق الشباب ، فرسان الجملة الثورية — ، لو لم يضع ويسوّغ في ١٩٢١ منهج « السياسة الاقتصادية الجديدة » (أكبر تحول « يميني » في تاريخ حكم بروليتاري) (وحزبه ما كان يكون حزبه ، حزبـــاً بولشفياً ، لو لم يستجب بلا ثرثرة عالية ولا دمدمة شفاه) ، لو لم يقف في المؤتمر الكومنترني الثالث (١٩٢١) ضد الجنوح « اليساري » الصبياني لقطاع واسع من الشيوعية الأوروبية الناشئة ، البادئة .

الماركسية — اللينينية ما كانت تكون الماركسية اللينينية لو لم تؤكد منذ قرن وربع ان الثورة الاشتراكية البروليتارية آتيـــة لا ريب . ولكنها ما كانت تكون الماركسية — اللينينية (الايديولوجيا العلميـة ، والثورية فعلاً ، البروليتارية الشعبية فعلاً) لو أكدت في ١٨٥٣ ان الثورة على الأبواب في المانيا، لو اكدت في ١٨٨٠ ان الثورة على الأبواب في فرنسا والمانيا وانكلترة و « العالم » ، لو أكدت في ١٩٢٠ — ١٩٣٠ ان الثورة البروليتارية ستنفجر غداً أو بعْد غد في باريس ودلهي وشيكاغو والقاهرة . هذه التأكيدات حين تصدر عن ماركسيين ليست تأكيدات ماركسية . وهـــذا « متضمّن » في موضوعة انجلز ولينين : الاشتراكية منذ أن أصبحت علمـاً تطلب ان تعامل

على أنها علم[1] . الماركسية علمية وليست « ايديولوجية » .

« ماركسيةُ » العمـــل الفدائي « ايديولوجيّة » ، جسم يفرز سيولاً (سموماً) من « الايديولوجيا » ، من كل مساماته .

هذه « الماركسية لا تستطيع إطلاقاً أن توحّد العمل الفدائي .

تستطيع أن تزيد الانقسام إلى ما لا نهاية . تستطيع أن تخلق انقسامات أخرى حول الأشياء المرئية (المئة شيء في واقع الألف شيء). تستطيع أن تقلب مواقفها ، ان تعدّل ، أن تصحّح مواقفهـا حول عشرة أشياء أو ربما المئة شيء . تستطيع أن تدخل في نوبات دورية من النقد الذاتي القاصر .

وتستطيع أيضاً أن « تخفّف » من الانقسام ، أن توحّد « الماركسيين » الفدائيين ، على خط رؤية موحّدة للمئـة شيء ، رؤية صحيحة أو خاطئة ، ولكن خاطئة دائماً بالتأكيد ، خاطئة في حالة الصواب المذكور لأنها قصرت عن التسعمئة شيء ، لأنها قاصرة جذرياً وأصلياً ورحميـــاً عن منهج السعي للإحاطة بكل الارتباطات وكل التداخلات وكل الاحتمالات . **تستطيع** إذن، في المستقبل، أن توحّد« الماركسيين » ومنظماتهم حول خط الرؤية«الماركسية» المذكورة . ولكن ذلك سيكون انتقالاً من وضع التبعثر التنظيمي والفكري الحـــالي إلى وضع انقسام كبير ، انشطار رئيسي واحـد عميق بين « الماركسيين » وغير – « الماركسيين » . ولا يمكن التأكيد أن هذا الانتقال سيكون تقدّماً . إنه خطوة إلى الأمــام « سلبية » ستتيح إمكانية لتوحيد التجربة « الماركسية » – الفدائية أي توحيد « موضوع » النقد الماركسي الحقيقي .

إن « ماركسية » العمل الفدائي فاسدة في الأساس ، في الجذور. فسادُها في جذرها « الاقتصادي » « اليساري » ، النزعةِ « الاقتصادية الامبريالية ».

---

(١) لنتساءل فقط ما هي الأخطاء التي كان يمكن ان لا يسقط فيها « الماركسيون – اليساريون » العرب ، لو عاصروا وشاركوا أحداث التاريخ والماركسية خلال قرن وربع .

بإمكان الفدائيين – الجدد القادمين من الأحزاب الشيوعية أن يخففوا صفتها « اليسارية » (إذا لم يكونوا هم من أصحاب انشقاق شيوعي أخير، «يساري» « فلسطيني » « حزبي » في شكل رد فعل على الحزب – الأب ، اكتشف « يمينية » الحزب الأصلي ، فانتقل إلى موقف « يساري »[1]) . ولكن ليس بإمكانهم – أبداً – أن يعالجوا الجذر « الاقتصادي »[2] والحاصل : صفر . نبقى على « جانب » الماركسية ، و ، الواقع .

هذا الشاب الفلسطيني حمل السلاح في ١٩٤٨ ، عدوٌ بطاش صهيوني – استعماري – امبريالي شرّد شعبه . وأعاد الكرّة بقوة في ١٩٦٧ . الدول العربية الشقيقة كذّابة ، أو عاجزة ، أو الاثنين . حَمَلَ السلاح ووقف، وحدهُ بالسلاح ضد العدو . يريد دليلاً . (والماركسية فلسفة العصر !).

منطق المقاتل الفلسطيني مفهوم وصائب في تسعة أعشاره . وبخصوص الكذب انه أكثر من صائب .

ما هو الدليل الذي يقدّم له ؟ ماذا يقول « الماركسيون »؟

– طبقات ، اقتصاد ، الخ .

مكافحون يحملون السلاح ضد دولة اسرائيل ، كيان اجتماعي – حكومي – عسكري كامل . معركتهم **قومية**: فلسطين واسرائيل. عرب فلسطينيون ويهود اسرائيليون . العدو البطاش المحسوس الملموس ، الضابط ، الجندي ، المطار ، الكيبوتز ، المصنع ، الجامعة ، السوق (البازار) : يهودي .

---

(١) قرأت في « الحرية » دراسة (على حلقات) صادرة عن الانشقاق « اليساري » في الحزب الشيوعي العراقي (جماعة القيادة المركزية) . لا أدع هذه المناسبة دون أن أصرح بأن وعي الرفاق العراقيين اليساريين أفضل من وعي الجبهة الشعبية الديمقراطية. ولكن بكل صدق : هذا ليس كثيراً. أنتظر من جميع شيوعيي العراق أفضل من هذا كله . وأنا لست متشائماً . وسأقوم بواجبي في هذا الصدد (التقييم والنقد) .

(٢) فالجذر « الاقتصادي » واحد عند الطرفين .

معركتهم **قومية** : أمم ، شعوب ، استعمار استيطاني ، إقامة شعب محل شعب . أمة مكان أمة . يقال لهم : طبقات ، صراع طبقات .

البعض يوافقون : طبقات ، صراع طبقات ، اقتصاد ، امبريالية . البعض **الكثيرون** . الايديولوجيا القومية ، القومية الثورية ، القومية الدينية ، جزء أو تبدو جزءاً من الاكذوبة. روابط القربى بين الفلسطينيين (٩٩٪ من شعب فلسطين) وبين الشيوخ والامراء أقل من لاشيء.وبين الفلسطيني والبرجوازي العربي قريبة من لاشيء .

ولكن البعض الآخر لا يوافق أبداً : في نظره ، المعركة قومية ، عرب ويهود ، وكفى . أو انه يشعر من البداية أن الأمور أقل بساطة من : طبقات ، اقتصاد ، الخ .

الذين وافقوا لا يلبث بعضهم أن يشعر هو أيضاً هذا الشعور . الامور أقل بساطة من : طبقات ، اقتصاد ، امبريالية . هناك جانب قومي « أيضاً » (!) . المسألة قومية . ٩٩ ٪ من اليهود ضدنا ، ٩٥ أو ٩٩ ٪ من الشعب اليهودي الاسرائيلي ضدّنا ، « عمالاً وفلاحين » وليس فقط «الرأسماليين» ، « اليسار » اليهودي وليس فقط الحاخامات ، وعلى ما يبدو ، أحياناً أكثر من الحاخامات . الأمورُ ، ظاهراً ، أكثر تعقيداً . يجب إذن وضع النقاط على الحروف ، أو بالأصح وضع الامور في نصابها . ولكن « الماركسية » (الاقتصادية) تشلّ وتُحبط ! رغم الشعور الجديد ، تبقى الرؤية مشوّشة ، يختلط فيها الخطأ والصواب ، وتبقى النظرية بدون مَسْك (قبض) على الواقع .

ليس الغريب ان «الماركسية» المذكورة لم تهيمن على المقاومة الفلسطينية . بل الغريب ان لها هذه السطوة . في معركة قومية ، في مسألة قومية إلى هذا الحد ، يقال لنا ، للفلسطينيين ، للعرب : المعركة طبقية ، المعركة ليست قومية . ولكن هذه السطوة تجد تعليلها الطبيعي في الظروف الآنفة : انكشاف الاكذوبة « القومية » ، الديماغوجيا القومية الثورية ، قصور منهج

الفكر القومي ، ثرثرات « الاشتراكية العربية » ، نذالة وعجز الدول الشقيقة .

هذه السطوة لا يجوز أن تستمرّ ، لا نعتقد انها ستستمرّ ، نعتقد انها بدأت ترتبك وتنحسر . ولكن الطريق طويلة وشاقة . لا يمكن السكوت عن هذه « الماركسية » . يجب تفنيدها ، إزالتها . عربياً و **فلسطينياً** . انها لا يمكن أن تسلّح العرب فعلياً،ولا يمكن إلا أن تسيء إلى الرؤية الفلسطينية وإلى الكفاح الفلسطيني . هــذه « الماركسية » الاقتصادية (« الطبقية » المزعومة ، « الاممية » المزعومة ، « المناهضة للامبريالية » لفظياً فقط دونما قدرة على توجيه ضربات حقيقية للامبريالية) لا يمكن أن توحّد المقاتلين الفلسطينيين .

لنتصوّر لحظة الوضع المعاكس ، الاحتمال المعاكس (« النظري » ، الذي نفترضه افتراضاً وغير الواقعي ، على الأقل لانه لم يحدث بعدُ ولعلّه ما كان يمكن أن يحدث في الظروف التاريخية الموضوعية وخاصة « الذاتية ») . لنتصوّر ان « الماركسيين » المقاومين كانوا فعلاً ماركسيين . لو أنهم بصوت واحد وضعوا من البداية في عام ١٩٦٧ مبادىء نظرية وستراتيجية وتاكتيك وسياسة ونظرية عسكرية صحيحة . لو انهم أعلنوا بصوت واحد النقاط الآتية :

١ . الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية تعمل للسيطرة العالمية . تستهدف المنطقة العربية،المركزية في تاريخ الاستعمار ونزع الاستعمار، في تاريخ صعود الرأسمالية العالمية وهبوطها ، تستهدف البترول ، وتستهدف ابقاء آلية السوق العالمية (تدهور أسعار الخامات ومواد الأساس بالنسبة لأسعار المصنوعات) ، إبقاء وتعزيز التجزئة العربية القومية من أجل هذا كله . (ومن أجل هذا كله،تتراجع أو يمكن أن تتراجع عن عدد من المواقع والمصالح الجزئية ، عن مساندة الطبقات المهيمنة التقليدية) .

٢ . الصهيونية ← فلسطين ؛ حلف الامبريالية والصهيونية ← فلسطين ، الاستعمار الاسكاني اليهودي، اسرائيل، التوسع الاسرائيلي، القوة الاسرائيلية، مساندة الامبريالية للصهيونية ، علاقة التحالف والأداة الخ (العلاقة المتنوعة كلها بين الاثنين ، بين الكل – الامبريالية – وجزئه المميّز – الصهيونية – الذي لا وجود للكل بدونه ككل) تدخل في هذا الاطار : عالمية الرأسمالية، الامبريالية وهيمنتها العالمية ، التجزئة العربية ، حراسة التجزئة العربيـــة والضعف العربي (بالمرستون ، بانرمان ، بلفور ، .. جونسون) ، البترول العربي ، تدهور أسعار التبادل . التجزئة العربية نقطة محورية ، من البداية . حزيران ١٩٦٧، شروط الحرب، ظروف نشوبها (الطلاق الغبي البرجوازي الصغير بين التصوّر الذاتي – نحن وقتّناها ، وكانت هنـــاك وحدة ، دفاع مشترك ، تنسيق ، هلمّجرا – والواقع الموضوعي – العدو ، اشكول – نيكسون ، وقتّها ، حدّدها، ونحن كنا في ذروة الغباء التاريخي البرجوازي الصغير) هي تشخيص عياني آني مباشر لهذه المحورية .

٣ – معركتنا الفلسطينية معركة قومية . الملوك ، الامراء ، الشيوخ ، الاقطاعيون، الرأسماليون ، الكومبرادور ، « البرجوازية الوطنية » أو قسم منها ، الخ (**طول** القائمة قد يحتـــاج الى نقاش ، قد لا نضعه في المبادىء الاولى ، على أي حـــال نحن متّفقون في المبادىء الاولى على ان القائمة طويلة وتتضمن **حكماً** الملوك وأشباههم لاعِقوا البترول ، الاقطاعيون والرأسماليون الكومبرادور) ضدّ الشعب ، يخونون المصالح القومية ، يغذّون العـالم الامبريالي والأسطول الأميركي بالبترول . ومعركتنا الفلسطينية ، من أجـل الأرض ، ضد الاستعمار السكاني ، ضد الامبريالية ، ضد الكيان الصهيوني ، معركة قوميـة . قومية ، قومية ، قومية . مثل نضال الايرلنديين ضـــد الانكليز، نضال البولونيين ضد الروس والألمان ، نضال الصينيين ضد اليابانيين والأميركيين، نضال الفرنسيين والهولنديين والدانماركيين والصرب والكروات والألبان واليونان والروس والاوزبكيين الخ ضد ألمانيا الهتلرية ، وأكثر ،

وأحياناً أكثر بكثير . هذه هي الأممية الحقيقية الوحيدة، في عصر الامبريالية وتعزّز عالمية الرأسمالية على هذا النحو العالمي – القومي . « يا عمـال العالم وأيتهـا الأمم المظلومة اتحدوا ! » . (لينين) . قومية . قومية النزعة والاتجاه .

« الشرق الثوري والقومي nationaliste » (لينين ١٩٢٣) . مستقبل الثورة الاشتراكية العالمية ، حتمية انتصارها ، أمل السلام ، يتوقف على كون « الروس والهنود والصينيين الخ » « يؤلفون الغـالبية الساحقة من سكان المعمورة »[١] . «الخ» ! العرب ! مستقبل الثورة الاشتراكية العالمية وتقدمها وانتصارهايتوقف – حسب موضوعة لينين – على تحرك، التحرّك الصحيح، لهذه الكتل البشرية الكبرى : « روس ، هنود ، صينيين الخ » . العرب كتلة بشرية كبرى رابعة ، أولى في مساحة **وموقع** الأرض (العنصر البالغ الأهمية في زمن الامبريالية وحروبها، وزمن الصراع بين العالمين الاشتراكي والامبريالي) وفي **البترول** (العصب الاقتصادي للعصر) .

٤ . أيها الفلسطيني المقاتل : تحمل السلاح في معركة قوميـة ، قومية لهدفٍ قومي ، قومي . الماركسيةُ – (ماركس ، انجلز ، لينين) – ، اللينينيةُ ، تجربةُ عصرها كله ، على النطاق العالمي الحقيقي (أوروبا الحرب العالمية الثانية ، « الشرق » ، عالم اليوم) ، الماركسيةُ – اللينينية تقول : ضوء أخضر ، الى الأمام في هذه القومية . خذ جيـداً على أكتافك مسألة الأمة العربية ، أنت ممثل متقدّم للثورة الاشتراكية العالميـة ، للأممية البروليتارية . ومن يقول لك خلاف ذلك ، من يناقض ذلك، باسم الماركسية، لا صلة له بالماركسية ، باللينينية ، بالأممية ، بالطبقية . نضالك الثوري القومي ونضال الأمة العربية الثوري القومي في سبيل الأرض والحرية والوحدة ، في سبيل الوجود ، ليس « تابعاً » إلا بالنسبة للكل الذي هو الثورة الاشتراكية

---

(١) أيضاً لينين ١٩٢٣ .

العالمية ضد الامبريالية وهيمنتها العالمية . وبدون نضالك ، الكلُ يكفّ عن كونه كلاً ، الثورة الاشتراكية العالمية تكفّ عن كونها **الثورة، الاشتراكية، العالمية** . لأنه بدون كلب الحراسة الصهيوني وكلاب الحراسة العرب (حارسي التجزؤ والضياع والبترول ، حارسي هـــذه المصالح الامبريالية الثلاث) ، الامبريالية تكف عن كونها الامبريالية، الرأسمالية تكف عن كونها رأسمالية. نضالك الفلسطيني ونضال الأمة العربية ليس أبداً **تابعاً** لا « **مسألة العمالية** »(؟)، لتحليل طبقـــات المجتمع الاسرائيلي ولا الفلسطيني ولا العربي . بالعكس ، تحليلُ طبقات المجتمع الاسرائيلي (وتحديد صهيونية جميع الطبقات) وتحليل طبقات المجتمع الفلسطيني (وتعيين نذالة وخيانة شلة المليونيرية أو الجعبري والفاروقي [1]) وطبقات المجتمعات العربيـــة (لتحديد موقع « البرجوازية الوطنية » ، أو موقع وموقف البرجوازية الصغيرة ، لتقرير إمكانية أو عدم إمكانية فسح مجال لصيغة من نوع الصيغة الصينية الماوتسي تونجية المعروفـة « الوطنيون من الملوك وصغار الملوك والأمراء » والشيوخ) ، **تابع** لما سبق ، علاقته بما سبق كعلاقة ما سبق بما سبق ، أي علاقة جزء بـ ـ كلّ ـ ، جزء بالغ الأهمية ، بالغ الفصل ، ستراتيجي وتاكتيكي ونظري . غير أن الجزء جزء ، مثله مثل الأجزاء الأخرى : تحليـــل الأقطار ، الدول ، الجيوش ، « السياسة » . ذلك لأن هذه الأقطار ، الدول ، « السياسة » ، ليست أقل أهمية من « الطبقات » في ساحة العالم العربي وعلاقته بالعالم ، وبالنسبة لقضية فلسطين والعمل الفدائي بشكل خاص .

أيها المناضل الفلسطيني والعربي الماركسي(حتى حين لا ترفع لواء الماركسية أو لافتتها) ، أنت كماركسي لستَ ممثلاً « مباشراً للطبقة العاملة العالمية » ، بل ممثل مباشر **للحركة** البروليتارية العالميـة ، للوعي البروليتاري العالمي ،

---

(١) و« تردّد » الفلاح والعامل والمثقّف ، أو نذالة « أصحـــاب الطموحات اللاحقة » الخ .

للثورة البروليتارية العالمية ، ولست ممثلاً **للطبقة** العاملة العالمية إلا عن طريق وعلى جسر وبواسطة هذا الوسيط : الحركة ـ الوعي ـ الثورة . وأنت ممثل للطبقة العاملة العالمية وللأمم المظلومة .

٥ . إن الثورة الفلسطينية هي كفاح الشعب الفلسطيني من أجل حقه في فلسطين ، من أجل استعادة الوطن المغتصب . هذه الثورة جزء لا يتجزأ من الثورة العربية القومية الديمقراطية والاشتراكية المناهضة للاستعمار والامبريالية والاقطاعيـــة والرأسمالية في سبيل الاستقلال والوحدة القومية والديمقراطية والاشتراكية . على امتداد التاريخ في القرون الوسطى وحروبها الصليبية ، في عصر الرأسمالية الصناعية وزخمها الاستعماري ،في عصر الامبريالية والصهيونية ، هذا الارتباط بين مصير فلسطين ومصير الأمة العربية ظاهرة أساسية بارزة .

الكفاح الفلسطيني المسلّح يبدأ في وقت ليست فيه حالة الثورة العربيـة على ما يرام . الشعب الفلسطيني لا يستطيع أن ينتظر انتصار الثورة العربية حتى يقطف ثمرة هذا الانتصار . قضية فلسطين جزء وليست ذيلاً . كفاح الأمة العربيـة ضد العدوان الاسرائيلي وضد العدوان الصهيوني – الامبريالي التاريخي وضد الامبريالية ومواقعها ومصالحها وزخمها المتصاعد يتطلب الكفاح المسلح لشعب فلسطين .

الثورة الفلسطينية ، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الثورة العربية لا تنفض يدها أبداً من الأوضاع العربية ـ ولكنها لا تحلّ هي مهام الثورة العربية في الأقطار . واهتمامها بالأوضاع العربية ليست جملاً تقيّم « الطبقات » في « مجتمع » عربي نظري ، بل آراء محددة في أوضاع العالم العربي ، عالم الأقطار العربية ، والسياسة ، والمسؤوليات ، والطاقات ، والأفعـــال ، **ومطابقة الأفعال والأقوال.** وتحليل الطبقات داخل كل قطر ، داخل كل مجتمع قطري واقعي ، وداخـــل المجتمع العربي « عامّة » ، جزء من هذا العمل ، وليس كل هذا العمل .

الماركسيون – اللينينيون الفلسطينيون المكافحون يؤمنون إيمانـاً قاطعاً

بالارتباط الوثيق بين الوحدة والاشتراكية في مصير الأمة العربية والثورة العربية المنطلقة من حركة التحرر القومي العربية ، التي تنمو وينمو صراعها التاريخي مع الامبريالية وخططها وعدوانها ، بشكل محتوم ، الأمر الذي يفرض ويشترط نمو وتحوّل وعيها وتنظيمها طبقاً للمهمات التاريخية. ولكن هذا الارتباط الوثيق التاريخي بين الوحدة والاشتراكية لا يعني إطلاقاً أن الوحدة ذيل أو تتويج للاشتراكية . بالعكس ، الاشتراكية مستحيلة بدون الوحدة القومية . حكم البروليتاريا ، حزب البروليتاريا القومي الشعبي ، يتطلب هذه الوحدة . إن الماركسيين – اللينينيين الفلسطينيين يعتبرون الوحدة العربية جزءاً لا تتويجاً في سير الثورة الاشتراكية العربية ، المفهومة فهماً لينينياً ، عالمياً لا قطرياً ، أي بالتالي قومياً، لنضال الشعوب العربية التابعة والمستباحة ضد الامبريالية العالمية . إن الوحدة القومية العربية حلقة (ليست الأخيرة ، الخاتمة) على طريق الثورة الطويل الشاق ، وبالأصح سلسلة من الحلقات ، المتدرجة وغير المتدرجة ، الانفجارية ، الصراعية ، التي تحكمها ديناميكية العدوان والهزائم والشرشحات والانتصارات [١] ، ضرورات صدّ العدوان ، فوق ضرورات التنمية والسيادة .

٦ . إن الكفاح الفدائي الفلسطيني لا يعلّل نفسه بالأوهام . المقاتلون الذين يواجهون الموت يرفضون التضخيمات المثالية العاجزة التي تنشر الأباطيل وتعفي الآخرين من المسؤوليات الجسام .

إن الكفاح الفدائي الفلسطيني الموحّد سيسعى إلى النمو والارتقاء إلى مستوى أعلى في حرب الأنصار ، إلى جعل الضفة الغربية وقطاع غزة والتجمعات القروية العربية داخل اسرائيل مناطق عدم استقرار جذري للاحتلال ، إلى مناطق حرب – أنصار شعبية ، حرب عصابات . في الوقت الحاضر ، وفي مستقبل قريب ، إنه لن يتخطّى مستوى حرب – أنصار من

---

(١) وقيام الدول وعدم قيامها بواجبها القومي .

الدرجة الدنيا ، تنفيذ عمليات محدَّدة ومحدودة وفعالة على يد جماعات صغيرة من الأفراد أو على يد فرد واحد . أعمال تخريب sabotage ضد الاحتلال والكيان الاسرائيلي، الارهاب الوطني ضد الارهاب الاستعماري . في فلسطين وخارج فلسطين .

إن مهمة تحرير فلسطين التي تتعادل مع إسقاط الكيان الاسرائيلي الصهيوني أكبر بكثير من الكفاح الفدائي الفلسطيني الحاضر والمقبل . إن تحرير الأراضي المحتلة في ٥ حزيران ١٩٦٧ مهمة تقع على عاتق شعب فلسطين وكفاحه المسلح وعلى عاتق الدول العربية المحتلّةوجيوشها النظامية وطاقات الأمة العربية .

إن تحرير الأراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وتحرير فلسطين من الاحتلال والاستعمار التاريخي يتطلب تعبئة كل طاقات الأمة ، وفي رأس هذه التعبئة تطويرُ وتجديدُ الجيوش النظامية في اتجاه مهات الجيش : الدفاع القومي ، القتال حتى النصر . « الوطن أو الموت »[1] .

إن الماركسيين – اللينينيين الفلسطينيين يحكمون على الدول والأنظمة والأحزاب والطبقات ليس فقط على أساس « موقف » هذه الدول والأنظمة والأحزاب والطبقات « من المقاومة الفلسطينية » ، بل أيضاً وبالدرجة الأولى على أساس موقفها الفعلي كله من قضية مصير الأمة والدفاع القومي ، استعدادها ، تضحياتها ، كفاحها ضد العدوان ، قيامها بواجبها .

٧ . إن الماركسيين – اللينينيين الفلسطينيين يؤكدون بلا تردّد أن المقاومة الفلسطينية هي الممثلة التاريخية الشرعية لشعب فلسطين . وينفون حق التمثيل عن الأحزاب والدول والزعماء العرب .

إن الماركسيين – اللينينيين الفلسطينيين، بصدد مشاريع السلام وقرارات الدول الكبرى ومجلس الأمن الخ ، إذ يؤكدون ان شعب فلسطين العربي هو

---

(١) رسالة غيفارا الى كاسترو . شعار الثورة الفيديلية !

وحده يملك حق تقرير مصير فلسطين وحل قضيته التاريخية حلاً نهائياً مع شعب المجتمع المستعمر الغاصب ، وإذ يؤكدون ان هذا الحل يتوقف على انتصار الأمة العربية انتصاراً جذرياً على الكيان الاسرائيلي الصهيوني ، يحذرون بقوة واصرار الدول العربية والجهات العالمية الصديقة ، من لؤم وغدر الولايات المتحدة الأميركية . لقد علّمنا لينين ما هو عصر الامبريالية . وعلمتنا تجارب نصف القرن الأخير قدرة الصهيونية على المناورة والاستعداد والتستّر والتمويه ، قدرتها على جمع الثبات الخارق في المبدأ والهدف والمرونة الفائقة في الوسائل والخطط[1] . وكشفت تجربة أيار – أوائل حزيران ١٩٦٧ **غدر** الولايات المتحدة الأميركية .

٨ . إن الماركسيين – اللينينيين الفلسطينيين ينتظمون في تنظيم كفاحي واحد ، يعتمد الكفاح المسلح الفدائي **كأعلى** أشكال النضال ، ويسعون أيضاً إلى تنظيم أشكال الكفاح غير المسلّحة داخل غزة والضفة الغربية .

والماركسيون – اللينينيون الفلسطينيون يؤيدون الوحدة الكاملة للعمل الفدائي وللمقاومة بكافة أشكالها ، على أساس هذا الخط ، أو على أساس خط حد أدنى كافٍ يتّفق عليه مع سائر منظمات المقاومة .

والماركسيون – اللينينيون الفلسطينيون يدعون الى الحذر من الجمل العمومية والشعارات الملتبسة والخاطئة . وفي رأس هذه العموميات شعار « حرب التحرير الشعبية » الذي يمكن أن يُتّخذَ على صعيد الدول العربية بمعنى صرف الجيوش النظامية المحترفة ، وعلى الصعيد الفلسطيني بمعنى تحوّل العمل الفدائي في المستقبل إلى « حرب تحرير شعبية » ، من الطراز الصيني أو الفيتنامي ، تطيح بالعدو ، تُسقط الكيان الصهيوني – الاسرائيلي . هذا المستقبل لن يأتي أبداً . الجيشُ الاسرائيلي ليس « أداة قمع » بطاشة في يد

---

(١) جمع تاريخي يجد جذوره « الفكرية » في عمل التالموديين (على حد ما نقرأ في كتاب اندريه شوراكي : « تاريخ اليهودية – الديانة » ، باريس . الكاتب يهودي وصهيوني) .

« الرأسمالية اليهودية » ، بل هو **جيش** ذو عدد وعدة ، والمجتمع اليهودي – الاسرائيلي متماسك متلاحم[1] .

اننا نحذر من السحب المثالي ، في العقول ، للنموذج الصيني أو الفيتنامي أو حتى الجزائري . ونحذّر من استخلاص مستقبل وآفاق العمــل الفدائي والمقاومة و « الثورة الفلسطينية » من نموذج « الثورة » ، من مفهوم «الثورة» العـام . إن الاستعمار الاسكاني ونتائجه – إقامة دولة – مجتمع اسرائيل – قد وضعت فرقاً جذرياً بــين الكفاح الفلسطيني وجميع الثورات المعروفة في التاريخ .

إن المقاومة الفلسطينية –وطليعتها الممتازة : الكفاح الفدائي– ستواصل نموها وعملها خلال المرحلة التاريخية الحاضرة والقادمة في الصراع التاريخي بين الصهيونية والامبريالية وفلسطين والعرب ، وهو الصراع الذي بدأ منذ نيف ونصف قرن والذي يمكن أن يستمر نصف قرن آخر . والمقاومة الفلسطينية لا تضع أمامها بصورة رئيسية منظور احتمال انهيــار الدول العربية التقدمية ونصف التقدمية ونزول الامة العربية إلى الحضيض ، تحت فعل انتصارات

---

(١) اليهود الشرقيون محكومون من اليهود الأوروبيين . ولكن ليس ثمة أية قرينة تشير إلى أنهم غير متلاحمين مع اليهود الأوروبيين ضدّ العرب ، أو انهم أقل عــداء للعرب . الطبقة العاملة الاسرائيلية منظّمة جميعها في المؤسسة الصهيونية ، مواليــة نشيطة للأحزاب الصهيونية بنسبة ٩٩ ٪ . لا يوجد حزب اسرائيلي واحد ، حزب له شأن ما ، يرضى حق بالعودة الى ٤ حزيران ١٩٦٧ . الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح لا ينال في وسط اليهود سوى عشرات أو مئات من الأصوات . ماتزبن مجموعة شباب محدودة . (وأفكارها فيها كثير من الشطح « الثوروي » الشبيه بشطح « اليساريين » العرب ، ولعلها هي المصدر ، ولكنها أفضل ، أقل شطحاً) .

ان التطور الأساسي الحقيقي الحاصل داخل اسرائيل (اسرائيل حدود ما قبل العدوان) هو التطوّر الحاصل في صفوف الأقلية العربية في يافــا والناصرة والجليل الغربي والمجموعات الريفية الأخرى . يسارنا الطبقوي الأممي ـ الزائف لا يرى هذه الحقيقة ، يتحايل ، يهرب ويهرّب . لقد قطع الصلة مع الواقع ومع اللينينية ، مع الطبقية والأممية الحقيقية .

جديدة للصهيونية والامبريالية ، بل تضع أمامهـــا بصورة رئيسية منظور تطورات ثورية ايجابية في الساحة العربية وكسر تيار النزول وبداية تيـــار الصعود في المعركة التاريخية مع الصهيونية ، وهي على أساس هــذا الاحتمال المرجّح ، تضع لنفسهـا منظور التنسيق العسكري المطلق مع الجيش العربي النظامي (مع القوات العربية النظامية المجددة والموحّدة فعلاً) وتحت قيادة هذا الجيش . تلك حـــالة تشبه علاقة قوات الأنصار الاوكرينيين والجيش السوفياتي ، وعلاقة قوات أنصار بلدان أوروبا الشرقية والجيش السوفياتي . وهي حالة بعيدة عن حالتنا الحاضرة ، ومستقبل بعيد يتوقف بالدرجة الاولى على التطوّرات العربية .

٩ . والماركسيون – اللينينيون الفلسطينيون يدينون مواقف الايديولوجيا القومية التقليدية تجـــاه اليهود ويهود اسرائيل . ويدينون أيضاً المنطق شبه « الماركسي » الذي يحصر المسألة في قياس : اليهود ليسوا أمة ، وبالتـالي لا يمكن منحهم أية حقوق « قومية » في فلسطين .

إن عدم شرعية الحق اليهودي في فلسطين أو جزء منها لا ينبع أبداً من كون اليهود لا يؤلّفون أمة ؛ لو كان المستوطنون – المستعمرون في فلسطين فرنسيين (كما في الجزائر ، ولا سيما في السهل الساحلي بين مدينـة الجزائر ومدينة وهران وفي نصف مدن الجزائر : حيث أصبح الفرنسيون **غالبية** السكان أو أقلية كبيرة من السكان) أو انكليزاً أو ألماناً، لو كان المستوطنون المستعمِرون أبناء أمة واحدة ، ولم يكونوا طائفة متنوعة جاءت من خمسين أمة ، لما تغيّر موضوع الحق واللا حقّ . ورغم كل عناصر الاختلاف أو الخلاف الحاضرة (بما فيها عناصر الاختلاف القومي) داخل يهود فلسطين ، فليس من شك في ان المجتمع اليهودي – الاسرائيلي مجتمع متلاحم ، «قومي» (لغة – أرض – اقتصاد مشترك ، وإرادة مشتركة ، ومعـادية للعرب) . هذا لا يغيّر شيئـاً من موضوع الحق واللا حقّ (لا يمكن أن ننفي حق أية طائفة أو مجموعة من طوائف البشر ، دينية ، لغوية ، عرقية ، هلمجرا ، في

أن تقيم نفسهـا كأمة ودولة في بقعة ما من الكرة الأرضية ، شريطة أن لا تكون هذه البقعة مسكونة ، أو شريطة أن يوافق هؤلاء السكان الأصليون أصحاب الحق ومنحه) ، ولا يغيّر شيئاً من واقع عصر الامبريالية وهيمنتها العالمية (واستعمارها الإسكاني) ومن مدلولات الصراع التاريخي بين الفلسطينيين والعرب وبين اليهود والصهيونية والامبريالية ، على فلسطين ، وعلى المشرق العربي .

إن القرائن تؤكـّد أن تواجد وتعايش أمتين سيدتين ، سيادتين قوميتين ، في وطن العرب القومي ، هو تسليم للزحف الامبريالي والصهيوني في هـــذه المنطقة المركزية من عالم الاستعمار ونزع الاستعمار .

ولكن المقاومة الفلسطينية والقوى الثورية والتقدمية العربية لا تسدّ **هي** احتمال السلام الحقيقي والتعايش والتعاون ، على أساس مبدأ **السيـــادة** القومية الواحدة الوحيدة للامة العربية في وطنهـــا القومي **المحدّد** تاريخياً ، وفلسطين في وسطه . إن المقاومة الفلسطينية والقوى التقدمية العربية والأمة العربية ، على هذا **الأساس** وفي هذا **الاطار** ، يمكن أن تمنح أشكالاً متنوعة من الحقوق القومية الذاتية لليهود في فلسطين (نظام الدوائر القومية الثقافية arrondissements nationaux - culturels ، نظـــام الحكم الذاتي المحلي self -government local ، بل وصولاً إلى مبدأ الحكم الذاتي القومي لإقليم متصل autonomie nationale - régionale) . هذه الأشكال القومية بما فيها شكلها الأخير الأعلى تفترض وتدخل في إطار المبادىء الآنفة : سيادةُ العرب على وطن العرب وكجزء **سيادةُ** شعب فلسطين العربي على فلسطين ، وحق جميع اللاجئين في العودة إلى أراضيهم (بما في ذلك داخل الدوائر القومية اليهودية أو الاقليم الذاتي اليهودي — وهذه العودة متضمنـــة حكماً في مبدأ الدائرة والاقليم الذاتي autonome غير **السيّد** non souverain)، **أي** أصلاً وفي الجوهر إزالة الكيان الاسرائيلي الصهيوني من أساسه .

هذا كله لا يغير قيد شعرة من الواقع التاريخي الراهن الحاضر والمقبل ،

واقع اللاتواجد واللاتعايش ، واقع الصراع والعنف والحرب (ووحدة المجتمع اليهودي الاسرائيلي الصهيونية ضد العرب من أجل السيادة على فلسطين – أو القسم الأكبر منهـــا – والغزو والتسلـّط) . إن خطيئة الشقيري أو غيره ليست بالدرجة الأولى في كونهم قالوا ان مليونين يهودي سيبادون، بل كونهم لا يقولون ان عشرة ملايين من العرب سيموتون [١] . التناقضُ الدامي بين الامبريالية والشعوب ، وبين اليهود والعرب ، في هذا الإطار نفسه ، طرفـُه الأول المبادر البادىء هو الامبريالية ، اليهود. وإن مواقف بعض«الماركسيين» والتقدميين العرب ليست إلا تراجعـــاً أمام خداع العدو وغدره ، وخداعاً للشعب العربي بحبّ السلام ونبذ العنف والدم .

١٠ . إن الماركسيين–اللينينيين الفلسطينيين والعرب يتوجهون إلى الرأي العام العالمي المخدوع (لأن « الرأي العام العالمي » مخدوع كله أو تقريباً كله بدرجات متفاوتة) ، ويقولون بأعلى صوتهم :

لن نهرب من الحقيقة من نوافذ التناظر الكاذبة . لا الحاج أمين الحسيني ولا الشقيري ولا صداقة الحسيني مع النازية ولا القوميةالعربية الدينية اليمينية « العنصرية » (!) ولا مَنْ يحزنون . إن تقـــاعس وأخطاء حركة العمال الأوروبية والدولية ، في موضوع فلسطين ، جزء من الانحدار التاريخي للوعي والضمير الأوروبي إزاء قضية الاستعمار والتحكـّم العالمي ، الانحدار المشهود بين منتصف القرن التاسع عشر والربع الثالث من القرن العشرين (انحدار وعيه الانساني الكوني [٢]) . وتحت ضربات الشعوب المقهورة والمستيقظة على واقعها والواقع الكوني ، **بدأت** يقظة الضمير الأوروبي ، يقظة « الرأي العام العالمي » . غير أن هذه البداية لا تزال تحت البداية الحقيقية فيما يتعلق

---

(١) إن خطيئة « الدعاية العربية » هي ازاء الشعب العربي . تخدع الشعب العربي . (القيادات الصهيونية في العالم ، الدول التي تساند اسرائيل ، واشنطن ، لا تنخدع أبداً).

(٢) الانحدار المرتبط بمصالح اجتماعية – استعمارية .

بفلسطين . الأوساطُ اليسارية التي تقول : « هناك فرق بين قضية الفيتنام وقضية فلسطين » ، نقول لها : نعم ! ولكن بأي اتجاه ؟ لصـــالح من ؟ لصالح مزيد من الحماس لِمَن ؟ لو جاء الفرنسيون أو الأميركيون بعشرين مليون مستوطن أخذوا مكان عشرين مليون لاجىء فيتنامي ، هل كان ذلك ليقلّل من حق الفيتناميين ؟ هل حقّ المقتلَع من أرضه والمحكوم من قبل حكومة وجيش وسكّان أجانب أقل من حق الباقي في أرضه والمحكوم من قبل حكم وجيش أجنبي ؟ والآن ، في الوضع الراهن ، أمـــا آنت ساعة الصَحو ، ألا ترون ان المسألة ليست « المسألة اليهودية » أو مسألة « حياة » اليهود في فلسطين بقدر ما هي حياة شعب فلسطين ، وحياة الأمة العربية ، ومصير شعوب العالم ، والسلام العالمي ؟

هناك فرق فعلي بين قضية فيتنام وقضية فلسطين ، في صدد مسألة الرأي العام العالمي . فرقٌ كبير جداً موضوعي لصالح فيتنام . مَنْ يتصوّر ان قضية فيتنام تنال تأييد جان بول سارتر وعشرات ومئات الملايين من النـاس في أوروبا والعالم ، بينما لا تنال قضية فلسطين هـذا التأييد (حتى في الرأي العام الأوروبي–الشرقي) ، بسبب رداءة الدعاية العربية ، واهِم . (والبضاعة الفكرية الصهيونية ليست دائماً أفضل نوعاً من البضـاعة الفكرية العربية) . السبب ، ٩٥٪ من السبب ، هو الفرق بين فيتنـام وفلسطين لا كـ موضوع بل كذات ، لا كموضوع مسألة أو قضية بل كذات فاعلة . في اليوم الذي يصل فيه العرب إلى مرتبة فيتنام أو حتى إلى أقل منها بدرجة لا بأس بهـا – من حيث التضحيات ، والفِعل والتأثير العسكري – يمكن أن نشهد تحولاً حقيقياً في الرأي العام العالمي . ليس قبل . والعرب أقرب إلى أوروبا ويملكون بترول أوروبا .

أما الآن ، فإن الماركسيين – اللينينيين العرب لا يمكن أن يتراجعوا أمام ماليس إلا ضغطاً فكرياً يمارسه الخصم بطرق متنوعة . وهم يؤكدون بأعلى صوتهم أمام الرأي العام العالمي وفي كل عواصمه : ليس من قضية أعدل

وأوضح من قضية فلسطين العربية .

هذه المهمة – الرأي العام العـــالمي وتغييره – ليست بأي حال مهمة أولى . المهمة الأولى (٩٩ ٪ من العمل) هي في الوطن ، في فلسطين وحولها .

ولكن سفينة –سُفن– « الماركسية الفلسطينية » سارت في طرق أخرى . تحت وطأة رياح الانفعال ورد الفعل والقراءات الجزئيـة وانعدام التكوين الماركسي الجدّي [1] والتسرّع والكسل و « الميزات » البرجوازية – الصغيرة . الجبهة الشعبية الديمقراطية نموذج .

بدلاً من الانطلاق من العالم ، من الوطن العربي ، من عالمية الرأسماليـة ، من الامبريالية والصهيونيـــة ، انطلقت من مقولة « فلسطين » ، « الثورة الفلسطينية » . ثم أخذت على فتح هذا الموقف نفسه ، وسعت إلى الربط ، إلى « الاتصال » لا مع عالم المجتمعات العربيـــة ، بل مع مقولة « المجتمع » العربي وطبقات « المجتمع العربي » . وبقي الاتصال المعرفي تجريدياً على طول الخط . وفي الاتصال مع « العالم » ، ومع « الامبريالية » ، حصرت بصرها في « الاقتصاد » ، مهملة جانب « الهيمنة العالمية » ، جانب « السياسة » . عالمُ الامبريالية نفسه ليس في نظرها عالمـــاً من الأمم (المستغِلة والمستغَلة ، المسيطرة والمسيطر عليها ، المستوطنِة والمطرودة) بل « مجتمعٌ » من الطبقات عالميٌ – مزعوم . في هذا « العالم » ، فلسطينياً ، العدوُ يسمّى « الرأسمالية اليهودية »، أو « الرأسمالية اليهودية» + «البرجوازية – العربية» + «البرجوازية – الصغيرة العربية ». الجيشُ الاسرائيلي يسمّى « أداة قمع للرأسمالية اليهودية». الألفاظ تغدو حلولاً [2] . والمجتمع اليهودي – الاسرائيلي خارج الرؤيا [3] .

---

(١) لا أشك في ان ربّان السفينة الذي قرأ على ما يبدو غيفارا وجياب ودوبريه (وهي كتب حديثة) وقرأ أخيراً « ما العمل ؟ » قـــد امتنع ولعلـّه لا يزال يمتنع عن دراسة وقراءة لينين ، مختارات لينين .

(٢) من الواضح انهم لم يقرؤوا لينين .

(٣) نقول « الرؤيا » بالألف . كما في « رؤيا القديس يوحنا » Apocalypse : جاءت الساعة وقامت القيامة .

جغرافية فلسطين السكانيّة خـارج الرؤيا ـ رغم الاحصاءات والأرقام التي لا تنتهي . وهذا يسمى نظرية العمل الفدائي اليسارية الطبقية ، نظرية العمل الفدائي الذي سيتحول إلى حرب التحرير الشعبية الشاملة . في معركة قومية أو وطنية ، يقال : طبقات ، طبقات ، طبقات . الفدائي الفلسطيني يجابه جيشاً ومجتمعاً كاملاً مسلحاً ، يقال له : الرأسماليـة اليهودية وأداتها القمعية والبرجوازية العربية . هــــذا ليس مساعدة ، ليس تسويغاً (لعمل صحيح جبّار) ، ليس نوراً (على المعركة) . ويقال : « بحث المضامين الاجتماعية » و « دولة فلسطين الديمقراطية » . والباقي يلقى به في « الظلمات الخارجية » ، ظلمات الجهل البرجوازي والقومي والديني وهلمجرا .

ويتابع المؤلف هجومه على العفوية ، مستشهداً بـ « **ما العمل** ؟ » :

« على الصعيد الآخر ، نرى ، في معالجتنا لظاهر العفوية أن نصف المصيبة — على حد تعبير لينين في « ما العمل » — تغدو مصيبة كاملة ، عندمـــا يظهر « أناس مستعدون لأن يجعلوا من النقيصة فضيلة وحاولوا حتى أن يبرروا نظرياً خضوعهم الذليل أمام العفوية وتقديسهم لهـــا » . وهذا بالضبط مـــا فعله جورج حداد في مقاله » ... (ص ٩٣ — ٩٤) .

والحال ، إذا كانت « العفوية » نصف المصيبة وجعلها فضيلة نصفها الآخر ، فإن « العفوية الاقتصادية » هي المصيبة كاملةً ونيف ، و « الاقتصادية » المسمّاة غيرَ عفوية ، ونظريةً ثورية ، هي ثلاث مصائب :

الأولى ، كونها اقتصادية وبالتالي عفوية .

الثانية ، كونها تجعل نفسها نظرية .

والثالثة ، كونها تجهل أن **كل** « ما العمل ؟ » موجّه ضد « الاقتصادية » ، ضد هذا التيار الفكري البالغ الثروة (بأفكاره الخاطئة [١]) .

إن حظ الجبهة الشعبية الديمقراطية قليل. غيفارا ودوبريه وجياب وتروتسكي وفانون وعـالم ثالث وفقراء وهلمجرا ، ولينين . ولكن أول كتاب تكتشفه

(١) شبه ـ الصحيحة quasi و pseudo الصحيحة ـ الزائفة .

للينين ، وتحمله على اكتافهـــا ، وتدور به في ساحات الفكر الشاب هو « ما العمل ؟ » . وأول جريدة تصدرها هي « الشرارة » [1] . ولا يتبادر لحظة إلى بالها أن كتاب لينين وجريدة لينين موجهان ، بنسبة ٩٠٪ ، ضد تيار واحد وحيد : « الاقتصادية » .

بعد الاستشهاد بجورج حداد ، تُواصل النظرية هجومها على العفوية :

« إن تقديس العفوية يعيق نموّ الحركة الثورية ، ذلك أن إبقاء الحركة الثورية الفلسطينيةفي اطار التحرك العفوييعني إبقاءها خاضعة لتأثير الايديولوجية البورجوازية العربية السائدة ، التي تعمل لتصفية قضية فلسطين على حساب شعب فلسطين ، خاصة وأن الفكر العربي اليميني يمتلك غالبية وسائل الاعلام الساحقة ، بينما لا يمتلك الفكر الثوري الفلسطيني والعربي إلا وسائل إعلام محدودة هي غالباً تنظيماته التي ما زالت في عهد طفولتها » (ص ٩٤) .

هـذا كله يشبه لينين ، يذكّر « قارىء الصف » (القارىء المتوسط ، « الجمهور ») بلينين . ولكنه ليس لينين . « ايديولوجيـــا برجوازية » وعكسها ، « وسائل الاعلام » ... على أي حال ، وسائلُ الإعلام العربي ليست بعيدة عن تيار « النظرية » الكبير : « حرب التحرير الشعبية » ، و « النضـــال ضد الامبريالية » ، كاريكاتور الماركسية اليساري . وكذلك «التنظيمات» هي في نيف وتسعة أعشار الحالات . الشيء الوحيد الذي نأسف له ان الوحدة التنظيمية رغم الانسجام « الفكري » الشعائري ليست محقّقة في هذا التيار الفكري والشعائري الكبير .

« الا أن عدم تقديس العفوية يجب ان يترافق مع جهـــد دائب بحيث « يحسن توجيه الحركة العفوية وصيانتهـا سواء من أغلاط الأصدقاء أو من أحابيل الأعداء » (لينين – ما العمل) .. » (ص ٩٤) .

– أحابيلُ الأعداء : زارحي وشيفر .

أغلاط الأصدقاء : كتاب « نظرية العمل الفدائي » .

« والحركة الفدائية الفلسطينية اليوم تلقى إشادة بهـــا من قِبل الرجعية العربية ،

---

(١) هي الآن اسم الجريدة المركزية للجبهة ، بعد جريدة الرفاق السوريين .

ولكنّها تلقى منها الضربة تلو الضربة في عملية مد وجزر مع العمل الفدائي - خاصة في الاردن - » (ص ٩٤) .

- في الاردن . ليس على ما يبدو من قبل السعودية [١] .

« ذلك ان الحركة الثورية الفلسطينية إذ تتحرك اعتماداً على عفوية التحرك الجماهيري تبقى المبادرة في يد السلطات الرجعية الحاكمة التي تسمح بالعمل الفدائي في حدود الضغط على العدو لاقتسام الغنائم من خلال الحلول السلمية »، (ص ٩٤-٩٥) .

- الأوساط الموالية للسعودية - على سبيل المثـال جلال كشك صاحب أكبر هجوم على « المواقف الهيكلية »[٢] - تشن حملة دائمة « الثورية » على «الحلول السلمية» . والمملكة العربية السعودية ظلّت متحفـّظة (على الأقل !) تجاه مؤتمرات القمة ، تطالب بوجوب إنهاء مهمة يارينغ [٣] . علماً بأن هذه المملكة العربية السعودية مقتسمة الغنائم سلفاً (البترول) وتفكر بالمستقبل (مصر ، المشرق العربي) . « رفض الحلول السلمية » ليس المعيـار . يمكن أن يكون : الأقوال » . والمعيـار الأول في الماركسية والعقل السليم: تمييز الأقوال والأفعال . « النظرية » بعيدة عن هذا التمييز .

---

(١) نحن واصلون الى قولكم : الكويت والسعودية تغدقان المال ... (ص ١٠٣)

(٢) وبفضلكم ، بفضل أحـد الكتابين اللاحقين ، سنضيف في كتابنا القادم : سماحة الحاج امين الحسيني (الذي تعتبرونه « الرمز البشري » لـ « خيانة الطبقة الاقطاعية الدينية لحركة التحرر الوطني الفلسطينية » في ١٩٣٦ - ١٩٣٩ وحليف الرجعية العربية وخادمها ضد الثورة وضد رجل الدين الفقير الشيخ عز الدين قسام) .

(٣) في المغرب العربي ، علال الفاسي (حزب الاستقـلال ، وجريدته « الرأي ») « يحارب » هذا « الحل » و « صاحبه العربي الأول » (عبد الناصر) . بل إن جريدة حزب ... بورقيبة لا تمتنع عن أن تنقل مقالات صحف الجار التقدمي الموجّهة ضد « رغبة عبد الناصر وحسين في إضفاء الشرعية على الأمر الواقع » وضد حصر « اهتمامها باستعـادة الأراضي المفقودة في حزيران ١٩٦٧ ... » (جريدة « العمل » التونسية ، ١٩٦٩/٥/٨). على ما يبدو ، كلهم « مهتمّون » بـ « تحرير فلسطين » .

« ، وتسمح بالعمل الفدائي في حدود الضغط غير المباشر على الجماهـــير العربية للحفاظ على الأوضاع العربية الراهنة ، ولكنهـــا تضرب العمل الفدائي كلما كان في تحركه مبادرة ثورية لفك ارتباطه بالرجعية العربية،وكلما كانفي تحركه تشجيع لحركة الجماهير العربية لدك مصالح الرجعية العربية والامبريالية العالميـــة التي تتحكم بالجماهير العربية من خلال الشركات الأجنبيـــة الاحتكارية والرجعية العربية المهيمنة . » (ص ٩٥) .

– مرة أخرى : إن « نظرية » لا تميز الأقوال والأفعال ، عاجزةً بحكم منهجها عن التمييز عمليـــاً ، فعلاً لا قولاً ، لا تساعد الجماهير العربية لدك المصالح المذكورة .

ثم ريجي دوبريه :

« ... ان العصابات الثائرة بحاجة ، لكي تنتصر عسكرياً، الى أن تجمع سياسياً من حولها أغلبية الطبقات المستغَلة لأنها كفاح جماهيري » . (ص ٩٥) .

– رغم الاختلاف الكبير بين فلسطين واميركا اللاتينيـــة ، بين العمل الفدائي والبؤر ، فإن كلام دوبريه ذو مغزى عظيم . وعلينـــا (عليكم) أن نلاحظ (أن تلاحظوا) أن الخط« العام » المنافي لخط الثورة العربية القومية والديمقراطية والاشتراكية يؤدي إلى تبعثر الجماهير ، إلى تفتيت الطبقـــات المستغَلة ، إلى تصفية الوعي الثوري والحركة الثورية .

١٠
حول الحركة الثورية الفلسطينية وقضية الثورة العربية

- الدبلوماسية والصدق والكذب .
- السياسة : النوايا والقوى الموضوعية .
- كيف « يعلن » الفكر « اليساري » « حرب التحرير الشعبية » .
- كيف تنقل الجبهة الديمقراطية لينين وموضوعات نيسان عن الحرب ... والسلم !؟!
- كيف تنقد المنظمات الأخرى في المقاومة .
- العموميات المشتركة وعواقبها .

نصل الآن إلى قسم جديد في هـــذا الفصل الأخير . وعنوانه : « **حول الحركة الثورية الفلسطينية وقضية الثورة العربية** » .

أخيراً يصل المنظّر إلى الثورة العربية ! فلنقرأ :

« لسنا بصدد تحليل مفصّل لظروف الحركة الثورية العربية في هذا البحث ، » .

ـ لعلّنا أخطأنا في تعليقنا على عنوان هذا القسم (ص ٩٦ — ١٠٥) .

فالسطر الأول من هذا القسم الأوّل ينبهنا : « لسنا بصدد **تحليل مفصّل** » . لنأمل انه سيقدّم لنا تحليلاً ولو غير مفصَّل عن « الحركة الثورية العربية » وليس فقط عن ظروفها .

« ولكننا سنتناول أبرز مواقف الحركة الثورية الفلسطينية تجاه قضية الثورة العربية في محاولة لنتبين حدود التعاضد وحدود التناقض بينهما نتيجة مواقف الحركة الثورية الفلسطينية » (ص ٩٦) .

— يبدو اننا أخطأنا إلى حد لا بأس به . الاقنوم الأول هو « الحركة الثورية الفلسطينية » . والثاني — الحركة الثورية العربية — ابن عم فقير .

«من المعلوم ان للامبريالية العالمية مصالح أساسية في المنطقة أبرزها النفط العربي. »

هذا الزيت أكلنا منه في وجبة الصباح.وها انه يأتينا إلى مائدة العشاء . أليس من طبق آخر[1] ؟ تلك ليست الحال على مائدة الامبريالية من بالمرستون إلى نيكسون .

« ومن الظاهر ، انه على أثر عجز الحركة الاشتراكية وحركات التحرر الوطني عن إيجاد استراتيجية ثورية واحدة « من أهم أسباب ذلك أفكار سياسة التعايش السلمي السوفياتية ، وطبيعة العديد من حركات التحرر الوطني الوسطية » ، فإن الامبريالية العالمية باشرت في السنوات الأخيرة هجوماً مضاداً للثورة ، وتخلى الاستعمار الأميركي عن سياسة التعايش مع الأنظمة الوطنية التي خرجت عن حلقة سيطرته دون أن تنهي الاطر الاقتصادية التي تفرضها علاقات التبادل في السوق الرأسمالية العالمية ، ودبر سلسلة انقلابات رجعية في اندونيسيا وغانا وغيرها .. وكان من الطبيعي أن يساند كل تحرك مضاد للثورة في الوطن العربي » . (ص ٩٦) .

— هذا ما يبدو صحيحاً وواضحاً . لقارىء الصف . ليس لنا : « أفكار سياسة التعايش السلمي السوفياتية » ؟ على حد علمنا ، هذه الانقلابات الرجعية « في اندونيسيا » (١٩٦٥) « و غانا » (١٩٦٦) « وغيرها » (سلسلة من الانقلابات الأخرى)بدأت منذ عام ١٩٦٥ أو١٩٦٤ وليس من عام ١٩٥٦ ولا من عام ١٩٦١ ، أعوام خروشوف ومؤتمراته

(١) ليس طبقاً . بل زجاجة حليب للطفل الرضيع . بعد الأكل ، التلمّظ !

العشرين والحادي والثاني والعشرين ، رغم « أفكار سياسة التعايش السلمي ».
ألا يستحق هذا الاختلاف بين مـــا قبل ١٩٦٤ وما بعد ١٩٦٤ أية « وقفة نقدية » ؟ عدم الوقفة هل هو نظرية أو عفوية بالغة ، اندفـاع ذيلي وراء « الشائع » .

« طبيعة العديد من حركات التحرر الوطني الوسطية » ؟ فقط « العديد مِن » أمْ جميعها ؟ هل تقبلون بتمييز « حركات تحرر وطني » ذات « طبيعة وسطية » و « حركات تحرر وطني » ذات طبيعة أخرى غير وسطية ، أي ثورية ؟ لعل المقصود بهذه الأخيرة : كوبا ، فيتنام ، الصين . في هذه الحال، لاحظوا إلى أين تسوقكم مقولة«حركة التحرر الوطني». أنتم — «الاقتصاديون» اليساريون— والفصلُ الأولمن برنامج الحزب الشيوعي اللبناني—«الاقتصاديون» اليمينيون — تعيشون تحت جناح هذه المقولة [١] . انهـــا ثمن حتمي لمنهج « الاقتصادية » غير الماركسي في بلدان الشرق المستعمَر . خصومكم(أشقاؤكم في « الاقتصادية ») يلحقون الدول الاشتراكية الآسيويه بـ « الطبقة العاملة العالمية » . أنتم تلحقونها بـ « حركة التحرر الوطني » . عملية **الفصل** واحدة. اللينينية (الثورة الاشتراكية العالمية) غائبة .

« وكان من الطبيعي أن يساند كل تحرك مضـــاد للثورة في الوطن العربي » . ليس لنا أي نقد على هذه الموضوعة . أردنا فقط تسجيلهـا مرة ثانية . ما دامت لم تستدع من قبلكم أي شرح اضافي . نسجلها إذن مرة ثانية . ونتابع .

« ومن المعلوم أيضاً ان الرأسمالية اليهودية التي نمت على أكتاف الحركة الصهيونية العنصرية ونشاطها الاسكاني ومساندة بريطانيا ودعم الولايات المتحـــدة وسائر قوى الامبريالية العالمية ، وصلت الى ازمة اقتصادية أخذت تتفاقم عام ١٩٦٥ اثر وقف تدفق رؤوس الأموال الأجنبية عليها، كما ذكرنا فيما سبق ، وأصبح لديها دوافع حقيقية للتوسع والوصول الى تعايش سلمي دائم مع باقي دول المنطقة . وبالفعل فقد باشرت منذ

---

(١) وهذا يزداد وضوحاً في الكتابين اللاحقين ، موضوع كتابنا القادم .

١٩٦٤ استعداداتها العسكرية بهدف التوسع معتمدة بشكل خاص على الأسلحة الأميركية والالمانية ، وبشكل أقل الفرنسية والانكليزية » (ص ٩٦ – ٩٧) .

– تعاودون الكرّة . ولكن في هذه المرة تتقدّمون . إلى أين ؟ إلى القول بأن اسرائيل (عفواً «الرأسمالية اليهودية» « التي نمت على أكتاف...») باشرت استعداداتها العسكرية **منذ** ١٩٦٤ . ألا تسندون هذا التأكيد على مرجع ما ؟ على زارحي أو شيفر أو النشرة الخاصة رقم ١٩ صفحة ١٧، على مجلة « الحرية » ، مقال لصاحب الكتاب ؟ حقاً أنتم « أقوياء » : « وبالفعل فقد باشرت منذ ١٩٦٤ استعداداتها العسكرية » . ألا يمكن أن تكون « الرأسمالية اليهودية » قد باشرت استعداداتها العسكرية منذ خريف ١٩٦٣، أو منذ صيف ١٩٦٢ ... أو منذ ربيع ١٩٥٧ ؟ لستم أقوياء في الأرقام وحسب ، بل أيضاً في التواريخ . ولكن من فضلكم دققوا قليلاً . حسب كتب التاريخ العادية (وبدون التواريخ) ، ألمانيا أعدت حرب ١٩١٤ منذ ١٨٧١ ، أي غداة **انتصارها** في ١٨٧٠ . قوّتكم « شرقيــة » . نفَسُكم قصير [١] . باستطاعتكم – أنتم واخوانكم المتنوعين – أن تعيدونا باسم « الاشتراكية العلمية » ، إلى عهد الشيوعية البدائية ، إلى عهد البداوة وحروب القبائل . أنتم « فرسان » ، فرسان الجملة الثورية .

ننتظر إذن مراجعكم. سنفحصها بتأن . كما نفحص هذا الكتاب . بانتظار المراجع (الحمقاء) ، نستخلص النتائج ، نضع أمام بصركم وبصيرتكم نتائج منهجكم « الاقتصادي » المناهض للماركسية . اقرؤوا معنا مرة ثانية أو ثالثة ما تقولون :

« .. الرأسمالية اليهودية .. وصلت الى أزمة اقتصادية أخذت تتفاقم في عـام ١٩٦٥ [أنها موجودة كما قرأنا سابقاً منذ عام ١٩٦٤] .... وأصبح لديها دوافع حقيقية ... وبالفعل فقد باشرت منذ ١٩٦٤ استعداداتها ... » .

---

(١) مع أنكم ، « على امتداد » الكتابين اللاحقين ، ترفعون لواء الحرب « الطويلة النفَس » !

نعم ! هذه هي « الماركسية » ! أنت أيها القارىء ، متأخر ، متخلف عن الركب العلمي الثوري . لا تتأخر بعد الآن : رأسمالية .. أزمة .. استعدادات .

لا مارتينوف . ولا جماعة « عصبة الخارج». ولا جماعة الكريدو Credo. بل « الاقتصادية » بالمعنى العامي ، « الأضيّق » ، الخاص — الحقيقي . لقد شكا لينين ذات مرة (في « مـا العمل ؟ ») من أن اسم « الاقتصادية » لا يتّفق تماماً مع المسمّى ، لا يعبر عن ثروة أفكار تيار« الاقتصاديين » الروس (الأفكار « العمالية » ، « الاضرابية » ، تمجيد « العفوية » ، الخ). ولكنه لو كان في حرب مع هؤلاء « الاقتصاديين » الفداويين ، لمـا شكا أبداً . لقال : اسم على مسمّى . تطابق دقيق فريد بين لفظ « الاقتصادية »وتيارها.

والـ Gegenstand ، الموضوع الماثل أمـام الذات (العدوّ الواقف أمام الحركة الثورية الفلسطينية) ، ليس ذاتاً تواجهنا وتتخذنا موضوعـاً ، بل هو شيء ما عديم العقل أو قليله ، يباشر استعداده العسكري عند قيام الأزمة الاقتصادية ، ليس له تخطيط أطول ، ليس له تواصل تاريخي ، كائن كيانُه ردّ الفعل مثل الذات . وهنا بالضبط ، عكس ما قلناه قبل أربعـة سطور — الموضوع ليس ذاتاً — ، هذه المرة : الموضوع هو ذات ، ولكنْ ذاتُنا . والأمر واحد . الموضوع ما هو سوى الذات ، عند أصحاب الذات النظرية ، عند الذاتيين النظريين. لقدحضر الموضوع أمام الذات الموشكة على الاختفاء[1]. وبما أن حضوره من أجل الذات ، لمنع اختفائها ، فهو يبقى شاحباً . بفضل « التعايش السلمي الدائم » ، الذات تواصل وجودها .

ذات فقيرة وخطرة . لأن موضوعَهـا كما تفهمه — العدوّ الذي يستعد للحرب بسبب الأزمـة الاقتصادية ومن أجل التوسّع (« الاقتصادي ») في

(١) كما يقول ماركس الشاب في نقده لمثالية هيغل والهيغليين — الشبان — اليساريين . (مخطوطات ١٨٤٤) .

هذه الحال ، وفي كل منطق النظرية) والتعايش السلمي الدائم — بات أقل خطراً بكثير من الموضوع — العدو الحقيقي ، الواقعي ، المادي .

بعد حملة على الأنظمة البالية البترولية والاقطاعية (ص ٩٧) ، تنبسط الحملة على مصر . مقطع صحيح أو صحيح تقريباً ، ومقطع ثان صحيح أو صحيح تقريباً ، والمجموع الجدلي : الحملة على مصر . في واقع الألف شيء ، يرى الانسان ما يشاء من الاشياء .

« ومن المعلوم أن الأنظمة المتقدمة في بلدان عربية أخرى ، خاصة في مصر ، في صدامها السياسي مع الامبريالية العالمية ، وتحالف الاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، قد قامت بسلسلة من التأميمات المتتابعة ، حوّلت القيمين على السلطة السياسية فيها الى نواة بورجوازية دولة تسيطر على فائض الانتاج وتستهلكه على حساب الانطلاق في عملية التنمية الاقتصادية التي باشرتها . وكان هذا يترافق بطبيعة الحال مع خنق كل محاولة ترمي الى تنظيم العمال والفلاحين أو تفرض رقابتهم على الادارة والجهاز العسكري . ولم تستطع هذه الأنظمة المتقدمة، التي تحكمها بورجوازية الدولة والبورجوازيةالصغيرة، أن تخرج من دائرة السوق الاستعمارية العالمية التي توفر لها حاجاتها الاستهلاكية . وقد فشلت هذه الأنظمة في تعبئة جماهير العمال والفلاحين في أقطارها ..

هذه الأنظمة المتقدمة ، وقد هزمت في حرب حزيران ، باشرت عملية تراجع مستمر بعد الهزيمة ، من مظاهرها القبول بقرار مجلس الأمن ، واعتبار اسرائيل « إحدى الحقائق المقبولةفي الشرق الأوسط ». وجولات وزراء الخارجية، والسكوت على مفاوضات الاردن واسرائيل والتوجه الاستعطافي الى الولايات المتحدة، والترحيب بسكرانتون ، وتعليق الآمال على نيكسون .. » (ص ٩٧ — ٩٨) .

إن محمد كشلي صاحب مقالات نقدية عن مصر وأوضاعها ونظامها واقتصادها نعتقد أنها ثمينة . يؤسفنا أننا لم نطلّع عليها (بعضها صدر منذ سنوات ، وبعضها أحدث عهداً) . سوف ندرس أحد هذه المقالات الحديثة ، وسنؤكد على الملاحظات **النقدية** الجوهرية الصائبة [١] ، وسننطلق من هذه

---

(١) في « موضوعات الى مؤتمر اشتراكي عربي » (أيار ١٩٦٣) مع إبرازنا مآثر عبد الناصر التاريخية وتقدم مصر عبد الناصر ، وضعنا عدداً من الملاحظات النقدية على الاصلاح الزراعي المصري ، على « النظام » ، على«الايديولوجيا».ياسين الحافظ وضع في تلك =

الملاحظات في حوارنا مع صاحبها . غير أننا أمام المقطع الأول الذي أوردناه آنفاً ، ندعو الرفيق كشلي أن يعدّل أو أن يضيف . في ضوء شيء لم يره : جماهير العمال والفلاحين نزلت إلى الشارع في ٩ حزيران ١٩٦٧ رغم عدم التعبئة ، دفاعاً عن عبد الناصر ، مطالبة عبد الناصر بالتراجع عن الاستقالة ، حفزتها جملة دوافع ، منها خطاب الاستقالة (وإشارته الواضحة الى تحالف قوى الشعب العامل : فلاحون ، عمال ، جنود ، برجوازية صغيرة) ...[1].

أما المقطع الثاني فهو صحيح بالنسبة لمصر . ولكنه ليس صحيحاً بالنسبة لسوريا وغير سوريا ، دولاً تقدمية وأخرى. بين « الأنظمة المتقدمة » ، مصرُ هي التي قبلت بقرار مجلس الامن وأعطت تصريحات من نوع اسرائيل « إحدى الحقائق المقبولة في الشرق الأوسط » و « رحَّبت » بسكرانتون ، و « توجهت » الى الولايات المتحدة . ولكننا نشك في أنها « علقت الآمال » على سكرانتون

= الآونة ذاتها دراسة نقدية عن النظام الناصري ، كان لنا بعض المساهمة في مخططها (صدرت في مجموعة « في الفكر السياسي - الجزء الثاني » آذار ١٩٦٣) . في أوائل ١٩٥٨ ، ضمَّنَّا مقدمتنا لترجمة كتاب أوسكار لانجه - الطريق البولوني الى الاشتراكية - تقييماً لحركة التحرر العربية الوطنية والاجتماعية ، تقييماً ايجابياً وحماسياً تجاه الوحدة والتطورات المنشودة (الاجتماعية) ، ولكنه لم يكن وردياً أو ذيلياً . لا ندري ما اذا كان كشلي ورفاقه آنذاك قد خرجوا من مرحلتهم « الفاشية » ودخلوا مرحلتهم « الناصرية » . (على أي حال ، لم يكونوا بعد قد وصلوا الى التنظير لـ « اليسار الناصري » كانوا « على يمين عبد الناصر »).

بعد « الهزيمة » ، هناك آخرون - ماركسيون - لينينيون عرب - انتقدوا « الهزيمة » ومصر نقداً أعمق وأصوب وأصدق من نقد كشلي وحواتمة والعظم (الصادق أو غير الصادق ، هذا ما سنراه في الجزء الثالث !) ..

(١) في « موضوعات الى مؤتمر اشتراكي عربي » ، سجلنا ظاهرة مماثلة : الجماهير الكادحة (خصوصاً الطبقة العاملة) السورية عقب انفصال ٢٨ ايلول ١٩٦١ نزلت الى حلبة القتال في الشوارع ، رغم أن « النظام » (الناصري - السرّاجي) وايديولوجيا الاتحاد القومي (« لا طبقات ») كان قد وضعها في ما يشبه سلة المهملات .

و « استعطفت »... والأهم من الشك في هذا [١] ، اليقين في هذا : استعداد مصر الحربي ، إعادة بناء قواتها المسلحة ، تحمّلها وصمودها ، ضرب المدمّرة ايلات ، القتال على السويس ...

كما ترون ، أيها الرفاق ، أيها الرفيق محمد كشلي ، النقطتان اللتان بهما تنهي كل فقرة من الفقرتين ، كان الأفضل أن تستعيض عنهما بأشياء أخرى ، بمئة أو مئات الأشياء في صورة الواقع ، الموضوعية .

وبكل صدق أضع أمامك ، أمام وعيك ووجدانك الافتراض الآتي:

لنفترض أن مصر أعلنت اليوم في ١٧ نيسان ١٩٧٠ استعدادها للاعتراف باسرائيل ، أو اعترافها باسرائيل واستعدادها لإرسال قائم بالأعمال،ولنفترض أن عدةبلدان عربية أخرى أعلنت أنها لن تعترف وستحرر وستأكل الأخضر واليابس في الصهيونية والامبريالية ، ولنفترض أن المشروع الصهيوني العتيد الذي قطع الى الآن عدة مراحل وعدة حروب منتصرة قد بلغ اليوم مرحلة جديدة تتطلب حرباً جديدة أي عدواناً اسرائيلياً جديداً (بغرض التوسع الاقليمي أو الاقتصادي ، بغرض السلام أو لفظ آخر ، بغرض اميركا والبترول الخ الخ) ، ولنفترض أن مصر تملك « أداة قمعية » من ٥٠٠ ألف جندي و ٥٠٠ طائرة الخ [٢] ، الى من ستوجه اسرائيل ضربتها الأولى الحاسمة ؟

في نظري ، ستوجّه الضربة الأولى الحاسمة الى مصر .
في نظرك : لا أدري . تحت قلمك : الأمر واضح . الضربة المذكورة

---

(١) ترى مـا دمتم تقرؤون لينين ، ألا تجدون في أقوال لينين أو تصريحات ممثلي الدبلوماسية السوفياتية أية آمال معلقة على مؤتمر جنوه لنزع السلاح، في أوائل العشرينات ؟

(٢) بدون ميليشيا شعبية . - هذا كله على سبيل الافتراض !

لن توجّه الى مصر . وكلامي فضيحة . و « الويل لمن عن يده (عن قلمه) تأتي الفضيحة » ، الشيطانُ ، « الشريرُ » . و « الشرير » يُفسد العقل ، وماء « الماركسية » المبارك لن يطرد من العقل هذا « الشرير ».

تحت قلمك : الأمر واضح . في قرارة نفسك وعقلك : لا أدري . في قرارة نفسي وعقلي وتحت قلمي : الأمر بالغ الوضوح .

السياسة ليست نوايا بل علاقات موضوعية، قوى موضوعية، امكانيات، مواقع موضوعية ، خطط . هكذا يفهمها ابا ايبان ، موردخاي هود ، أشكول ، جونسون ، نيكسون ...

في فترة ما قبل حزيران ١٩٦٧ وعلى امتداد سنة وسنوات : لهجة بعض العواصم العربية أقوى بكثير من لهجة القاهرة. ولهجة «الحرية» (محسن ابراهيم، محمد كشلي، مقابلات مع الشقيري) أقوى بكثير. ومصر هي التي تتلقى الضربة. في ١٩٥٦ تلقت الضربة وحدها . في القرون الوسطى (نعم في القرون الوسطى!. ما دام الرفيق نايف حواتمه يردد في الكتابين اللاحقين : « ارتباط فلسطين والمنطقة العربية على امتداد التاريخ القديم والوسيط والحديث » [١]). في المرحلة الأولى من الحروب الصليبية ، مصر الفاطمية كانت « تلعب »(ضد العباسيين ، ضدّ السلاجقة) ، هذا لم يمنع الحملة الصليبية الأولى من « أخذ » فلسطين التي كانت ملكاً لمصر (وهَزْم الفاطميين المتأخرين ، كخصومهم وأشقائهم السلاجقة والعباسيين) . ولكن سرعان ما تحوّل محور الأحداث الى مصر (مؤامرات القصر ، الخونة والوطنيون ، إنهاء الخلافة الفاطمية ، قيام الدولة الأيُّوبيّة [٢]) . الصليبيون يتوجهون الى سحق مصر (رغم كل

---

(١) وأترك له القديم . بالحقيقة لا أجد في الكتابين لا هذا ولا ذاك ولا ذلك .

(٢) عودة وحدة الخلافة ، الخليفة العباسي في بغداد. وبغداد بعيدة عن المعركة. الثقل: مصر وسوريا . زعيم من العراق (من شمالي العراق ، من منطقة الموصل ، كردي) يحكم ويوحّد سوريا ومصر (وبضعة أقاليم أخرى) وبدون غالبية العراق . وينعكس التيار ، يبدأ الانقاذ .

فترات الأخـذ والرد والسلام والقتال والتسامح والتساهل والتنازل من بعض خلفاء صلاح الدين) ، في قلب مصر ، في الدلتا ، ويُهْزَمون في المنصورة .
مصر — سوريا المملوكية تسحق الصليبيين وتردّ المغول .

— « ولكن ، ما دامت مصر ، في افتراضك ، تعترف باسرائيل ... »

— في افتراضي أيضاً أن المشروع الصهيوني العتيد بلـغ مرحلة جديدة ، قرارَ حرب جديدة ، أي قرار سحقٍ جـــديد **للقوة العربية** ، **لمركز** هذه القوة [١] .

في ١٨٧٠ ، المانيا انتصرت على فرنسا . وفي اليوم التالي ، المانيـا بدأت تهيىء الحرب القادمة غير القريبة . قوافل متعاقبة من القادة العسكريين الالمان عملوا بصمت ودأب . رغم اعتراف فرنسا « الأبدي » بضم الالزاس — لورين الى المانيا ، في الواقع وعلى الخريطة [٢] . وفرنسا أيضـاً تهيأت لحرب الثأر التي جاءت في ١٩١٤ .

في صيف ١٩٣٩، صافح مولوتوف رينبتروب، ووقع ستالين الاتفاق [٣]، (اتفاق أكبر نظامين ، أكبر دولتين ، متعاديتَيْن) . في أول يوم من صيف ١٩٤١ ، المانيا بدأت الحرب : ١٨٠ فرقة المانية و٥٠ فرقة حليفة(فنلندية ، مجرية ، رومانية ، وحتى ايطالية ، وفرقة اسبانية) بدأت غزو الاتحـــاد

---

(١) بالطبع ، شدّدنا وبسّطنا الافتراض (النظري) عمداً . في الواقع (ورغم تجربة الماضي) ، يمكن أيضاً أن تبدأ اسرائيل بسوريا أو بالجبهة الشرقية عموماً . هذا أمر تقرره اسرائيل (واميركا) استناداً على الاعتبارات الموضوعية الأكثر ماديَّة، على الحساباتالعسكرية (حساب المكان والزمان — سرعة النصر — ، الأغراض العسكرية الفورية والامكانيات ، ضرورة تركيز الضربة) ، وليس على الاعلانات العربية .

(٢) « العرب » يعوّضون عن الواقع بالخريطة .

(٣) يقول الغربيون : اتفاق على تقاسم بولونيا (القسمُ الشرقي من الدولـــة البولونية: سكانه بيلوروس داوكرينيون وليتوانيون ويهود وبولونيون). التاريخ السوفياتي يسميه ميثاق عدم اعتداء . بالطبع تصريحات الصداقة والحب والسلام ، حدّث ولا حرج !

السوفياتي على امتداد ألفي كيلومتر ، وكانت أكبر حرب في التاريخ(السفير الالماني كان لا يزال في موسكو) . أكبر حرب في التاريخ سبقتها تصريحات السلام والودّ وعدم الاعتداء، الاتحاد السوفياتي (والشيوعية العالمية) أوقف حملته على المانيا النازية وجرائمها وخطرها....والمانيا النازية هي التي باشرت.

هذه **هي السياسة** . في عرف العوام ، السياسةُ هي الكذب . في منطق النخبة الجديدة « الماركسية – اليسارية » ، السياسةُ هي الصدق . الفرق ليس كبيراً . في الحالتين ، السياسة هي الديبلوماسية . إن كرسيّاً أبيض عكسه كرسي أسود ، ليس عكسه البحر الأبيض المتوسط ، الفرق بين الكرسيين ليس في الجوهر ، في الماهية ، في المادة . يبقى ان عرف العوام ، على خطئه، أصحّ من منطق النخبة « الاقتصادية » ، ما دام في عرف العوام، ليست هـــذه السياسة شاملة **كل** ما هو خارج دائرة الاقتصاد الاقتصادي . بالعكس . الرجل العامي في ١٨٨٠ و١٩٠٠ قادر على اصدار أحكام من نوع : الحرب آتية بين فرنسا والمانيـا ، رغم الكذب السياسي (الديبلوماسي) . وهو قادر في ١٩٤٠ أو نيسان ١٩٤١ على إعطـاء آراء وتخمينات من نوع : ستالين يستعدّ، يهيىء مَقْلباً لهتلر، هتلر يهيىء مقلباً لستالين، حادثة يوغسلافيا (الانقلاب الوطني لضباط الطيران ، غزو يوغسلافيا ، استنجاد بطريرك الصرب القليل الماركسية بروسيا المقدسة وبستالين) هي قرينة . وكتاب « كفاحي » لهتلر قرينة ... الباقي – تصريحات الود والصداقة – « سياسة ». خلاف الماركسية مع هذا الرجل العامي هو أولاً في أن مصطلح « السياسة » يشمل ليس فقط هـــذه الديبلوماسية ، بل بالضبط تلك الوقائع : استعداد ستالين وهتلر ، برنامج «كفاحي» ، حادثة يوغسلافيا ، الخ ... ولكن خلاف الماركسية مع « الماركسي » الجديد أكبر بكثير .

لو أن محمد كشلي في حزيران ١٩٤١ كتبَ ثلاث مقالات مسلسلة عن العلاقات السوفياتية – الالمانية ، لركّز انتباهه على ميثاق عدم الاعتـداء ، وتصريحـات مولوتوف وريبنتروب وستالين وهتلر الودّية ، وتصريحات سفير

موسكو في برلين وسفير برلين في موسكو الودية. **بعض** الشيوعيين فعلوا ذلك (بل ان ستالين الذي ليس واحداً من « ماركسيينا » الجدد لم يصدّق ان الحرب بادئة إلا بعد أن بدأت ، رغم تنبيهات عديدة سابقة) .

خلاف الماركسية مع « الماركسي اليساري » أكبر بكثير . هـذا « الماركسي » المستحدث « اقتصادي » من رأسه حتى أخمص قدميه ، دون أن يعي انه « اقتصادي » . مع أنه قرأ « ما العمل ؟ » ومؤلفات ١٨٩٩ - ١٩٠٢ . بالضبط ، قرأ فيها ان الاقتصادية إثم، وان « السياسة » شيء هام . وإذْ لم يفهم ما هو جوهر الاقتصادية ، ما هو المضمون التاريخي « الماركسي» لهذا التيار في نظر لينين ، فإنه لم يفهم مـا هو مضمون « السياسة » في نظر لينين . « السياسة » شيء هام . إذن بعد التحليل الاقتصادي الماركسوي ، التصريحاتْ الديبلوماسية ، الرحلاتْ السندبادية ، بارينغ ، سكرانتون ،الخ، وربط هذا وذاك كما ينبغي « ماركسياً » . وهـذا يسمى لينين ، ايسكرا ، ما العمل ، البروليتاريا ، وعيها ، حزبها ، زعامتها .

انه لا يرى إذن ان الاقتصادية هي « الاقتصاد »، « المجتمع » ، « التطور الاقتصادي الرأسمالي لروسيا » ، « صراع العمال والبرجوازية » ، « نمو الطبقة العاملةووعيها وحركتها» ، sans autre forme de procès et de processus ، بدون شكل آخر من أشكال المحاكمة وبدون عمليات أخرى، بدون تطورات أخرى . السياسة والسياسية عند لينين تعني ، على وجه التحديد ، في إطـار هذه المجادلة اللينينية ضـد « الاقتصاديين » الروس والمجـادلة الماركسية مع سقطتها « الاقتصادية» (= الدوغمائية) على امتداد تاريخ الماركسية وسقطتها الأكبر، تعني : **الباقي** . والباقي في ١٩٠٢ شيئان كبيران : الثورة **الديمقراطية** في روسيا وانقسام حركة العمال **العالمية** . وبتعبير آخر، الباقي هو : التطورات **كلها** ، الطبقات **كلها** ، الحكومة ، الدولة ، العلاقات **كلها** ، الوقائع **كلها** . في ١٩١٦ وفي ١٩٦٩ نقول : الامبريالية وعالميـــة الرأسمالية ، الهيمنة العالمية للامبريالية ، الولايات المتحدة (ليس فقط شركات البترول ، الكونسورسيوم

العالمي للبترول، الرأسمالية الأميركية، بل أيضاً وتحديداً : البنتاغون ـ قيادة الجيش ـ ، المخابرات المركزية الأميركية ، لجنـــة الأمن القومي ، الدوائر الصهيونية ، الأساتذة الخبراء العلماء ...) ، ثورة الشعوب ، المنطقة العربية ، الثورة القومية العربية ، **الثورة الديمقراطية** الروسية اللينينية محوّلةً تاريخياً وجغرافياً ، **أي الثورةُ القومية الديمقراطية المناهضة للامبريالية العالمية** ، الدول العربية ، الأقطار . هذا « الباقي » كان ذا أهمية بالغة وحاسمة في زمن الايسكرا ، وهو اليوم في عالم اليوم ، في عـالم الأقطار **العربي** اليوم ، أكثر أهمية وحسماً عشر مرات . لم يعد هو « الباقي » . إنه هو الأساس والجوهر والمحور . أما « الباقي »، الشيء الآخر : « المجتمع »، « التطور الرأسمالي » ، الصيغ العامة، فهي الأحرف الأبجدية. معرفة الأحرف الأبجدية ليست القراءة، قراءة الواقع (فهمه). ضرورتها **المطلقة** لا تنفي كونها، بحدّ ذاتها ولحالِها ، لا شيء .

« السياسة » هي — اصطلاحاً وبهذا المعنى الماركسي — كل الباقي ، الذي ليس « اقتصاد » « التطور الاقتصادي » و« مجتمع » «الواقع الاجتماعي»[١]. والسياسة هي تكثيف الاقتصاد الواقعي ، المجتمع الواقعي ، العالم الواقعي . اقتصاد أصحاب النزعة الاقتصادية اقتصاد ناقص وبالتـــالي مشوّه . مجتمع أصحاب النزعة الاقتصادية مجتمع ناقص وبالتـالي مشوّه . الشاهد : بوخارين وتعريفه للامبريالية ، لاقتصاد عصر الامبريالية ؛ مارتينوف ورفاقه وفهمهم المجتمع الروسي . والاقتصادية هي الدوغمائية . ضد بوخارين (المفكر الشاب النابغ ، أكبر منظّر في الحزب البولشفي ، المحبوب من قبل مجموع الحزب ،

---

(١) حتى وإن ضم هذا « المجتمع » أكثر من طبقتي نموذج الاقتصاديين الروس الأول . التقسيمات الطبقية التي يضيفها الاقتصاديون العرب هي ثمن « الاقتصادية » في بلدان الشرق . إن « اقتصاديي » ١٩١٦ كانوا هم أيضاً يرون أكثر من طبقتين ، يرون الطبقـات (ومع ذلك لينين يسميهم « اقتصاديين ») . غير ان شبح « الطبقتين » يحوم دوماً فوق رؤوس « الاقتصاديين » ، متّخذاً شكل « يسار » و « يمين » .

ومن قبل لينين ، ولعل لينين في وصيته التي تضمنت هـذا الوصف يريده سكرتيراً عاماً للحزب ، مع انه يسجل عليه في هذه الوصية قصوره الجدلي، ونزعته السكولاستية أي المدرسية « الكلامية » – نسبة إلى علم الكلام ، علم المتكلمين ، **فلاسفة** القرون الوسطى الإسلامية الكبار –) ، أطلق لينين موضوعته الشهيرة : إن جوهر الماركسية ، روحهـا الحية ، هو التحليل الملموس لوضع ملموس[1] ، التحليل العياني لموقف عياني . « الاقتصادية » هي الدوغمائية . الدوغمائية هي الاقتصادية. لا ريب ان الدوغمائية dogmatisme التمذهب ، المذهبية ، الجمود العقائدي (هـذه الترجمة الأخيرة هي الأقل جودة) ، المذهبية doctrinarisme الفارغة المدعية ، اتجاه عام ، أوسع من « الاقتصادية » . بإمكانها ان « تنطلق » من موضوعة أو عدة موضوعات ماركسية ، أياً كانت ، حتى وإن كانت موضوعات« سياسية » . ولكنها ، كفلسفة ، كمذهب ، كأساس يسند المواقف الدوغمائية ، هي الاقتصادية .

« التمذهب » في الماركسية ، تمذهب لماذا ؟ الانحيـاز المسبق الى ماذا يمكن أن يكون في الماركسية؟ الى « المخطط » schéma العام، الى « صورة الخطوط الأساسية » ، الى « المذهب » الماركسي ، الى المفهوم « المادي »(!) للتاريخ وللثورة : الطبقات ، صراع الطبقات ، « المسألة العمالية »[2] (!) .

---

(١) الجملة التي سنقرؤها عشرات المرات في الكتابين اللاحقين !

(٢) في قول لينين الشهير والكلاسيكي : عن تبعية المسألة القومية لـ « المسألة العمالية »، الثانية وحدها موضوعة بين مزدوجين . « بالنسبة لماركس ، ليس من شك انه ، الى جانب « المسألة العمالية » ، ليس للمسألة القومية سوى أهمية تابعـة subordonnée » . في نظر لينين والماركسية كلها، المسألة القومية (التابعة) صيغة واضحة لا لبس فيهـا ، لا تأخذ مزدوجين . « المسألة العمالية » الأساسية التي تخضع لها كل المسائل الأخرى تتطلب المزدوجين. (لينين يناقش هنا روزا لوكسمبورغ ويفنّد منطق التيار الماركسي المعارض للمسألة القومية. كتاب « عن حق الأمم في تقرير مصيرها » ١٩١٤). مئات « الماركسيين – الاقتصاديين» ينطلقون من موضوعة لينين عن التبعية، يستنتجون المواقف والحلول العيانيـة استنباطاً من =

هذا ليس المفهوم المادي للتاريخ (بَلْهَ للثورة) إلا بتحفظ كبير . لافارغ يُعَنْون كتابه الأكبر والأشهر « الحتمية **الاقتصادية** لكارل ماركس » ! بليخانوف — وهو ماركسي من وزن آخر ! — يعنون أحد أشهر وأفضل مؤلفاته « المفهوم **المادي للتاريخ** » ، وهو الصحيح . والدوغمائية كما قلنا يمكن أن « تنطلق » من صيغ ماركسية « سياسية » . ولكن تسندها الفلسفة « الاقتصادية » متخذة منحى « يسارياً » . **تلك** هي حال الاقتصادية الامبريالية لعام ١٩١٦ . تلك هي حال « الاقتصادية اليسارية » العربية الحاضرة : حزب البروليتاريا ، الحزب ، الحزب ، الامبريالية ، النضال ضد الامبريالية ، العنف والعنف المضاد ، حركة التحرر الوطني ، البؤرة الثورية ، البؤرة الثورية المتنقلة ، الحرب . ولكن هذه الصيغ كلها محكومة برؤيا ثنائية مانوية (صراع الطبقة العاملة والبرجوازية للاقتصاديين الأول ، صار هُنا صراعَ الطبقات الكادحة والامبريالية وعملائها ، مع قسط لا بأس به من « حركة التحرر الوطني » و « عالم ثالث » و « شعوب فقيرة » ، صراع « الثورة » و « الثورة المضادة » ، صراع « اليسار » و « اليمين ») . كتاب « العفوية والنظرية » يأتي في الوقت المناسب ليكشف بوضوح أن الأساسَ ، الجوهرَ ، الارضيةَ : « اقتصادية » ، منهجُ « الاقتصادية » ، منطقُها المنافي للماركسية . إن عظمة اللينينية ليس فقط في أنها حدّدت نهائياً الانقسام والقطيعة المبدئية بين « الثورية » و « الاصلاحية » ، بين « اليسار » و « اليمين » ، في حركة العمال الدولية (هذا أمر تفعلُه معها اللوكسمبورجيةُ والاقتصاديةُ الامبريالية والتروتسكيةُ الخ) ، بل في أنها أيضاً أنقذت (بفضل نضالات لينين ضد الانحرافات « اليسارية » المتعاقبة في تاريخ البولشفية الروسية

= الصيغة المذكورة ، دون أن يلاحظوا المزدوجين والفرق بين وجودهما وعدم وجودهما ، يضعون القومية والمسألة القومية بين مزدوجين ويرمونها خارج الماركسية ـ العمالية ، وبالتالي يسيرون وراء روزا لوكسمبورغ ويتخطونها .

والشيوعية العالمية المبتدئة) الحركة الثورية الحقيقية ، حركة الوعي والجماهير ، من ثنائيـــة ، من « مِقصّ » « اليسار » و « اليمين » ، و « الثورية » و « الاصلاحية » (ليس بفضل نضالات لينين ضد « اليسارية » مرض الطفولة ، وحسب ، بل بالضبط بفضل المضامين المتنوعة البالغة الثروة لهذه النضالات ، مضامينها الايجابية – الوضعية ، التي هي هي مضامين اللينينيـــة ، مضامين الماركسية – اللينينية ، وصورة العصر وتداخلاته واحتمالاته) .

ويوالي صاحب النظرية هجومه على « الأنظمة العربية المتقدمة » – بالحقيقة على مصر التي عُيّنت بالاسم في بداية الفقرة الأولى من المقطع المنقول آنفـــاً والتي حسب منطوق الفقرة الثانية « قبلت بقرار مجلس الأمن » ، و « سكتت على مفاوضات الاردن واسرائيل » ، و « استعطفت الولايات المتحـــدة » و « رحبت بسكرانتون » ، و « علقت الآمال على نيكسون » « .. » (أي الخ!). يقول الكاتب :

« ومن المعلوم ، بالتالي ، انه في ظل الهجمة الامبريالية الصهيونية ، وتراجع الأنظمة العربية المتقدمة ، فإن صداماً جديداً في المنطقة بين القوات الصهيونية والجيوش العربية النظامية يحمل بذور هزيمة جديدة » ، (ص ٩٨) .

– « النظرية » لـُعْبَة ألفاظ . في مقابلة **القوات الصهيونية** ، **الجيوش** العربية **النظامية** . في مقابلة **الجيوش** العربيـــة **النظامية** ، القوات الصهيونية (غير النظامية ؟؟ ربّما نظاميـــة . على أي حال ، أداة الرأسماليـــة اليهودية القمعية) . ما يحمل بذور أكبر هزيمة ، النظرُ إلى الحرب على أنهـــا لعبة ألفاظ .

« ومن الواضح بالتالي ان الحرب الفعلية التي يمكن أن توفر إمكانيات النصر على التقنية الاسرائيلية الأميركية المتفوقة تقتضي الدخول في عملية صدام شعبية واسعة في حرب طويلة الأمد تعتمد الجماهير الشعبية المسلحة » ، (ص ٩٨ – ٩٩) .

– نسبح إذن في البحر الاجمالي الرمادي : التقنية الاسرائيلية الأميركية ، عملية صدام شعبية في حرب طويلة الأمد تعتمد الجمـــاهير الشعبية المسلحة .

أليست اسرائيل وأميركا في ترابط ، في وحدة ؟ النظرية في وحدة حال مع العموميات . عـالمُ اللاتمايز عـالمُ الظلام . نبقى إذن لا في سياسة اليسارية الطفولية ، بل في إدراك الطفل الوليد . مرة أخرى ، نقول :

كيف ؟ كيف ندخل في عملية صدام شعبية واسعة في حرب طويلة الأمد تعتمد الجماهير الشعبية المسلحة الخ ؟ كيف نحن نفتح الحرب الشعبية (=صرف الجيوش النظامية ، بلا لبس ولا غموض في هذا النص وغيره) الطويلة الأمد؟

إذا قررت اسرائيل ، مثلاً ، أن تغسل رجليها في ميـاه « الممر المائي » المغلق، وان تُريح قفاها على تلال الجولان، وان تصطاد السمك « على امتداد» النهر الفاصل بين الضفتين الغربية المتخلفة والشرقية صاحبـة الصناعات « الكبيرة » ، مثـلاً ، لمدّة عامين وعشرة شهور ، أو عشرة أعوام وثلاثة عشر شهراً ، ماذا نفعل، ماذا تفعل مصر، سوريا، الأنظمة العربية المتقدمة ؟ تصرف الجيوش النظامية حاملة بذور الهزيمة ؟ « تعلن» حرب التحرير الشعبية الطويلـة الأمد الكفاحية الجماهيرية المسلّحة ؟ يا سيدي ، بعض «اليساريين» ، معظم « اليساريين » ، « أعلنوا » ، « أعلنوا » ، « أعلنوا »... لا يفتؤون « يعلنون » .

إذا كانت اسرائيل قاعِدةً على قناة السويس والجولان وسيناء وجبل الشيخ (فضلاً عن غزة والضفة الغربية و « فلسطين » الكيان الذي لا يتجزأ حتى في « نظرية » العمل الفدائي والحرب – الشعبية طبعـاً –) بفضل « التقنية الأميركية » ، وتضرب بين وقت وآخر – من بعيـد بالطيران أو المظليين أو الكوماندوس أو التقنية الإسرا – أميركية – ، ولا « تتفضّل » (لا هي ولا « قوات قمع السوق العالمية الحرة التي تحكمهـا علاقات السوق الرأسمالية ») بالمجيء إلى الدلتا والغوطة حيث « الفلاحون » و « الفقراء » وروابط رفاقكم الشعبية العميقة بين « الجماهير » (لعلّه لأن تقـدم بضع كيلومترات إضافية لن يكون بالنسبة اليها « تشريفاً » بل خسارة بالأرواح غير فقيرة ، ولكن حذار ، حذار أيهـا الغيفاريون الشاطرون ، تقدّمها في

بعض مناطق الأغوار ، في وادي اليرموك ، في قرى حدود جنوبي لبنان ، قد يكون أقل صعوبة ، أكثر تشويقاً في ميزان الخسارة والربح غير « الاقتصادي » ، بل العسكري — الاقليمي — السياسي . إذن حذار ، استعدوا ، وأعدوا هنا الحرب الشعبية عيانياً بالملموس ، أسْكِنوا جنوبي لبنان ومناطق الأغوار شعباً متعاظم العدد ، « فقراء » « فلاحين » متزايدين الى ٩٠٪ من المجموع ، على أن لا يكون المجموع صفراً ، أنتم وأمثالكم وأقرانكم وحلفاؤكم الثوريون الشعبيون الجماهيريون لا بدّ أنكم قادرون [١] على تحقيق زيادة العدد ، ما دمتم على ما يبدو قادرين على زيادة العدّة ، العدة « النظرية والمادية » ، « سلاح النقد » و « نقد السلاح ») ، إذا كانت اسرائيل قاعدة « قابعة » لا « تتفضل » بـ « التشريف » ، فما العمل ؟ يا سدَنة « ما العمل ؟ » . نصرف الجيوش النظامية البرجوازية — البرجوازية — الصغيرة ! ونرفض سكرانتون وياريغ وسيسكو (وغروميكو) . ونضع ثلاثة أسطر تشديد تحت الجملة الأخيرة . هكذا نكون ثوريين . نصرف الجيوش النظامية المحترفة ، نضع سطراً واحداً تحت هذا الصرف ، أو نتركه بدون سطر تشديد ، نرفع ونعلن شعار حرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد ، نضع خمسة أسطر تشديد تحت هذا الرفع ، نرفض سكرانتون ، ونرفض قرار مجلس الأمن ونرفض تصفية قضية فلسطين ونرفض الرأسمالية العالميـة والرأسمالية اليهودية وأداتيها القمعيّتين ، ونضع خمسة أو عشرة أسطر تشديد تحت هـذا الرفض . ونقول هذه هي الثورة الفلسطينية والعربية ، وندخل في مناقشات مـع جورج حداد وفتح الخ

---

(١) محمود سويد الذي حمل على أكتافه في افتتاحيات مجلة « دراسات عربية » عملية حرف المجلة ضد القاهرة ، لتصبح قوة « فكرية » ضاربة ضد مصر ، في الوقت الذي تتلقّى فيه مصر ضربات من نوع آخر ، ضربات من « الرأسمالية اليهودية وأداتها القمعية » ، حاملاً على أكتافه أساطير الحرب الشعبية والتفاؤل المضلل ، عـاد وتحدث بمرارة وتشاؤم عن أوضاع جنوبي لبنان : الهجرة ، العجز عن الارتباط مع جماهير الشعب ، قصور العمل « الثوري » بين الفلسطينيين الخ... حسابنا معه قادم . انه قطعة أساسية في الفكر المقاوم ونقده .

(حول ماذا ؟) ، وهذا هو لينين وجياب وغيفارا الخ .

بانتظار أن « تتفضل » « الرأسمالية اليهودية » أو « الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية » ، بواسطة « قواتها القمعية » ، بالتقدم والاحتلال في مصر وسوريا ، وعلى فرض انكم قمتم أوْ لا بمهمتكم ، بواجباتكم في الأغوار وجنوبي لبنان وعلى امتداد الوطن العربي ، فإن مصر وسوريا يجابهان هذا الموضوع الماثل أمامهم: يجابهان الموضوع كله والقضية كلها في هذا الذي يقف أمامهم : الاحتلال والباقي . لا يبدو ان في نية النظامين المتقدمين « المتراجع » وغير « المتراجع » أن يصرفا الجيش النظامي . حاولوا شيئاً آخر . زارحي وشيفر لا يؤثران على النظامين المذكورين. حظكم ليس أكبر. حاولوا شيئاً آخر . حاولوا شيئكم مع نظام متقدم آخر . في الجزائر ، في العراق ، في الجنوب . في ظفار بعد النصر . حوّلوا الثكنات إلى مراكز تدريب للشباب الثائر . للفتوة ، للفتيان .

« ، وهو ما يتعارض مع المصالح الطبقية الخالصة للأنظمة القائمة التي تبقي على العلاقات الاقتصادية مع السوق الرأسمالية العالمية .. » (ص ٩٩) .

— مع صرف النظر عن « السوق الرأسمالية العالمية » البالغة «الماركسية»، يبدو ان صرف الجيوش النظامية آكلة الـ ٣٠٠ مليون دولار (شيفر ، وإضافة صاحب « النظرية » في ذيل العلاقات التجارية) من الواقع ، موقف مشترك للصهيوني اليساري الاقتصادي المحب للسلام ، وللثائر العربي المحب للحرب. نترك لكم أن «تستنتجوا» الاستنتاج الماركسي-اليساري النافذ (!) والخطير الأهمية في « النظرية » ، وهو ان الموقف المشترك « نابع » من أصل طبقي مشترك : « البرجوازية — الصغيرة » ؟

« ومن الواجب بالتالي ، وفي مواجهة العلاقات الاستعمارية التي تحضن اسرائيل والأنظمة العربية المتخلفة وتلجم الأنظمة العربية المتقدمة وتدفعها إلى تراجع يحمي في نفس الوقت الأنظمة المتخلفة ، » .

— لاحظوا ، على الأقل ، ان « **العلاقات الاستعمارية** (!) التي تحضن

اسرائيل **والنظام** الأردني المتخلف » قد «تركت» نصف أرض هذا النظام(!) الأردني لاسرائيل. يبدو أن الاحتضان مختلف كمّاً إلى درجة الكيف. الضفة الغربية انتقلت من « حالة » إلى «حالة» كالماء في مثال انجلز ، فجأة ، وبدون مقدّمات (بخلاف الماء) . الاحتضان مختلف في الكيف ، في النوع ، وحسب. صحيح ان الضفة الشرقية وصناعاتها الكبيرة لا تزال في يد البرجوازية العربية ، ولكن الضفة الغربية وسياحتها باتت في يد «الرأسمالية اليهودية» أو على الأقل في يد دولتها وقواتها القمعية ، ونار « القمع » الأرضية والجوية مسلّطة على الاردن – الشرقي ، لا يشفع له مئة نظام متخلّف .

أما بصدد الأنظمة العربية المتقدمة ، التراجع والتقدم همـا عندكم في « السياسة » = الديبلوماسية ، الاعلان ، الاعلام ، الرفض ، عدم الترحيب . فاطمئنوا : غالبية هذه الأنظمة « على الخط » جيداً . لا « تتراجع » . أما نحن فمطمئنون على المعنى الآخر للسياسة . على الفعل . مصر لا تتراجع تَنزف وتُنزِف . تصمد . ومعركة الثماني ساعات على امتداد الجبهـة السورية بين « القوات الصهيونية » والجيش السوري النظامي في أوائل نيسان ١٩٧٠ (وما قبلها وما بعدها) مطمئنة فعـلاً . واضح أن حرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد في سوريا يمكن أن تعني تعبئة كل طاقات الأمة من أجل معركة طويلة الأمد ، متنوعة ، محورها الحرب النظامية بين جيشين نظاميين .

« أن تصبح المهمة الأساسية للشعوب العربية في نضالها أن تبني أحزابها الماركسية – اللينينية – أحزاب العمال والفلاحين – » (ص ٩٩) .

– كل مذهبيتكم البدائية لا تمنعكم من الوقوع في هذا الخطأ ، من التسليم بما هو دارج ، بألفاظ البرجوازية – الصغيرة : الحزب الماركسي اللينيني حزب العمال والفلاحين . كلا ! الحزب الماركسي – اللينيني ليس حزب « العمال والفلاحين » ، والفلاحون مراتب أي طبقات couches ، أعلاهـا مرتبـة طبقة مستغِلة من الفلاحين الأغنياء ، الكولاك ، البرجوازية الفلاحية . انكم تنقلون الصيغة المألوفة للاتحـاد الاشتراكي العربي في مصر ، لانتخابات مجلس

الأمة (حيث بين الخمسين بالمئة « عمالاً وفلاحين » ، فلاحون مستغلون أكلة القيمة وفضل القيمة في الريف [1]) .

هذا وان المهمة المذكورة – بناء الأحزاب الماركسية اللينينية – ليست جديدة أبداً ، ليست بنت اللحظة . ولقد رفع هذا الشعار مراراً وتكراراً دون أن تبنى هذه الأحزاب . لماذا ؟ لأن رفع الشعار شيء ، وتنفيذه شيء آخر . التنفيذ يتطلب بالضبط وعياً لينينياً وليس وعياً « اقتصادياً » .

« – التي تقود جبهة وطنية معادية للاستعمار والصهيونية والبرجوازية العميلة وبقايا الاقطاع » (ص ٩٩) .

الحزب الماركسي اللينيني العربي حزب البروليتاريا العربية والجماهير شبه البروليتارية في الريف والمدينة . وهو زعيم الشعب ، وزعيم الأمة . أي انه يحمل قضية الشعب ، وقضية الأمة على أكتافه . مواقفه عكسُ مواقفكم . يفضح البرجوازية والاقطاعية والملوك والأمراء من وجهة نظر المعركة القومية أولاً .

وبعد . هناك تقدُّم يحصل (كما في الماضي) بدون قيادة الحزب ، أو وجوده ، وبدون جبهته الوطنية ، هناك أنظمة متقدمة جديدة تظهر (كما في الماضي) ضد الاقطاعية والاستعمار والصهيونية والامبريالية (السودان، ليبيا) .

ثم يبدو أنكم دفنتم نهائياً ما قلتم في الصفحة ٩٦ : « [...] الاستعمار الاميركي ... دبر سلسلة انقلابات رجعية في اندونيسيا وغانا وغيرها... وكان من الطبيعي أن يساند كل تحرك مضاد للثورة في الوطن العربي » . هذه الأنظمة المتقدمة المتراجعة ألا يتحرك الاستعمار ضدها تحركاً مضاداً للثورة (كما في اندونيسيا وغانا وغيرها ، لا سيما وأنها جميعاً في سلة واحدة في مفهومكم)؟ وأنتم ما هو موقعكم في الموضوع. وأفكاركم ؟ وخط عملكم الفعلي؟

---

(١) نعتذر على هذه المفردات الاقتصادية ، التي لم نقرأها أو لم نقرأها بعدُ في كتابات الجبهة .

ألا تهيئون الخلافة البروليتارية في دول الأنظمة المتقدمة المتراجعة؟ حين تقصف اسرائيل مصنعاً في مصر ، ثم مدرسة ، تتصورون أن اسرائيل (« الرأسمالية اليهودية ») تضغط من أجل « السلام » . تصوُّر صحيح ! كبعض تصوراتكم الاجمالية . خطيئتكم أنكم لا تتصورون أنها، **مثلاً**، تضغط من أجل «السلام»، **عن طريق وبواسطة وعلى جسر** حرب سابقة لأوانها ، هجومية فاشلة من جانب مصر (من جانب الجيش النظامي المحترف)، ركض وراء هزيمة جديدة بعض بذورها في دعايتكم الحربية اليسارية، في كل خطتكم الفكري والسياسي . ولكن يبدو أن مصر تجاوزت مرحلة « الانفعال » ، الانفعال الذي يظهر في محيط اليساريين وكأنه فاعلية بالغة !

« ومن المعلوم أيضاً أن الحركة الفدائية الفلسطينية مثلت خاصة بعد حرب حزيران، الأمل الأكثر اشراقاً للشعوب العربيـــة . فماذا كان الفكر السائد في الحركة الفدائية الفلسطينية يطرح على الجماهير العربية في محنتها ؟ – نقول الفكر السائد في الحركة الفلسطينية لأن مواقف كافة المنظمات الفدائية كانت متشابهة عملياً في هذا الصدد – بما في ذلك فتح والجبهة الشعبية ومنظمة التحرير – » (ص ٩٩).

هكذا نمضي الآن الى التسويغ الفكري النظري للانشقاق « اليساري »، لتأسيس الجبهـة الشعبية الديمقراطية . بالنسبة للرفاق حواتمه ، كشلي ، ابراهيم ، الخ ، إن فكر الحركة الفدائيـــة ليس « يسارياً » كفاية ، بل هو يميني ، بالغ اليمينية . آتياً من جماعة تحمل اسم لينين على أكتافها، هذا المنطق جدير بأن نذكّره بأن لينين رجل يستطيع أن يقف في « أقصى اليمين » ، في مؤتمر مـا من مؤتمرات الكومنترن (المؤتمر الثالث ١٩٢١) ، في قيادة حزبه البولشفي (١٩٠٧ – ١٩١٠) ضد التيار الاوتزوفي اليساري الطاغي، في أوائل ١٩١٨ ضد فرسان الجملة الثورية (نصف اللجنة المركزية ، وضد الوسط – تروتسكي ، ربع اللجنة المركزية) .

لننظر الى أول قطعة في بنـاء التسويغ الايديولوجي ، في الفكر المتمرّد على الوضع الفدائي اليميني الفاسد .

« كان على الحركة الثورية الفلسطينية والعربية أن تشرح الدرس اللينيني القائل :
« ان ما ينبغي لنـــا هو أن نعرف كيف نوضح للجماهير ان طابع الحرب السياسي والاجتماعي لا يحدده « حسن إرادة » الأفراد والفئات وحتى الشعوب ، بل يحدده وضع الطبقة التي تخوض الحرب سياسة هذه الطبقة، التي تكون الحرب استمراراً لها ، وعلاقات الرأسمال بوصفه القوة الاقتصادية المسيطرة في المجتمع الحـــالي ، والطابع الاستعماري للرأسمال العالمي .. » .

لكن الحركة الفدائية الفلسطينية بكافة أطرافها تحاشت كل بحث في قضايا المجتمع العربي ومدت يدها للتعامل مع الأنظمة القائمة » (ص ٩٩ - ١٠٠) .

مع إحالة في الهامش الى «لينين — موضوعات نيسان— دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية - موسكو — ص ٤١ »

نعم ! هكذا تسير أمور الفكر المقاوم جداً . هـذا الفكر يرى ممكناً الاستشهاد بلينين نيسان — أوكتوبر ١٩١٧حول الحرب العربية— الاسرائيلية — الراهنة .

كل أقوال ، كل منطق لينين في هذه الفترة (واسمحوا لنا أن لا نعود الى « موضوعات نيسان ... ص ٤١ » [١]) هو كما يلي: حرب روسيا والمانيا حرب امبريالية ، حرب بين امبرياليتين ، رغم سقوط القيصر . انهـا حرب امبريالية عالمية . السلام ! السلام ! حكم السوفيات ! السلام ! السلام![٢]

والجبهة الشعبية الديمقراطية تنقل هذا ، تنقل جزءاً ، قطعة ، شرحة من هذا . لا يمكن لإنسان أن يدفع الغباء إلى هذا الحد . أو الاستغباء .

وليست القضية غباء واستغباء وحسب .

لينين يقول أن الحرب (الروسية — الالمانية ، نيسان ١٩١٧) حرب امبريالية ، لأن البرجوازية تحكم في روسيا . وحين سينتقل الحكم بعد شهور

---

(١) نترك ذلك ، نطلب ذلك من قرائكم من رفاقكم ، من انفسكم .

(٢) كما نقرأ في« الحرية »، العدد ٤٨٩، ١٠ / ١١ / ٦٩ ، مقال « دروس وانطباعات عن ثورة اوكتوبر » : « شعارات البلاشفة : سلم فوري . » (عنوان الصفحة ١٢). متى سترفعون هذا الشعار ؟ بعد « اوكتوبر » العربي ؟ أم منذ « نيسان » ؟

إلى حلف برجوازي – برجوازي صغـــير ، إلى كيرنسكي وحلف المنشفيك والاشتراكيين الثوريين مع الكاديت البرجوازيين ، سيؤكد رأيه ، سيجد في هذا الوضع دليلاً قاطعاً على انتهاء « البرجوازية – الصغيرة » كطبقة سياسية حاكمة ، على دخولها في شبكة الامبريالية العالمية وحربها الفتاكة[1] ومصالحها العالمية والروسية ، ويدفع القطار نحو ثورة أوكتوبر البروليتالية ، التي إذْ لم تستطع تحقيق السلام لشعوب العـــالم ، حققته لشعب روسيا بصلح منفرد مع الامبريالية الالمانية ، بتراجع (كبير هائل) أمـــام « قوات قمع » « الرأسمالية الالمانية » .

وفي هذا الاطار ، قال منذ نيسان ١٩١٧ ، في الموضوعات الشهيرة « ان طابع الحرب السياسي والاجتماعي لا يحدده حسن إرادة [...] ، بـل يحدده وضع الطبقـــة التي تخوض الحرب ، سياسة هذه الطبقة ، السياسة التي تكون الحرب امتداداً لها ، وعلاقات الرأسمال [...] والطابع الاستعماري[2] للرأسمال العالمي .. »

بتعبير آخر : البرجوازية الروسية هي الـتي تخوض الحرب . الحرب هي امتداد السياسة البرجوازية الروسية وأطماعها في القسطنطينية والمضائق التركية وكردستان والأماكن المسيحية المقدسـة (مفاوضات سايكس – بيكو – سازونوف التي ستكشف عقب ثورة اكتوبر) . الموت لهذه البرجوازية ، لهذه السياسة ، لهذه الاطماع . السلام ! السلام ! السلام !

وكشلي – حواته – ابراهيم – الخ ينقلون هذا الكلام . النقطتان الحذرتان اللتان تنهيان نص الاستشهاد لا تغيران شيئاً في النقل . ما يسبق يغني عمـا يلحق . ما يلحق لا يمنع ، بل بالعكس يعزّز ويضاعف ما سبق . « ولا يمنع حذر من قدر »[3] من هذا القدر « النظري » البائس .

---

(١) ولينين ، بذلك ، يدفع اللينينية خطوة كبيرة الى الأمام .

(٢) أو ربما في النص الأصلي « الامبريالي » .

(٣) هذه الجملة تتكرر في المؤلفات اللاحقة . وردت على مـــا يبدو في أحد خطب =

نعم يا سادة ؟ حربنا الحالية التي تقودهـــا البرجوازية العربية هي إذن امتداد لسياسة البرجوازية العربيــة الطامعة في الأماكن المسيحية والاسلامية المقدسة (إذا لم تكن طامعة في المضايق والقسطنطينية) وفي الضفة الغربية وغزة وأراضي الرأسمالية اليهودية في فلسطين؟ ما هو الوصف الذي تستحقون يا 'بناةفلسطين الديمقراطية؟ تريدون الإطاحة بالبرجوازية لتغيير طابع الحرب، طابع السياسة وامتدادها الحربي ، ألا تخشون بعد الإطاحة بالبرجوازية ، أن تضطروا إلى صلح برست — ليتوفسك ، إلى التنازل عن أوكرينيا (الضفة، الجولان ، سيناء) وإخـلاء جمهوريات البلطيق (جنوبي لبنان ، الاغوار) « موقتاً » ، بانتظار الثورة البروليتارية في برلين (تل أبيب) ومرفأ كيل (حيفا) على يد روزا لوكسمبورغ (ناتان فاينشتوك) وجماعة ـ « الامية »ـ « سبارتاكوس » (ماتزبن) ؟!! .

في مجال المقاومة ، لا يمكن أن يكون المرء « مقاوماً » أكثر . في مجال « النظرية » ، لا يمكن أن يكون المرء مبدعاً خلاقاً أكثر .

ماذا يحدث داخل عقلكم ؟ كيف تجتمع الأحكام (الصيغ) في محاكمتكم (في خطابكم) ؟ هذا ما سنساعدكم على فهمه . هذا واجبنا تجاهكم ، ما دمتم تطلبون الحوار ، وما دمتم ترفعون لواء الماركسية — اللينينية .

أنتم أناس مبتدئون . في رأسكم أفكار ، مواقف مقرّرة منتهيـــة . ثم تفتحون لينين . ما طاب من لينين أو ما تيسّر .

« ما العمل ؟ » مثلاً .

أولاً بسبب العنوان . « ما العمل ؟ » . كلنا نقول ومن زمن غير قصير : ما العمل ؟ نقولها دائماً . وسنقولها من الآن حتى نهاية عمرنا . الفلاح يتساءل

= عبد الناصر . وهي شاهد على فكره الغيبي عند هؤلاء المستنيرين . الجملة وردت في خطاب هاني بن مسعود الشيباني ، قائد قبائل الأمة العربية في معركة ذي قار . أما القبيلة الحديثة فلا تفهم النداء القومي الوحدوي .

ما العمل ؟ الحذّاء يتساءل : ما العمل ؟ رائد الفضاء يتساءل : مـا العمل ؟ الانسان يتساءل: ما العمل ؟ الأمة العربية تتساءل: ما العمل ؟ جميع الشرفاء (والسّفلة) في العالم يتساءلون : ما العمل ؟ يبدو أنكم تساءلتم هـذا السؤال بشكل خاص عقب كارثة حزيران ١٩٦٧ . أنتم على حق . أنتم صادقون ، مخلصون ، أمناء (إلى هنا على الأقل) .

وثانياً لأنكم تعرفون ، لأنكم سمعتم ، لأنكم تعرفون معرفـــة « من سمع قولاً » par ouï - dire أن « مـا العمل ؟ » = الحزب ، الحزب ، حزب البروليتاريا ، زعامتها ، الوعي ، ضد العفوية ، النظرية التي بدونها لاحركة . وهذا صحيح بالتمام . ولكنه لا يكفي ، ويمكن أن يساوي صفراً أو أقل من الصفر . إنه يساوي أقل من الصفر ، إذا مثلاً كنتم (وما زلتم) تعتقدون أن حزب البروليتاريا وزعامتها معناها إلقاء القضاياالأخرى(في وضعنا المسألة القومية بالدرجة الأولى ، الثورة **القومية** الديمقراطية) من النافذة ، إذا كنتم تعتقدون أن العفوية ، التي ينبذها لينين هي عفوية الحركة الفلاحية أو الحركة القومية ، وليست عفوية الحركة العمالية — العمالية بالذات ، وان الوعي الذي لا ينبثق من عفوية الحركة(هذه وتلك وتلك) إنما ينبثق من رأسكم الماركسي غير المكوّن .

اذن تفتحون « ما العمل ؟ » . تقرؤون « ما العمل ؟ » . تأخذون ما يطيب أخذه . مواقفكم مقرّرة سلفـــاً . مواقفكم الفكرية أو على الأقل وبالأصح مواقفكم الذهنية ، وضعكم الذهني — النفسي . وبالطبع ، في « ما العمـــل ؟ » ، مئة « صيغة » تؤيد ، تشجّع ، تحمّس ، تسخّن ، تشعّل حالتكم الذهنية . بل هناك في « الجو » العام نفسه ، مفهوماً بطريقتكم ، شيء يؤيد ، يحمّس يشعّل حالتكم . والجو العـــام الحقيقي يفوتكم : لماذا الوعيُ — الحزبُ لا ينبثق من العفوية ؟ ما معنى **كل** العلاقات ، **كل** الطبقات. في وضع كوضعنا؟ ما معنى القيادة، الزعامة؟ وعي الزعامة، حزب الزعامة ؟ ما هي « الاقتصادية » عدوة هذه الزعامة ؟ ما هو منطقها الجوهري؟ الصيغ

الشهيرة نفسها تقرؤونها دونما التفات إلى اطارها . « لا حركة ثورية بلا نظرية ثورية .. فقط حزب ترشده نظرية طليعية هو مكافح طليعي » . ما هما هاتان النقطتان ؟ ماذا مكانـُها في نص « ما العمل » ؟ ما معنى مركزية روسيا في العالم، والأهمية الكونية للأدب الروسي؟ والفقرة الشهيرة عن مهمات البروليتاريا الروسية مركز الثورة العالمية على تخوم أوروبا وآسيا ؟ ما معنى هذه الخلاصة التي تعرض تاريخ الحزب ، الذي بدأ من حركة اجتماعية موضوعية ، حركة العمال الجباره في مدن روسيا ؟ وما هو وضعنا نحن (حركة قومية جبارة)، وماذا كانت أخطاء « الماركسيين » وماذا ترتب عليها، وما هو الخطأ اليوم ، وماذا يترتب عليه؟ ما هو عدو الماركسية داخل صف « الماركسية » العربية اليوم ؟ وكيف أن سحق هذا العدو الفكري (« الاقتصادية » بشكل عام وخصوصاً « الاقتصادية » الجديدة « الامبريالية » ، كاريكاتور الماركسية اليساري) هو **شرط** تقدم قضية الحزب البروليتاري ، هو « العمل » التاريخي المطلوب، هو الجواب العربي الراهن على سؤال « ما العمل ؟ » ؛ وفي ظروف تجعل من الوطن العربي وفلسطين ، نوعاً ما مركز المهمات العالمية ؟

وتفتحون « **موضوعات نيسان** » .

أولاً – لأنكم تحبون « موضوعات »[1] .

ثانياً – وهذا أكثر جدية – لأنكم سمعتم أن هـذه الموضوعات اللينينية لشهر نيسان ١٩١٧ هي التي دفعت الحزب في اتجـــاه « اليسار » ، في اتجاه الثورة الثانية . وهذا صحيح بالتمام . ولكن دفعَتْ بكثير من التأني ، ومع تغيرات عديدة في الشعارات ، في التاكتيك، ونبذ لكل القوالب والوصفات،

---

(١) قد أكون أنا المسؤول . عنوان كتابي « موضوعات الى مؤتمر اشتراكي عربي » ١٩٦٣ . في تلك الآونة ، صدر كتاب محسن ابراهيم « آراء وملاحظات حول ... » . حالياً أفكر بالاستعاضة عن « موضوعات » بـ « اطروحات » (نقــلاً عن ترجمة الزميل بسام طيبي لكلمة théses) .

وسعي دائب للإحاطة بكل النقاط والتداخلات والاحتمالات، ودراسة صاحية للمسائل العيانية ، وتمسّك دائم بالنقطتين الجوهريتين غير « البروليتاريتين — الاشتراكيتين»: السلام (وقد باتت ملكاً لعمل الثورة البروليتارية الاشتراكية، لعمـل البلاشفة ، بعد خيانة أو عجز حزبَيْ البرجوازية — الصغيرة العمالي والفلاحي ، وعلى أساس الامبريالية وشبكة علاقاتهـا الموضوعية العالمية) ، والأرض (الثورة الديمقراطية التقليدية ، وهي أيضاً باتت ملكاً لعمل الثورة الثانية ، للبلاشفة ، والجماهير الفلاحية) .

تقرؤون إذن « موضوعـات نيسان » . تسوّغون اندفاعكم اليساري ، قراركم المسبق ضد لفوف وكيرنسكي والبرجوازية والبرجوازية — الصغيرة (عبد الناصر ، البعث ، الجبهة الشعبية، أمّكم « الفاشية » ثم «الناصرية») تتحدثون ، تفكّرون ، وكأنكم في روسيا ، في خريف عام ١٩١٧ ، أو على الأقل في ربيعه . بما أنكم لستم في روسيا (الوطن العربي في القرن العشرين ليس روسيا ١٨٨٠ — ١٩١٧ ، و « فلسطين » المقولة وامتدادها « المجتمع » العربي في ١٩٦٧ — ١٩٦٩ ليست روسيا أوائل ١٩١٧ : السوفيات، الحزب، الارض ، السلام الخ ... كيرنسكي ، لينين ...) ، تفكيرُكم هذيان .

لتبرير هذا الهذيان ماذا يمكن أن« تنبشوا » من الموضوعات ؟ تستطيعون أن تنبشوا صيغاً كثيرة . ربما . ولكنكم في صدد السلام والحرب . وهكذا تنبشون صيغة عن السلام والحرب ، وصيغة طيّبة فيها « علاقات الرأسمال » و « الرأسمال العالمي »(ليست بعيدة عن جو « التبادل الذي تحكمها علاقات السوق الرأسمالية ») و « طابع الحرب **الاجتماعي** » و « وضع **الطبقة** التي تخوض **الحرب** » . ويفوتكم (!) ان لينين يفضح **الحرب** نفسهـا من ألف إلى ياء ، يدعو إلى السلام ، يكافح من أجل السلام ، من أجل إنهاء الحرب . وان هدف الثورة التي يدعو إليها (سيدعو إليها بعد شهور) هو بالضبط السلام ، سلام العالم ، أو على الأقل سلام روسيا (وعمليـاً ، في نهاية المطاف : صلح منفرد مع الرأسمالية الالمانية ، بعد نداء إلى السلام ، للحكومات والشعوب،

« مناشدة » ، نداء إلى السلام حتى مع بقـــاء الرأسمالية والامبريالية خارج روسيا،بل نداء إلى **السلام** كطريق لهذه الثورة الاشتراكية البروليتالية العالمية).
حظـُّكم قليـــل . كتابات لينين الكلاسيكية في صدد الحرب والسلم ، دعواتُ للسلم . في ١٩١٤ – ١٩١٧ ، في نيسان – اوكتوبر ١٩١٧ ، وفي أوائل **١٩١٨** ، بعد ثورة أوكتوبر . المرة الأولى وامتدادها (المرة الثانية) ضد « البرجوازية » **المحاربة** ، المرة الثالثة ضد فرسان الجمـلة الثورية ، ضد شيوعيي اليسار، الشبان ، الأطفال (رغم كونهم في اللجنة المركزية. ولكن التجربة الثورية كانت في موضوع كهذا في البداية ، في بداية البداية) ، من أجل الصلح مع الامبريالية الالمانية ، من أجـل التراجع ، التسليم ليس فقط بمصالح « اقتصادية » ، بـــل بأقاليم واسعة يسكنها ٤٠ مليون من البشر . **وبعض** كلامه يشبه في السلام والحرب ، يشبه (ما دمتم تعيشون على الشبَه والشِبْه والاشتباه) « المناشدة » السلمية ، « ادخلوا في السلم كافة » . إذن حظـّكم قليل . ابحثوا عن شيء آخر . ابتعدوا عن لينين . وإلا ، من باب الشبه ، وحب المراجع بصفحاتها المحدّدة، نخشى أن تطالبوا غداً، أن تدْعوا غداً ، إلى تسليم ٤٠ مليون سوري ومصري واردني – شرقي ولبناني ، لا إن لم يكن حباً بالسلام فحباً بحرب التحرير الشعبية العامة التي سندخلها كافة.

ولكن أمركم ليس غباء وحسب . بل هو منطق جوهري . على أساس منطق جوهري ، نقلتم هذا المقطع من « موضوعات نيسان » ، فهو يعبّر عن رأيكم في الحرب ، كما هي اليوم . هذه الحرب مُدانة من قبلكم . « طابعها السياسي والاجتماعي يحدده وضع الطبقة التي تخوض الحرب»، الحرب الحاضرة « امتداد، استمرار لسياسة هذه الطبقة ». الطبقة البرجوازية – البرجوازية الصغيرة العربية ، شقيقة طبقة لفوف – ميليوكوف – كيرنسكي – تشخيدزه سازونوف (ناصر – حسين – **بعث** – حسن الزيات – محمود فوزي) [1] .

---

(١) اذن اسقاط هذه البرجوازية. ذلك شرط لدولة فلسطين الديمقراطية العربية ـ اليهودية =

وهذا ليس غباء أبداً . إنه صفاقة النظرية « الاقتصادية » .

حرب ملك الافغان مع الانكليز ، في نظر لينين ، لم يكن يحدّد طابعها إطلاقاً وضعُ الطبقة التي تحكم« مجتمع» الافغان. ولا حرب الصين الامبراطورة العجوز والبوكسر ضد الدول . الحروب التي تخوضها الامبريالية ضد شعوب الشرق ، حروب امبريالية من جانب ، وحروب دفاع ووجود قومي وتقدم قومي وديمقراطي من الجانب الآخر . تلك هي حال غالبية حروب القرن العشرين (١٩٠٠ – ١٩٧٠). يجب أن يكون المرء غارقاً حتى أذنيه ونيف في « الاقتصادية » حتى يتصور أن طابع الحرب – هكذا بشكل عام وفي زمننا هذا – تحدّده الطبقة الحاكمة في البلد المغزو [١] . يجب أن يكون موقعه من اللينينية كموقع مالك من الخمر . في نظر اللينينية ، « هذه الحركة القومية » ، « ستتحول » (أو« ستنقلب »)– في الواقع تحوّلت، انقلبت– « ضد الرأسمالية والامبريالية » ، و « ستلعب دوراً أكبر بكثير مما تصوّرنا إلى الآن » ، « في المعارك القادمة الحاسمة للثورة العالمية » (خطاب لينين في المؤتمر الثالث للكومنترن ، ١٩٢١) . موقفه من الحركة القومية العربية حتى قبل قيام « الأنظمة العربية التقدمية » ومن سياستها وحربها ليس إطلاقاً شبيهاً بموقفه من سياسة وحرب روسيا البرجوازية الامبريالية في نيسان – أوكتوبر ١٩١٧ .

= المرتبطة بالوحدة العربية الثورية ، شرط لحكم الجبهة وماتزبن.وقد تكون ماتزبن من هذا براء . (وبالأحرى راكاح وجمهوره العربي !) . لا هذا العداء للوحدة العربيـــة الحقيقية الفعلية ، ولا هذا الهذيان المثالي عن كل شيء، بما فيه « مجتمع فلسطين »الواقع تحت«الرأسمالية اليهودية» . رغم السخافات المشتركة بين ناتان فاينشتوك وكشلي ـ حواتمه ـ العظم ..

(١) في الحروب ميّز لينين وأقام تعارضاً بين : روسيا ، فرنسا ، انكلترة ، المانيا الخ. من جهة ، وتركيا ، مصر ، فارس ، الصين ، الهند من جهة أخرى. وفي هذه السنة بالذات، في هذه الأشهر الحاسمة من عام ١٩١٧ بالذات . أنظر مقالاته الشهيرة في مجموعة « حركة التحرر الوطني في الشرق »، وفي « المختارات ».. (مقالاته: « أسرار السياسة الخارجية »، « ابدأ بنفسك »، « السياسة الخارجية للثورة الروسية »).

بعد لينين وطابع الحرب وتحاشي بحث قضايا المجتمع العربي من قبل الحركة الفدائية الفلسطينية ، وبعد هذه القطعة الأولى – والوحيدة – التي حدّدت طابع الحرب العربية الحاضرة ومنطلق الجبهة الشعبية الديمقراطية ، ينتقل الكاتب إلى نقد أو تسفيه الحركة الفدائية بقطاعاتها الثلاث (ص ١٠٠ – ١٠٤) .

أولاً . **منظمة التحرير** . ينقل الكاتب مقاطع من تقرير لجنتها التنفيذية المقدم إلى المجلس الوطني الفلسطيني في تموز ١٩٦٨ ، تشمل « تعداد أسس وحدة العمل الفلسطيني » :

« [...] عدم التدخل في شؤون أي قطر عربي أو في أي خلاف لا علاقة له بالقضية الفلسطينية » ، « العمل على تعبئة الجهود القومية وتوحيد الطاقات والامكانات العربية [...] للانتقال بالنضال المسلح الى حرب تحريرية شاملة تخوضها الأمة العربية بأسرها وفي طليعتها الشعب العربي الفلسيني » ، « التعاون الوثيق بين العمل الوطني الفلسطيني والعمل العربي الرسمي على أساس التحرير ». واللجنة التنفيذية ... « تناشد الشعوب والحكومات العربية لتعبىء طاقاتها وتحشد إمكاناتها وتوحّد جهودها تمهيداً لخوض معركة التحرير والمصير التي لا بد من خوضها » (ص ١٠٠ – ١٠١).

وينحصر ردّ الجبهة الشعبية الديمقراطية في خمسة أسطر من الترفع الماركسوي على البرجوازية :

« وهكذا بعد سنوات من المعاناة لم تستطع اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير أن تقدم أكثر من المناشدة للشعوب والحكومات العربية لتعبئة طاقاتها ، وأكثر من المناداة بالتعاون الوثيق مع العمل العربي الرسمي على أساس قرار مجلس الأمن المتناقض مع التحرير) (ص ١٠١) .

وهذا خطأ حرفياً ، من وجهة نظر « السياسة » – الديبلوماسية ،« البناء الفوقي » للمذهب « الاقتصادي » : بين دول الأنظمة العربية المتقدمة هناك من يعارض قرار مجلس الأمن و « ينسجم مع التحرير » – مصر وحدها وافقت على القرار و « تناقضت » (!) مع « التحرير » (!) –. انسجاماً مع مَنْهجكم « الاقتصادي » (+ البناء الفوقي الديبلوماسي) ، يجب أن تدْعوا

إلى التعاون الوثيق مع « العمل العربي الرسمي » للدول غير المتراجعة الثابتة « على أساس التحرير » .

أما أن منظمة التحرير البرجوازية اكتفت « بمناشدة الشعوب والحكومات » فنحن أيضاً نناشد (لينين « ناشد » حكومات أسفل بكثير) ، دون أن نكتفي بالمناشدة ، ولا بهذا النقد .

إن خطأ منظمة التحرير الأكثر أهمية من كل هذا ، ومصيبة فكر الحركة الفدائية كله ، أن هـــذا الفكر غارق في العموميات ، جزئي ، يقبض على أشياء ، وتفلت منه أشياء ، والحالة زئبقية . وداخل هذا الاطار المائع الحدود ، الاختلاف بين الجبهة الشعبية الديمقراطية « الماركسية – اللينينية » ومنظمة التحرير البرجوازية هو لصالح هذه الأخيرة . أنتم وإياهم تقولون « حرب تحرير شاملة » (عمومية صحيحة ، اذن كعمومية تفتح الباب على مصراعيه للأخطاء ، ولا سيما لخطأكم الأكبر وهو التالي ←) . أنتم تقولون : « حرب شعبية شاملة الخ ، صرف الجيوش النظاميـــة حاملة بذور هزيمة جديدة » ، بينما هم يقولون « تخوضها **الأمة العربية بأسرها** » (عمومية صحيحة ، إذن كعمومية لا تكفي أبداً وتفسح المجال لـما هو عكس الصحيح ، للخطأ ، وليس الخطأ هنا فقط في وضع « الطبقات » في سلة واحدة ، بل أيضاً الدول والحكومات وسياساتها وهروبها ، وهو أيضاً ، على الصعيد العسكري ، في السَحْبة الحربية الشعبية غير النظامية . قبـــل حرب حزيران ۱۹٦٧ ، أنتم والشقيري ، في جريدة « الحرية » ، التقيتم مراراً على « حرب التحرير الشعبية ») .

« منظمة التحرير » البرجوازية هي طبَق المقبلات hors d'œuvre . الطبق الرئيسي هو **فتح** .

«أما الفكر السائد في منظمةفتح فيهمّه الحفاظ على ما سمي بالجبهة العربية المساندة.

« بالنسبة للعالم العربي فالمعركة تحتم علينـــا أيضاً أن نستقطب جماهير شعبنا العربي المساندة وهذا أيضاً يتطلب منا أن نقف نفس الموقف « أن لا ندخـــل في جدل بيزنطي حول الصورة الاجتماعية لنضمن لحركتنا مساندة كل القوى المخلصة الشريفة في

الوطن العربي بغض النظر عن وجهات نظرها الاجتماعية » (٢) » (مع إحالة الى كراس صادر عن فتح) . (ص ١٠١) .

وفي غمرة الرد الماركسي – « الاقتصادي » (فتح ترى فيه ، كما يبدو ، جدلاً بيزنطياً) ، لا يتوارد في عقل صاحب « النظرية » ان هناك شيئاً آخر غير « الصورة الاجتماعية »، وان **النظرية** الماركسية – اللينينية ، دليل ومرشد الحركة الثورية الضروري الذي لا غنى ، هي بالضبط شيء آخر غير « الصورة الاجتماعية » أي « الاقتصادية ». إن الوعي – كما في روسيا ١٩٠٢، وأكثر من روسيا ١٩٠٢ بقدر لا بأس به – لا ينبثق من « الطبقة » ، بل من الواقع كله ، إنه وعي « العالم » ، « السياسة » الدول ، موضوع الامبريالية والتجزئة العربية وقضية فلسطين ، مجال اللعب الامبريالي على الدول ، على موضوع الدول ، الأقطار ، الأحزاب ، مجالات التراجع الامبريالي المتزايدة أمام حركات ثورية بالغة النية الثورية و « حسن الارادة » [١] ومحدودة الامكانات الموضوعية ، لصيانة وتعزيز وتوسيع وإنماء المصالح الأساسية الكبرى للامبريالية : التجزئة العربية ، اسرائيل ، البترول ، تفتُّت الجماهير وضياعها .

بعيداً عن محاولة تلمّس هذه الحقائق الواقعية ، إن منهجَ « الاقتصادية » اليسارية (واليمينية) لا يؤدي إلا إلى تسهيل وتمكين هذه الخطة الامبريالية البالغة الوعي غير العفوية غير « الاقتصادية »،« اللينينية » أو شبه – اللينينية، نقصد المدركة ان هذا الخط « الاقتصادي » هو لصالحها ، وان بإمكانها أن تركن إليه : الوحدة العربية مؤجلة (انفصال ٢٨ أيلول نال تأييد خالد بكداش ، هذا لا يجعل الانفصال تقدمياً ، ولكنه يعزّز الانفصال)، تفتت الجماهير يزداد. وكما يريد صاحب نظرية العمل الفدائي : القناة مغلقة. وطابع الحرب الأساسي مُدان .

---

(١) النوايا الثورية ، المطامح الثورية ، الأطماع الثورية وغيرها . كل هذا يمكن أن يجتمع تحت سقف واحد وفي فراش واحد .

بعد أن استمعنا إلى فتح ، نستمع إلى ردّ الجبهة :

« مثل هذا الفكر لا يصدر عن غير وعي ، بل هو تعبير واع عن ايديولوجية قومية بورجوازية لا ترى في انتفاضة الجماهير العربية بواسطة أحزابها الاشتراكية الثورية على أنظمتها الرجعية العميلة وبناء أنظمتها الثورية القادرة على كسر التبعية وتخطي التخلف أية علاقة ايجابية بالنضال الفلسطيني ». (ص ١٠٢) .

والمشكل أن هذا الوعي الواعي لا يعي المشكل الحقيقي . الإشكال التاريخي الذي لن يجد حله لا بنقل لينين ولا جياب ولا غيفارا هو أن هناك أنظمة عربية غير عميلة ولا رجعية ، « أنظمة متقدمة » — كما سجّلتم قبل خمس صفحات وثلاث صفحات — وان هذه الأنظمة المتقدمة تغطي اليوم في ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ثلثي الوطن العربي : مصر ، سوريا ، الجزائر ، السودان ، ليبيا ، العراق ، اليمن ، الجنوب اليمني . وان « الاستعمار الاميركي » قد « يساند » « التحرك المضاد » لهذه الأنظمة ، كما لمستم في الصفة ٩٦ (ولكن هل لمستم ؟ لعلكم كنتم تقصدون بـ« كل تحرك مضاد للثورة في الوطن العربي» الذي « كان من الطبيعي أن يسانده الاستعمار الاميركي » ، التحرُّك المضاد لا لهذه الأنظمة ، بل لقواكم الثورية الشعبية ! (ولكن ذكرتم قبل سطر واحد في هذه الصفحة : « اندونيسيا وغانا وغيرها ») . وليس من قرينة تشير إلى أن لينين وجياب وغيفارا أعداء لهذه الأنظمة .

والإشكال التاريخي الثاني أن « الجماهير العربية المنتفضة » لا تملك (اذا استثنينا جبهتكم وأشقاءَها وامتداداتها :«منظمة الاشتراكيين اللبنانيين» !!) « أحزابَها الاشتراكية الثورية » .

إذا كانت خطيئة فتح الفكرية (كما يتبين من الاستشهاد المنقول) هي تصوّرها أن المعركة تتلخص في: « فلسطين » و « ثورتها » + مساندة« جماهير شعبنا العربي » أي الجبهة العربية المساندة(وما يستتبع هذا التصور من رفض للجدل البيزنطي حول الصورة «الاجتماعية») ، فإن خطيئتكم تتلخص في : « المجتمع » العربي الكبير الرازح تحت الرجعية العميلة ، و« انتفاضة الجماهير»

بواسطة « أحزابها الاشتراكية الثورية »على هذه الرجعية العميلة وعلى« واقعها الاجتماعي » .

على طريق المعرفة القصير ، لمست الذات بعض جوانب الموضوع ، بعض التمايزات ، بعض الأشياء ، ثم عادت إلى ذاتها في صفاء الوعي النقدي . العالم، العالم العربي ، القضية الفلسطينية = هذا النموذج القائم في الرأس ، الراسخ الذي لا تزعزعه الأوهـــام البرجوازية ، المأخوذ من المجتمع الصيني والثورة الصينية (تبسيطاً ، اجمالياً ، مع نسيان التمايزات مع طرد النضالات الفكرية ضد مرض « الجرب الثوري » ، ضد مرض الأكال أو الحكاك الثائر الفائر) أو من فيتنام وثورتها ، أو من البرازيل .

هذه الذات قد تنجح تماماً على صعيد الفكر والعمل ، في البرازيل ، في بوليفيا ، ربما في النمسا وسويسرة . لعلها تستطيع هناك أن تقول: الثورة = انتفاضة الجماهير البرازيلية أو السويسرية بقيادة حزبها الاشتراكي الثوري ضد النظام الرجعي العميل . (شريطة أن تعتبر كل شيء – بما في ذلك الحزب وبناؤه – مهمّة حقيقية موضوعية – يجب أن تتحقق لا في الرأس بل أمامه ، قبالته) .

ليس في عالم الوطن العربى وفلسطينه !

ولكن هناك – على حد قول الكاتب – أخطر من هذا في قيادة فتح .

« وأخطر من هذا ان في قيادة فتح من يعتقد ان الثورة الاشتراكية في داخل كل قطر تتناقض في سيرها مع الثورة الفلسطينية، ويدعو هؤلاء الى الحياد وتأجيل تحشّس الجماهير داخل أقطارها للجانب الاقتصادي والاجتماعي من المشاكل القطرية!»(ص١٠٢)

وينقل الكاتب نصاً آخر لفتح (مأخوذاً من مرجع آخر) ، خلاصته :

« وبهذا القول نعني أن الهدف القومي (تحرير فلسطين) سيتناقض مع الهدف القطري (تحقيق الرفاهية الشعبية وبناء الاشتراكية) » .

– لا نعتقد أن مفكر فتح على صواب . لا نعتقد أن الاستقرار المادي والسياسي سيتوفر للاقطار العربية ، وان اشتراكية ما ستُبنى في الأقطار .

والأقطار العربية حول فلسطين محتلة — محتلة أو مهددة بالاحتلال. ومع ذلك، فإننا نعتقد أن مفكر فتح طرح مشكلة حقيقية ، يصرفها مفكر الجبهة بالتي هي أحسن . زارحي وشيفر (وقد نقـل عنهما مفكر الجبهة بشكل ناقص ومشوّه) شاهد على ذلك .

هناك فعلاً في الأقطـار من يروّج للوهم : الاستقرار المادي والسياسي ، بناء الاشتراكية في الأقطار ، تحقيق الفردوس . ولعلّ مفكر فتح أراد أن يدرأ هذا الخطر . أما مفكر الجبهة فقد صرف المسألة بالتي هي أحسن، أي « بانتفاضة الجماهير العربية بواسطة أحزابهـا الاشتراكية الثورية على أنظمتها الرجعية العميلة » ، بينما غيره يريد أن يصرفها بشكل معاكس : بناء النظام الاشتراكي أو تقريباً في ظل الأنظمة التقدمية . الفرق ليس كبيراً، على صعيد نهاجية المعرفة . مبدأ واحد : « الادراك الاجمالي » . الجبهة ، هـــذا الغير محب للسلم والاشتراكية ، فتح ، وآخرون ، سيدورون في حلقة مفرغة حول الذات — الموضوع ، ومعهم الأمة العربيـة ، والجماهير الكادحة ، إذا لم تعد الوحدة العربية إلى الموضوع والذات من أوسع الأبواب .

ويواصل الكاتب :

« كذلك فقد رفعت « فتح » شعار « عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي » وذلك من أجل « استيعاب كافة الطاقـــات والفئات الفلسطينية والعربية » لتحرير الارض الفلسطينية .

من الطبيعي أن الحركة الثورية الفلسطينية ليست مطالبة قطّ بالقيام بمهام الحركة الثورية في الأقطار العربية . أما رفع شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي ، في ظـــل الفكر المادي للاشتراكية والمعبّر عنه أعلاه ، فانه يقود في الظاهر الى استيعاب الطاقات والفئات العربية « وهو مـــا يظهر في تجربة فتح من إقبال على الانخراط في صفوفها ، الى دعم مادي وعسكري من جميع الأوساط ، الى رضى الأنظمة العربية واغداقها الأموال عليها خاصة الكويت والسعودية .. » ، ولكن هذا الاستيعاب للطاقات ، في الوقت الحاضر ، يسير لصالح الأنظمة العربية القائمة ، ولصالح الطبقات الحاكمة ، وهي الطبقات المستعدة والعاملة من أجـــل تصفية قضية فلسطين أيضاً » (ص ١٠٣) .

مرة أخرى ، بدون الوحدة العربية ، دوران في حلقة مركزها الذات المثالية . هذه الوحدة لهـا بعض (!) الصلة بالبترول والرجعية والمصالح الامبريالية .

وأخيراً **الجبهة الشعبية :**

« أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد مارست أيضاً نفس السياسة ، ورغم نقدها العلني لموقفها ، الذي جاء نتيجة ضغط العناصر اليسارية في الجبهة . فان ذلك لا يعفيها في حقيقة الأمر من ممارسات خاطئة أملتها عليها الأفكار البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة السائدة في قطاع تنظيمها . تقول الجبهة :

« وهكذا ، وبالوقائع الملموسة تحول الشعار الديماغوجي « عدم التدخل بالأوضاع العربية » الذي طرحه اليمين الرجعي الفلسطيني وانساقت وراءه كل فصائل حركة المقاومة .. تحوّل موضوعياً وعملياً « الى عدم التدخل بالشؤون الفلسطينية » . ان الجبهة الشعبية تقف علناً لتدين « هذا الشعار بالمضامين التي مورس بها طيلة الخمسةعشر شهراً الماضية » ، وهي بهذا تدين وتنقد علناً خطأ ممارستها لهذا الشعار وتحذر كافة الفصائل الوطنية الشريفة من حركة المقاومة من خطر الانسياق وراء مثل هذه الشعارات الديماغوجية على القضية الفلسطينية في المرحلة الراهنة »– كما جاء في التقرير السياسي الذي أذاعته الجبهة الشعبية مؤخراً والذي كان يعكس تحليل الجناح اليساري – الماركسي – اللينيني – في الجبهة . (١) » (مع شرح في الهامش : « الذي انشق فيما بعد وشكل الجبهة الشعبية الديمقراطية » ...) » .

– من المؤسف أن نقد الجبهة الشعبية التي « انشقّ عنها الجناح الماركسي – اللينيني وشكّل فيما بعد الجبهة الشعبية الديمقراطية » قد « سلِق » على هذا النحو : « أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد مارست أيضاً نفس السياسة ، ... نقدها العلني لموقفها... لا يعفيها **في حقيقة الأمر** من ممارسات خاطئة أملتها عليها الأفكار البرجوازية الخ » . ثم فحوى النقد العلني الذاتي الذي جاء نتيجة ضغط **العناصر اليسارية في الجبهة** ، ومضمونه نبذ وفضح شعار « عدم التدخل بالأوضاع العربية » ، « الشعارات الديماغوجية » . هذا « كلّه » ـ رغم امتداده الكلامي على ١٨ سطراً ـ ليس كثيراً . « في حقيقة الأمر » ، « الأفكار البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة » ، « ضغط

العناصر اليسارية » ، « اليمين الرجعي الفلسطيني » ، « الديماغوجية » ، هذا كله (تستطيعون أن تضعوا خمس علامات تشديد على كل كلمة منه) لا يدفعنا إلى الأمام . هذا كله كنّا نعلمه : لها نفس الممارسات ، فيها عناصر « يسارية » ضغطت • انشقّت ، أذاعت ، جناح يساري ماركسي لينيني . هذا كان معلوماً ، سواء كان شيئاً أو لفظاً .

ليس كثيراً . آتياً من منظمة جديدة **انشقت** عن المنظمة الأم ، بصدد نقد المنظمة الأم ، ليس كثيراً . ليس تصفية حساب . ليس تسويغاً للعملية . ليس تبريراً للمنظمة البنت التي أزاحت عنها وصاية الأم ، بعد أن فرضت على الأم نقداً ذاتياً أذاعته الأم وهو يعكس فكر البنت . بتعبير آخر : لماذا ؟ « لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ؟»؟ لماذا « الجبهة الشعبية الديمقراطية »؟ هل تعلمون ؟ من أجل « تبنّي الماركسية – اللينينية » تطبيلاً وتزميراً ؟ المنظمة الأم تبنّت وطبّلت وزمّرت .

وفي حشد طبولها وزمورها الإجمالي ، نسمع ، نتميّز صوتَ كانٍ ناشز وقوي ، يتحدث عن « يسارية » الذين ضغطوا « يسارياً » ، يفضح ما يعتبره كذبهم المطلق . فلنسمع كانَ الأم :

« انزلقَ هذا الفريق [« فريق مجلة الحرية المنشق »] في الأشهر الأخيرة نحو نقيض مواقفه السابقة ، إذ أصبح يُدين ، مجرد اللقاء مع عبد الناصر ، مع أنه هو الذي قال بعد هزيمة حزيران : بأن عبد الناصر

« هو المعلم والقائد العظيم ، وأن قيادته ، تمثل إرادة الثورة الصلبة الكامنة ، لدى ملايين العرب ، والمتفجرة عبر نضالهم » وأنها لا « تنطق بلسان العرب وحدهم ، بل بلسان كل شعوب العالم الثالث » وان « للعرب في هذا الجيل ، وعلى مرّ الأجيال المقبلة ، أن يتعلقوا بقيادة عبد الناصر ، ويفردوا لها مكان الصدارة في تاريخهم » .

وفي مثل الظروف الدقيقة الراهنة ، التي تمر فيها الأمة العربية وقواها الوطنية التقدمية ، التي تواجه اسرائيل والامبريالية ، استغلّ انفراده ، بمجلة

الحرية وراح يدعو إلى « ... الثورة الثانية للاطاحة بنظـام الجمهورية العربية المتحـدة الذي يقوده عبد الناصر » دون الرجوع إلى الحركة ... » (حركة القوميين العرب : رد على فريق مجلة الحرية المنشق ، صادر عن أعمال اللجنة التنفيذية للحركة ، آذار ١٩٦٩ . ص ١٢) .

« ٣ - تمثّل ردّ الشعب العربي الفلسطيني ، على هزيمـة ٥ حزيران ، بحمل السلاح ، وتحدي العدوان الصهيوني ، بمختلف أشكال النضال الثوري ، ابتداء من المظاهرات والاضرابات ووصولاً إلى المقاومة المسلحة . وفي وقت كان فيه تصاعد حركة الكفاح الفلسطيني المسلحة يثير انتبـــاه واهتمام القوى التقدمية في مختلف أرجاء العالم ، في ذلك الوقت كان قادة هذا الفريق يلقون المحاضرات في الجامعة الاميركية ، داعـين لوجود الحزب أوّلاً ، ويذرفون الدموع على المنازل المنسوفة وعلى الضحايا ، التي تهدر بسبب المقاومة المسلحة ومن جرائها ، وقد اتخذت - في حينه - اذاعـةُ « اسرائيل » من مقالات « الحرية » ، مادة ، للتشويش والتشكيك ، بجدوى العمل الفدائي الفلسطيني المسلح وفائدته ...! » (المرجع نفسه ، ص ١٤) .

ويقول « الجناح اليساري » انه هو الذي « رفض اعتبار نكسة حزيران مجرد صدفة عسكرية » وأكّد ضرورة « البحث عن أسبابها وجذورها في طبيعة التكوين الطبقي والايديولوجي لحركة التحرر الوطني العربية التي خاضت حرب ٥ حزيران وحصدت الهزيمة فيها » . على هذا « الادعاء » ترد المنظمة الأم (حركة القوميين العرب - الجبهة الشعبية) :

« كيف يؤكد صحة ادعائه هذا ، مع انـه هو القائل : « بأن نتائج ٥ حزيران ليست هزيمة وانهـــا مجرد نكسة عسكرية » وهو الذي كان يوجّه نداءاته إلى الأنظمة الوطنية ، داعياً إياهـا للقيام بتعبئة سياسية وعسكرية واقتصادية شاملة ، استكمالاً لبطولاتها التاريخية ، التي سجلتهـا في حرب ٥ حزيران . وهو القائل أيضاً : « ... إذا كنّا نقول الآن وبرغـــم أجواء النكسة ، وما ولدته من مرارة : (كلا لم ينهزم العرب) فإن هذا الذي

نقوله ... إنما يصدر فعلاً عن رؤيا موضوعية هادئة لحقيقة هذه المعركة ، التي مضت جولتها الأولى وما نزال نعيش الآن في صميم جولتها الثانية» مما أضحك الجماهير وأحرج أعضاء الحركة ، الذين تجرعوا مرارة الهزيمة وعاشوا قسوتها ، وبعد أن كان يطرح شعار « الوحدة الوطنية السليمة »بين الجبهة القومية وبين جبهة مكاوي – الاصنج – الفضلي وكان يبرر موقفه هذا على أنه انسجام مع ظروف المنطقة وتطلُّعات الجماهير فيها ، وبعد أن كان يشنّ حملة تشكيك بجدوى الكفاح الفلسطيني المسلح في وقت كان فيـــه أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، يمارسونه ... بعد كل ذلك كيف يجوز أن تزيّف الوقـائع وتقلب الحقائق المعروفة من قبل أعضاء الحركة وجماهيرها رأساً على عقب ؟ » (المرجع نفسه ، ص ٥٣ – ٥٤) .

وفي الصفحة ٦ و ٧ من هذا الردّ، إشارات أخرى لبعض ما ورد في مجلة الحرية (عناوينهـــا ومقالاتها) عقب النكسة من أقوال « يمينية » : « إن الدخول في الحرب لم يكن خطأ وان نتائجها لم تكن هزيمة »،« كلا لم يخطىء عبد الناصر ولم ينهزم العرب » ، « ومن هنـا يصبح المواطن العربي مطالباً بممارسة أقصى التنبُّه والحـذر كي لا يتمكّن العدو الاستعماري الصهيوني من تشويه عقله وتحويل البطولة التاريخية التي مارستها قيادات الثورة حيث قبلت تحدّي المعركة » .

وتذكر المنظمة الأم في ردّهـــا (ص ٦) ان اجتماع اللجنة التنفيذية للحركة المنعقد في تموز ١٩٦٧ قد صحّح جوانب الخطأ في تلك المقالات الأولى. لا شك ان فريق مجلة الحرية – منظمة الاشتراكيين اللبنانيين – ابراهيم ، كشلي ، حواتمه الخ – الجناح « اليساري » – « الماركسي اللينيني » الخ قد اختلط في عقله الصوابُ والخطأ عقب نكسة حزيران ومباشرة قبلها، وقبلها بكثير . ولا ريب أن الخطأ ركب الصواب نهائياً فيما بعد . ولا ريب أن ادّعاء الجماعة – المنظمـة – البنت ألقابَ السبق اليساري ادعاء واهٍ . ولا ريب أن رد المنظمة الأم على صواب في لقطاته الأساسية على الخصم ، بل

أحياناً في خطه (« الماركسي – اللينيني » هو أيضاً !!) بقدر ما لا يخضع للابتزاز « اليساري » .

ولنذكر ان بين المنظمة الأم (بين الجبهة الشعبية الحالية) أناس أكثر « يسارية » ماركسوية ثوروية من الخصم « اليساري ». تلك هي مثـــلاً حال هاشم علي محسن ، القائد النقابي العراقي ، الذي اتخذ (بعد سلسلة طويلة من الأسماء تبدأ من خالد بكداش وعزيز الحاج واكرم الحوراني لتصل إلى عنده ، على جسر ارتقاء فكري – نظري هائل – من الطريق الرأسمالي الوطني البالغ اليمينية وصولاً إلى أقصى «اليسار الغيفاري» (!) المناهض للبرجوازية الصغيرة أيضاً) اتخذ الآن من مناهضة الناصرية والسخرية ازاء الثورة الوحدوية – الاشتراكية معياراً للتقدمية والثورية واليسارية ، بعد أن كان قد « وحّد» الطبقة العاملة العربية وراء هذه الثورة ورائدها (وفي مجلة الحرية ذاتها ، العدد ٢٧١ ، ٢ آب ١٩٦٥ ، ص ١٠ : تصريح هاشم علي محسن : نجحنا في تحقيق وحدة الطبقة العاملة حول الاتجـاه الاشتراكي الوحدوي . عفاريم ! ولكن حذار: لن تحقق وحدة الطبقة العاملة حول الاتجاه اللاوحدوي واللااشتراكي. حتى إذا حققت الوحدة مع السلسلة الطويلة كلهـا) . بالطبع ، إن في هذا الأمر مسألةَ سيكولوجيا شخصية ولكن بما أنها سيكولوجيا شخصية لألوف المفكرين والعاملين فهي مسألة سيكولوجيا اجتماعية . والارتقاء الفكري – النظري الذي ذكرناه آنفاً يلازم ويصنع تدهوراً مادياً – عربياً كبيراً .

من المؤسف فعـــلاً أن الجبهة الشعبية الديمقراطية قد اكتفت في نقدها للجبهة الشعبية بعموميات لفظيـة محدودة ومتكررة ، تحصر ألقـاب النبل « اليساري » في ذاتها . هذا ليس مساهمة في كتابـة تاريخ الانشقاق . ولا ريب ان رد المنظمة الأم ، وان كان يكشف تزييفاً حصل فعلاً وواضحاً بحد ذاته ، إلا أنه لا يحل كل مشكلات تاريخ العقل وتطوراته في تلك الآونـــة الممتـدة بين نكسة حزيران و « تصحيحة » تموز الفكرية (وبعدها) . ومن الممكن أن لا تكون المجموعة « اليسارية » القيادية كلها (ابراهيم – كشلي ،

حواتمه ــ ورفاقهم) مسؤولة بالمشاركة وبشكل موحّد عن الهفوات «اليمينية» (وبالأصح الشطحات المثالية المتفائلة) لحزيران تموز ١٩٦٧ . لعل محسن ابراهيم (وبعض المقالات تحمل توقيعه ، وهي في نظرنا تحوي كثيراً من الصواب، مختلطاً مع الخطأ المثالي) كان « يمينياً » ونايف حواتمه كان «يسارياً»، ولكن العكس أيضاً ممكن. من يدري ؟ إن تطورات العقل تحصل بقفزات، بتغيرات « نوعية » مفاجئة[1] ، وعند اللزوم بدون تمهيد في ميدان الكمّ والدرجة .

غير أن كتابات حزيران وتموز ١٩٦٧ (**وبعض** الكتابات اللاحقة) ليست بالحقيقة سوى امتداد لخط سابق ، سابق للنكسة ، خط « يساري » من نوع آخر ، خط التفاؤل الحربي ، خط التحرير وحرب التحرير الشعبية . رغم ان هذه الحرب الشعبية الأولى السابقة قد لا تكون دائماً طويلة الأمد ، ورغم مساندة « الحرية » لحركة التحرر الوطني « البرجوازية ــ الصغيرة » ولأنظمتها المتقدمة ، يمكن القول ان الفرق بين الموقفين المتضادين ليس كبيراً .

حين يسمّي« الاشتراكيون اللبنانيون » الحاليون أنفسهم« الفريق الماركسي اللبنيني **الخارج من** حركة القوميين العرب » ، فهذا يشهد على تواضعهم . غير أن التواضع ليس في مكانه . « الاشتراكيون اللبنانيون ، الجبهة الشعبية الديمقراطية »الخ (= محسن ابراهيم ، محمد كشلي ، نايف حواتمه، بلال حسن) ليسوا فريقاً خارجاً من ، بل هم « حركةُ القوميين العرب »، قيادتُها الفكرية الوحيدة أو الوحيدة تقريباً على النطاق القومي،وخصوصاً اللبناني والفلسطيني، أصحاب مجلة الحركة ، لسان حالها ، هيئتها المركزية **الأولى** (في عرف المؤتمر التأسيسي لحزب الايسكرا ، ١٩٠٣[2]) . نأسف لكوننا لا نملك مجموعة

---

(١) بمراجعات نقدية صارمة ، ووقفات نقدية دائمة .

(٢) مؤتمر حزب العمال الماركسي الروسي ، في ١٩٠٣ ، انتخب هيئة مركزية أولى هي هيئة تحرير الجريدة(الايسكرا) وتضم الثلاثة الكبار : لينين ، مارتوف ، بليخانوف، =

« الحرية » عن سنوات ١٩٦٥ — ١٩٦٧ (أو بعدها) . غير أن العدد القليل الذي في حوزتنا يسمح لنا بأن نقدّم للرفاق الجردة التالية لما لدينا. عسى أن يكون ذلك كافياً لإعطاء صورة أولية . نذكر العناوين الكبرى والأفكار .

العدد ٢٧١ ، ١٨ / ١٠ / ١٩٦٥ : ص ١٠ : تصريح هاشم علي محسن [ذكرناه سابقاً] .

العدد ٢٨٢ ، ١٨ / ١ / ١٩٦٦ : دفاعاً عن بن بيلا .

العدد ٣١٧ ، ١٧ / ٦ / ١٩٦٦ : الغلاف : « قبل ٣ أشهر من لقاء القمة الموعود في الجزائر ، هذا المؤتمر يجب أن لا ينعقد » ، مقال طويل « ضد اللقاء مع الرجعية » ...

العدد ٣٢١ ، ٢٥ / ٧ / ١٩٦٦ : متى يعود فؤاد شهاب إلى الحكم ؟ قصة المؤامرة التي كشفتها دمشق (صورة معروف الدواليبي ، والملك حسين) . في ذكرى ٢٣ يوليو : قيادة عبد الناصر وتطور الثورة المستمرة .

العدد ٣٢٦ ، ٢٩ / ٨ / ١٩٦٦ : عنوان الغلاف وبيان في ص ٤ و ٥ : حقيقة الأزمة في الاتحاد الاشتراكي السوري . خاتمة البيان : هذه الجهات اليمينية والوسطية « فصلت نفسها بنفسها » من الاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا. [بتعبير آخر وبشكل **واضح**: نحن اليساريين نحن الاتحادُ الاشتراكي العربي في « الاقليم » السوري ، نحن ممثلو عبد الناصر ، نحن الناصريون . بالطبع منذ ذلك الحين ، كان محسن ابراهيم على الأقل ، يعرف أن « الرياح » بدّلت وجهتها : الظاهر غير الباطن . بعد قليل ، الباطن سيُكَيَّف مع الظاهر] .

= وهيئة مركزية ثانية هي اللجنة المركزية ، ضمت ثلاثة أقل شأناً بكثير . فيما بعد تغيرت القواعد التنظيمية ، أصبحت هناك هيئة قيادة واحدة هي اللجنة المركزية ، وهيئة تحرير الجريدة خاضعة لها وجزء منها . بالطبع في « حركة القوميين العرب » ، الجريدة لم تكن خاضعة ولا جزءاً .

العدد ٣٢٧ ، ٥ / ٩ / ١٩٦٦ على الغلاف : صورة رئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي والعنوان : سوريا بين منطق الدفـاع وشعارات الهجوم . المقال : سوريا : حرب التحرير الشعبية ، مصر: حرب وقائية . الخ. « العمل الفدائي يشيع الرعب في اسرائيل » . على الغلاف : صورة أحمد الشقيري : الشقيري يتحدث للحرية عن : **المنظمة وحرب التحرير الشعبية** . الشقيري مع حرب التحرير الشعبية ، كان دائمـــاً معها ، طالب بها ، والآن يعودون إليها (الحكومات) ، ومع سوريا ، أفكارنا متقاربة بصدد هذه الحرب .

العدد ٣٢٩ ، ١٩ / ٩ / ١٩٦٦ : يقدم حلولاً لسوريا « قبل أن تغرق في بحر التآمر الرجعي » [بعد محاولة حاطوم] . عن الجزائر : الشهادات : رقم ٦ ، منظمة المقاومة الشعبية ضد بومدين. (شهادات مسلسلة على حلقات).

العدد ٣٣١ ، ٣ / ١٠ / ١٩٦٦ على الغلاف : خطوات هامة لمجابهة المؤامرة على سوريا . وصورة عبد الناصر يخطب في تانزانيا .

العدد ٣٣٣ ، ١٧ / ١٠ / ١٩٦٦ على الغلاف : احتمالات الخطر على الحدود السورية – الاسرائيلية. في الصفحة ٤ ، صورة رئيس الوزراء الدكتور يوسف زعين وصورة المشير عبد الحكيم عامر . صورة ابا ايبان وتحتها: « هل يسعى لقوات دوليـة ؟ » (على حدود سوريا واسرائيل) . تواطؤ اردني . الرد السوري : تصريح زعين : « ان سوريا ستجعل من أي تحرك اسرائيلي ضدها مقبرة نهائية لاسرائيل » .

العدد ٣٣٤ ، ٢٤ / ١٠ / ١٩٦٦ : من وثيقة « ستنتصر الثورة الاشتراكية في الجزائر » ، صورة بشير الحاج علي ، « أحد قادة المقاومة الشعبية » [لقد تغير الموقف من الوضع الجزائري مرة ً وثانية وثالثة فيما بعد. الموقف «الثوري» ، المشرقي وحول فلسطين – « التحرير » – هو إذن قديم ، أقدم من أول تغير في الموقف من أوضاع الجزائر . ولعل هذا التغير الأول ناجم عن هذا الثبات المشرقي « التحريري »]

العدد ٣٣٥ ، ٣١ / ١٠ / ٦٦ : تجديد معسكر الحياد وجولة مع أفكار

سيكوتوري . [الموقف الثوروي المشرقي« التحريري » «أستراتيجية » عريقة وثابتة ، اتفقت في حينها مع أفكار الحياد الايجابي ، ثم مع تجديد المعسكر المذكور ، ثم مع أقصى اليسار الذي لا يقبـــل بغير الثورة « الفيتنامية — الكوبية »] .

العدد ٣٣٦ ، ٧ / ١١ / ٦٦ : ص ٣ : « التنسيق السياسي والعسكري بين القاهرة ودمشق . اتفاقية الدفاع المشترك : معانيها ونتائجها »[كبيرة].

العدد ٣٣٧ ، ٦٦/١١/١٤ : ص ٤ و٥ : بعد تحرك القـاهرة ودمشق ، السعودية تتراجع نحو مناطق الأمـــان ... صورة عبد الناصر وصورة يوسف زعين .

العدد ٣٣٨، ١٩٦٦/١١/٢١ « الشقيري يتحدث للحرية عن منظمة التحرير والعمل الفدائي » : كفاح مسلح ، تحرير ، عمل ثوري ، حرب شعبية .[إذا أضفنا هنا وهناك بعض الصيغ الماركسوية ، حصلنا على شيء « **أفضل** » من « ستراتيجية » كتاب « العفوية والنظرية »] .

العدد ٣٣٩ ، ١٩٦٦/١١/٢٨ : عبد الناصر ، على الغلاف وفي الداخل : « صراحة مطلقة في تقييم المرحلة الثورية الراهنة ووضوح كامل في تحديـــد واجبات العمل الوطني » .

نأسف لكوننا لا نملك عدداً واحداً عن الفترة الممتـدة بعد ذلك التاريخ وحتى تموز ١٩٦٧ . الحرب — الهزيمة وقعت في ٥ — ١٠ حزيران ١٩٦٧ .

العدد ٣٧٠ ، ١٧ تموز ١٩٦٧ : على الغلاف صورة الرؤساء الأربعـــة : أتاسي ، ناصر ، عارف ، بومدين ، في القاهرة . « الجمـــاهير العربية تنتظر مقررات حاسمة من لقاء القـاهرة ... الخطوة الأولى : وحدة عسكرية » . [**هذا** صح مع التعديل المناسب : **الجماهير** « تريد » **وتشك** ...] ص ٤ : بومدين ، صورة وجه ينبض بالحزم : « هذا الموقف الجزائري الرائع والشجاع والصلب » . [الموقف من حكومة الجزائر تغير عدة مرات . أولاً : عداء، « دفاعاً عن بن بلا » ، منظمة المقاومـة الشعبية ، الخ ... ثم : تغيّر هذا

الموقف ، اعتماداً على معيار الموقف من حرب التحرير في فلسطين – بن بلا لم يكن « متحمّساً » – ثم جاءت نكسة حزيران واستمر الموقف نفسه : حزم ، الجزائر لم توقّف إطلاق النار . وأخيراً من جديد : عداء . الحاصل ، الجمع التركيبي synthèse : مع اليسار الجزائري ضد بومدين ، مع بومدّين ضد المتحدة] .

من هذه الجردة الجزئية (وأعداد عشية حرب حزيران ليست في يدنا[1]) نخلص إلى ما يلي :

١ . مهما كان من أمر الخلاف بين الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية ، فإن هذه الأخيرة تتجاوز على الحقيقة حين تمنح نفسها ألقاب السبق « اليساري » . وبالطبع ، لسنا نحن من أنصار هذا « اليساري » كله .

٢ . إن صاحب كتاب « العفوية والنظرية » **هرب** من الموضوع . أطال الردّ (!) على فتح وعلى منظمة التحرير « البرجوازية » ، وهرب من الرد على رفاق الأمس ، تهرّب من تسويغ الانشقاق . كونه يحب كلمة انشقاق ويقول عن نفسه « الفريق الذي **انشق** فيما بعد وشكل الجبهة الشعبية الديمقراطية » يعزّز خطأه في الهروب . على « **المنشقّ** » أن يبرر انشقاقه .

٣ . ان سياسة مجلة الحرية في أواخر ١٩٦٦ (وقطعاً في أوائل ١٩٦٧ حتى نكسة ٥ حزيران) كانت الدفع إلى الحرب . استناداً على ذاتية المنهج « الاقتصادي » وعلى « مثالية » الشباب . مع أن أصحاب الحرية كانوا قد « اكتشفوا » مقولة « البرجوازية الصغيرة » الشريرة قبل النكسة بكثير . ومهما يكن من أمر هذه النقطة الأخيرة ، وإذا كانت اليسارية الطفولية حديثة بعض الشيء في مضمار « الطبقات » و « المقولات الاجتماعية » ، فإن اليسارية الصبيانية في المضمار الحربي التحريري الشعبي عريقة ، سابقة « للتحول » « الاجتماعي » المذكور .

---

(١) وسننقل أي عدد سنحصل عليه من تلك الفترة .

٤ . لقد تجنبت الجبهة الشعبية الديمقراطية في كتابها « العفوية والنظرية » وفي كتابيها اللاحقين دراسة تجربـــة الحرب ومقدماتها القريبة والبعيدة. ولا ندري في نهاية الحساب (حساب الألفاظ ، والشعارات ، و « التحليلات الاجتماعية ») ما إذا كانت الجبهة تدين حرب حزيران أو هزيـة حزيران ، ما إذا كانت تدين حرب حزيران لأنها لم تكن « شعبية » بل كانت نظامية ، أم تدينها كحرب ، كحرب كان يجب أن لا يركض « العرب » إليهـا بدفع من جهات عديدة (بينها « الحرية ») وهم يتصورون أنهم هم الذين وقّتوها وأنهم سينتصرون ، بينما في الواقع جونسون ـ اشكول ـ المخابرات المركزية ـ دايان هم الذين وقتوها وحددوا نتائجها ومدتها أيضاً [١] . السكوت عن هذا الموضوع من أساسه في مضمار «النظرية» قد فرضته المثالية الجديدة «اليسارية»(!) ، امتداد السابقة « اليسارية » (!) هي أيضاً ! اللعب نفسه يتواصل .

لعل جواب الرفـاق : كان يجب أن تكون حرب حزيران حرب تحرير شعبية ، غير نظامية . وجوابنا : كيف ؟؟ تحلّ الأنظمةُ المتقدمـة (التي مدحتموها بهذا الشكل قبل النكسة ، قبل أن تجدّدوا « يساريتكم » في الحدود المبينة آنفاً) جيوشَها النظامية، ويهجم الشعبُ المسلَّح على « قوات قمع الرأسمالية اليهودية » ؟ أم على « قوات قمع الرأسماليـــة الأميركية » ؟ ولكن ، إذا ظلت هذه القوات القمعية قابعـة في سفن الأسطول السادس ، على بعد خمسين كيلومتراً كيف تصل الجماهير المسلّحة إليها ؟ على متن بوارج نظامية أم سفن شعبية ؟ ذلك ـ خذوا الأمر في حسابكم ـ لأن قوات القمع المذكورة قد لا تجد لزوماً للنزول (ما دام الوضع المادّي والفكري هكذا !).

ولعل جواب الرفاق : نحن كشفنا (الآن، بعد النكسة) حقيقة الأنظمة

---

(١) ثلاثة تقارير وُضعت على طاولة جونسون في أواخر أيار ١٩٦٧ . من المخابرات المركزية ، من البنتاغون ، من هيئة ثالثة ، تقدر المدة التي ستحقق فيهـا اسرائيل أهدافها بستة أيام أو يومين أو خمسة عشر يوماً . هذا ما كتبته لوموند (العدد ليس في حوزتي) . إذا كان هناك اعتراض ، فإننا سنبحث وسنجد أكثر من مرجع بهذا الشأن .

المتقدمة ، عجزها، رذالتها ، عمالتها الخ . وليس مطلوباً منا أن نشرّع لها . على الجماهير المسلحة أن « تنتفض » وأن تغير « أوضاعها البائسة »، أن تقلب هذه الأنظمة ، ذلك شرط لتحرير فلسطين وإقامة فلسطين الديمقراطية العربية – اليهودية والوحدة العربية « السوفياتية » « الصينية » . جوابنا : لا مانع لدينا، ولكن من فضلكم، قبل هذا الهرج الدرامي الواقعي في الساحة العربية ، دعوا ماتزبن تقلب « الرأسمالية اليهودية » ، (بمساعدتكم العربية) ثم سنفعل ما تشاؤون . قبل ذلك : حذار !

لقد أغلقت الجبهة الشعبية الديمقراطية موضوع رفاق الأمس – خصوم اليوم . لم تقل ان الكويت والسعودية تغدق عليهم الأموال . ولقد جرى ماء كثير تحت الصخر في الأشهر القليلة اللاحقة . الجبهة الشعبية الديمقراطية – « أقصى يسار » العمل الفدائي والمقاومة – انضمت إلى قيادة الكفاح المسلح إلى جانب « اليمين القومي – الديني – العفوي » « الذي تغدق عليه الكويت والسعودية الأموال » (فتح) و « اليمين البرجوازي » العادي (منظمة التحرير) و« شلة المليونيرية ». بينما بقيت « الجبهة الشعبية » خارج هذه القيادة . بالطبع إن وحدة العمل الفدائي ، ووحدة المقاومة الفلسطينية بكل أشكالها ، والوحدة العربية ، مبادىء لا مستقبلَ ولا حياة للعمل الفدائي والمقاومة الفلسطينية والأمة العربية بدونها . ولكن حين « تتوحد » الجبهة الشعبية الديمقراطية مع « اليمين » و « اليمين » و « أقصى اليمين » بهذا الشكل، فإننا نتساءل عن صلاح « المنطلقات »، عن قيمة هذه الصفحات من كتاب « العفوية والنظرية » . هل كان واضع « النظرية » يتوقع هذه المسيرة التوحيدية ؟ من يدري !

لنستمع إلى الباقي (ص ١٠٤ – ١٠٥) :

« إن تحالف غالبية قوى المقاومة الفلسطينية مع الأنظمة العربية القائمة هو تحالف يساهم في طمس الحركة الاجتماعية العربية ، » .

– مرة أخرى : لسنا في مصـــانع بطرسبرج وموسكو ...، في مدن وأرياف جنوبي روسيا في فترة ١٨٩٤ – ١٩٠٣ . الحركة التاريخية الموضوعية الأهم في « منطقتنا » هي الحركة القومية . الحركة الاجتماعيـة تأتي في الدرجة **الثانية** ، من حيث الوزن الموضوعي ، التاريخي ، الشعبي ، الجماهيري . وحدة ١٩٥٨ حملت إلى سوريا الاصلاح الزراعي الأول وقانون العلاقات الزراعية الأول ... وهذه الحركة القومية لأنها مناهضة للامبريالية هي ذات مضمون اجتماعي عالمي ومحلي . المعركة القومية نفسها تحمل معها تحولات وانفجارات اجتماعية جديدة على امتداد الساحة العربية (ضد الرجعية ، ضد الاقطاعية ، ملوك وشيوخ البترول ...).

« ، وهو تحالف يضمن الهزيمة لقوى المقاومة الفلسطينية .. ذلك أن الأنظمة القائمة يهمها أن تظهر أمام الجماهير بظهر « كلنا فدائيون » ، »

– النظام المتقدم – المتراجع (مصر) أقل من غيره ، ربما أقل من جميع الأنظمة المتقدمة والمتخلفة التي تشغلكم وتشغلنا .

« لكن مع احتدام الصراع تتكشف تناقضاته الأساسية ، ومـــع تهديد مصالح الأنظمة القائمـــة – وهي مصالح مرتبطة بمصالح الامبريالية العالمية وخاصة الولايات المتحدة الاميركية – »

– نأخذ علماً « مصالح الأنظمة القائمة (أي المتقدمة والمتخلفة) مرتبطة بمصالح الامبريالية العالميـــة وخاصة الولايات المتحدة الاميركية [١] – » . وبالتالي نفهم الجمـلة التي وردت في الصفحة ٩٦ « وكان من الطبيعي أن يساند الاستعمار الاميركي كل تحرك مضاد للثورة في الوطن العربي » فهمـــاً جديداً : الثورة هي الجبهـة الشعبية الديمقراطية ، حتى قبـل ظهورها . ونسقط نهائيـاً التمييز بين متقدمة ومتخلفة داخل مقولة الأنظمة العربية

---

(١) من الصعب في كتاب الجبهـــة ، أن نأكل « الولايات المتحدة » « حاف » . يجب أن يضاف دائماً : « ... الاميركية » . حتى لا يختلط الأمر مع « الولايات المتحدة البرازيلية » .

القائمة . (نهائياً ، إلا إذا قال لنـــا صاحب النظرية مرة أخرى : ميزوا . وأمرنا لله ، لأن لا غيفـارا ولا لينين ولا جياب ولا دوبريه يمكن أن يعيننا) .

« – ستجد منظمات المقاومة الفلسطينية نفسها دون سند مادي ، وهي المعتمدة الآن على مساندة الأنظمة القائمة . وأهم من ذلك فان « أصدقاء » اليوم سيصبحون فجأة في جبهة مناهضة للحركة الفدائية الفلسطينية وهي جبهة تساهم الحركة الفدائية الفلسطينية في ايجادها دون الاستعداد الفعلي لها » .

وهذه الخاتمـة صحيحة وخطيرة . العموميات ، الألفـــاظ ، تشابه بل تماثل ووحدة الشعارات ، « الادراك الاجمالي » ، الحماس ، الانفعـال ، عدم التأني في الفكر والعمل والكتابة والقراءة ، **ذلك هو المنـــاخ الأمثل للدَّوْبَلـَة** . قلوبنـــا معكم . ليت عقولكم معنا . و « الأصدقاء » الخطرون قد لا يكونون عرباً . قد يأتونكم من وراء وراء بحـار الثورات والبؤر النائيـة . والدَوْبَلات تحصل بشكل موضوعي أيضاً ، أي بدون سوء النية ، على أساس المناخ **الموضوعي** الأمثل . والدوبلات يمكن أن تكون سلسلة حلقات . الأمر لا يتوقف على « الجواسيس » و « العملاء » ، فقط ولا بالدرجـــة الأولى . الأمر يتوقف على الوعي ، على **الخطوط** . اقرؤوا مـا كتبناه لـكم ولسواكم في « نظرية الحزب عند لينين » حول موضوع **الخطوط** ، مع تمييزنا للتفسير البوليسي والتفسير المادي للتاريخ . التفسير البوليسي للتاريخ (بعملاء وجواسيس العدو ، بهؤلاء « الأبطـال » من نوع آخر ، الأبطال « الشريرين ») تفسير مثـــالي لا يرى القوانين الموضوعيـة والجماهير والوعي والامكانيات وموضوع الخطوط وإمكانية استخدام الخطوط من قِبـل العدو ، (وبالتالي ، وفي نهاية الحساب يعجز أيضاً عن فهم الدور الممكن والحقيقي **لعملاء** العدو) . ولا شيء في عصرنا وفي وطننـــا يمكن على صعيد الفهم والمعرفة أن يسند هذا المناخ الفاسد – العموميات ، الألفـاظ ، الخ – كما يمكن أن يسنده المنهج « الاقتصادي »

المتعارض مع الماركسية اللينينية . اخوانكم الماركسيون – اللينينيون العرب الحقيقيون بذلوا ويبذلون جهدهم للخلاص نهائياً من مناخ العموميات والشعارات المتماثلة (التي تغطي ما هبّ ودبّ من المضامين) ، من منهج التقارب والتباعد على أساس « الماركسية » (اللافتة !) ، من هوَس التنظيم ، هوس العمل – العمل ، وكره الفراغ وملء الفراغ بالحماقات ، يتمسكون بمبدأ الحزب **التاريخي** وبالواقع الموضوعي والحركة الموضوعية ، بمبدأ الحزب – الوعي ضد مبدأ الحزب – « التنظيم » (!) ، (في المرحلة التاريخية الحاضرة ، ومهمة التنظيم **خادمة** مهمة الوعي) ، ومن أجل الوعي : مجابهة الجميع ، جميع حاملي اللافتة الماركسية (وحاملي **بعض** أفكارها) ، مجابهة تفصيلية .



١١
"حول الوحدة الوطنية الفلسطينية"
"وتنظيم الملايين من أفراد الشعب الشغيل"

هذه الفقرة « **حول الوحدة الوطنية الفلسطينية** » (ص ١٠٥ — ١١٤) هي الفقرة الأخيرة من فصل « طريقان للحركة الثورية الفلسطينية » ومن الكتاب .

يلاحظ المؤلف « ان التاريخ الفلسطيني المعاصر يعلمنا درساً كبيراً من دروس الوحدة الوطنية ويظهر لنا نقطة الضعف الأساسية في أي جبهة وطنية فلسطينية يمكن أن تقوم ... » . ثم ينقل مقطعاً طويلاً من تقرير الجبهة الشعبية (الذي وضعته الجبهة تحت ضغط الجناح اليساري والذي « يعكس تحليل هذا الجناح ») وفحواه : اندلعت ثورة ١٩٣٦ ، منذ ١٩٣٥ بمبادرة « من عناصر كادحة وفقيرة » ومن أبرزها رجل دين فقير هو الشيخ عز الدين القسام الذي رفضت الاقطاعية الدينية – الحاج امين الحسيني – تعيينَه خطيباً في أحد المساجد بعد أن علمت بلون نزعاته الوطنية « واستجاب لها الفلاحون والفقراء في الريف وعمال المدن » ... ورفضت القيادات الاقطاعية الدينية والبرجوازية الكبيرة الاستجابة لنداء الثورة ، بل طالبت باعتماد

الوسائل السلمية ، « وعندما ثبتت الثورة المسلحة أقدامها فرضت بالقوة على الأحزاب الاقطاعية والبرجوازية أن تجتمع وتعلن تأييدها للثورة » . هــذه القيادات الرجعية المتخاذلة (الخ) قررت أن تجهض الثورة من الداخل ، « وكان لها ما أرادت ، فبعد ٣ سنوات من الثورة المتصلة تمكنت هـــذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار من الملوك والرؤساء العرب بانهاء الثورة » ...

« وقد وقفت هذه القيادات الاقطاعية والبرجوازية ذاتها على رأس الحركة الوطنيـة الى أن أوصلتها إلى نكبة ٤٨ » ... « وبعد نكبة فلسطين وعلى امتـداد العشرين عاماً حتى حزيران ١٩٦٧ ، أعلنت هذه القيادات انحيازها لمصالحها الطبقية والسياسية وانضوت تحت لواء الأنظمة العربية الرجعية المسؤولة عن نكبة ٤٨ ، وذاق الشعب الفلسطيني على أيدي هذه القوى الطبقية الرجعية الويلات » ...

« وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، جرت محاولات لتوحيد المنظمات الفدائية الفلسطينية ، وكان أبرزها تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني » . وهنا ينقل المؤلف مقطعاً من تقرير اللجنة التنفيذية لمنظمـة التحرير ، فحواه : ضرورة تحقيق وحدة العمل الفلسطيني في جميع المجالات ، « وضع الشعارات التي نص عليها الميثاق القومي الفلسطيني موضع التنفيذ ، وهي الوحدة الوطنية ، والتعبئة القومية ، والتحرير ، وليس من جهة أقدر على تحقيق هـــذه الشعارات من المجلس » (ص ١٠٥ — ١٠٧) .

وتعلّق الجبهة الشعبية الديمقراطية بما يلي :

« وواقع الأمر انه لم يكن من جهـــة أعجز عن تحقيق تلك الشعارات من ذلك المجلس ، وهو المجلس الوطني الذي جمع كل ممثلي الرجعيـــة الفلسطينية وعلى رأسها « شلة المليونيرية » من أصحاب البنوك وكبار المقاولين التي اشترطت أن تكون على رأس المجلس الوطني ، بينما حركة المقاومة ذراعها الأيمن والأيسر « فتح ، والجبهـــة الشعبية » . » (ص ١٠٧ - ١٠٨) .

ثم يمضي الكاتب إلى تجربة أخرى في خضم محاولات توحيد العمل الفدائي هي تجربة فتح . دعت فتح إلى مؤتمر في القاهرة « من أجل توحيـد المنظمات

الثانية التي حضرته ، في مجموعات عسكرية ثلاث هي : العاصفة ، الصاعقة ، وفرقة خالد بن الوليد » . (يذكر الكاتب أسماء هذه المنظمات الثمانية) . « ورأت منظمة التحرير في هذه الدعوة تخطياً لها » ... « كما رفضت الجبهة الشعبية حضوره بسبب ما تقول من أن الدعوة وجهت إلى ثمانية منظمات صغيرة لم يكن لها وجود حقيقي جماهيري ولا وجود جاد على أرض المعركة». (ص ١٠٨ - ١٠٩) .

ويعلق الكاتب على هذه التجارب في خضم محاولات التوحيد بقوله :

« وهكذا نرى أن الجبهة الوطنيـــة الفلسطينية كانت وما زالت تتقاذفها أهواء البورجوازية الفلسطينية تارة والاتجاهات الانتهازية تارة أخرى » (ص ١٠٩) .

ثم يقدم الحل :

« ولكننا حين نبحث عن الشكل الأفضل للوحدة الوطنية الفلسطينية القادرة على تحقيق انجازات تحررية ، علينـــا أن نعود الى واقع الشعب الفلسطيني لنبحث عن حدود سلوكها الثوري وبالتالي دورها في اطار الجبهة الوطنية . »

الأرجح أن الضمير « ها » في آخر « سلوكها » و «دورها » يعود إلى « الطبقات » المضْمرة في الضمير . لا ندري ما إذا كان المؤلف وجمهوره قد لاحظوا معَنا هذه الخطيئة اللغوية . مع أن الأمر اختبار« للادراك الاجمالي»، للأشياء المعروفة القابعة دائمـــاً في الضمير « الاقتصادي » ، في قوام ألفاظ العقل وقوالبه [1] .

إذن مرة أخرى نعود إلى الواقع الاجتماعي . ماوتسي تونغ على الباب .

« وكما يقول ماوتسي تونغ : من هم أعداؤنا ؟ ومن هم أصدقاؤنا ؟ هـــذه مسألة في الدرجة الأولى من الأهمية بالنسبة للثورة .. وعلينا ، لكي نميز بين هؤلاء وأولئك ، أن نقوم بتحليل عام للوضع الاقتصادي لمختلف الطبقات في المجتمع ... ولموقف كل منها تجاه الثورة » (ص ١٠٩ - ١١٠)

---

(١) في القراءة مثلاً ، لا يلاحظ القارىء الخطأ المطبعي الصغير، يصحّحه تلقائيـاً على أساس الاطار ، الصيغة الكلية (Gestalt)... إن نظرية العمل الفدائي - الايديولوجيا المقاومة تجمع الغشتالت والفعل المنعكس (غير الشرطي) .

« ففي الجزء السابق من هذا البحث »... الخ . لنوجز : « طبقة قليلة العدد من بقايا الاقطاع والبرجوازية العميلة تتعاون مع العدو » . « البرجوازية الوطنية » و « يقف جزء منها في صف الحركة الوطنية وجزء يتبع البرجوازية العميلة ولكنها في الحالتين على استعداد للتفاوض مع العدو ... » (هذا ليس منقولاً عن ماوتسي تونغ ، ويخالفه ، **ويبدو** كأنـه مأخوذ على الطبيعة) . « أما البرجوازية الصغيرة فرأينا أن جزءاً منهـا يتعامل مع العدو والعملاء » «ولكن غالبيتها [الحمد لله !] – وهي طبقة كبيرة العدد نسبياً [رغم هذا الكبر ، فهي + الطبقات السالفة + العمال = ٢٠٪ ، ما دام الفلاحون = ٨٠٪ !!] – في صف الحركة الوطنيـة خاصةً إذا خضعت لعملية تثقيف بمبادىء الجماهير »...« أما طبقة العمال فهي وإن كانت الطبقة الأكثر تقدماً... فهي طبقة محدودة العدد ومبعثرة بفعـل الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة ، وهذا يحدُّ من فعاليتها في الثورة الوطنية كطبقة مستقلة ، ولكن تطور الثورة الوطنية على الصعيد العالمي والمحلي يدفع هذه الطبقة وايديولوجيتها إلى وضع قيادي في حركة التحرر » . « أمـا طبقة الفلاحين فهي غالبية الشعب » ... وهي « القوة الأساسية للثورة ، مع التأكيد أن طبقـة العمال هي الأكثر تقدماً » . الخ [هذا ماوتسي تونغ أو يكاد !] . « أما تجمعات اللاجئين [نعم أخيراً ! بعد سلسلة « أما ، أما »] فقد رأينا أنها لا تشكل طبقة مميزة »[1] [الحمد لله ، نستطيع أن ننقـل ماوتسي تونغ : طبقاته وستراتيجيته وحزبه ، أو تقريباً] . (ص ١١٠ – ١١١) .

هذا كله معروف سلفاً. يستطيع أي انسان أن يكتب مثله (على الأقل!) حتى إذا كان في المريخ ، شريطة أن يكون في حوزته كراس واحد لماوتسي

---

(١) سابقاً ، في الفصل الرابع ، قرأنا أرقاماً عن « التوزيع الجغرافي » ، وتقسيماً الى لاجئين وغير لاجئين . هذا كله ماض . « الواقع الاجتماعي الفلسطيني » دخل نهائياً وبالتمام والكمال في قالب « المجتمع » الاجتماعي .

تونغ، ومقال واحد عن فلسطين(أي أن يكون سمع بقضية فلسطين ووجود **لاجئين**) وأن يكون محبّاً لليسار . وهذا مـا تقدّمونه « على الطبيعة » ، « من الميدان »، وفي مناسبة الوحدة الوطنية والرد على الآخرين؟ ليس كثيراً. لعل في الباقي أكثر !

« وهكذا نرى أنـه ، على صعيد شعب فلسطين ومقابل الجبهة المضادة للثورة المكونة من الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة والرأسمالية اليهودية وحركتهـا الصهيونية وبقايا الاقطاع والبورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة، تتشكل جبهة للثورة مكونة من العمال والفلاحين وغالبية البورجوازية الصغيرة وقطاع واسع من البورجوازية الوطنية ... ونلاحظ أن جبهة الثورة الفلسطينية في صراع عنيف الآن مع الرأسمالية اليهودية وحركتها الصهيونية، وفي صراع مع بقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة تبعاً لتكشف المواقف غير الوطنيـة لبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة ، » (ص ١١١) .

ـ هذا فعـلاً أكثر . شخصياً ، لا أستطيع مثله . « عنيف » أو غير عنيف ، الصراعُ هو مع شيء ، مع موضوع ، اسمه : اسرائيـل ، الكيان الاسرائيلي ، الدولة ، المجتمع ، الجيش الاسرائيلي ، العدوان والاحتـلال الاسرائيلي لأراض عربيـة واسعة . أسموا هذا الموضوع « الرأسمالية اليهودية وحركتها الصهيونية » مرتين في خمسة أسطر، وخمسين مرة في خمسين صفحة، هذا الموضوع لن يتغيّر . التعويذات « الاقتصادية » لا تغير الواقع المادي ، لا تحيله إلى واقع « اقتصادي » « نظري » دوغمائي ، بالعكس انهـا تعزّز الواقع المادي الموضوعي **بتضليل** الذات المتصدّية لتغييره .

ولكن التعويذات ليست إلا جانبـاً من « الاقتصادية » ، نتيجة لها . « الاقتصادية » جوهر ، ماهية ، مضمون ، منهج ، معرفة :

١ . « فلسطين » .

« فلسطين » وحدة جدلية تناقضية .

من جهة : « الجبهة المضادة للثورة » . ومن الجهة الأخرى « جبهة الثورة الفلسطينية » .

الجبهة الأولى : الامبريالية العالمية — الاميركية ، الرأسمالية ، وبقايا الاقطاع والبرجوازية [١] الخ .

الجبهة الثانية : العمال والفلاحون وغالبية البرجوازية الصغيرة ... [٢]

« عرب » و « يهود » ؟ لم أسمع أو تقريباً . الصفة اليهودية وردت كصفة لأحد جزءي الرأسمالية — البرجوازية . هناك «رأسمالية يهودية» و «برجوازية عربية » .

هذا الجوهر ، المنهج ، المضمون ، ينطبق تماماً على البرازيل أو على بوليفيا . يكفي أن نضع « برازيلية » محل يهودية وعربية (على أي حال ، الصفة « العربية » منسية) . فنقول :

البرازيل . وحدة جدلية تناقضية ... ثورة ضد ثورة مضادة .

الجبهة المضادة للثورة = امبريالية أميركية — عالمية (خارجية) ، إقطاع ، رأسمالية ، برجوازية ، هلمجرا ، برازيلية (داخلية) .

جبهة الثورة = عمال وفلاحون وغالبية .. ، هلمجرا . وإذا شئت + قوى الثورة الاشتراكية العالمية ، أو حركة التحرر الوطني العالمية ، أو الشعوب الفقيرة ، أو عمال العالم ، هلمجرا .

---

(١) الأرجح أن في النص كما نقلناه خطأ مطبعياً : لا يمكن أن تكون البرجوازية الصغيرة في الجبهة المضادة للثورة، وأن تكون غالبيتها في جبهة الثورة. وبصدد « البرجوازية الوطنية » ، القول ان قطاعاً واسعاً منها في صف الثورة يخالف منطوق الصفحة السابقة (١١٠) .

(٢) وموضوع « الحركة الفدائية — و — هذا الذي « لا تزال » الجبهة تسمّيه «العدو» — اسرائيل ، الأداة القمعية للرأسمالية اليهودية — » ، الموضوع الذي تصوّرنا بعد « الحركة الفدائية و النظام الاردني » اننا قد نجده في « طريقي الحركة الثورية الفلسطينية » أو في أحدهما ، غائب نهائياً . وسنرى في الكتابين اللاحقين انه سيبقى غائباً من « النظرية » . عجيب أمر النظرية و المنظّرين !!

وهكذا تحافظ « الماركسية » على وحدتها ، على صمودها ... على حساب المعرفة ، وعلى ظهر فلسطين بدون مزدوجين .

« ، ومع ان جبهة الثورة الفلسطينية ليست في صراع عنيف أو مباشر مـــع الامبريالية العالمية وأجهزة القمع الأميركية حتى الآن ، إلا ان احتدام الصراع في المنطقة والتهديد المتزايد لمصالح الامبريالية العالمية بقيـــادة الولايات المتحدة – وهي مصالح متزايدة في الشرق الأوسط بحكم ثرواته الدفينة – سيدفع الامبريالية العالمية ، وبشكل أخص الولايات المتحدة الأميركية » ...

– ما هي التتمة ؟ ماذا تتوقع أيها القارىء ؟ . بعد « مع أن ... ليست في صراع عنيف أو مباشر مـــع الامبريالية العالمية وأجهزة القمع الأميركية **حتى الآن** ، **إلا أن** احتدام الصراع ... » ، نتوقع : حتمية الصراع العنيف ، وشاكة التدخّل المباشر الخ .

كلا ! التتمة كما يلي :

« ... إلى مزيد من التدخل غير المباشر بشكل أسرع مما نتوقع » .

لا ريب أن القارىء غير المتأني لا يهمه هذا الأمر « اللغوي » . ولكن هذا الأمر غير - اللغوي لا يرد عفواً في اسلوب الكاتب ، ولا يمرّ دون **أثر** ثوروي في ذهن القارىء «اليساري» الجانح نحو المخططات العمومية (فيتنام= فلسطين = العـــالم) ، نحو « الإدراك الإجمالي » ، في الذاكرة الاجمالية التي تساوي الأشيـــــاء . ومن وحي الأسطر الاولى من الجملة ، من وحي ما قبل التتمة ، نعالج الأمر بما يلي :

بدلاً من « مع أن » نقول : **بما أن** ، بما أن « جبهة الثورة الفلسطينية » ليست على ما يرام ، وبما أن سطوة جيش اسرائيل على فلسطين والجوار كافية ونيف ، (بسبب هذا الجيش ومجتمعه ، وبسبب الجوار العربي و«فلسطين») ، وبما أن العقول صغيرة بقدر ما النوايا كبيرة ، لذا فإن أجهزة القمع الأميركية لا تحتاج إلى تدخل . لا بـ ٥٥٠ ألف مقاتل (كما في فيتنـــام ولا بعشرة آلاف) . تكفي الآن « أداة – قمع الرأسمالية اليهودية » . عودوا يا رفاق

إلى عناوين « الحرية » على امتداد الشهور التي سبقت الحرب – الكارثة ، واعتبروا . أوضحوا ، تمسكوا بمبدأ **الصرامة** في اللغة والمحاكمة ، وكافحوا « الادراك الاجمالي » و « الذاكرة الاجمالية » .

« وفي مثل هذا التطور الحتمي لن تجد الثورة الفلسطينية على امتداد الارض العربية « وكذلك على الصعيد العالمي » سنداً لها إلا في جبهة الثورة العربية المناهضة للامبريالية العالمية والصهيونية وبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة ، وهي جبهة العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة وقطاع من البورجوازية الوطنية بقيادة أحزاب عربية ثورية تلعب دور الطليعة الثورية للطبقات الأكثر ثورية – العمال والفلاحين .

ولكننا نجد بالمقابل قيادات من البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة الفلسطينية تدفع بالحركة الثورية الفلسطينية إلى الخضوع لتحرك الأنظمة العربية القائمة، وتثبيتها ، وهي أنظمة بقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة والبورجوازية الوطنية الفاشلة . هذه القيادات الفلسطينية « وهي بارزة في مواقع قيادية في فتح وقطاع من الجبهة الشعبية وفي قيادة منظمة التحرير » تدفع بالحركة الثورية الفلسطينية إلى الجبهة العربية المضادة للثورة ، وهي بذلك ترسي أساساً لغدر قوى الثورة المضادة في الوطن العربي بالحركة الثورية الفلسطينية التي تخوض صراعاً عنيفاً مع الرأسمالية اليهودية وقواتها القمعية – أبرز عناصر جبهة الثورة المضادة في المنطقة من حيث التحرك العنيف في هذه المرحلة » (ص ١١٢ – ١١٣) .

– الطويلة !

لقد نقلنا مرة أخرى محاكمتكم لأمور « الثورة » و « الثورة المضادة » ، واتهامكم للقيادات الأخرى التي « تدفع بالحركة الثورية الفلسطينية إلى الجبهة العربية المضادة للثورة »، والتي « بذلك ترسي أساساً لغدر ... » مع تكرار العبارات كلها . ولكننا لن نكرر تعليقنا .

« وعلى الصعيد الآخر نجد قطاعاً من الحركة الثورية الفلسطينية يمثله اتجاه يساري في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، يقارب الحقيقة في الحديث عن الجبهة الوطنية الفلسطينية إذ يقول : »

– يقارب الحقيقة ؟ بل يحضنها !

ماذا يقول؟ يقول : الوحدة الوطنية الفلسطينية ضرورة وطنية . ولكن أية وحدة وطنية ؟ الوحـــدة الوطنية التي تحقق إنجازات تحررية على طريق النصر بتعبئة الجماهير العربية وتسليحها واستنهاض هممها على طريق حركة مقاومة طويلة الأمد تعتمد على العنف . وهذه الوحدة هي وحـــدة جميع الطبقات الثورية. في حرب طويلة الأمد تعتمد على الذات لدحر أعداء التحرر الوطني من امبرياليين وعملاء[1] . (ص ١١٣) .

كيف ؟ بدون تحديد كيف ، يبقى ذلك كله عموميات ، ألفاظاً ، ثرثرة ثورية فارغة وضارة . ليس فقط « فلسطين » — مقولة « اجتماعية » (أي « اقتصادية ») بل العالم العربي كله امتداد ، توسيع ، لهذه « المقولة » . هذا ليس تاكتيكاً ولا ستراتيجية ولا نظرية . انه ينطبق بكل مفرداته على بوليفيا والبرازيل واميركا اللاتينية و « جميع البلدان المتخلفة » (التي ورد ذكرها في هـــذا المقطع نفسه الذي لخصناه ، بحذف بعض العبارات المكرورة) .

إذا كانت فتح أو سواها ترتكب خطأً (« فلسطين ») ، فإن الجبهة الشعبية الديمقراطية ترتكب خطأين (« فلسطين » و « المجتمع » العربي) . الجبهة تتصور أنها تجاوزت فتح والمنظمات الأخرى لأنها « ربطت » «فلسطين» و « المجتمع » العربي . بالحقيقة ، لم تربط شيئاً وشيء ، لأن شيئيها ما هما سوى تجريدين ، تجريدين جزئيين « تركا » ثلاثة أرباع عناصر الواقع الذي يجري تجريده وكل الارتباطات الواقعية ، وبالتالي تجريدين غير علميين ، غير واقعيين ، غير ماديين ، بل هما تجريدان مثاليان خياليان ميتافيزيان . إن المثالية الكلاسيكية ، حين كانت تجرّد مثالياً ، (وتُصوّف وتزيّف) ، كانت ، في أحد الوجوه ، تقدماً حقيقياً ، أصيلاً وفذاً ، في المعرفة الانسانية

---

(١) نقلنا المحتوى بالألفاظ نفسها مع بعض « التخفيفات » اللفظيـــة . الكاتب يتلمّظ كلماته .

والعمل الانساني . تلك ليست حال هـــذه المثالية الجديدة التي تغرق في العموميات والألفاظ ، وترفض مشكلات الواقع .

« لكن يسار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يغفل قضية أساسية هي شرط تنظيم « طبقة العمال والفلاحين الفقراء » في حزبها الطليعي ، وهو الشرط الذي يستحيل بدونه انتصارها . ذلك ان يسار الجبهـــة الشعبية وهو في منشأه من البورجوازية الصغيرة ، وبعد أن يؤكد على كون « إيديولوجيـــة البورجوازية الصغيرة غير قادرة وغير مؤهلة لحل معضلات التحرر الوطني » ، يبحث عن طريق خلاصه – وخلاص البورجوازية الصغيرة المتحيزة للثورة – : « إن طريق الخلاص الوطني يبدأ بالتسلح بسلاح الأفكار الثورية، أفكار الطبقات الثورية في أي مجتمع. أفكار العمال والفلاحين الفقراء ، الذين يخوض أبنـاؤهم اليوم المقاومـــة المسلحة على أرض فلسطين » . » (ص ١١٤) .

– تملكون الاثنين : سلاح النقد ونقد السلاح . نتمنى لكم حظاً سعيداً . ولكننا نشك في جدوى التمني. « النظريةُ » « الاقتصادية » ليست النظرية، بل عكسها . وعكسها لا يقيم حزباً طليعياً ولا يعبىء الجماهير ، وبشكل خاص جماهير « العمال والفلاحين الفقراء » . وجلد الذات ليس نقداً ذاتيـاً . تستطيعون أن تعاودوه عشر مرات في بقية عمركم دون أن تتقدموا على صعيد النظرية . وتستطيعون أن تقوموا مرة واحدة بنقد ذاتي حقيقي (أي ليس جلداً للذات) وأن تكتشفوا النظرية وأن تحققوا التنظيم . وفي هذه الحالة ، ستكتشفون فعلاً ما هي البرجوازية الصغيرة ، وطبيعة أفكاركم (وألفاظكم) الحالية الغارقة أكثر فأكثر في البرجوازية – الصغيرة .

« وان يسار الجبهة يجب أن يدرك أن تنظيم جماهير العمال والفلاحين هو الشرط الأساسي لتحقيق الانتصارات ، وان الكفاح المسلح يستحيل أن يستمر أو يتطور إلا من خلال المزيد من الجهد التنظيمي الذي يمثل الكفاح الايديولوجي أحد مظاهره البارزة . ان درساً أساسياً من دروس اللينينية لا بد من وعيه ، وهو : « من المحتم ، انه ... دون العنف الثوري ، فان انتصار البروليتاريا هو ضرب من المحال ، كذلك انه من المحتم أن العنف الثوري ليس ضرورياً ولا يشكل وسيلة ضرورية إلا في فترة

معينة من تطور الثورة وفي حالات خاصة . فالصفة المميزة الأكثر عمقـا واستمراراً لهذه الثورة والشرط الأساسي همـا ، ولا يزالا ، تنظيم الجماهير البروليتارية وتنظيم الشعب الشغيل . فالشروط المثلى للثورة ، وكذلك المصدر العميق لانتصاراتهـا ، يكمنان بالضبط في هذا التنظيم للملايين من افراد الشعب الشغيل» (ص ١١٤)

هذا الدرس اللينيني هو أيضاً خاتمة نقدنا لكتابكم .

تستطيعون أن تمارسوا « العنف الثوري » . أمـا تنظيم « الملايين من أفراد الشعب الشغيل »فشيء آخر. وبالتالي ومعه« العنف الثوري » الحقيقي، التاريخي ، المجدي ، « للملايين من أفراد الشعب الشغيل »

١٢
الخلاصة

تقول خلاصة كتاب « حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي » :

« خلاصة القول ان الحركة الثورية الفلسطينية لا بد أن تحول دون خدمتها للثورة المضادة ولا بد أن تسير في طريق الثورة، وذلك عن طريق جبهة الثورة الفلسطينية:

● جبهة الثورة الفلسطينية المقاتلة ضد الامبريالية العالمية والرأسمالية اليهودية وبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة في فلسطين .

● جبهة الثورة الفلسطينية المتحدة في نضالها مع جبهة الثورة العربية المناهضة للامبريالية العالمية – تقودها الولايات المتحدة – والرأسمالية اليهودية وبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة في الوطن العربي .

● جبهة الثورة الفلسطينية القائمة على أساس النضال المسلح ضد الرأسمالية اليهودية وقواتها القمعية ، العدو الأكثر عنفاً في تسلطه في هذه المرحلة .

● جبهة الثورة الفلسطينية القائمة على أساس تحالف العمال والفلاحين وقطاع من البورجوازية الصغيرة وقطاع من البورجوازية الوطنية .

● جبهة الثورة الفلسطينية القائمة على أساس القيادة المطلقة لتحالف العمال والفلاحين في حزب ثوري يسترشد بايديولوجية الطبقة العاملة « الماركسية – اللينينية » ، والفهم المادي الجدلي لظروف مجتمعنا » (ص ١١٥) .

وتقول خلاصة كتاب « عفوية النظرية في العمل الفدائي » :

١ . إن « نظرية » العمل الفدائي للجبهة الشعبية الديمقراطية تنطلق من

مقولة « فلسطين » – الواقع « الاجتماعي » ومقولة «الثورة الفلسطينية» . في نظرها فلسطين « مجتمع » كسائر المجتمعات ، مع بعض التعديل ، والثورة الفلسطينية ثورة كسائر الثورات ، مع بعض التعديل . والتعديل ، في نهاية الحساب ، ينخفض ويتقلّص إلى ما يقرب من لا شيء .

إن ماركس والماركسيين لم يسحبوا مخطط الثورة البرجوازية على الثورة البروليتارية . ولينين ، انطلاقاً من تعاليم ماركس وانجلز ومن الواقع الروسي والعالمي ، صاغ للثورة الروسية نظرية أصيلة . وماوتسي تونغ لم يسحب نظرية الثورة الروسية على الثورة الصينية ، رغم القواسم المشتركة الجوهرية (اجتماع ثورتين ، التحوّل ، نظرية الثورة الدائمة اللينينية) ، لقد أخذ بعين الاعتبار الصفة القومية للثورة الصينية المناهضة للامبريالية ، والواقع الصيني والواقع العالمي المتجدد . هوشي منه لم يسحب نظرية الثورة الصينية على الثورة الفيتنامية ، رغم القواسم المشتركة الجوهرية المتزايدة (قومية ، ديمقراطية ، اشتراكية) . كذلك كاسترو والثورة الكوبية . لو أن القادة الماركسيين الحقيقيين سحبوا نموذجاً سابقاً ، لما استطاعوا أن يحققوا ما حققوه ، لما كانوا ماركسيين حقيقيين .

والحال ، إن الاختلاف بين نماذج الثورات الآنفة أقل بكثير من الاختلاف بين الثورة الفلسطينية وأي من هذه النماذج على انفراد ، وكل هذه النماذج مجتمعة : الاستعمار السكاني ونتائجه ، اسرائيل – الدولة – المجتمع – الجيش (جيش المجتمع ومجتمع الجيش) . إن عدم أخذ هذا الاختلاف ، كاملاً ، بعين الاعتبار ، في المنطلق ، بدءاً من المنطلق ، وفي نظرية كفاح وثورة جوهرُها العنف ، لا عنف « الثورة » بل عنف الحرب [1] ، الحروب ، يؤدي فوراً وحكماً إلى الانفصال بين الأقوال والأفعال ، بين النظرية والممارسة ، بين

---

(١) « الحرب الثورية » كما يقول البعض وكما نقول . غير أننا بخلاف هذا البعض ، نشدّد على الحرب وليس فقط على « الثورية » .

الأهداف والنتائج ، بين حساب الحقل وحساب البيدر . هذا الانفصال ليس الاختلاف الطبيعي المعقول بين العمل والنظر ، بين الممارسة ودليلها ، ليس التناقض الجدلي القائم بينهما والذي يدفع على الدوام طرفي التناقض الى الأمام ، إلى وحدة جدلية مادية أرقى ، بل هو انفصال ، وتباعد متزايد ، وتعارض ، وطلاق جوهري .

٢ . هذه الطريقة في رؤية الأمور طريقة دوغمائية « اقتصادية » مكيّفة فلسطينياً ، أي بالتالي مضاعفة أضعافاً ، بالغة أبعادها القصوى .

ولا بدّ أن نواجه هنا صفاتٍ أصيلة في هذه « الاقتصادية » ، صفاتٍ يفرضها الواقع الفلسطيني حتى المشوّه « اجتماعياً » أي « اقتصادياً » . أصحابُ النزعة الاقتصادية الفلسطينيون لا يستطيعون أن يضموا إلى ترسانتهم الفكرية نظرية الطبقتين التقليدية (الطبقة العاملة والباقي المسمّى بشكل ما برجوازية — بمعنى الطبقة أو الطبقات « المنتهية » —) . في فلسطين ، في العالم العربي ، في غالبية أقطار العالم الثالث ، لا نشهد تحركاً عمالياً اضراباً طبقياً كاسحاً كما في روسيا حوالي سنة ١٩٠٠ . « الاقتصادية » عليها إذن أن تدفع ثمناً للعالم الثالث ، لماوتسي تونغ ، لكاسترو ، لجياب ، لفانون ، لبيتلهايم ، لباران ، لتروتسكي ، للينين... وعليها ان تكون بالدرجة الأولى — في الحقبة التاريخية الأخيرة ، بعد انكشاف خرافة الطريق الرأسمالي الوطني المزعوم وهزال تنظيره شبه الماركسي ، وانكشاف فساد مقولة « دولة الديمقراطية الوطنية » التي سُوّغت من قبل أعلى مرجع ماركسي عالمي في ١٩٦٠ — ، « اقتصاديةً يساريّة » ، بالغة « اليسارية » ، أي أن تصل إلى الوطن العربي عبر أفكار « الاقتصادية الامبريالية » لعام ١٩١٦ وبعده (بياتاكوف ، بوخارين ، راديك ، وطائفة من الماركسيين الثوريين الأمميين الحقيقيين والجيدين — عدا هذه الخطيئة ! — في كل قطاعات حركة العمال الدولية أو تقريباً) .

ومن الطبيعي ، في البيئة العربية والفلسطينية ، أن يتعزّز الطابع الكاريكاتوري لهذه الأفكار « الاقتصادية الامبريالية » ، ما دام في جوهرها

إنكارُ المسألة **القومية** والجنوحُ المثـــالي القاصر نحو الدراما العالمية بين البروليتاريا والجماهير الكادحة و**الشعوب** وبين الامبريالية . من الأسهل إسقاط المسألة القومية والاكتفاء بإطلاق شعارات البروليتاريا وثورتهـا ، في روسيـا وأوروبا ١٩١٦، منه في الوطن العربي وفي فلسطين اليوم ! غير ان «الاقتصادية الامبريالية » العربية والفلسطينية تتحدّى الصعوبة ، تتخطى العقبتين منـذ الانطلاق : الأولى أهمية المسألة القومية ، محوريتها ، بروزهـا كمسألة **قومية** بشكل مضاعف (سواء التجزئة والوحدة ، أو فلسطين) ؛ والثانية ضعف البروليتاريا — الطبقة — الحزب — الحركة (بالمقارنة مع روسيـا وأوروبا ١٩١٦) ، عدم وجود أو تقريباً عدم وجود «الحزب» (+ بشكل أوسع : عدم تبلور الطبقات الاجتماعية المختلفة في أحزاب سياسية مختلفة ، إلا بشكل محدود) .

ومع تركنا جانباً المستوى الثقافي لأصحاب التيـــار العربي الجديد ، لا نستطيع أن نترك جانبـاً واقع ان غالبية هذا التيار تألّفت وتتألّف من ماركسيين مستحدثين جدد ، أتوا إلى الماركسية من جهات «قومية» ويدفعون ثمن خطيئة الماضي بخطيئة الحاضر .

ولسوف نرى ، في كتاب لاحق ، ان الجنـاح اليساري الشيوعي العراقي (جماعة « القيادة المركزية ») الذي « تعتمده » مجلة « الحرية » كإحدى القوتين الثوريتين الحقيقيتين في العراق يتجنّب (قد تجنب حتى الآن) السقوط في خطيئة العدمية القوميـة [1] . بل ان القوة الثورية « اليسارية » الاخرى التي « تعتمدها » مجلة « الحرية » في العراق — نقصد الجناح « اليساري » من

(١) (بل انه في ادانته لخط الحزب اليميني في سنوات ١٩٥٨ وما بعدها لم يسقط في إدانة وحدة ١٩٥٨ كوحدة ، كوحدة ولو برجوازية ، وأخذ على الحزب معارضته للوحدة حتى البرجوازية . لا يبدو بالتالي انه يؤقنم الممارسة ، وينتهي الى قول من نوع : الوحـــدة العربية يستحيل ان تتقدّم فعلاً إلا بعد سقوط القوى غير البروليتارية !)

حركة القوميين العرب (= الحركة الاشتراكية العربية) – تتفادى السقوط في دعوة الرفاق الفلسطينيين واللبنانيين ضد « الجيوش النظامية المحترفة » ، بل تدعو إلى تعزيز هذه الجيوش وتنسيق هذا الدفاع « النظامي » (ولعل هذا يعود **جزئياً** إلى جوّ الشيوعيين العراقيين، الذين كانوا على امتداد ٣٠ سنة أكثر شعبية وأكثر ماركسية ، من الأحزاب الشيوعية في سورية وجوارها الغربي والجنوبي). هذه الأمور واضحه تماماً في البيانات التي نشرتها« الحرية » والصادرة عن الجماعتين العراقيتين اليساريتين [١] .

٣ . في كتاب « العفوية والنظرية في العمل الفدائي »، تتخذ«الاقتصادية – الامبريالية» شكلاً كاريكاتورياً لا شبيه له كشكلٍ كاريكاتوري في التجارب السابقة في تاريخ حركة العمال الماركسية . إننـا لا نعرف أفكار ونصوص بياتاكوف و لآخرين إلا من خلال مناقشة لينين لهذه الأفكار والنصوص ولكن هذه المناقشة التفصيلية تسمح لنا بالقول أن الكاريكاتور الذي قدمه شباب « اليسار » الأممي (الاممي فعلاً ولكن بشكل غير منسجم !) في ١٩١٦ صورة سويّة بالمقارنة مع الكاريكاتور الذي يقدمه« الاقتصاديون الامبرياليون» العرب. إن لينين يأخذ على بياتاكوف انسيابه اللفظي، عمومياته«توحيداته»ه[٢]،

(١) « الحرية » العدد ٦١ : ٢٨ ، / ٤ / ٦٩ . برنامج لجبهـة تقدمية في العراق ، أصدرته الحركة الاشتراكية العربيـة في العراق . نقرأ : « السياسة العربية : [...] ٣ – تحقيق أقصى درجات التنسيق والتعاون السياسي والعسكري بين الأقطار العربية المتحررة [...] لذا [...] تعمل من أجل : [...] ٣ – تقوية طاقـات العراق العسكرية النظامية و [...] » .

يا رفاق ، لا ريب أنكم تفسرون هذا الاختلاف بينكم وبين رفاقكم العراقيين، باختلاف خصوصيات التجارب القطرية !! بعد الوحدة « القوميـة » لحركة القوميين العرب ، يأتي انفلات الأقطار في هذا « اليسار » المنفلت من عقال « الأممية » الطبقوية !

(٢) وينقل لينين قول انجلز ضد دوهرنغ حول « النظرة الموحّدة » وضرورتها : =

« طلمعاتـ » ـه ضد « الامبريالية » ، « عدو الشعوب **اللدود** » (أو المميت mortel) ، مقطعـاً منساباً متسيّباً (« يشبّهه لينين بلغة طلاب حوانيت البيرة في المانيـــا ») ، الصرخات اليسارية الثوروية . في كم صفحة من هذا الكتاب العربي (وبالأحرى من الكتابين اللاحقين) ، لا نجد هذا كله وسواه وبشكل مضاعف !

هذا هو أيضاً الثمن العربي والفلسطيني للاقتصادية الامبريالية. ليس بدون هذا العقاب — الغَرَق في الكلام — يتأقلم التيّار الروسي — الأوروبي شرقياً وبالحري عربياً وبالأحرى فلسطينياً .

ولكي لا نظلم الحقيقة بإغفال أحد جوانبها ، نقول : لئن كان الانحراف البدائي عن الماركسية لا يظهر لأصحابه وأنصارهم تماماً في حقيقته كانحراف بدائي كامل [١] ، فإن هـــذا مردّه ، في جملة أسباب ، « ثورة » الشباب على واقع أن الحزب البروليتاري الحقيقي لم يتكون حتى الآن ، بعد مضي نيف ونصف قرن على ثورة أوكتوبر ، وإلى الايمان بضرورة إنشائه ، والتأكيد الدائم : بروليتاريا ، امبرياليـة ، برجوازية — صغيرة ، الخ ، أي التأكيد الدائم على الصفة البروليتارية للحزب ، على استقلالية البروليتاريا ، الخ [٢] .

= « تستطيع أن تجمع فرشاة حذاء الى وحدة الحيوانات الثديّية ، ذلك لن يُنبتَ لهـــا أبزازاً » . نظرية العمل الفدائي « توحّد » الأنظمة القـــائمة في الوطن العربي ، توحد « المجتمع » « العربي » ، توحد « فلسطين » ، توحد فلسطين وفيتنـــام وكوبا (سنرى في الكتابين اللاحقين أن « الطريق الفيتنامي والكوبي » وحدة ـ لفظية ـ لا تقبل الانفصام) .

(١) أمامي العددُ الأخير من « الشرارة » ، آذار ١٩٧٠ ، أقرأ العنوان الـــكبير : « طريق واحد لتدعـــيم وتطوير القيادة الموحدة . الاتفاق على برنامج عمل ... تقدمي وواضح ... وبعيد عن العموميات » . نعـــم ، صدّق أو لا تصدّق : « وبعيد عن العموميات » . هناك إذن في الساحة عموميات أعمّ من عموميات الجبهة الشعبية الديمقراطية ! ربّما . وا ماركسيّتاه ! .

(٢) ولكن ، عند هذه النقطة ، لا بد من الاشارة الى أن الجبهة تتحدث دائمـــاً عن « العمال والفلاحين » ، عن « الفقراء » ، عن « قيادة العمال والفلاحين » لحركة التحرر =

وما دام همنا الرفاق وقضية الحزب ، فإننـــا نقول بصدق : أنتم على صواب . وأنتم على خطـأ . ولكنكم بالدرجة الاولى على خطأ . القضية لن تدفعوها خطوة واحدة إلى الأمام بهذه الطريقـة . لسنا لا في روسيا ١٨٩٠ ولا في أوروبا ١٩١٩ ولا في صين ١٩٢١ . تأكيدنا استقلاليـــة البروليتاريا بدون النظرية (المعادية للاقتصادية !)، بدون المسألة **القومية** (صُنوَة الثورة الديمقراطية لروسيا الايسكرا وأسلافها الماركسيين الأوائل، في ظرفنا العربي)، بدون الأمة (صُنوة الشعب – النارود) وطبقاتها ودولها والخطوط ، يصبح صفراً وبالحقيقة أقل من الصفر (شيئاً سلبياً معيقاً ومخرباً لمهمة إنشاء الحزب البروليتاري) .

٤ . إن لفظ « الامبريالية » يتردد على لسان وتحت قلم رفاقنا « اليساريين » أكثر مما يتردد على لسان لينين وبياتاكوف وروزا لوكسمبورغ مجتمعين .

والامبريالية – بدون مزدوجين – هي المنطلق الأول ، القـاعدة الصلدة للينينيــة ، التي هي ماركسية عصر الامبريالية . الخطيئة **الأولى** للماركسية العربية التقليدية ، للأحزاب الشيوعية ، أنهـا لم ترَ هذا الأمر ، لم تنطلق في فهمها وتشخيصها وتخطيطها ، من الامبريالية . نقول : الخطيئة الأولى (ونعتقد أن هذا مـــا قلناه سابقاً ، وفي أكثر من كتاب) . العجزُ عن فهم المسألة القومية (المسألة القومية بشكل عام ، والمسألتين القوميتين العربيتين بشكل خاص : الوحدة ، فلسطين) ، الفصلُ بين الثورتين البرجوازية الديمقراطية والاشتراكية البروليتارية ، الستراتيجيةُ اليمينية البرجوازية « الوطنية » (وفي فترة ١٩٥٦ وما بعدها : أوهام الطريق البرلماني) ، النوباتُ اليسارية الدورية في التاكتيك ، ذلك كله يأتي بعد ، يقوم على هذا الأساس ؛ والكل شبكة

= الوطني ، عن قيادة « الجماهير الكادحة » للثورة . هذا أيضاً ثمن الشرق والجهل ، وثمن تركيبها : الجهـــل الشرقي أو الشرقية الجاهلة : في الماركسية – اللينينية ، القيادة الطبقية لِطبقـة ، وليست للسديم الاجمالي .

مترابطة متفاعلة على أرضيّة مفهوم فلسفي مادي مبتذل مناهض للديالكتيك (« يحوّل التاريخ إلى فيزياء مرفوعة إلى مرتبه ميتافيزياء » ، إلى علم طبيعة مرفوع إلى مرتبة ما فوق الطبيعة ، إلى لاهوت طبيعي للتاريخ) . غير أننا أرفقنا دائماً أو أتبعنا دائماً بالامبريالية المسألة **القومية** ، مسألة الأمم .

نرجو الرفاق « اليساريين » أن يفتحوا كتاب لينين الكلاسيكي الأشهر « الامبريالية ، أعلى مراحل الرأسمالية » ، الذي وضعه لينين في فترة الحرب الامبريالية العالمية ، وأن يقرؤوه (أو أن يقرؤوه مجدداً) من الصفحة الأولى ، من المقدمة أو المقدمات ، إلى الفهرس الأخير . — نترك إذن بحوث لينين في تلك الفترة نفسها ١٩١٥ — ١٩١٦ والتي تحمل عناوين من نوع « البروليتاريا الثورية وحق الأمم في تقرير مصيرها » ، « الثورة الاشتراكية وحق الأمم في تقرير مصيرها »، الخ، أي إذا نقلنا هذه العناوين إلى مناقشاتنا الحاضرة: « البروليتاريا الثورية والمسألة القومية »، « الثورة الاشتراكية والمسألة القومية العربية »الخ، نترك مجادلات لينين مع بياتاكوف (كيفسكي) وروزا لوكسمبورغ (يونيوس) ، رده على راديك ، الخ . — نكتفي بالكتاب الأشهر ، الذي وضعه لينين والذي نتخذه (وتتخذونه ، على ما نرجو) قاعدة الانطلاق الأولى . ماذا نجد في هذا الكتاب ؟ ما هو الضوء الذي يلقيه على مشاكلنا ومناقشاتنا ؟

لينين يقول ، في المقدمة ، ان كتابه مكرّس حصراً للأساس الاقتصادي (« للناحية الاقتصادية »)، بدون الوجه السياسي للأمور . **ومع ذلك** ، هذا الكتاب الاقتصادي ، هذا الكتاب في علم الاقتصاد (**السياسي**) لا يخلو أبداً من **الأمم** ، من الأمم المستغِلة والأمم المستغَلة [1] ، ولا يخلو من « السياسة ». (ولينين ينقل في هذا الصدد — **الأمم** — مقاطع عن السلَف ، عن هوبسون

---

(١) هذا — الأممُ ، انقسام العالم الموحَّد الى أمم متناقضة — ليس جزءاً من تشخيص الامبريالية وحسب ، بل جزء من فهمها ، من فهم الاقتصاد العالمي .

الاشتراكي الليبيرالي وهيلفردنغ الماركسي الوسطي صديق كاوتسكي ، وفي مجادلته ضد كاوتسكي) .

وستالين ، في تلخيصه المبسّط ، الجيد والسيىء (الجيد في فصوله الأولى ، السيىء في عمومياته « البروليتارية » ، في حديثه عن الحزب – الحزب وتطهير الحزب وتعزيزه بالتطهير) لم ينسَ **من البداية** أن يذكر في تناقضات العصر الامبريالي الثلاثة تناقض **الأمم** المستغَلة والمستغِلة ، المضطهَدة والمضطهِدة ، مع التناقض بين العمل ورأس المال ، والتناقض فيما بين الدول (الأمم) الامبريالية ، (ولم ينسَ تخصيص فصل للمسألة **القومية**) .

غير أن الأمور تجري عندكم وكأن التناقض بين العمل ورأس المال ، يذوّب « الأمم » ، أي وكأن وجود الطبقات المستغِلة والمستغَلة داخل الأمة المستغَلة يلغي وجود « الأمة » ، أي وكأن تناقضاً يطرد الآخر ، أو كأن المسائل « انحلّت » في « الصراع الطبقي – العالمي » . تلك ، على وجه التحديد ، صيغة « إجمالية » تذيب الحدود ، على صعيد المعرفة الاولية ، وتُبخّر المطلوبَ – القبضُ – عليه في النظر والعمل الماركسيين ، قصدنا : المفاصل ، التمفصلات .

إن واقع أن كلمة « أمة » طُردت أو تقريباً من القاموس العربي « الثائر » ، واقعَ أن « حركة التحرر الوطني » قد حلَّت على طول الخط محل الحركة القومية ، وحركةَ الشعوب والثورةَ الكولونيالية محل الثورة القومية – الكولونيالية (عندكم وفي بعض مراجعكم العالمية) ، ليس واقعاً تافهاً لا قيمة له ولا دلالة . أن يكون في هذا الواقع أيضاً ضربٌ من التمرُّد الانفعالي على الماضي « القومي » أو القَوْمَوَي ، لا يغيّر شيئاً من خطر هذا الموقف ، ولا يلغي على صعيد نهاجية المعرفة الماركسية ، أصولَه « الاقتصادية » (« الاجتماعية » ، « الطبقية ») .

٥ . في تلمّس الامبريالية العالميـة وأهدافها في المنطقة العربية ، حصرت نظرية العمل الفدائي نظرهـا في موضوع واحد هو النفط . النفط العربي ،

أهميته ، بالارقـام والجداول . ومهما أكدنا و « بالغنا » في التأكيد على هذه الأهمية ، فإننا لن نتخطى الحقيقة . لا الماركسيون - اللينينيون العرب، ولا أحد من القوى التقدمية العربية - على حدّ علمنا - ، أغفل هذه الأهمية أو أجحف هكذا بحق « الثروة الدفينة » في « المنطقة العربية » .

ولكن يجب أن تعطوا هذا التعبير الصحيح -« المنطقة العربية »- مدلوله كاملاً ، مدلوله الجغرافي - السياسي .

إن نفَس الفهم اللينيني ، نفَس الماركسية ، قد حمل **دائماً** فكرة الهيمنة **العالمية** للدول ، للدول الرأسمالية - الاستعمارية - الامبرياليــة ، بريطانيا - العظمى ، دولِ الاتفاق (الحلفاء) ، صراعِ الدول وأحلاف الدول من أجل الهيمنة العالمية . هذا جزء لا يتجزأ من فهم الامبريالية اللينيني ، بل جزء من فهم ماركس لعصره(وماركس يهتمّ بسعيروسيا القيصرية **التي لم تكن رأسمالية في عهده** وراء السيطرة في أوروبا ، في آسيا ، في فارس) .

على درب هذه الهيمنة العالمية (فرنسا ، بريطانيا ، المانيا ،الخ، الولايات المتحدة والامبريالية العالمية الحاضرة) ، نجد « المنطقةَ العربية » - طريقَ الهند ، مفصلةَ الغرب والشرق الشرقية، بوّابةَ آسيا وافريقيا بالنسبةلأوروبا، منطقة الممرّات (جبل طارق ، السويس، باب المندب) - التجزئة العربية، الصهيونية وفلسطين .

إن الماركسي ، وبالأحرى الماركسي العربي ، لا يستطيع أن ينسى هذا الواقع . أفضلُ أن يرى الانسان هذا الواقع التاريخي السياسي وأن لا يرى مؤلفات ماركس ولينين في المادية التاريخية وعلم الاقتصاد وستراتيجية الثورة، من أن يرى هذه المؤلفاتوأن يغمض عينيه عن هذا الواقع التاريخيالسياسي. والأفضل أن يرى الاثنين : هذه المؤلفات وهذا الواقع العربي .

وحين نرى الاثنين، حين نرى مع الماركسية-اللينينية هذا الواقع العربي، فان ماركسيتنا ولينينيتنا ، ماديتنا التاريخية الجدلية ونظريتنـــا في الثورة الاشتراكية العالمية ، تكتسب لونـاً عربياً « محلياً » ، وعالمياً فعلاً كونياً

فعلاً universel ، مادياً فعلاً ، يضع لحم الواقع في الهيكل العظمي الأساسي ، ويحول بذلك دون تحوّله إلى هيكل عظمي فارغ ، **أي ميت** .

٦ . إن كتاب « العفوية والنظرية » لا يقيم وزناً لواقعة تاريخية بالغة الدلالة ألا وهي تحالف الدول بقيادة بريطانيا العظمى ضد الوحدة العربية ، ضد الوجود المصري في سوريا (١٨٤٠) وإبقاءاً على الغنيمة العثمانية السائبة. **كان ذلك** في فترة زخم الانقلاب الصناعي الاوروبي الغربي ، وزخم الاستعمار البريطاني ، والارهاصات الاستعمارية الأولى لسلسلة من القوى الجديدة المرشحة لأخذ حصتها من الغنيمة العالمية . كان ذلك في فترة ليس فيها لا بترول ولا بروليتاريا ومار كسية وثورة بروليتارية ، لا في المشرق العربي ولا في النطاق العالمي . كان هناك — في المشرق العربي — فقط تقدم برجوازي — **قومي** في غلافات وعلى أسس شرقية استبدادية .

إذ لم يرَ الكتاب هذه الواقعة التاريخية ، فانه لم ير أيضاً **تابعها** الفلسطيني. ففي **الوقت** الذي ضربت فيه بريطانيا العظمى الوحدة العربية البرجوازية — الاستبدادية على رأس حلف الدول العالمي ، أو عقب هذه الضربة مباشرة ، ظهر في عقلها الامبريالي (والعلمي ، المادّي) مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين الذي بقي في درج وزارتي الخارجية والمستعمرات إلى أن انتقل إلى مرحلة التنفيذ في عصر الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية ، عصر هرزل ووايزمان وبانرمان وبلفور. إن مذكرة بانرمان(وأبحاث مؤتمر خبراء الدول الاستعمارية) في العقد الأول من القرن العشرين شاهد آخر على هذه«التاريخية المادية » ، وعلى الارتباط الوثيق بين قضية فلسطين والوحدة العربية .

إن المنهج « الاقتصادي » الفلسطيني الذي يحمل في منطلقاته نسيان هذا الموضوع [١] يبقى دون مستوى المعرفة الشعبية التاريخية (نكاد نقول

---

(١) في مناقشتنا لبرنامج الحزب الشيوعي اللبناني ، بينا التناقض بين — حركة التحرر العربية — الفصل الثاني(الذي ركز على وثيقة بانرمان ومضامينها وعلى قضيةالوحدة العربية)=

الغريزيّة) ، وبشكل خاص المعرفـــة الشعبية لشعب فلسطين : فقد ظلت فلسطين طيلة فترة ما بعد ابراهيم باشا مركزاً للدعوة العربية الوحدوية ،وبقي شعبها حافظاً للحلم القومي الكبير .

إن هذا المنهج « الاقتصادي الامبريالى » « اليساري » الثائر الذي يردّد ألفـاظ « استغلال كدح الجماهير » « نهب جهد الشعوب الفقيرة » ، يفشل أيضاً في فهم آليـــة الاستغلال الراهنة . إن ظاهرة أساسية من نوع تدهور حدود التبادل في السوق العالميـة (رغم ألفاظ « السوق العالمية » الخ) قد أفلتت من حقل نظره . والحال إن انخفاض أسعـار الخامات بالمقارنة مع أسعار المصنوعات في التجارة العالمية ترتبط بميزان القوى الذي يتوقف ، في جملة أشياء ، (على المدى الطويل والآني) ، على أوضاع التناثر والتقارب بين أقطار المجموعتين ، وبالتالي على التجزئة والوحدة العربية أيضاً. هذه التجزئة والوحدة العربية ليست فقط عاملَ ضعف وقوة اقتصادية للعرب ، بل هي تحْكُم إلى حد كبير أوضاع افريقيا السوداء غير المكوّنة قومياً ، والواقفة « خلف » الوطن العربي **القومي** (لغة مشتركة، وإرادة وحدوية حقيقية عند جماهير الشعوب) .

٧ . على صعيد المعرفـــة العامة ، إن المنهج « الاقتصادي » يحمل معه خطر رؤية جزئية ومشوّهة لخطط عمل الامبريالية العالمية وبخاصة الامبريالية الاميركية .

في الوقت الراهن ، ومنذ سنوات غير قليلة :

تستطيع الامبريالية الاميركية أن **تتراجع** عن عدد من المصالح الاقتصادية، عن استغلال جهد بعض الشعوب أو بعض الأقاليم استغلالاً مباشراً ، أن **تتراجع** عن نهب ثروة دفينة **ظاهرة** ومستثمَرة هنـــا أو هناك ، (مثلاً في

= والفصل الأول –العالم – الذي تمحور على «المفهوم العلمي الطبقي »،بالحقيقة «الاقتصادي» التقليدي !

بعض دول اميركا اللاتينية) ، أن تسلّم بتأميم هذه الثروة أو تلك في هذا القطر أو ذاك ، أن تسلم بصعود هذه الطبقة نصف الكادحة أو تلك الطبقة ثلاثــة أرباع الكادحة ، في هذا القطر أو ذاك ، في مخطط الهيمنة العالمية بالذات . تستطيع أن تضرب بعنف وأن تضحّي بمليارات الدولارات ، وبعشرات الألوف من جنودها ، في بلد لن يدرّ عليها ربع أو عشر ما تنفقه ولا يمتاز باتساع الثروات الدفينة (فيتنام) . وتستطيع أن « تترك » حكومات ثورية في أقطار افريقيّة صغيرة لسنوات. أو أن تتدخل على الفور. هذه أمور لا تقررها المصالح الاقتصادية كما يفهمها المنهج « الاقتصادي » لليسار الفلسطيني . الولاياتُ المتحدة الاميركية لا تحكمها وول ستريت وحسب ، بل تحكمها أيضاً وكالة المخابرات المركزية ، ولجنة الامن القومي ، والبنتاغون ، والدولة آلة التضليل والربط الاجتماعي الــكبرى . تلك هي الرأسماليـة اليوم ... تلك هي **الامبريالية** ، لينينياً (ولينينياً فقط ، لا « ماركسياً ــ يسارياً ــ عاماً ») .

في كتاب « العفوية والنظرية » ، الامبريالية (الاميركية) هي رأسمالية وقمع . (والكتاب لا يبخل بألفاظ القمع والعنف ، والعنف المضاد) ، في نظرنا ، هي رأسمالية وقمع ووعي. بين « الاقتصاد » والعنف: « السياسة ». و « السياسة » ليست مرادفة للديبلوماسية ، انها أوسع بكثير. الديبلوماسية عنصر ، أداة . و « السياسة » : وعي ، خطوط ، حساب الخطوط والدول والأحزاب والامكانات والمراحل والتقدم والتراجع . « الطبقات » داخلة في « الاقتصاد » ، في « المجتمع » . وهي موضوع للوعي ، للحساب . انهــا الأساس . ولكن الامبريالية لا « تتعامل » مباشرة مع هذا الأساس، لا تعالج مباشرة هذا الأساس [1] .

---

(١) أساس ــ بنية تحتية ــ اقتصاد ــ علاقات انتاج ــ طبقات . فوق الأساس البنية الفوقية ولا سيما السياسية . البنية الفوقية ليست محض دبلوماسية وقمع .

٨ . إن نظرة « النظرية » إلى الامبريالية الاميركية – العالمية في العالم وفي العالم العربي نظرة جزئية .

وكذلك نظرتها إلى « الصهيونية العالمية » .

« الصهيونية العالمية » تغدو « التطور الاقتصادي في فلسطين » ، « التطور الرأسمالي في اسرائيل » .

الهجرة ، الاستعمار الاسكاني ، تصبح خادمة لهذا « التطور » . يقدّم المؤلف أرقاماً عن الهجرة اليهودية قبل تأسيس الدولة (هذه الدولة ، دولة « الرأسمالية اليهودية » لم تقم من لاشيء ، هناك إذن هجرة سبقت قيامها) ولكن الموضوع يختفي من الحقبة اللاحقة ، يغرق في سديم الادراك والذاكرة ، في شكل « انخفاض الهجرة » ، ربما في شكل تدهور متدرج طويل ينتهي إلى توقف في عامي ١٩٦٥ – ١٩٦٦ . هذا الخطأ أو الصواب غير واضح . المؤلف امتنع عن إعطاء أرقام ١٩٤٨ – ١٩٦٦ . أي أنه امتنع عن دراسة الظاهرة السكانية البالغة الشأن ، وغير المتدرجة ، وبالتالي عن تلمّس احتمالات المستقبل .

في هذا المنظور الخاطىء ، المتعارض مع حقيقة فلسطين وحقيقة الامبريالية وعصرها ، المعطيات السكانية في خدمة المعطيات الاقتصادية ، بدلاً من أن تكون المعطيات السكانية والاقتصادية وسواها في خدمة « الوحدة الكلّية » la totalité . هذه النظرة « الاقتصادية » التي يدينها كبار الماركسيين كانحراف عن الماركسية ، تبلغ ذروتها كانحراف وتشوّه وهذيان في المثال الفلسطيني .

بعد قصّة إغلاق قناة السويس وما يؤول إليه هذا الإغلاق من خسائر اقتصادية فادحة على ... الرأسمالية الاميركية وأجهزتها القمعية (!) ، يسير الهذيان « الاقتصادي » قدماً : انقطاع رؤوس الأموال عن اسرائيل في ١٩٦٦ ، أزمة اقتصادية خانقة ، **إذنْ** حتمية العدوان الاسرائيلي ، الهادف بالضبط إلى « السلام » والتوسع **الاقتصادي** في البلاد العربية . ينقل المؤلف كاتبين صهيونيين و « يلعب » بالنصوص .

تجري الأمور وكأن المؤلف يعتقد أن الامبريالية يمكن أن « تترك » اسرائيل بهذا الشكل ، ان توقف المعونات ، أو أنها باتت عاجزة تنوء بهذا العبء المالي . تصورٌ خاطىء ، أياً كان . في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، أنفقت الولايات المتحدة (مشروع مارشال) مليارات على أوروبا الغربية . ومليارات على صين الكومنتانغ . وقد أنفقت **مليارات** على اسرائيل ، **وستنفق** مليارات على اسرائيل .

الكاتب العربي يضخم الأزمة الاقتصادية الاسرائيلية ، وفي سير نقله للمرجع الصهيوني الأول (زارحي) يحذف الجمل ذات الأثر الملطف مستعيضاً بنقطتين – نفس النقطتين الطباعيتين الدارجتين على طول الكتاب –، يدفع الموضوع بالاتجاه « الاقتصادي » مخالفاً الكاتبين الصهيونيين (اللذين هما أقل شطحاً وأكثر واقعية وعلمية .) ، جاعلاً « نفقات الدفاع » ذيلاً ملحقاً بالعلاقات التجارية ، هارباً عن عمد من أخذ الجدول – الخاتمة في دراسة شيفر (الجدول – العام – المقارن عن خسائر اسرائيل والدول العربية في الميادين المختلفة (تجارة ، أنابيب النفط ، نفقات الدفاع) الذي يكشف أهمية البند الأخير وضحالة البندين السابقين بالمقارنة معه) ، **مضخماً** – رغم أرقامه المنقولة التي تقول العكس – امكانية وهدف التوسع التجاري للصناعة الاسرائيلية في سوق الدول العربية المتخلفة .

هذه الآلية الكبيرة التي يحكمها المنطلق « الاقتصادي » تسير قدماً نحو هدف معروف سلفاً : « السلام » ، « التصفية » الوشيكة. إن عالم المعرفة « الاقتصادية » هو في الجوهر عالم سلام . بيد أن « الاقتصادي » اليساري إنسان متمرّد على هذا الواقع . لقد اكتشف السلام الاقتصادي عند زارحي وشيفر ، ، أي في جوقة الدعاية الاسرائيلية « اليسارية » المحبة للسلم قبيل العدوان . وبدلاً من تفكيك آلية العدو ، يبني آليته الخاصة عليها ، كردّ مزعوم ، كـ « نقيض » وهمي .

زارحي ، شيفر ، وآخرون كثيرون ، يبيّنون أن النزاع بين الدول

العربية واسرائيل خسارة اقتصادية بالغة للطرفين (وهي كذلك قطعاً : خسارة « **اقتصادية** » بالغة . ولكن الصهيونية كسبت الأرض والسياسة والاقتصاد) ، وعلى هذا الأساس « الاقتصادي » ، « يبيّنون » أن السلام لصالح الطرفين ، **ويسترسلون** (زارحي بشكل خاص – عنوان وموضوع دراسته : أهمية السلام بالنسبة للاقتصاد **الاسرائيلي** – ولكنْ الجميع !) في « تبيان » أنه لصالح **اسرائيل** بالذات ... بتعبير آخر : غاية اسرائيل هي السلام ، السلام ، السلام . دائماً قالوا ذلك . ولكنهم يقولونه **بشكل خاص** ، في جوقة كبيرة منسّقة ، في فترة تمهيد العدوان الثالث ، في مجلة سارتر ، في باريس ، للرأي العام العالمي ، والعربي . والجبهة الشعبية الديمقراطية تأخذ قولهم ، حجةً تأخذها من الخصم وتعكسها ضد الخصم . بالحقيقة ضد الخصم الآخر : الأنظمة العربية المتقدمة المتراجعة المحبة للسلام = الجمهورية العربية المتحدة ، عبد الناصر .

والحال ، هذا العكس انعكاس وصدى . الفرق بين النقيض الاسرائيلي اليساري السلمي والنقيض العربي اليساري الحربي الثوري كالفرق بين كرسي أبيض وكرسي أسود ، على صعيد الفهم **ونتائجه** . (الفرق « الأساسي » هو في « حسن نية » الناقل العربي . وهذا الفرق « الأساسي » = صفر ، عملياً ، موضوعياً) . الناقل العربي **يدعو** إلى صرف الجيوش النظامية المحترفة ، لأنها تحمل « بذور هزيمة جديدة » (حرفياً) . الأصل الاسرائيلي يدعو إلى تخفيف نفقات الدفـــاع . الناقل العربي يدعو إلى صرف الجيوش **العربية** النظامية المحترفة ، حباً بحرب التحرير الشعبية . الأصل الاسرائيلي يدعو إلى السلام . والحال ، في الوقت الذي تتحق فيه دعوة الجبهة الشعبية الديمقراطية ، «السلام» (!) سيدخل من الباب الواسع، شيئاً أكبر بكثير من توسيع الصناعة الاسرائيلية في السوق العربية .

في مسيرة الاقتصادية الناقلة « العاكسة »[1] الهاذية ، لم يمتنع الكاتب عن

---

(١) العاكسة ، في الحدود المبينة آنفاً .

ذكر « نفقات الدفاع » ، لم يمتنع عن « إضافة » هذا البند في ذيل العلاقات التجارية والترانزيت وأنابيب النفط : « يضاف إلى ذلك ان تصفية قضية فلسطين ستتيح للبرجوازية العربية والرأسمالية اليهودية التقليل من نفقات الدفاع التي تخصصها لبناء جيوشها النظامية المحترفة». أنه لا يرى إذن أن هذه الحجة تنسف بنيانه عن « التصفية » من الأساس . الجيوش النظامية — التي ليست جيوشها ، جيوش البرجوازية العربية —هي التي تحكم في غالبية الدول العربية . ولقد نسي اليسار الماركسوي — الطبقوي مقولته المحببة ، « البرجوازية الصغيرة » ، نسي أن في منطقه بالذات ليست البرجوازية بل البرجوازية — الصغيرة هي الحاكمة ، ونسي أن الجيش في هذه الدول المتقدمة ليس جيش هذه الطبقة الحاكمة بقدر ما أن هذه الطبقة الحاكمة هي طبقة هـــذا الجيش (عدم رؤية هذا الوجه الثاني والهام في العلاقة هو بالضبط جزء من التصور « الاقتصادي ») .

وقد فاته في جملة ما فاته من أمور أنه إذا كانت اسرائيل في ١٩٦٥ — ١٩٦٦ تسير قدمـاً نحو الاختناق ، وإذا كانت في الأشهر الأولى من ١٩٦٧ قاب قوسين من الانهيار الاقتصادي — الاجتماعي أو أدنى ، فإن هذه الحقيقة (المضخمة بدرجة لا بأس بها) تدين ، على وجه التحديد ، ديماغوجية الركض وراء « التحرير » (وراء الحرب — الهزيمة) الذي سار عليهـا قطاع واسع متنوع من اليسار العربي(في مقدمته قادة الجبهة الشعبية الديمقراطية الحاضرة) على امتداد الحقبة المذكورة ، واستطاع أن يفرضها . واندفاعاتُ اليوم لدى هذا اليسار — الاندفاعات المنظّرة مجدداً في مفاهيم وألفـــاظ الاقتصادية الامبريالية ، كاريكاتور الماركسية اليساري — ما هي إلا امتداد لاندفاعات الأمس القريب .

٩ . ليس هنا موضع نقد تصوُّر الصهيونية « الاقتصادي » العام الدارج في أوساط ماركسيي الوطن العربي والعـالم ، والذي يتخذ أشكالاً متنوعة ومتجدّدة : الربط « الاقتصادي » « الطبقي » « المحكَم » بين الصهيونية

و « الرأسمالية اليهودية » ، بين « الصهيونية » و « الاستعمار » ، تجاهل أهمية الجزء الخاص ـ الصهيونية ـ في الكل العام ـ الامبريالية ـ ، تتبّع « التطور الاقتصادي » الصحيح والخاطىء ، رفض وإدانة كل محاولة لتلمّس العناصر الايديولوجية ، رفض مسألة اليهودية كدين [1] ، اعتبار الايديولوجيا ظاهرة ذيلية عديمة الفعل والأثر épiphénomène ، فصل الصهيونية عن « فلسطين » أي عن اعتبارات الهيمنة العالمية للامبريالية . هذا موضوع طويل سنتناوله في حينه [2] .

لنلاحظ الآن أن هذا الموقف المعرفي « الاقتصادي » يبلغ قصوره الأكمل في كتاب « العفوية والنظرية » . « الصهيونية العالمية » تتقلّص إلى « التطور الاقتصادي في فلسطين » ، « التطور الاقتصادي في اسرائيل بعد ١٩٤٨ » ، « العلاقات التجارية » (الممكنة !) بين اسرائيل والدول العربية ، وخطر « التصفية » الوشيكة و « السلام » الدائم ، و « الرأسمالية اليهودية » وإتمامها القمعي .

ومع أن هذا التصوّر « اقتصادي » ، فإنه لا يرى أبداً ولا يلتفت إلى صورة المجتمع الاسرائيلي . ليس فقط أن الظاهرة الديموغرافية (السكانية) ـ الهجرة ، الاستعمار الاسكاني ـ خادمة لـ « التحليل الاقتصادي » [3] ،

---

(١) مع أن على الماركسيين أن يواجهوا وأن يدرسوا هذه المسألة انطلاقاً من نصوص ماركس وانجلز ، من « المسألة اليهودية » ومن نصوص ١٨٥٣ حول الشرق والعرب والاسلام .

(٢) مكانه عند دراسة عماد نويهض ، جلال صادق العظم ، ابراهام ليون الخ ، ناجي علوش ، حمدي عبد الجواد الخ .

(٣) خادمة قاصرة مبتورة تقف عند سنة ١٩٠٧ وظهرت سابقاً في شكل « محاولات استعمار اسكاني » ، في الفصل الأول ـ الامبريالية العالمية ـ ، كمحاولة من المؤلف غير واعية أو واعية لإغراق الاستعمار الاسكاني الفلسطيني « الخاص » في المفهوم العام « العالمي » . الاستعمار الاستيطاني موجود بالفعل في بقاع مختلفة من المناطق المستعمَرة ذات المناخ المعتدل . =

بل ان هذا التحليل الاقتصادي لا يصبّ عند المجتمع **وطبقاته** . آتيـــاً من فهْم « اجتماعي » و « طبقي » للكون ، هذا أمر يلفت الانتباه . آتياً من نظرية تنقّب في «الواقع الاجتماعي الفلسطيني» العربي ، لتجعله قدر الامكان واقعاً اجتماعياً ـ طبقياً خالصاً (خالصاً من الباقي : توزع جغرافي ، لاجئين وغير لاجئين ...) وأساساً لستراتيجية الثورة « الفلسطينية » ، هذا أمر يفقأ العَين .

وهو أمر « مفهوم » .

لقد رسم لينين صورة مجتمع الطبقات – الأحزاب في روسيا القيصرية ، لوحة روسية الاجتماعية – السياسية : الاقطاعيون[1] (جماعة المئة السود والأحزاب « القومية ») ، الاقطاعيون – الرأسماليون (الاكتوبريون) ، البرجوازية الليبرالية (حزب الكاديت) ، الفلاحون (الاشتراكيون – الثوريون ، الشعبيون ، الشغيليون) ، العمال (الحزب الماركسي بجناحيه : بولشفيك ومنشفيك) . المجتمعات الأوروبية – الغربية أيضاً مبلورة اجتماعياً – سياسياً، طبقياً – حزبياً (على نحو مختلف). مجتمع الولايات المتحدة الرأسمالي الامبريالي يختلف (لا يوجد « حزب عمال » ، تسعة أعشار العمال يصوّتون للحزبين المتناوبين على الحكم). المجتمعات العربية المستعمَرة وما بعد المستعمرة، على امتداد القرن العشرين ، هي أيضاً في وضع مختلف (في غالبية الأقطار ، العمال لا يصوّتون لحزب عمالي خاص . لا يوجد حزب فلاحي أو شبه فلاحي كما في روسيا . لا يوجـــد انقسام سياسي وتبلور حزبي في الطبقة الحاكمة التقليدية ، بين اقطاعيين ورأسماليين – اقطاعيين ، وبرجوازية كُمبرادورية،

= ولكن نتائجه في فلسطين ، ارتباطه بالعصر الامبريالي وستراتيجية الهيمنة العالمية ، أهميته بالنسبة لنظرية تسمّي نفسها نظرية العمل الفدائي والمقاومة والكفاح المسلح والحرب الخ!!!

(١) نبسّط هنا بعض الشيء . ونستخدم ألفاظاً يفهمها ويستخدمها الرفاق «اليساريون» (تطرّقنا إلى هذا الموضوع بالتفصيل في كتابنا « نظرية الحزب عند لينين ... ») .

وبرجوازية وطنية الخ) .

في المجتمع اليهودي الاسرائيلي، هذا التبلور الطبقي – الحزبي **موجود** إلى حد كبير ، في شكل خاص ، اسرائيلي. هذا الشكل الاسرائيلي **يشبه** الوضع الأوروبي الغربي بوجه عام ، **يشبه** الوضع الانكليزي بوجه خاص. هناك طبقة عمال واسعة ، وطبقة برجوازية رأسمالية ومراتب برجوازية – صغيرة . يمكن القول إننا من بعض الوجوه (من وجوه أساسية في النظرة الماركسية الكلاسكية) أمام نموذج المجتمع البرجوازي المعاصر رغم الكيبوتز ، ورغم عدم وجود صناعة ثقيلة وصناعة استخراج (إلا في نطاق ضيّق) .

هناك عمـال يصوّتون لأحزاب اليمين (الأحزاب الدينية : مزراحي ، آغودات اسرائيل ، لها تنظيمها العمالي) ولكن هذه حالة **نادرة** لا تتخطى حداً ضيقاً للغاية . نسبة العمال الذين يصوتون لحزب المحافظين في بريطانيا أو للحزب الكاثوليكي (« الاجتماعي المسيحي ») في بلجيكا أو للأحزاب غير العمالية في فرنسا ، في ايطاليا ، أكثر بكثير من نسبة العمال الذين يصوتون لأحزاب « اليمين » الديني أو « الوسط » البرجوازي الليبيرالي في اسرائيل . **٩٠٪ من العمال يصوتون لأحزاب العمال**، أحزاب العمل، الشغل «الاشتراكية»: الماباي (قيادة الحكومة على امتداد الوجود الاسرائيلي) ، المـابام الذي على يساره والذي يتبنى « الماركسية » و « الماركسية – اللينينية »، من فضلكم، آحدوب هاعفودا ، رافي (الجناح « اليميني » للمابای ، انشق عنـه لفترة . ولعـلّ **كل** هذه الأحزاب هي الآن حزب واحد) . الكيبوتز موزّعة بين مابام وماباي وآحدوت هاعفودا ...

باقي السكان ، باقي الطبقات والمراتب الاجتماعية تعطي أصواتها للأحزاب الاخرى : الحزبَين « البرجوازيين » الليبراليين ، رافي (في حال وجوه) ، أحزاب « اليمين » الديني وحزب حيروت (سابقاً جماعة ارغون الارهابية) ، وأيضاً للماباي .

كل هذه الأحزاب صهيونة ، توسعية ، معادية للعرب . المابام – وهـو « أفضلهم » (!) – تولّى بنفسه مهمة إقامة الكيبوتز في الجولان . دعا إلى « السلم » ، يدعو دائماً إلى « السلم » ، تصدّر (ربّما يتصدّر) « أنصار السلام » والوفد الاسرائيلي اليهودي – العربي في مؤتمرات « أنصار السلام » العالمية . يتجادل مع شقيقه في « اليسار الأقصى » آحدوت هاعفودا لأن هذا الأخير عدواني ضد العرب . ذات مرة ، (أو مرات) ، أدان شعار عدم التراجـــع عن أي شبر من الأرض ، وأصدر مجلة نيو آوت – لوك المختصّة « بالسلم والتعاون » اليهودي – العربي والتي لها (وله) الباع الكبير في مجموعة « من الفكر الصهيوني المعاصر » السلمية – اليسارية السابقة للعدوان .

الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) لا ينال إلا أصواتاً قليلة من اليهود ، تقرب من لا شيء . ولعل قوته الضعيفة القريبة من لا شيء بين اليهود هي أضعف في وسط العمال منها في الوسط الآخر . (والحزب «الشيوعي» الآخر (الصهيوني) هو أيضاً هزيل بين اليهود) . جماعة ماتزبن أفراد ...

حزب العمال البريطاني ينال أربعة أخماس أصوات العمال الانكليز . وهو ليس حزباً ثورياً أو ماركسياً أو ما شابه. بل حزب اصلاحي . «امبريالي» . يمثل طبقة عاملة مستفيدة اقتصادياً . أدانه لينين مراراً . كما أدان لينين وماركس وانجلز الطبقة العاملة الانكليزية ، إدانة عامة . ومع ذلك ، ابان عدوان السويس ، حدث شيء : تحرّك العمال الانكليز ، حزب العمال الانكليز ، نقابات العمال الانكليز .

لم يحدث ، لا يحدث ، ولن يحدث (على الأقل في الظرف العربي الراهن ، المادي والفكري) شيءٌ ما بين العمال اليهود الاسرائيليين ، في صفوف أحزاب العمال الاسرائيليين ، في قواعد الهستادروت اليهودية الاسرائيلية .

في الولايات المتحدة الأميركية ، العمال يصوتون لحزبي الرأسمال الامبريالي ومجتمعه . واتحاد نقابات العمال الأميركان فاسد في القيادات والقواعد ، إنه مؤسسة رأسمالية وامبريالية . ومع ذلك ، في الطبقة العاملة الأميركية ، في

المجتمع الأميركي تحدث تحركات **جماهيرية** ضد حرب فيتنام ، واختبارات أولية غامضة وعنيفة .

تلك ليست الحال في اسرائيل . « اليهود الشرقيون » ؟ نصف أو أكثر من نصف المجتمع الاسرائيلي . مضطهَدون مستغَلون في «المجتمع» الاسرائيلي؟ نعم ! في «المجتمع» الاسرائيلي ! في «علاقات الانتاج» الاسرائيلية ! التي هي جزء من « علاقات الانتاج » **العالمية** . الذي هو جزء من « المجتمع » العالمي . اللذين هما جزء من عصر الامبريالية والهيمنة العالمية والصراع العالمي . لا توجد قرينة واحدة تشير إلى أن هؤلاء اليهود الشرقيين (الذين وفدوا من البـلاد العربية و) الذين هم تجـــاه الفريق الآخر من حيث مستوى (ومعدّلات) الدخل، والعلم ، والصحّة ، في نسبة ١ إلى ٢ أو إلى ٣ ، ومن حيث الوجود في هيئات السلطة والمؤسسة الصهيونية كلها في حالة أسوء أيضاً،هم أقل تعصباً لاسرائيل وأقل عدوانية وتوسعية تجاه الجوار العربي من اليهود الأوروبيين . أمثال نسيم رجوان العراقي الأصل (إذا (!؟) كان صادقاً في «سلميته»،إذا كان « حَسَن النية » وحسب) نادرون .

و « أصدقاؤ » نا اليهود لا يخدعوننا أبداً. لم أقرأ شيئاً عند ماير فلنر أو عند ماتزبن **يقول** العكس . هل قرأتم ؟

في حديث « الصهيونية العالمية » ، في « التطور الاقتصادي في فلسطين وفي اسرائيل » ، في العلاقات التجارية (القديمة و الممكنة !!) ، في السلام الوشيك والتصفية الدائمة، في حديث « ما يمكن استرجاعه » من قبل حسين ، في « نظرية العمل الفدائي » ، في نظرية « الثورة الفلسطينية » ، في نظرية « حرب التحرير الشعبية » الفلسطينية والعربية (مع صرف الجيوش النظامية المحترفة) ، غابت هذه الحقيقة الجوهرية . هذا السيل العرم « الاقتصادي » « الاجتماعي » تبدّد أمام هذا الواقع الاجتماعي — السياسي . هذه الأمواج « الطبقية » و « الحزبية » لم تلطم الموضوع — العدو .

لأن هذا الواقع الجوهري ينسف المنطلق الفكري — « الاقتصادية » ،

« الماركسية » الكاريكاتورية[1] — وبنفس الهدف — الهدف الفأري : التصفية الوشيكة ، والهدف الآخر : الهجوم على القاهرة — .

لهذا السبب ، لهذين السببين ، تجنبت الجبهة الشعبية الديمقراطية الواقع الاجتماعي — السياسي الاسرائيلي . حتى « تمرّر »[2] المنهج « الاقتصادي » المناهض للماركسية — اللينينية ، وحتى « تُمَشّي »[2] باسم هذا التزييف الكامل للماركسية — اللينينية ، عداءها للوحدة العربية ، لوحدة القوى القادرة فعلاً على صدّ العدوان الدائم ، وعلى **شق** الطريق المسدود إلى النصر .

١٠ . وهذا الخط الفكري « النظري » — «الستراتيجي» — « السياسي » بالغ الخطورة والخطر .

خطره على الشعب العربي من الخليج إلى المحيط . تيار يسعى إلى إغراق العقل تحت سيل الألفاظ . يُجهض الاختيارات الثورية الحقيقية عند قطاع كبير من الشباب المتمرد على واقع تعيس وأفكار أتعس . يُحبط النشوء التاريخي للحزب البروليتاري العربي الماركسي — اللينيني . يخرّب المعركة القومية . يمارس الابتزاز «اليساري» ، على نطاق لم يُشهد له مثيل . يواصل تهويره السابق . وبلاط الجحيم مرصوف بالنوايا الطيبة !

خطرُه على المقاومة الفلسطينية ، على العمل الفدائي . على الجبهة الشعبية الديمقراطية .

المقاومة الفلسطينية لا يمكن أن تكون حتى ولا بعد مئة سنة من التقدم الحقيقي ، بديلاً عن العرب ، عن مصر ، عن القوة العربية الهزيلة ولكن الأقوى (من المقاومة الفلسطينية حتى الواعية الصاحية) . « حرب التحرير

---

(١) سنرى إلى أية متاهات تقود هذه العدميّة القومية أصحابها في ما يسمونه « المسألة الاسرائيلية » . أصحابها الآخرين ! كشلي ليس إلا « القَطْر » . أما « الغَيْث » فقادم : حوائمه ، العظم ...

(٢) على نفسها أولاً .

الشعبية » لا يمكن أن تكون بديلاً عن الجيش النظامي . حتى إذا أغرقتنا الامبريالية الأميركية بمليون جندي (وهذا ليس مستحيلاً[1]) ، على جيوشنا النظامية أن تقاتل أولاً . وعلى الحرب الشعبية المساندة وربما الباقية أخيراً وحدها في الساح أن ترتقي إلى مستوى الحرب النظامية ، **بفضل** الضباط والرقباء والعرفاء والجنود **المحترفين** .

والمقاومة الفلسطينية لا يمكن — على صعيد النظرية ، **إذا كانت النظرية شيئاً ما له قيمة ما** ، إذا كانت **دليلاً** للعمل ، لعمل الكفاح المسلح بالذات ، ولو بأصغر مقدار[2] — لا يمكن إلا أن **تنطلق** من الواقع العربي الحقيقي ، واقع الطبقات والدول والأقطار والجيوش والخطوط **العملية** والأفعال التي ليست الألفاظ ، من الواقع العالمي ، من الواقع الفلسطيني ، وأخيراً وليس في المقام الأخير ، الواقع الاسرائيلي ، الموضوع — العدو المباشر .

في تلمّسها لهذا الموضوع — العدو المباشر ، ولقواها الحاضرة والمقبلة ، ترتكب حماقة بالغة وقاتلة إذا جعلت الألفاظ تركب الفكر ، إذا استنتجت « ستراتيجية الثورة الفلسطينية » من لفظ « الثورة الفلسطينية » ، من مقولة « الثورة » ونموذج « الثورة » العام ، إذا « سحبت » على حالها فيتنام أو كوبا أو حتى الجزائر ، إذا استسلمت لآراء الناصحين ، الفاهمين[3] لكوبا وبوليفيا والبرازيل ، البعيدين عن فلسطين ، إذا تلهّت بلعبة الألفاظ التي

---

(١) واللينيني وكل وطني لا يستبعد هذا الاحتمال من تفكيره وتخطيطه .

(٢) وليس حديثاً « سياسياً » (؟) مع الذات أو اعلاناً « أخلاقياً » إلى العالم (حقنا في الثورة ، نُبْلنا : الدولة الفلسطينية الديمقراطية . فلسطين للجميع) . بالطبع (!)، يمكن أن تبقى « النظرية » لـِ « السياسة » (؟) لـِ « العمل السياسي » (!) ، وأن تبقى بعيدة عن العمل المسلح . ولكن في هذه الحال ، لنعترف أن قيمتها تبقى محدودة . هذا أقل ما يمكن أن يقال .

(٣) ربّما !

تسمي اسرائيل « الرأسمالية اليهودية وأداتها القمعية » ، إذا نسيت أن لعبة الألفاظ ليست للثوريين وبالأحرى ليست للثوريين المحاربين .

إن الماركسي — اللينيني لا يلعب بالثورة ولا يلعب بالحرب [١] . الجبهة الشعبية الديمقراطية تلعب بالاثنين . لقد جلد لينين رفاقه اللاعبين . نحن نجلد خصومنا ورفاقنا اللاعبين . ان تكون لعبتهم « منظّرة » لا يخفّف بل يعزّز كونها لعبة : « ثورة فلسطينية » ، «واقع اجتماعي فلسطيني» ، وبدون الواقع الاجتماعي الاسرائيلي، ثم تشريع لمستقبل فلسطين الديمقراطية مع دعوة إلى «كافة (!)التجمعات الاسرائيلية واليهودية» لتأييد هذا «الحل الديمقراطي» ، وكلمات عابرة — مبهمة أو صريحة - عن تحوّل اسرائيل من الداخل (العظم ، عماد نويهض) ، « ثورة فلسطينية » تتحوّل صراحة (في الكتابين اللاحقين) إلى ثورة ضد «النظام الأردني» ... هذا كله سنصل اليه . ولكن ما نتوقّف عنده **الآن** التصوّر « الاقتصادي » الذي يجعل اسرائيل في الأساس والجوهر دولة صناعية مكلّفة بغزو **السوق** العربية ، والذي يجانب الجوهر الأساسي في الطابع « الصناعي » لاسرائيل ، الجوهر الذي يتّصل **مباشرة** بالصراع التاريخي الراهن بين الشعب الفلسطيني والأمة العربية وبين اسرائيل والامبريالية .

على الثوريين المحاربين ، بدلاً من أن يتناقلوا التصور الاقتصادي لغزو الصناعة الاسرائيلية للسوق العربية الزراعية المتخلفة ، أن يفهموا بأي معنى اسرائيل هي مجتمع صناعي وبأي معنى اسرائيل ليست مجتمعاً صناعياً ، أن يفهموا ان الطابع الصناعي الحقيقي الجوهري لاسرائيل يتخذ قيمته الحيوية

---

(١) وبالأحرى بتركيبيها ، بالثورة — الحرب ، بالحرب الثورية . اللاعبون ، في زمن لينين وعلى طول تاريخ الماركسية ، هم «اليساريون» . شابر — فيليش ، باكونين والفوضويون ، الفوضويون النقابيون ، وصولاً إلى فرسان الجملة الثورية في ١٩١٨ .

الحاسمة في **التطبيق العسكري الحربي** بشكل خاص ، وفي **العقل السياسي** بشكل عام .

اسرائيل لا تملك « صناعة ثقيلة » . ليست قادرة أن تغمر مصر وسوريا ولبنان بالآلات والتجهيزات والسيارات أو بالمنسوجات وما شابه . ليست مؤهلة لذلك [١] . وليست مكلفة بذلك . ليس هذا دورها أو دورها الأساسي .

ولكن اسرائيل « مجتمع صناعي » بمعنى آخر ، « مجتمع برجوازي » يتمتّع بمزايا هذا المجتمع التاريخية الحاسمة ، وأحياناً بشكل مكثّف : القابليات التقنيّة الكامنة المنتشرة في الأفراد ، الارتباط العضوي باوروبا وتاريخها وحضارتها ، التنظيم وقابلية التنظيم (التنظيم ، التخصّص ، تقسيم أو توزّع العمل ، تكامله ، التعاون المركّب) . أي ما يسمّيه البعض الرأسمال الانساني أو الرأسمال الدماغي (شريطة أن نفهمه كرأسمال عقلي اجتماعي [٢]) . هذا الذي يقف وراء المردود ، وراء الانتاجية [٣] . هذا الذي حقّق انتصار الرأسمالية على الاقطاعية وعلى النظم ما قبل الرأسمالية ، انتصار البرجوازي على الفلاح ونصف ـ الفلاح وعلى البدوي ، وانتصار الغرب على الشرق . هذا الذي لفت نظر آدام سميث واقتصادُه الكلاسيكي ، أي أحدُ منطلقات المجتمع البرجوازي الصناعي ، وأحد أصول هيغل

---

(١) تستطيع أن تصدّر بعض السلع الصناعية (والزراعية) ، وبعض الخدمات ... في حالة « السلام والتعايش والتعاون » ، أي « نظرياً » .

(٢) الفرد العربي قد يكون أكثر ذكاء من الفرد السويسري أو الانكليزي أو الألماني . ليس المجتمع .

(٣) بين « المتقدم » و « المتخلف » ، الفرق في الانتاجية أكبر من الفرق في مستوى « أدوات الانتاج » . هناك إذن مسألة علاقة الانسان والآلة وعلاقة الانسان والانسان ومسألة « قوى الانتاج » ككل . وهناك بالطبع علاقات الانتاج العالمية ، أي على وجه التحديد التنظيم العالمي الذي تسعى الامبريالية إلى تخليده .

والديالكتيك وماركس والماركسية. هذا الذي حقق انتصار انكلترة الصغيرة والحديثة على الهند الكبيرة والعريقة [1]، وانتصار جنود بونابرت على مماليك مصر [2]، وامتهان « الفئة القليلة » (أوروبا) لِـ « الفئة الكثيرة » (آسيا والعالم الفسيح) بـ « إذن الله » والتاريخ. هذا الذي استطاعت فيتنام أن تتداركه بمثله — المضاد (وبدون صناعة كبيرة غازية !) ، بينما « سقط » العرب أمامه سقوطاً ثابتاً دائماً ، بفشلهم أو إفشالهم أمام وحدتهم القومية ، وأمام تحركهم الجماهيري الموحّد الأكبر.

بتعبير آخر: « موضوعة » « اسرائيل مجتمع صناعي » ، نفهمها أولاً بمدلولها **السياسي — العسكري — الحَرْبي**. في ضوء وبالارتبـــاط مع دور اسرائيل ومكانها في الهيمنة العالمية.

كل شغل «نظرية العمل الفدائي» المزعومة يذهب ضد الارتقاء «الصناعي» للفلسطينيين وللعرب ، ضد **التنظيم** [3] ، ضد « العقل » (الربط !) ، ضد

---

(١) هذه المسألة (بريطانيا — الهند) واسعة المضامين (« اسلوب الانتاج » الآسيوي ، و ، التكوين القومي — اللغوي — الطائفي — العرقي للهند). انظر تحليلات ماركس في كتابنا « الماركسية والشرق » ، دار الطليعة ، ص ٢٠٣ — ٢٣٢ ، وبشكل خــــاص ص ٢٢٦ — ٢٢٧ : آلية احتلال بريطانيا للهند وآلية السيطرة البريطانية على الهند. ولا بأس من الاشارة إلى أن سقوط الهند تحت الاستعمار بدأ قبل « اختراع الآلة البخارية » بكثير. المسائل الكبرى التي لم يرها الفكر القومي (ساطع الحصري) ، لا يراها أيضاً الفكر الماركسوي ، قديمه وحديثه.

(٢) وبهذا الصدد ، يقول نابوليون ويردد انجلز قوله (« آنتي دوهرنغ » ، نهاية فصل « تحول الكم إلى كيف ») : « مما لا ريب فيه أن اثنين من المماليك كانوا يبزّون ثلاثة من الفرنسيين، ومئة من المماليك يعادلون مئة من الفرنسيين ، ولكن ثلاثمئة من المماليك لا يعادلون إلا مئتين من الفرنسيين ، كما ان ألفاً من الفرنسيين قد هزموا بصورة دائمة ألفاً وخمسمئة من المماليك » . (وقد كان جندي المماليك أحسن فرسان العصر) .

(٣) كل عبادة « اليسار » لـ « التنظيم » لا تغيّر شيئاً من هذا الواقع ، ولا تحقق أي تنظيم مجْدٍ فعّال. تلك بشكل خاص تجربة « الماركسية » المحلية ، قديمها وجديدها.

الجدوى والفعالية efficacité ، ضد الثبات وطول النفَس والاستقرار النفْسي.
وحين تهاجم « النظرية » المزعومة « الميزات » الفلاحية ، فإننا نقول بأعلى صوتنا : حذار من « الميزات » البدَويّة ! إن صفتكم البرجوازية — الصغيرة الجامعة لا تستبعد بل تتضمّن — في ظرفنا العربي — « ميزتكم » البدوية .

ومن وحي قانون الكم والكيف ومقارنة جيش الفرنسيين وجيش المماليك على يد الجنرال البرجوازي الامبريالي بونابارت والقائد البروليتاري الماركسي فريدريك انجلز ، نقول :

هناك مجتمعات (أو شعوب) **تضرب** (×) طاقاتها : تلك حال الشعوب التاريخية البرجوازية ، وتلك حال الشعوب الاشتراكية التي انطلقت من التخلّف **لتلحق** بهذا أيضاً [١] .

وهناك مجتمعات (أو شعوب) **تجمع** (+) طاقاتها . وهذا أضعف الايمان. تلك حال شعوب الشرق . فيما عدا لحظات المحن الكبرى والوعي أو الوحي .

وفيما عدا لحظات الضياع والتمزق . حيث تقوم بعملية **طرح** (—) لقواها .

العرب ، في الآونة الأخيرة ، قاموا بعملية **قسمة** (÷) وسمّوها جمْعاً . على هذا أولاً ، تحاسب البروليتاريا والأمة طبقتَـ«ـيها» الاقطاعية ـ البرجوازية ، وطبقتَها السياسية البرجوازية ـ الصغيرة . وفي الحساب الأخير ، في رأسه : « اليسار » الكاريكاتوري المتنوع ، الذي يسعى اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تعزيز القسمة والتناثر والتبعثر ، تحت ستار « صراع الطبقات » لا صلة له بصراع الطبقات العالمي والمحلي . غباؤه القوموي الماضي وعيٌ كبير **بالمقارنة** مع غبائه الطبقوي الحاضر .

و « نظرية العمل الفدائي » ليست إلا « القطْر » الذي يسبق «الغيث» .

---

(١) والتجربة تشير إلى أن هذا قد لا يكون عملَ عشر سنوات ولا عشرين سنة .

١١ . إن هدف « نظرية العمل الفدائي » يتقلّص إلى إثبات فكرة التصفية الوشيكة . هذا على الأقل هو الهدف الظاهر المعلن . المقدمـــات « الاقتصادية » في خدمة هذه الفكرة . « حرب التحرير الشعبية » ، اللفظ العام ، والمعنى المحدد المعلن – صرف الجيوش النظامية المحترفة (« حاملة بذور هزيمة جديدة») – وشبه المعلن – إسقاط الأنظمة بواسطة «الأحزاب الثورية » – تدخل في هذا الاطار .

الفصل الأول يقول: نفط ، أرقام الخ ←« الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة » تريد تصفية قضية فلسطين .

الفصل الثاني يقول : تطور اقتصادي ، تطور اقتصادي ، أرقام ، أزمة اقتصادية في اسرائيل ← « الصهيونية العالمية » تريد تصفية قضية فلسطين .

الفصل الثالث يقول : علاقات تجارية، أرقام، ← البرجوازية العربية تريد تصفية قضية فلسطين . رحلات سندبادية ←أردن حسين، مصر عبد الناصر، يريدان تصفية قضية فلسطين .

الفصل الرابع يقول : الواقـع الاجتماعي الفلسطيني ← الشعب الفلسطيني (باستثناء كذا طبقات ، مع التوسيع الواجب « يسارياً ») يعارض تصفية قضية فلسطين .

الفصل الخامس يقول : عفوية ونظرية ، فتح وسواها ← نحن (اليسار الماركسي اللينيني الفلسطيني) نعارض تصفية قضية فلسطين . (الآخرون قاب قوسين من التصفية أو أدنى، بحكم رفضهم نظرية مقارعة الأنظمة العربية القائمة ، حسنُ النوايا بلاطُ الجحيم) .

ونحن نقول :

ضد الفصل الأول : « الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة » تريد أكثر بكثير . تريد تصفية – فلسطين ، تصفية الأمة العربية كأمة ، الهيمنة العالمية ، اسرائيل قاعدةً أوسع وأقوى ضدّ الاتحاد السوفياتي [1].

---

(١) مجتمعاً يحارب معها في حال قيام حرب عالمية. لأن الحرب العالمية يمكن أن تقوم=

ضد الفصل الثاني : استعمار سكاني ، مجتمع اسرائيل ، ثلاث حروب هيأتها وبدأتها الصهيونية واسرائيل، عدوان حزيران أعمق وأقدم إعداداً من عام «الأزمة الاقتصادية»، ← الصهيونية العالمية تريد أكثر بكثير من تصفية قضية فلسطين . تريد تصفية – فلسطين ، والبنود الآنفة .

ضد الفصل الثالث : « الخسائر التجارية » مضخمة ، « خسائر نفقات الدفاع » مهملة « مضافة » ، ولكن حتى هكذا فهي تفيد العكس ، وتنسف بنيان « النظرية » « الاقتصادية ». وهذه «النظرية» ، إذ « تلعب » بنصوص شيفر ، ترجعها وتنزلها إلى درك «الاقتصادية» . الحذف يصيب بشكل خاص تمييز شيفر بين « ناحية اقتصادية » و « ناحية سياسية» : لبنان الذي يكسب **اقتصادياً** من النزاع . هو الذي يريد « السلام » و « التصفية » .

« التصفية » **تتوقف** أولاً على الفصلين السابقين : الامبريالية العالمية ، الصهيونية العالمية ، الولايات المتحدة ، اسرائيل. بالنسبة لحسين : **أولاً** ، هل يمكن « الاسترجاع » ؟

ضد الفصل الرابع : شعب فلسطين يرفض التسليم بوطنه ، اللاجئون يريدون العودة إلى أرضهم (وبنسبة أكبر من الـ ٧٥ ٪ التي ينقلها المؤلف عن نشرة **خاصة** رقم ١٥ ، صادرة عن الامم المتحدة) هذا نابع لا من « الواقع **الاجتماعي** الفلسطيني » بل من الواقع الانساني ، **الوطني** ، **القومي** للشعب الذي فقد وطنه .

ضد الفصل الخامس : لا النظريةُ ضد العفوية ، بل عفويةُ النظرية ، عفوية « نظرية » كم ، من ألف إلى ياء . فتح ، منظمة تحرير ، جبهة شعبية ، الخ ، ليست بعيدة عن هذه « النظرية » : نظرية (!) رفض التصفية ، نظرية (!)

= رغم إرادة السوفيات السلمية . أميركا زاحفة عالمياً . في حال قيام هذه الحرب، وقودها البشرية ستكون في أوروبا روسية وأميركية بالدرجة الأولى ، وبشكل مباشر ، وفي الشرق الأدنى عربية ويهودية . تلك طبيعة عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية العالمية ، في مرحلته الراهنة الحاضرة .

حرب التّحرير الشعبيــة . إنهــا متأخرة عنكم في انهــا لم تنظـّر هذه « النظريات » (!) ، بل تركتها في شكل شعارات . هذا التأخر تفوّق ، تقدّم ، بقاءُ العقل . تقدّمكم تأخر ، ضياع للعقل **ولامكانية** النظرية-الدليل. إذا تقدّمت فتح ، منظمة التحرير ، الجبهة الشعبية ، الصــاعقة ، جبهة التحرير العربية ، الخ الخ الخ نحـــو « النظرية » (!) « المتلاحمة » — « الثورة الفلسطينية » ، « رفض التصفية » ، « حرب التحرير الشعبية » ، صرف الجيوش النظامية ، انبثاق حرب التحرير الشعبية « العامة » « على امتداد الوطن العربي » من « الثورة الفلسطينية — العمل الفدائي — حرب التحرير الشعبية الفلسطينية » ، دفن الأنظمة المتقدمة المتراجعة بواسطـــة « الأحزاب الثورية للجماهير » — عندئذٍ ، هذه المنظمات ستدفن نفسها قطعاً في جميع الحالات ، مهما كانت النتائج الأخرى) ، وربمـــا **فلسطين** (لا « قضية... » فقط) ، والأمة العربية كأمة . وبلاط الجحيم حُسْنُ النوايا. حضورنا هنا - مع صرف الجحيم الحَسن بالتي هي أحسن — : **ضدّ** ربّما وقطعاً ، في آن .

اللاذقية آذار — حزيران ١٩٧٠



فهرس



عفوية النظرية في العمل الفدائي

ماركسية اقتصادية تتولى منذ زمن «تنظير» قضية فلسطين والثورة الفلسطينية، وتتنطح لحل سائر مشاكل الثورة العربية.

يمسك الياس مرقص بمبضعه الماركسي اللينيني العربي ليشرح هذه «الماركسية» وليكشف انها ليست نظرية، بل هي العفوية وقد أخذت صيغة نظرية، لأنها مقطوعة الصلة بالواقع العيني الفلسطيني والعربي والدولي. وهذه بعض المواضيع الرئيسية في هذا الكتاب الهام:

بداية العفوية. الامبريالية العالمية وتصفية قضية فلسطين. الصهيونية وتصفية قضية فلسطين. عدوان حزيران وأسبابه. التوسع الاسرائيلي في السوق العربية. الماركسية والاقتصادية. الاقتصادية اليسارية في قضية فلسطين. العلاقات التجارية أو خسائر البرجوازيتين العربية واليهودية. الحركة الفدائية واسرائيل. الحركة الفدائية والنظام الأردني. النقاش مع فتح. الماركسية والمقاومة. الحركة الثورية الفلسطينية وقضية الثورة العربية. كيف يعلن الفكر «اليساري» حرب التحرير الشعبية. حول الوحدة – الوطنية الفلسطينية ...

٧٠٠ ق. ل.